ضوء الصبح المسفر

وجنى الدوح المثمر

مختصر

صبح الاعشى فى كتابة الانشا

كلاهما

تأليف مالك زمام الادب في عصره الشيخ الامام احمد بن على
القلقشندى المصرى المتوفى سنة ٨٢

﴿ عنى بطبعه وتصحيحه ومقابلته على أصله ﴾

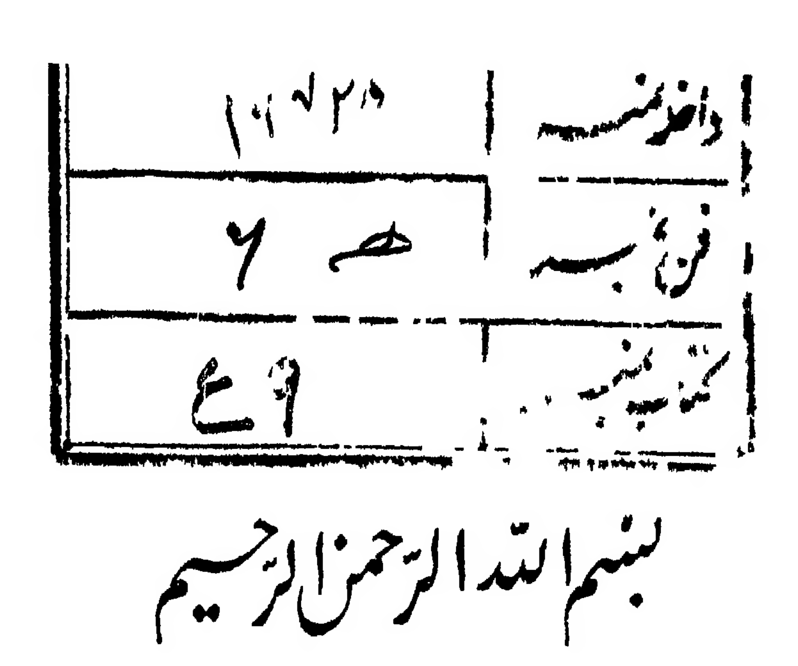
محمود سلامه

صاحب ومدير جريدة الواعظ

الطبعة الاولى

﴿ بمطبعة الواعظ بشارع درب الجماميز بمصر ﴾

١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

يا منشئ الكون ، بلا عون ، احمدك على كل حال، واستعينك في جميع الافعال، وأسألك افضل الصلاه ، لخير الهداه ، محمد وصحبه ، وعترته وحزبه

اما بعد فأتقرب الى أرباب الأدب بعمل لا أحقره فأهون بتحقيره، ولا أكبره فأصغر باكباره ، ولا أمنّ به فلا يقبل مني ، ولا أريد عليه أجرا ولا شكرا فيفوتني ما رجوت من ثوابه

ذلك انى رأيتهم إذ علموا أن دار الكتب الخديوية شرعت فى طبع «صبح الاعشى في كتابة الانشا» سرهم نشره بالطبع من طيه ، وتطاولت آمالهم لاغتنامه، ثم لما تبين لهم انها قبضت يدها وأبت ان تبسطها في طبعه لأكثر من ثلاثمائة نسخة ساءهم اسرافها فى البخل به ،ونهنهوا آمالهم عن التشوف اليه يأسا من بلوغ الأمنية منه. وكنت اعلم ان مؤلف هذا الكتاب استخلص من قشوره اللباب في مختصر جميل سماه «ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر» فنشدته، حتى وجدته وأشفقت عليهم من ذلك اليأس فطبعته وقلت : حسبهم من الصبح سناه، ومن الروض جناه

ولست بقائل اني لقيت عرق القربه ، في تقريبي اليهم هذه الإربه، فكل مشقة فى رضاهم تهون، ولعلهم راضون

محمود سلامه

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

قال السخاوى فى الجزء الاول من كتابه « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع »:

« هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن أبى اليمن القلقشندى ثم القاهرى الشافعى. ولد سنة ٧٥٦ واشتغل بالفقه وغيره وسمع على ابن الشيخة. وكان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وغيرهما وكتب فى الانشاء وناب فى الحكم وشرح قطعا من « جامع المختصرات » بل شرع فى نظمه وعمل « صبح الاعشي فى قوانين الانشا » فى أربع مجلدات جمع فأوعى وكان يستحضر أكثر ذلك مع جامع المختصرات والحاوى. وألف كتاباً فى انساب العرب. وكان فيه تواضع ومروءة وخير. مات يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١ وله خمس وستون سنة. ذكره المقريزى فى عقوده والعينى وآخرون وسمى العيني والمقريزى والده عبد الله وهو وهم »(١)

وترجمه صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب فقال:

« شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندي الشافعى نزيل القاهرة تفقه ومهر وتعانى الأدب وكتب فى الانشاء وناب في الحكم. وكان يستحضر الحاوى وكتب شيئا على جامع المختصرات. وصنف كتاباً حافلا سماه « صبح الاعشى فى معرفة الانشا » وكان مستحضرا لأكثر ذلك، وصنف غير ذلك. وكان مفضالا وقورا فى الدولة الى أن توفي ليلة السبت عاشر جمادي الآخرة عن خمس وستين سنة »

نقول: والذى يستخلص من أقواله فى كتابيه « الصبح وضوئه » ان مسقط رأسه بلدة قلقشندة المعروفة الآن بقرقشندة احدى قرى مديرية القليوبية؛ وان عرق نسبه

---

(١) اقول والمكتوب على بعض احزاء صبح الاعشى المحفوظ بالمكتبة الخديوية انه: احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن اسماعيل

يمتد الى أصل من الأصول العربية التى دخلت مصر أيام الفتح الاسلامي وبعده، فهو من بنى بدر بن عدى بن فزارة إذ يقول : « و بنو بدرهم قبيلتنا التى اليها نعتزى وفيها ننتسب . وأهل بلدتنا قلقشندة نصفهم من بنى بدر ونصفهم من بنى مازن بن فزارة » ؛ وأنه لحق بديوان الانشاء فى حدود سنة ٧٩١ أى في عهد الدولة البرقوقية ؛ وأن له من المؤلفات فى الفقه كتاب « الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » ، وفى التاريخ « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ونهاية الارب فى معرفة قبائل العرب» وهذا الاخير محفوظ بالمكتبة الخديوية. وفي هذا بيان لأن الرجل كان فوق علماء عصرنا هذا معرفة وفضلا إذ برع فى العلوم الشرعية والتاريخية والأدبية وغيرها على حين ان العالم فى زماننا ان عرف النحو جهل الصرف، وان ألم بالفقه عادى اللغة...

وقد شرح سبب تأليفه « صبح الاعشى فى كتابة الانشا » فذكر أنه لما لحق بديوان الانشاء أنشأ مقامة بناها على أنه لا بد للانسان من حرفة يتكسب بها ، وان أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وان أفضل الكتابة كتابة الانشاء ، وانه جمع فى تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها ما لم تتسع له بطون المؤلفات الطوال فى هذا الباب ؛ ثم سئل ان يشرحها فكان شرحها «صبح الاعشى» وهو سبعة أجزاء ضخام خلافا لما قاله السخاوى كان فى المكتبة الخديوية منها اربعة فقط، ثم استنسخت الثلاثة الأخر بالفوتوغراف من مكتبة اوكسفورد بانكلترة وأنفقت في هذا السبيل عن كرم يشكر عليه حضرة ناظرها الحالى ثم اختصره بنفسه للمقر الكمالى فى كتاب سماه «ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » ويظهر أنه وضعه فى جزءين أحدهما هذا، والثانى لا أثر له فى المكتبة الخديوية وقد اطلنا التنقيب عنه فلم نجده الآن ولا زلنا ننشده فى مظانه، فأن وجدناه طبعناه بنصه وفصه، وان لم نجده فنحن فى سبيل اختصار ما بقى من الكتاب على النهج الذى سلكه مؤلفه بعد ان تبيناه ، ومتى قار بنا الفراغ شرعنا فى طبعه والموعد قريب ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق والاعانة

الحمد لله جاعل ضوء الصبح غرة نهاره ، وجرم الهلال مقدمة جيش البدر وطليعة ابداره ، وزهر الروض نتيجة نضارته ومرتع عيون نظاره ، ودر البحر على صغر حجمه أنفس نفائسه وأعز ذخائر ادخاره ، وجنى الدوح وان كان آخراً هو المقصود من إنباط(١) مياهه وغرس أشجاره . أحمده على ان جعل الأيجاز من أعلى رتب البلاغة ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتقاصر دونها المتطاول ، ويتسامى الى اقتطاف ثمرتها المتناول ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أوتي جوامع الكلم فبذّ(٢) العالمين اعجازا ، واختصر له الكلام فقات المقاول اللسن اطناباً وانجازا . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قربوا القصيّ فدنا ، وسهلوا الصعب فأراحوا من التعب والعنا . وبعد ، فلما كان ﴿ صبح الاعشى فى كتابة الانشا ﴾ قد اتسع له مجال الاطناب فى الكلام فجال ، وبسط لسانه فى فنون الأدب فقال وطال ، وانفسح فى الصناعة أمله فتنقل فى جنباتها تنقل الهائم ، وأوسع فى حومتها المطار [illegible] تحليق الحائم ، واشتمل من كتابة الدول فى كل زمن على ما ينقطع دونه [illegible] ، وأحاط من مبانى دساتير الصناعة ما لم تحط به دائرة دستور ولم تنطو عليه جامعة جامع ، وصرف اكابر الرؤساء وجه عنايتهم اليه فكان له بذلك شرف الكمال وكمال الشرف ، واهتموا بتحصيله فنفقت سوقه نفاق الطرَف ، وعنوا باستكتابه فصرفوا فيه ما لولا

---

(١) انبط الماء أخرجه من الارض (٢) في الاصل : « بذّ » بالدال ومعناه : فرّق ، وليس المراد فهو تحريف صوابه « بذّ » . تقول العرب « فلان بذّ القائلين » اى سبقهم وغلبهم

القول بأنه لاسرف فى الخير لقيل انه سرف، فضلا من الله ونعمة، الا أنه قد ضاقت أوقات أصحاب المناصب العلية(١) على استيعابه بالنظر، وقصرت يد القاصر فى المال عن استنساخه وغاب أيدى النـاس الآن ذات قصر، وكان المقرّ الشريف العالى المولوى القاضوى الكبيرى العالى الفاضلى الأمامى العلامى الاصيلى العريقى الكمالى سايل الرياسة جامع اشتات الفضائل نخبة الدهر عين أعيان الزمان أبى الفضل محمد بن المقرّ الاشرف العالى المولوى القاضوى الكبيرى النظامى المدبرى السفيرى اليمينى المشيرى الأصيلى العريقى الكفيلى الناصرى نظام الملك نحى السلطنة لسان المملكة ملك العلماء سلطان الأدباء بهجة الوجود حسنة الأيام ظهير الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين أبى المعالى محمد قاضى القضاة ثم صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية زيدت عظمته، ابن الشيخ الامام قاضى القضاة علامة الدهر بحر العلوم محيط دائرة الفضل كمال الدين ابى العلا محمد بن الشيخ الأمام قاضى القضاة نادرة الزمان فرد الوجود واحد الدهر فخر الدين أبى عمرو عثمان بن الشيخ الأمام قاضى القضاة امام المحـدثين بقية الحفـاظ كمال الدين ابى الفضـائل محمد بن الشيخ الأمام قاضى القضاة شمس الشريعة عمدة الحفاظ رحلة العالم بقية المجتهدين نجم الدين ابى محمد عبد الرحيم بن الشيخ الامام قاضى الفضـاة زين الاماثل علم الاعلام والد العلماء الاطايب شمس الدين ابى الظاهر ابراهيم بن المسلم بن هبة الله الجهنى البارزى الحموى الشافعى بلغ الله تعالى محبيه فيه غاية الأمل، وأقر به عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل، قد تلا فى المعالى والده، واتصف بعد عراقة النسب بالكمال فجمع طارف المجد وتالده، ... ن الفضائل مورد آبائه الكرام فكرع فيه لا أنه أرسل وارده

ورد الفضائل كابرا عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

فدرج من عش المجد ووكر الكرم، وظهر بيته الكريم ظهور نار على علم، وطار مطار ابيه فى الرياسة ومن شابه أبه فما ظلم

فهم المجد معقود الأواخى وتم المجد مضروب القباب

---

(١) هكذا بالاصل ولكن ضاق تعدى فى هذا المعنى بعن دون «على»

وأحكم معاقد البيان فسحب على سحبان ذيل الفخار ، وجرى فى ميدان البلاغة جرى الجواد فلم يشق له غبار ، وذكر بفضله ما كان من فضل سلفه فى الزمن القديم ، وعرفته مصر حق المعرفة فقالت هذا الفاضل من ذرية عبد الرحيم

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه　　وينظم الدر بالاقلام فى الكتب

هذا وقد صرفت بتصريف والده أمور الدولة الشريفة فجرت على السداد ، ونفذت بتنفيذه أمورها فأربت ولله الحمد على المراد ، وأتى من تدبير الملك بما أطلع نجومه الاوافل ، واستبقى لسلطانه من جميل الذكر ما تهش اسماعه النفوس وتعطر بذكره المحافل

فحيهلا بالمكرمات و بالعلى　　وحيهلا بالفضل والسودد المحض(١)

مع انه قد أعرب فى العرب العاربة نسبا ، وأعرب عن الانتماء الى يعرب بن قحطان فكرم جدًّا وأبا ، وساهم التبابعة(٢) فى شرف المحتد فانتسب فى حمير بن سبا ، وجاوز الى قضاعة فتاهت به على الزمن ، ونالت كمال الفخر فكانت غرة قبائل اليمن ، وصار الى جهينة فكان واسطة عقدها الثمين ، وانتهى منها الى بيت علم قضى فضله انه جهينة اخبار الشريعة وعند جهينة الخبر اليقين . كأنه شجر الاترج طاب معًا ثمرًا ونورًا وطاب العود والورق ، ثم قد حاز تراث آبائه من الفضل واحتوى على كرم خلالها ، وتمم مكارم أخلاقهم بمكارم أخلاقه فكان عين كمالها

تملك المجد حتى ما لمفتخر　　فى المجد ميم ولا جيم ولا دال

وكنت ممن عمته جدوى بيته الكريم بدءا وعودا ، وغمره فضله الوافر علمًا وجودا ، فاستمطر سحب مؤلفات سلفه هامع الافادة فوكفت ، وانتجع غيثها الصيب فأغنت عما سواها وكفت ، واستماح معين فضله فسح ، واستوكف غمام كفه الهاطل فهطل وما شح

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى　　فلم استطع من أرضهم طيرانا

دعتنى داعية المحبة الى ان اتطفل على مآدب فضله ، وألحق فى القياس الجلى فرعه الكريم فى الانتماء الى بابه العالى بأصله

---

(١) حيهلا كلمة يستحث بها وهي مركبة من كلمتين : حىّ اسم فعل بمعنى أقبل وهَلاَ بمعنى أسرع ، وفيها لغات : حيَّهل ، وحيَّهلاً ، وحيَّهَلاَ (٢) فى الصبح : التتابعة ونص شارح القاموس انه غلط صوابه التبابعة

كفى شرفًا انى مضاف اليهم وأنى بهم ادعى وأرعى وأعرف

وأن أخدم خزانته العالية عمرها الله تعالى بطول بقائه ، وزاد فى علاها بمزيد ارتقائه ، بتأليف اختصر فيه كتاب « صبح الاعشى » المقدم ذكره اختصارًا يأتى على مقاصده ، ويتكفل بمصادر هذا الفن وموارده ، ويقضى قرب المأخذ فيه بأن تكون كفته مع اطراح الاثقال هى الراجحة ، ويكون فى المعنى للطافة محله كالريحان خفيف الحمل طيب الرائحة . فاستخرت الله تعالى واخذت فى ذلك منتقيًا درر بحره الزاخر ، وملتقطًا من معادن أحاسنه نفيس جوهره الفاخر ، مقتصرًا منه على قواعد الكتابة التى لا يسع تركها ، واصول الصناعة التى لا ينجبر لدى الفوات نسكها ، آتيًا من مذاهب الكتاب فى كل زمن عما يتعرف منه مصطلح زمانهم ، موردًا من كلام الدول بكل قطر ما يعلم به طرائقهم على تقادم عهدهم وبعد مكانهم ، متحفًا من فنون الصناعة بما يتعرف منه التعريف ، ويثقف برشاقة مواردهم مصادره التثقيف ، ذاكرًا من الممالك المكاتب عن مملكة الديار المصرية ما يعرف به قدر كل مملكة منها مشيرًا الى حدودها وقاعدة ملكها وما يصدر اليها من المكاتبات وما يصدر عنها ليكون مع سهولة تناوله كامل المقصود منطبقًا على مقاصد الكتابة انطباق الحد على المحدود وسميته « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » ورتبته على نحو من ترتيب أصله في مقدمة وعشر مقالات وخاتمة

المقدمة

في مبادئ يجب تقديمها على الخوض فى كتابة الانشاء وفيها خمسة ابواب :

﴿ الباب الاول ﴾ — فى ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم وما ينخرط فى سلك ذلك

﴿ الباب الثانى ﴾ — في ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحا ، وبيان معنى الانشاء واضافة الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل ، وبيان معنى التوقيع ، وتفضيل كتابة الانشاء على سائر انواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر

﴿ الباب الثالث ﴾ — فى صفات الكتاب الواجبة التي لا يسع تركها ، وصفاتهم العرفية ،

وأدب الكاتب من حسن السيرة وعشرة ملكه او رئيسه وا كفائه ونظرائه واتباعه والرعية ومن يمتّ اليه بخدمة

﴿ الباب الرابع ﴾ — فى التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه فى الاسلام واستقراره بديوان الخلافة وتفرقه بعد ذلك فى الممالك

﴿ الباب الخامس ﴾ — فى بيان قوانين ديوان الانشاء وترتيب احواله ورتبة صاحب الديوان وصفته الواجبة فيه وآدابه وما يتصرف فيه بتدبيره وما يصرفه بقلمه وذكر أرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم فى القديم والحديث

﴿ المقالة الاولى ﴾

فيما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضرورته وفيها بابان :

﴿ الباب الاول ﴾ : — فيما يحتاج اليه من الفنون كاللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع وما يلحق بذلك من حفظ كتاب الله تعالى والاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية ومن خطب البلغاء ومكاتبات الصدر الاول ورسائلهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم والنظر في رسائل أهل العصر ومكاتباتهم والتوغل في حفظ أشعار العرب والمحدثين وفهم معانيها والاطلاع على أمثال العرب والمحدثين وأيام العرب من حروب ومفاخرات ومعرفة الامور التاريخية وما ينضم الى ذلك من معرفة صنعة الكلام وكيفية انشائه ومعرفة الأزمنة من الليالى والأيام والشهور القمرية والشمسية والسنين المرتبة على ذلك وما ينخرط فى هذا السلك

﴿ الباب الثانى ﴾ — فيما يحتاج اليه من صناعة الخط والمقصود من وضعه وذكر آلاته وأول من وضعه ، وتوابعه من النقط والشكل والهجاء والفرق بين الضاد والظاء

﴿ المقالة الثانية ﴾

فيما يحتاج اليه من معرفة أحوال الارض وجهاتها ورياحها وفيها ثلاثة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ — فى شكل الارض والبحر المحيط بها وجهاتها وأسماء الرياح التى يهب منها والاقاليم السبعة الحقيقية الممتدة بين المشرق والمغرب والبحار المنبثة فى ارجائها

﴿ الباب الثانى ﴾ — فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها من الممالك الشامية وما ينخرط فى سلكها من بلاد الثغور والعواصم المعروفة الآن ببلاد الارمن واطراف الجزيرة الفراتية مما يصاقب الاعمال الحلبية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها

﴿ الباب الثالث ﴾ — فى ترتيب مملكة الديار المصرية وحال سلطانها وأمرائها ووظائفها وترتيب الممالك الشامية وحال نوابها وأمرائها ووظائفها

﴿ المقالة الثالثة ﴾

فى أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرهما وفيها خمسة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ — فى الاسماء والكنى والالقاب والنعوت وما استقرت عليه الآن

﴿ الباب الثانى ﴾ — فى الفواتح كالبسملة والبعدية ونحوهما والخواتم كأنشاء الله والتاريخ والمستند فى كتابة المكتوب والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والحسبلة واللواحق كتتريب الكتاب واستيعابه بالقراءة بعد الفراغ من كتابته

﴿ الباب الثالث ﴾ — فى بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الانشاء القصص التى ترفع لطالب الكتب السلطانية والرقاع التى يكتبها كاتب السر بأمور خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التى تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرهما فى معنى ذلك والمربعات الجيشية التى تحضر من ديوان الجيش بسبب كتابة مناشير والاقطاعات وما يجرى مجرى ذلك

﴿ الباب الرابع ﴾ — فى بيان المستندات التى يترتب عليها ما يكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك

﴿ الباب الخامس ﴾ — فى مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض فى أول الدرج (١) وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتب

﴿ المقالة الرابعة ﴾

فى المكاتبات السلطانيات والاخوانيات وفيها أربعة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ — فى أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب تعرفها وأصول

---

(١) الدرج هو الفرخ الورق

يعتمدها الكاتب فى كتبه فى الابتداء والجواب

﴿ الباب الثانى ﴾ ـ فى مصطلح الكتب السلطانيات الدائرة بين كتاب الاسلام فى كل زمن من الصدر الاول وهلم جرا الى زماننا من كتب الخلفاء الى ولاة العهد بالخلافة ، وكتب الخلفاء وولاة العهد بالخلافة الى الملوك ومن فى معناهم ، وكتب الملوك ومن فى معناهم الى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ، وكتب الملوك الى ولاة العهد بالسلطنة ، وكتب الملوك الى النواب

﴿ الباب الثالث ﴾ ـ فى المكاتبات الاخوانيات الدائرة بين الرؤساء من الكتب الصادرة من الرئيس الى مثله ومن الرئيس الى المرءوس ومن المرءوس الى الرئيس ابتداء وجوابا فى القديم وما استقر عليه الحال الآن

﴿ الباب الرابع ﴾ ـ فى مقاصد المكاتبات من التهانى والتعازى والبشارات والشفاعات وما يكتب مع الهدايا وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ابتداء وجوابا

﴿ المقالة الخامسة ﴾

فى الولايات على اختلاف مراتبها وفيها ستة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ : — فى طبقات الولايات وما يقع به التفاوت فى مراتبها

(الباب الثانى) — في البيعات التى تكتب للخلفاء ومعناها واصل مشروعيتها وما استطرد اليه الحال من كتابتها لبعض الملوك وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها وبيان صورة ما يكتب فيها واختلاف مذاهب الكتاب فى ذلك

(الباب الثالث) — فى العهود وبيان معانيها وانواعها وما يكتب منها عن الخلفاء لولاة العهد بالخلافة وللملوك بالسلطنة وما يكتب منها عن الملوك لولاة العهد بالسلطنة وبالممالك الصغار

(الباب الرابع) — فيما كان يصدر عن الخلفاء فى القديم من الولايات لأرباب المناصب واصحاب الوظائف الجليلة من ارباب السيوف والاقلام كالوزراء والنواب على الاقاليم والقضاة ونقابة الطالبيين وولاية الصلاة ونحو ذلك مما يكتب به الآن عن الملوك

(الباب الخامس) — فيما يكتب به الآن عن الملوك لارباب الوظائف من اصحاب

السيوف والاقلام من التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع والمراسيم الصغار

(الباب السادس) — فيما يكتب به الآن من الولايات عن نواب السلطنة بالممالك الشامية لارباب السيوف والاقلام مما يفسح لهم فيه فى الكتابة عنهم

﴿ المقالة السادسة ﴾

فى قضايا جرت العادة بكتابتها من ديوان الانشاء فى امور مختلفة وفيها خمسة ابواب :

(الباب الاول) — فى الوصايا الدينية وما كان يكتب عنها فى الزمن القديم وما يكتب منها الآن

(الباب الثانى) — في المسامحات والاطلاقات لارباب الجهات والملتزمات

(الباب الثالث) — فى الطرخانيات التى تكتب بعدم المؤاخذة بالخدمة السلطانية من أرباب السيوف والاقلام بسبب العجز بكبر ونحوه

(الباب الرابع) — فى تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية عند تباعد جباية الخراج وسبب وضع ذلك واول من وضعه وكيفية كتابته فى القديم والحديث

(الباب الخامس) — فى كتابة التذاكر التى تكتب من ديوان الانشاء على أيدى المتوجهين من أبواب الخلافة او السلطنة لقضاء المهمات

﴿ المقالة السابعة ﴾

فى الاقطاعات وتنوعها وكيفية ما يكتب فيها الآن وفيها بابان :

(الباب الاول) — فى بيان معنى الاقطاع وانقسامه الى اقطاع تمليك واقطاع استغلال

(الباب الثانى) فيما كان يكتب فيها فى الزمن القديم وما يكتب فيها الآن

﴿ المقالة الثامنة ﴾

فى الأيمان التى يحلف بها للخلفاء والملوك وفيها بابان :

(الباب الاول) — فيما تنعقد به اليمين وبيان اليمين الغموس ولغو اليمين والتحذير من الحنث

(الباب الثانى) — فى نسخ الأيمان التى يحلف بها المسلمون من اهل السنة وار باب البدع على اختلاف نحلهم واهل الملل من اليهود والنصارى والمجوس وما يحلف به الحكماء

المقالة التاسعة

فى عقد الصلح وما يجرى مجراه وفيه ستة ابواب :

(الباب الاول) — فى الامانات وأصلها من السنة وما كان يكتب في القديم وما يكتب فيها الآن

(الباب الثانى) — في الدفن الذى يعتاده العرب والمسامحة بالجبانات وما يكتب فيه عن الملوك على مااستقر عليه الحال

(الباب الثالث) — في عقد الذمة وأصل وضعه وما كان يكتب فيه فى القديم وما يكتب فيه الآن

(الباب الرابع) — في الهدن الواقعة بين ملوك الاسلام وملوك الكفر وبيان معنى الهدنة وما يراد فيها من الالفاظ واصل وضعها ومايجب على الكاتب مراعاته في كتابتها

(الباب الخامس) — فى عقود الصلح الواقعة بين ملوك الاسلام ومايعتمده الكاتب فى ذلك وصورة ما يكتب عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث

(الباب السادس) — فى ذكر جملة من الاوصاف التي يحتاج لذكرها في المكاتبات والولايات وغيرها كاوصاف الافلاك والكواكب والرياح والسحاب والرعد والبرق والمطر والازمنة والمياه والبحار والأنهار ولوازمها والامكنة من المدن والقلاع والحصون والفيافي والقفار والمفاوز والمعتنى بشأنه من الحيوان كالخيل والابل والبغال وجليل الوحش وجوارح الصيد كالفهودة والكلاب والصقور والبزاة بأنواعها وجليل الطير وحمام الرسائل وسائر أنواع الحمام ونفيس الجواهر والسلاح والآلات الملوكية وآلات الحصار وآلات السفر وآلات المعاملات وآلات اللعب وآلات الطرب وما ينخرط فى سلك ذلك

المقالة العاشرة

فى فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون فى عملها ليس لها تعلق بكتابة ديوان الانشاء وفيها بابان :

(البـاب الاول) — في الامور الجدية من المقامات والرسائل المختلفة المقاصد وقدمات البنـدق والصـدقات الملوكية وغيرها وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب من الاجازات وما يكتب على الكتب من التقريظات وما يكتب عن قضاة القضاة من التقاليد الحـكمية وسجلات العـدالة وما يكتب فى الحج والعمرة وغير ذلك

(الباب الثانى) — في الهزليات مما اعتنى الملوك ببعضه كعهود التطفل ونحوها

الخاتمة

في ذكر أمور تتعلق بديوان الانشاء لا تعلق لها بالكتابة وفيها أربعة أبواب :

(الباب الاول) — في الكلام على البريد ومنشئه وأول من وضعه في الجاهليـة وأول من اعتنى بأقامته في الاسلام وبيـان معالمه ومقاديره في الشرعيات ومراكزه المصطلح عليها الآن بالديار المصرية

(الباب الثانى) — في حمام الرسائل واعتناء الملوك بشأنه فى القديم والحديث ومسافات طيرانه والأبراج المقررة له الآن بالديار المصرية والبلاد الشامية

(الباب الثالث) — في الثلج الذى يصل من البلاد الشامية الى ملوك الديار المصرية وهجنه ومراكبه المفردة لذلك

(الباب الرابع) — في المناور المرتبة على رءوس الجبال بالممالك الشامية من الفرات الى الغرب من الديار المصرية التى كان يستعلم بها حركة التتار الى البلاد الاسلامية ليصل الخبر بذلك الى الديار المصرية على الاجمـال في أسرع وقت والمحرقات التي كان يتوسل بها الى احراق زروع التتار ومراعيهم واطراف بلادهم المجاورة للمملكة الاسلامية

وهذا حين الشروع فى المقصود

المقدمة

في المبادي التي يجب تقديمها على الخوض في كتابة الانشاء وفيها خمسة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾

في ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم وما ينخرط في سلك ذلك وفيه فصلان :

(الفصل الاول)

في فضل الكتابة ـ ويرجع الامر فى ذلك الى فضل الخط وفضل الكتابة فى الجملة وفضل كتابة الانشاء بخصوصها .

اما فضل الخط فأعظم شاهد لعلو قدره وأقوى دليل على رفعة شأنه ان الله تعالى نسب تعليمه الى نفسه واعتده من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه : « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » مع ما يروى ان هذه الآية والتى قبلها مفتتح الوحى وأول التنزيل على أشرف نبى وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم . وفى ذلك من الاهتمام بشأنه ورفعة محله ما لاخفاء فيه ثم زاد شرفه تأكيدا ووقر محله اجلالا وتعظيما بأن اقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » والاقسام لا تقع منه سبحانه الا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والقمر والنجوم ونحوها . ثم كان نتيجة تفضيله أثرة تعظيمه ان النبى صلى الله عليه وسلم ندب الى مقصده الأسنى وحث على مطلبه الاعلى فقال : « قيدوا العلم بالكتاب » مشيرا الى الغرض المطلوب منه وغايته المجتناة من ثمرته وهو تقييد العلم من حيث ان العمر قصير والوقائع كثيرة وما ذا عسى ان يحفظه الانسان بقلبه ويحصله في ذهنه . قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : « اكتب شعرى فالكتاب أحب الىّ من الحفظ ، ان الاعرابى لينسى الكلمة قد سهرتُ فى طلبها ليلة فيضع موضعها كلمة فى وزنها لا تساويها ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام » .

واما فضل الكتابة في الجملة فكفى بها فضلا وشرفا ان الله تعالى وصف بها

الحفظة من الملائكة الكرام فقال « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين » وقد اطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال الجاحظ : من أيمن فضلها ان جعلت في علية الناس . وقال الزبير بن بكار : الكتّاب ملوك وسائر الناس سوقة . وقال ابن المقفع : الملوك احوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوك . وكانت ملوك الفرس تقول : الكتاب نظام الامور وجمال الملك وبهاء الاسلام وخزان امواله والامناء على رعيته وبلاده . وقال المؤيد : الكتابة اشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة . ومن كلامه : كتاب الملوك عيونهم المبصرة وآذانهم الواعية والسنتهم الناطقة ومن كلام ابي جعفر بن محمد(١) : للكتاب اقرت الملوك بالفاقة والحاجة، واليهم القيت الازمة والاعنة ، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة، وعليهم اتكلوا في الاهل والولد والذخائر والعقد وولاية العهد وغير الدهر وقراع الاعداء وتوفير الفيء وحياطة الحريم وحفظ الاسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب. وقال علي بن خلف : ما من احد يتوسل الى السلاطين بالادب ويمتّ اليهم من العلم بسبب الا وهو نافلة لا ينول ما ينوله الا على وجه الارفاق خلا الكاتب فانه ينوّل الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقار اليه والحاجة . قال : ومن المعلوم انه لا بد من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعد ما بين الطبقتين العليا والدنيا وليس من طبقات الناس من يساهم الملوك في جلالة القدر وعظيم الخطر ويشارك العامة في التواضع والاقتصاد سوى الكتاب فاحتيج اليهم للسفارة في مصالح الرعية والتلطف في الصلة بينهما

واما فضل كتابة الانشاء مع مساهمتها في جميع ما تقدم من الفضل فهي اول انواع الكتابة وضعاً من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب الملوك في الدعاية الى الاسلام وكفى بالسابقة فضلا . قال الجاحظ : لو لم يكن من فضلها الا انه لا يسجل نبي سجلا ولا خليفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا الا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الخليفة ثم بذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل

---

(١) في الصبح : من كلام ابي جعفر الفضل بن أحمد

نجران وغيرهم واكثرها بخط امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في شرفه ونبله وسابقته ونجدته . قال صاحب العقد : وقد تنبه قوم بها وصاروا بها بعد الخمول الى الرتب العلية والمنازل السنية . قال الجاحظ : وقد انتقل جماعة منها الى الخلافة ، كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارا الى الخلافة بعد ذلك ؛ وكان عثمان رضي الله عنه يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لابي بكر ثم صار الى الخلافة ؛ وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صار الى الخلافة بعد الحسن ؛ وكان مروان بن الحكم يكتب لعثمان ثم صار الى الخلافة فيما بعد : وكان عبد الملك بن مروان يكتب لمعاويه ثم صار الى الخلافة : الى غير هؤلاء ممن شرفته الكتابة حتى قرع الذروة العلية والسنام . وانظر الى القاضي الفاضل كيف رفعته هذه الصناعة حتى وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وعلت رتبته عنده وبلغ من منزلته لديه ان كان يكتب في كتب السلطان عن نفسه بما احب حتى كتب مرة : السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين ، في كتاب عن ابيه ، ثم كتب في الكتاب

وغريبة قد جئت فيها أولا ... ومن اقتفاها كان بعدي الثاني

فرسولي السلطان في ارسالها ... والناس رسلهم الى السلطان

وناهيك بقول بعضهم فى مدح قلم الانشاء

فلكم يفل الجيش وهو عرمرم ... والبيض ماسلت من الاغماد

وهبت له الآجام حين نشا بها ... كرم السيول وصولة الآساد

(الفصل الثاني)

في مدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم

اما مدح فضلائهم فلم تزل الشعراء تلهج بمدح أفاضل الكتاب وتقريظهم ويتغالون فى وصف بلاغتهم وحسن خطوطهم فمن أحسن مامدح به كاتب قول ابن المعتز

اذا أخذ القرطاس خات يمينه ... تفتح نورا أو تنظم جوهرا

وقول الآخر

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه ... وينظم الدر بالاقلام في الكتب

وقول الآخر

وكاتب يرقم في طرسه ... روضا به ترتع الحافظه
فالدر ما تنظم أقلامه ... والسحر ما تنثر الفاظه

وقول الآخر

ان هز أقلامه يوما ليعملها ... انساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الانام له

وقول الآخر

وشادن من بني الكتاب مقتدر ... على البلاغة أحلى الناس انشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد ... يريك سحبان في الانشاء ان شاء

الى غير ذلك من الابيات التي لا تحصى كثرة مما يحرز الفضل بحق التمييز واما ذم حمقاهم فلم تزل الشعراء يؤاخذون بذلك قديما وحديثا . فمن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتبا :

حمار في الكتابة يدعيها ... كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو غرقت ثيابك في المداد

وقول الآخر يهجو أسد بن جهور

أوما ترى أسد بن جهور قد غدا ... متشبها بأجلة الكتاب
لكن يخرق الف طومار اذا ... ما احتيج منه مرة لجواب (١)

وقول الآخر

وكاتب اقلامه ... معودات بالغلط
يكشط ما يكتبه ... ثم يعيد ما كشط

وقول الآخر

يعي غير ما قالا ويكتب غير ما ... يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

(١) في النسخ : ما احتيج منه الى جواب كتاب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة من هذا النوع من الكتاب مما صاروا به هزوًا على ممر الزمان وتعاقب الايام كما حكي ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب عن بعضهم انه قال : حضرت مجلس رجل فأحجمت عن مسئلة حاجتي عنده لكثرة جمعه فرأيته وقد أملى على كاتبه : « ولم أكتب بخطي اليك خوفا من ان تقف على رداوته » فكتب كاتبه « رداءته » على ما يجب فقال له : اما تحسن الهجاء ، أين الواو ؟ فأثبتها الكاتب فخس حينئذ في عيني واجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتي. وكما حكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم الى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير المؤمنين على برج انشأه فكتب « امر بعمارة هذا البرج ابو فلان فلان » واستوفي القابه الى آخرها ودفع المثال الى الوزير ليقف عليه فلما قرأه غضب وأنكر على الكاتب كونه كتب « أبو فلان » بالواو ولم يكتب « أبي » بالياء محتجا عليه بأن « أبو » من ألفاظ العامة فلا تعظيم بها و « ابى » من الفاظ الخاصة فيقع بها التعظيم. فقال الكاتب انما كتبته بالواو لأنه هنا « فاعل » فزاد انكاره عليه وقال : متى رأيت الامير فاعلا في هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه الى ذلك ؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك كذا وكذا

وكما حكي العباس بن أسد ان أبا الحسن على بن عيسى كتب الى ابى الطيب احمد بن عيسى كتابا من منى (١) فقرأه ورمي به الىّ فقال : اقرأ . فقرأت : كتابى اليك يوم القُر' بالرفع . فقال ما معني « يوم القُر » . فقلت : القر البرد . فقال انما هو يوم القَر بالفتح وهو اليوم الثانى من النحرين يقر الناس بمنى . ومثل ذلك كثير . قال صاحب نهاية الأرب فى فنون الأدب : وقد اتسع الخرق في ذلك ودخل في الكتابة من لا يعرفها البتة وزادوا عن الاحصاء حتى ان فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء المهملة . قال : ولقد بلغنى عن بعض من أدخل نفسه في الكتابة وتوسل الى ان أُثبت في ديوان الرسائل أنه رسم له بكتاب يكتبه في حق رجل اسمه « طرنطاى » فقال لكاتب الى جانبه : طرنطاى يكتب بالساقط أو بالقائم ؟ (٢) قال :

(١) في الصبح « من مكة » (٢) يريد : بالضاد أو بالطاء ؛

وصار الآن حد الكاتب عند هؤلاء الجهال ان يكتب على المحرّر ويتقن بزعمه اسطارا فاذا رأى من نفسه ان خطه جاد ادنى جودة ركب برذونه او بغلته وسعى فى الدخول الى ديوان الانشاء والانضمام الى أهله . قال : ولعل الكتابة انما يحصل ذمها بسبب هؤلاء وأمثالهم . ولله القائل

تعس الزمان فقد أتى بعجاب ومحا فنون الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى فيهم رددتهم الى الكتاب

قلت . وانما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والاخذ منها بالحظ الاوفى لاستيلاء الاعاجم على الامر وتوسيد الامر لمن لا يفرق بين البليغ والانوك لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها حتى صار الفصيح لديهم اعجم والبليغ فى مخاطبتهم أبكم ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ وافر الا ان ينشد :

وصناعتى عربية وكأننى ألقي بأكثر ما اقول الروما
فلمن اقول وما اقول واين لى فأسير بل اين لى فأقيما

قال ابن حاجب النعمان : ولما كان ارباب الامور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون (١) ما يكتب به الكاتب وما يرد عليهم من الكتب ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخله من خلل ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة ويترفعون عن ان يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة ويجتهدون في معرفة ما يحسن الفاظهم ويزين مكاتباتهم لينالوا بذلك أرفع رتبة ويفوزوا بأعظم منزلة . ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان ، وغفل عنهم الحدثان ، واستولت عليهم شرة الجهل ، ونفرت عنهم أوانس الرياسة والفضل ، وصار العالم لديهم حشفا ، والأديب محارفا ، والمعرفة منكرة ، والفضيلة منقصة ، والبلاغة لكنة ، والفصاحة هجنة ، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم ، وهجرت العلوم هجر كبائر المآثم . ثم قال : ولو أنصف أحد هؤلاء الجهال لكانوا هم بالحشف أولى ، وبالحرفة والمنقصة أجدر وأحرى ، لكنه جهل الواجبات وأوضاعها ،

---

(١) فى الصبح « ينفذون » ولا يستقيم به المعنى .

وسفه حق المروءة وأضاعها(١) ويوصف بالحيّ الناطق ، والصامت خير منه عند أهل النظر وذوي الحقائق

﴿ الباب الثاني ﴾
﴿ من المقدمة ﴾

في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحا و بيان معنى الانشاء واضافة الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل و بيان معنى التوقيع وتفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر وفيه فصلان :

(الفصل الاول)

« في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحا ومعنى الانشاء واضافة الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل وبيان معنى التوقيع »

اما مدلول كتابة الانشاء فالكتابة في أصل اللغة مصدر كتب ، يقال كتب يكتُب كتابة وكتابا ومكتبة وكتبة ، ومعناها الجمع : يقال تكتب القوم اذا تجمعوا . ومنه قيل لجماعة الخيل « كتيبة » وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة أو سير أو نحو ذلك . ومن ثم سمى الخط كتابة لجمع الحروف وضم بعضها الى بعض كما سمى خرز القربة ونحوها كتابة لجمع بعض الخرز الى بعض والى هذا المعنى أشار الحريري في بعض مقاماته بقوله

وكاتبين وما خطت أناملهم   حرفا وما قرءوا ما خط في الكتب

وقد عرفها صاحب مواد البيان بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها . وفسر الروحانية بالألفاظ التى يتخيلها الكاتب في أوهامه و يصور من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه ، والجثمانية بالخط الذى يخطه القلم ويقيد به تلك الصورة فتصير بعد أن كانت صورة معقولة صورة محسوسة ظاهرة. وفسر الآلة بالقلم . ولا يخفى ان هذا الحد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره الذهن ويتخيله الوهم على اختلاف المقاصد . على ان الكتابة وان كثرت أقسامها

---

(١) في الصبح : وأفسد أوضاعها

وتعددت أنواعها لا تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال . فانك ان اعتبرت كل نوع من أنواع الكتابة وجدته داخلا ضمن واحدة منهما ؛ وعند التأمل يظهر لك ذلك ، الا ان العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة عند الاطلاق بصناعة الانشاء حتى صارت اذا أطلقت عندهم لا يفهم منها غير ذلك ، واذا ذكر غيرها ذُكر مقيدا فيقال : كتابة الخراج ، وكتابة الجيش ، ونحو ذلك . ومن ثم سمى العسكرى كتابه في علم البلاغة « الصناعتين » يعنى الشعر وكتابة الانشاء . وسمي الوزير ضياء الدين بن الاثير كتابه في هذا المعنى « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » مريداً كتابة الانشاء ثم غلب في زماننا في الديار المصرية إطلاق اسم الكاتب على كاتب الاموال حتى صار اذا أطلق الكاتب لا يفهم منه غير ذلك ، والعرب تنقل الحقائق من معنى الى معنى

والانشاء مصدر أنشأ الشيء ينشئه اذا ابتدأه واخترعه بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعانى فيما يكتب به من المكاتبات والولايات وغير ذلك ، أو معنى ان عنه تبدأ هذه الامور في الاصدار والايراد . ومن هنا أضيفت الكتابة الى الانشاء من حيث انه أصلها الذى تبنى عليه

واما تسميتها « صناعة الترسل » فالصناعة في أصل اللغة حرفة الصانع ، وعمله « الصنعة » . ويقال : رجل صنيع اليدين أى صانع حاذق . والترسل تفعل من الرسالة . يقال : ترسل ، يترسل ، ترسلا ؛ وراسله ، يراسله ، مراسلة ، فهو مراسل ورسيل . وسميت « صناعة الترسل » وان اشتملت على غيرها من الانواع كالولايات ونحوها مما لا يطلق عليه في الحقيقة « ترسل » تسمية لها بأعم أجزائها اذ الترسل هو أكثرها وقوعا وأوسعها مجالا من حيث انه لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة . وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي تسمية كتابه « حسن التوسل الى صناعة الترسل » وان كان موضوعا لما هو أعم من ذلك

واما التوقيع ، فاعلم ان التوقيع أصله الكتابة على حواشى القصص وظهورها مما يكتب به عظماء ولاة الامور كالخليفة والسلطان والوزير مما صار أكثر ذلك الآن معزوقا (١).

---

(١) فى الصبح وضوئه كثرورود عذق به ' وعدق به ' وغدق به بمعنى نيط به وكلها تحريف عن عزق به . قال في لسان العرب : عَزِق به ' وعسِق به ' وعَسِك به ' إذا التصق به ولزمه

بكاتب السر . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : ومعنـاه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف . يقال : ناقة موقعة الجنب اذا أثرت فيه حبـال الاحمـال . ولم يزد على ذلك . على أنه يحتمل ان يكون مأخوذا من قولهم : وقع الامر اذا حق ولزم كما فى قوله تعالى « ووقع القول عليهم بما ظلموا » أى حق ووجب؛ أو من قولهم : وقع الصيقل السيف، اذا أقبل عليه بميقعته يجلوه لأنه بتوقيعه فى القصص يجلو اللبس بالارشاد الى ما يعتمد فى الواقعة : أو من موقعة الطائر، وهي المكان الذى يألفه من حيث ان الموقع على الرقعة يألف مكانا منها يوقع فيه كحاشية القصة ونحوها : أو من الموقعة، وهي المكان المرتفع فى الجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلوه شأنا ، أو غير ذلك

(الفصل الثاني)

« فى تفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر »

اما فضل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة فقد تقدم في الفصـل الاول ان الكتابة وان كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تكاد تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال، ولاشك ان لكل من النوعين قدرًا عظيماً وخطرًا جسيماً . الا ان أهل التحقيق من علماء الادب ما برحوا يرجحون كتابة الانشاء ويفضلونها ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ويحتجون لذلك بأمور . منها ان كتابة الانشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من أنواع الكتابة ضرورة أن كاتب الانشاء يحتاج فيما يكتب من المكاتبات والولايات وغيرهما مما يتعلق بكتابة الاموال الى ان يمثل فى وصاياه ونحوها من صناعاتهم ما يعتمدونه ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه فلا بد ان يكون عالمًا بصناعة من يكتب له بخلاف كاتب الاموال فأنه انما يعتمد على رسوم مقررة وأنموذجات محررة لا يكاد يخرج عنها ولا يحتاج فيها الى زيادة ولا نقص .

ومنها اشتمال كتابة الانشاء على البيـان الدال على لطائف المعانى التى هي زُبد الافكار ، وجواهر الألفاظ التى هي حلية الألسنة وفيها تتنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من منافستهم في الدر والجوهر

ومنها ما تستلزمه كتابة الانشاء من زيادة العلم، وغزارة الفضيلة، وذكاء القريحة،

وجودة الروية، لما تحتاج اليه من التصرف فى المعانى المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير التى عبر بها من سبق الى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها الى حقائقها وفي ذلك من المشقة ما لاخفاء فيه خصوصاً اذا رام الزيادة على من تقدمه في استعمالها أو حذا حذو المبرزين الذين يوقعون الكلام مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ وحلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع أبكار المعانى للأمور الحادثة التى لم يقع مثلها ولا سبق سابق الى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى ولا تقف عند حد

ومنها اختصاص كاتب الانشاء بالسلطان وقربه منه ومناجاته فى أكثر الأوقات واعتماد السلطان في أكثر المهمات عليه مع كونه أقرب الى طريق السلامة من كتاب الاموال . وقد قال بعض الحكماء : الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى وكاتب الانشاء بمنزلة الروح فى الممازجة للبدن والتدبير بجميع جوارحه وحواسه . قال فى مواد البيان : ولا شك فى صحة هذا التمثيل فأن كاتب الانشاء هو الذى يمثل لكل عامل فى تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه فى الامر على ما يؤدى الى استقامة ما عزق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ويعلي ذكرها ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها اذ هو المتصرف عن السلطان فى الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والاحماد والإذمام واقتضاب المعانى التى تقر الوالى على ولايته وطاعته وتعطف العدو القاصى عن عداوته ومعصيته

قلت : وقد أوردت فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الانشاء من فضيلة هذه الكتابة ما يشدو بذكره المترنم وأودعتها من شرف الكتاب ما يذعن له الخصم ويسلم على ما ستقف عليه فيها فى المقالة العاشرة ان شاء الله تعالى

واما ترجيح النثر على الشعر فان الشعر وان كانت له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره مما لاخفاء به فأن النثر ارفع منه درجة واعلى رتبة وأشرف مقاما وأحسن نظاما اذ الشعر محصور فى وزن وقافية يحتاج الشاعر معها الى زيادة الالفاظ والتقديم والتأخير وقصر الممدود ومد المقصور وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها الى غير ذلك مما تلجئ اليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه . والكلام المنثور لا يحتاج الى

شئ من ذلك فتكون الفاظه تابعة لمعانيه. وناهيك بالنثر فضيلة ان الله تعالى أنزل به كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم ينزله بالشعر بل نزهه عنه بقوله « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » وحرم نظمه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا لمحله وتنزيها لمقامه منبها على ذلك بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب ، والأحالة على الامور المستحيلة ، والصفات المجاوزة للحد ، والنعوت الخارجة عن العادة ، وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، وسب الاعراض ، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر وافحله. بخلاف النثر فأن المقصود الاعظم منه الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق من حيث أن الخطب كلام مبنى على حمد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتذكير والترغيب فى الآخرة ، والتزهيد فى الدنيا ، والحض على طلب الثواب ، والامر بالصلاح والاصلاح ، والحث على التعاضد والتعاطف ، ورفض التباغض والتقاطع ، وطاعة الأئمة ، وصلة الرحم ، ورعاية الذمم ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى مما هو مستحسن شرعا وعقلا .

والترسل مبنى على مصالح الامة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس فى مهمات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم وما يصدر عنهم من عهود الملوك وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والاقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها الى غير ذلك من المصالح التى لا تكاد تدخل تحت الحصر ولا يأخذها الاحصاء . قال فى مواد البيان : ولا عبرة بما ذهب اليه بعضهم من تفضيل الشعر على النثر اتباعا لهواه بدون دليل واضح . على أنه قد قال فى الصناعتين ان أكمل صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتبا . وكفى(١) برفعة الكتابة على الشعر ان الشاعر يقرظ الكاتب ولا عكس وانما يليق التقريظ من الاعلى للأدنى

---

(١) قوله : وكفى الخ زيادة فاسدة لاوجود لها فى « الصبح » ولا فى « الصناعتين » وإنما اثبتناها لوجودها فى « الضوء »

﴿ الباب الثالث ﴾

من المقدمة فى صفات كتاب الانشاء وآدابهم وفيه فصلان :

(الفصل الاول)

﴿ فى صفاتهم وهي على ضربين : ﴾

(الضرب الأول)

فى الصفات الواجبة التى لا يسع تركها وهي عشر صفات :

أحدها — الاسلام ليؤمن فيما يكتبه ويمليه ويوثق به فيما يذره ويأتيه اذ هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه والجاذب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يتولى احد من اهل الكفر هذه المرتبة اذ يكون عينا للكفار على المسلمين ومطلعاً لهم على خفاياهم فيصلون به الى ما يتعذر عليهم الوصول اليه من غيره . وقد قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ». والمراد بالبطانة فى الآية من يطلع على احوال المسلمين كمقدار خزائنهم من المال واعداد جيشهم من الخيل والرجال. قال ابو الفضل الصورى فى تذكرته : من الفطرة التى جبل كل أحد عليها حنين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدين دينه، وهذا امر يجده كل أحد فى نفسه؛ ولذلك شرط بعضهم فى الكاتب أن يكون على مذهب الملك الذى يتمذهب به من مذاهب المسلمين ليكون موافقا له من كل وجه . وقد قال الشافعى رضي الله عنه فى كتابه « الأم » : ما ينبغى لقاض ولا وال ان يتخذ كاتبا ذميا ولا يضع الذمى موضعاً يفضل به مسلما ، ويعز على المسلمين ان يكون لهم حاجة الى غير مسلم . قال الصورى : ولا يخفى ان كاتب الانشاء أحوج الناس الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في اثناء محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيه وأوامره وهو حلية الرسائل وزينة الانشاآت . فاذا كان الكاتب غير مسلم فاته ذلك . قال : ولا يحتج بالصابئ وانه كتب للمطيع والطائع من خلفاء بنى العباس ومعز الدولة وعز

الدولة من ملوك بنى بُوَيه وهما يومئذ عمدة الاسلام وعضد الخلافـة وهو على دين الصابئة . فأن الصابى كان من أهل ملة قليل أهلها ليس لهم ذكر ولا مملكة وليس منهم محارب لأهل الاسلام ولا لهم دولة قائمة فتخشى غائلته

الثانى الذكورة — فقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه يشترط فى كاتب القاضى ان يكون ذكرا ؛ واذا اشترط ذلك فى كاتب القاضي ففى كاتب السلطان أولى لعموم النفع والضر به . وقد روى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى حق النساء : جنبوهنّ الكتابة . ومر أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه برجل يعلم امرأة الخط فقال : لا تزد الشرّ شرّاً . ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : افعى تسقى الخط سُماً . ولله البسامي حيث يقول

ما للنسـاء وللكتا　　بة والعمالة والخطـابه

هذا لنـا ولهن منـ　　ـا ان يبتن على جنابه

ولا يحتج بما روى ان عائشة أم المؤمنين كانت تكتب فى مكاتباتها : من المرأة عائشه بنت أبى بكر حبيبة حبيب الله . فأنه لم يصرح بأن عائشة كتبت بنفسها . ولعلها كانت تأمر بمن يكتب لها على عادة ولاة الامور فى ذلك . وان صح ذلك فغيرها من النساء لا يقاس عليها

الثالث الحرية — فقد شرطوا فى كاتب القاضى ان يكون حراً لمـا فى العبد من النقص فلا يعتمد عليه ولا يوثق به فى كل الاحوال

الرابع التكليف — كما فى كاتب القاضى فلا يعول على الصبي فى الكتابة اذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه لاحتمال ان يحمله عدم التكليف وتحقق انه لا يلحقه اثم على ارتكاب ما لا يجوز فى الكتابة

الخامس العدالة — فلا يجـوز ان يكون الكاتب فاسقا فأنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم بها فى ارواح الناس واموالهم اذ لو زاد فى كتابه أدنى كلمة، أو حذف أيسر حرف، أو كتم شيئاً قد علمه، أو تأول لفظا بغير معناه، او حرفه عن جهته، لأدى ذلك الى ضرر من لا يستوجب الضرر ونفع من يجب الاضرار به وكان قد موّه على الملك حتى مدح المذموم وذم الممدوح . وربما حمله الفسق وقلة الاكتراث بأمور الدين

على وهن يدخله علي الدين بقلمه أوضرر يجلبه اليه بلسانه . وقد اشترط الشافعية في كاتب القاضي العدالة فكاتب السلطان أولى لعموم ولايته . فمتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتقاب المحارم كان الضرر به اكثر من الانتفاع وأثر فعله من الاضرار مالا تؤثره السيوف البواتر. ولله القائل

ولضربة من كاتب ببنانه امضى وأقطع من رقيق حسام
قوم اذا عزموا عداوة حاسد سفكوا الدما بأسنة الاقلام

السادس البلاغة — بحيث يكون منها بأعلى رتبة وارفع منزلة فأنه لسان السلطان الذى ينطق به ويده التى يبطش بها . ورب كاتب بليغ أصاب الغرض فى كتابته فأغنى عن الكتائب وأعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب . فاذا كان الكاتب جيد الفطنة صائب الرأى حسن الالفاظ فانه تتاتى له المعانى الجزلة فيجلوها فى الالفاظ السهلة فيختصر حيث يكون الاختصار أليق، ويطيل حيث لا محيد عن الاطالة، ويتهدد فيملأ القلوب روعة، ويشكر فيلقى علي النفوس مسرة ، اوان كتب الى ملك كبير أو ذى رتبة خطير عظم مملكة سلطانه وفخمها فى خلال كلامه من غير ان يوجد ان ذلك قصده

السابع وفور العقل وجزالة الرأى — فأن العقل اس الفضائل وأصل المناقب ، ومن لا عقل له لا انتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله . فأذا كان تام العقل كامل الرأى وضع الأشياء فى مكاتباته ومخاطباته مواضعها وأتى بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن سلطانه بما تقتضيه الحال التى يكون عليها : فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويلين حين يكون الى اللين محتاجا ، ويوبخ من لا يقتضي فعله أكثر من التوبيخ، ويذم من تعدى الى ما يستوجب الذم ، ويأتى بالمكاتبات التى يقتضيها اختلاف الاحوال واقعة مواقعها صائبة مراميها

الثامن العلم بمواد الاحكام الشرعية والفنون الادبية وغيرها مما يأتى بيانه — اذ الجاهل لا تمييز له بين الحق والباطل ولا معرفة ترشده الى الطرق المعتبرة فى الكتابة ومن سلك طريقا بغير دليل ضل ومن تمسك بغير أصل ذل

التاسع قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس — فأنه يكاتب الملوك عن ملكه وكل كاتب يجذبه طبعه وجبلته وخيمه فى الكتابة الى ما يميل اليه . ومكاتبة الملوك أحوج

شيء الى التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء المرغبة . فكلما كان الكاتب أقوى نفسا وأشد عزما وأعلى همة كان فى ذلك أمضي وعليه أقدر ومهما نقص من ذلك نقص من كتابته

العاشر الكفاءة لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن فى أمر المسلمين وربما عاد عليهم عجزه بالوبال وأدى بهم ضعفه الى الاضطراب والاختلال

﴿ الضرب الثانى ﴾

﴿ الصفات العرفية ﴾

قال ابو الفضل الصورى ينبغى ان يكون الكاتب فصيحاً، بليغاً، اديباً، سنى الرتبة، قوي الحجة، شديد العارضة ، حسن الألفاظ، له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم الممدوح . وقال محمد بن ابراهيم الشيبانى : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل ولطف الاشارة، وملاحة الزى. وقال المهذب بن مماتي في كتابه « قوانين الدواوين »: ينبغي ان يكون الكاتب أديباً، حاد الذهن، قوى النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الامور على حكم البديهة، وفيه تؤدة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية ، شريف الأنفة، عظيم النزاهة ، كريم الاخلاق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدام. قال محمد بن ابراهيم الشيبانى : ومن حاله ايضاً ان يكون بهى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة عطر الرائحة، رقيق الذهن، حسن البيان، دقيق حواشى اللسان، حلو الاشارة، رقيق الاستعارة، لطيف المسلك، مستفره المركب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الاجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة فأنهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة ولله القائل

وشمول كأنما اعتصروها   من معانى شمائل الكتاب

قلت : وبالجملة ففصاحة الكاتب وقوة بيانه والتقدم في صناعة الكتابة هو الذى يرفع رتبة الكاتب ويعظمه في النفوس ويجله في المرتبة دون آدابه البهية وهيئته بل ربما كان التعظيم في الفعل لرث الحالة المنحط الجانب أكثر وترجيحه على ذى الرياسة أغلب

الفصل الثاني

في أدب كاتب الانشاء — وهو على نوعين :

(النوع الأول)

« في حسن السيرة وشرف المذهب — ويعتبر في ذلك ستة شروط : »

الاول - اعتماد تقوى الله تعالى في السر والعلانية والمحافظة عليها والاستناد اليها في مبادى الامور وعواقبها فانها العروة التى لا تنفصم والحبل الذى لا ينصرم والركن الذى لا ينهدم والطريق التى من سلكها اهتدى ومن حادعنها ضل وتردى، والمحافظة على شرائع الدين التى فرضها الله تعالى على خلقه، والحذر من الاستخفاف فيها بحقه، وتوقى غضبه بتأديتها، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقيها

الثانى — طلب الاجر بما ينيله من عز سلطانه ويجديه من فواضل نعمائه . وهذا هو أصح الأغراض التى يجب على كل عاقل ان يقدمه على غرضه ويحصل منه على السهم الوافر فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها وانما السعادة بعد الموت في الدار الآخرة ومن اختار الفانى عن الباقي فقد خسرت صفقته وبارت تجارته . والطريق الموصل الى ذلك هو صلاح النية فيما يتولاه من أمور سلطانه، وقصد النفع العام له ولرعيته، والاجتهاد في اغاثة الملهوف، والأخذ بيد الضعيف، والنفع بجاهه عند سلطانه، وحمله على العدل في الرعية ما أمكنه . واذا اعتمد ذلك فاز بثواب الله تعالى وقضى حق السلطان فيما عرّضه له من الشكر والاجر وقابل نعمة الله التى أقدره بها على هذه الافعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه

الثالث : مجانبة الريَب والتنزه عنها — فأنها تسخط الله تعالى وتذهب بمهابة المرء وتسقطه من العيون والقلوب . وأحق من راعى ذلك من نفسه من بين اتباع السلطان أهل هذه الصناعة لاختصاصهم به والطف منزلتهم عنده: اذ المشهور عند نقلة الآثار ان الذين تقدموا من صدورها ومشايخها كانوا من جلة العلماء وأفاضل أهل الورع المبرئين من الدنس والطمع المتميزين على غيرهم من العلماء بفضل الآداب ، ورواية لأشعار، ومعرفة الأيام والسير، والارتياض آداب الملوك وعشرتهم ورسوم صحبتهم

وغير ذلك مما ينتظم في صناعتهم : فقد ساووهم في علم الدين، وفاقوهم فيما لا يشار كونهم فيه ؛ والسلطان والدين قرينان وعونان على صلاح البلاد والعباد فلا يحتمل السطان ما ينكره الدين لأنه تابعه ورديفه

الرابع - لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعماله، ويتصرف فيه من أشغاله، والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعم الوخيمة، والترفع عن المكاسب الردية فإن ذلك يجمع القربة الى الله تعالى والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية . ولقد تقدم بهذه الطريقة عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة، وسادوا من لا يقاربونه في غناء ولا كفاية ، وحصلوا على المنازل العلية، وقرب بها من كان بعيدا على من كان قريبا ، واستدنى لأجلها من لا يترشح لخدمة السلطان . ولا عليه ان يجرى مجرى أهل الزهد والورع بل له الارتفاق بما يحل له مما يتوصل اليه من جاه خدمته من المنافع التى تصل اليه من أطيب المكاسب من غير خيانة للمؤتمن ولا إلمام(١) للرعية، فأنه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة وسلم من المخاطرة في دينه ودنياه؛ والا فما الفائدة في استفراغ وسعه فيما لا يحسن له عائدة وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة في سائر الدول وما اقتنوه من الأموال والذخائر النفيسة

الخامس- طلب الثناء والحمد الذى هو من أفضل المقاصد السنية وأعلاها رتبة من حيث انه يتلو الأجر في البقاء والدوام . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد من عرض جاهه وطالت يده ومضى عند السلطان لسانه . فينبغى للكاتب ان يختار هذه المكرمة ويفوز بالنصيب الأوفر منها، ولا يبخل بجاهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذى رحم وذمام، ولا يضيق على أهل بطانته مع سعته، وان يجمل ذلك بجاهه وماله دون مال السلطان، ولا يبالغ في ابتناء المعالى واقتناء المحامد فأن ذلك مما يختص بالملوك فلا ينبغى ان يساهموا فيه وقد علم ما كان من أمر البرامكة لما علا صيتهم وارتفع ذكرهم .

السادس : الاقتصاد فى طلب اللذة والاقتصار من ذلك على ما يقيم المروءة — ويسلك فى ذلك الطريقة الحميدة التى يظهر فيها أثر سديد التدبير وأصالة الرأي من

(١) فى الصبح : ولا اشتكاء للرعية . ولو قال «اشكاء» لاستقام المعنى فأن الاشكاء هو ان تعمل بالرجل ما يدفعه الى الشكوى . والالمام هو اقتراف اللمم وهي صغار الذنوب

غير خروج الى الاقبال على اللذات والانهماك فى الشهوات فأن ذلك غير مستحسن للملك ولا سوقة؛ ولكنه لايكلف ترك اللذات جملة اذلا بد لكل أحد من ذوى الرتب العلية من الأخذ بنصيب منها لما جبلت عليه الطبائع من الميل اليها والرغبة في الاستمتاع بالنعم والملاذ . وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم فى آدابهم لاغنى بهم عما يقيم مروءتهم من اللذات المشابهة لاقدارهم وموضعهم من السلطان

﴿ النوع الثاني ﴾

« من أدب الكاتب حسن العشرة وهي على خمسة أضرب »

(الضرب الاول)

(عشرة الملوك والعظماء)

وهي أعلى الأدب رتبة وأعظمها خطرا ولا يقوم بأدائها على وجهها الا من علت فى الادب همته وسمت في رجاحة العقل منزلته لأن صحبة السلطان أمر عظيم وصاحبه راكب خطر جسيم بتمليكه نفسه لمتحكم فى شعره وبشره، متمكن من نفعه وضره، لا يرده عن مقابلته على يسير الخيانة بكبير العقوبة الا ما يؤمل من صفحه ومسامحته . فيجب على المتصل بخدمة السلطان النظر فى عواقب أموره وحفظ نفسه من جريرة يجرها عليها بأغفاله فرضا من فروض طاعته وتضييعه حقا من حقوق خدمته فان من اشق الاحوال على الانسان أن يكون هو السبب في تغير السلطان عليه فيؤول أمره مع النكبة الى الملامة والتونيب على ما فرط منه. ويتعلق النظر في ذلك بستة عشر أدبا :

أحدها : الاخلاص الذى هو قوام الامر في المصاحبة - فأن من صحب سلطانه بعقيدة مدخولة لم ينتظم له ولا لسلطانه أمر . لان الضمائر السقيمة لا بد ان يُصرِّح بما فيها و يظهر ما فى دخيلتها . واذا ظهر منه ذلك لسلطانه كان سببا لاتلاف نفسه

الثانى : النصيحة التى هي ترب الاخلاص -- فينبغى ان يطالع سلطانه بكل ما يفتقر الى العلم به من خاص أموره وعامها . وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، وائتمنه على رعيته ، وانطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه ، ان لا يستر عنه دقيقا ولا جليلا من احوال مافوضه اليه

الثالث : الاجتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يبقي في ذلك ممكنا

الرابع : كتمان السر الذى هو من أفضل الآداب في صحبة السلطان وغيره لان الخلل الداخل علي الدول أكثر ما يحصل من افشاء السر واظهار ما تقرر في عزائم الملوك قبل أن يظهروه فيجد العدو بذلك الطريق الى مقابلة آرائهم بما يفسدها . على أن افشاء السر مما جبل عليه طباع أكثر الناس . فمن علم فى نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان فى اسراره لا سيما فى باب حروبه ومكائده

الخامس : شكر النعمة ــ لان ذلك اذا كان واجبا على الانسان مع اكفائه فمع السلطان الذى يستظل بظله اولى ، فأن الانسان قد يقدر على مكافأة كفئه بما يسديه اليه من معروف ولا يقدر على مكافأة السلطان الا بشكر نعمته والمحافظة على حقوق خدمته التى بها يظهر شكر الخادم دون الوقوف مع الشكر بالقول

السادس : الوفاء باظهار النصيحة وبذل الاجتهاد ومقابلة كل نعمة تفاض عليه بالنهضة فيما اسند اليه مع عدم الالتفات الى غيره ليدعو ذلك سلطانه الى رب النعمة(١) لديه واقرارها عليه لان الملوك ما برحت تقرب صاحب هذه الخصلة ويرونه اهلا للاختصاص وموضعا للثقه

السابع : مجانبة الأدلال على سلطانه ــ إذ الدالة على السلطان من أعظم مصارع التلف وأقرب الأشياء الى زوال النعمة وبها هلاك الكثير من بطانة السلطان خاصة . فأن السلطان مجبول على أنفة النفس وعزتها ولا يحتمل التنازل لأحد لتنزيله الكل منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده انه سبب النعمة السابغة على الكافة ، وثقته بوجود العوض عمن يفقده من الاعوان والأصحاب ومثابرة الناس على خدمته وعدادهم في أتباعه ؛ واذا سأله حاجة أظهر سبوغ النعمة وسأل الزيادة : وان اتهمه بهفوة لم ينته في اقامة العذر الى براءة الساحة الى الغاية القصوى بل يتوسط في ذلك ويسأل حسن الصفح والأقالة فانه اذا أقام الحجة في براءة الساحة كان فيه تكذيب لمن يعتذر اليه ولم يبق للعذر وجه

الثامن : التمسك بآداب الخدمة والمواظبة عليها وصرف الاهتمام اليها ــ فأن

(١) ربَّ النعمة يربُّها ربّاً وربابة ورباباً : زادها وأتمها

ذلك من أعظم الذرائع الى نيل المقاصد وبلوغ أعلى المراتب وفيه تقريب الأبعد على الاقرب . وما نال أحد عند السلطان مرتبة الا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها . وأولى الناس بلزوم السلطان كتابه الذين لا غنى به عن حضورهم فى ليله ونهاره . ولقد كان للخلفاء الفاطميين بالديار المصرية كاتب يعرف بصاحب القلم الدقيق يبيت عنده يسامره ويكتب ما يعرض له من المهمات في ليله . وربما عرض له ما يحتاج اليه في غيبة كاتبه فاستدعى غيره لاستكتاب ما عرض له وأدى ذلك الى اقامته مقامه فيما هو فيه وان كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا نفع بخلاف ما اذا صرف همته الى ملازمة خدمته فأن استطاع ان يقرر معه وقتا بعينه لحضور الخدمة ليسلم من مثل هذه العوارض كان احمد لعاقبته وأحسم لاسباب اللوم في غيبته

التاسع : اعتماد مقابلة سلطانه بالاجلال والاعظام في مجالسه الخاصة والعامة . ولا يحمله تأكد الخدمة وتطاول الصحبه على اهمال ذلك بل يحافظ عليه ولا يغير فيه عادته فربما أدى فوات ذلك الى المهلكة

العاشر : ان يتخير لخطاب سلطانه أو رئيسه الاوقات التي يعلم خلو سره فيها وفراغ باله وانشراح صدره وارتفاغ الافكار عن خاطره الا أن يكون ما يخاطبه فيه مما لا يسع تأخيره من الامور العائدة بانتظام سلطانه ومهمات أعماله التى متى أخرها نسب الى التقصير فيقدم الكلام فيها خف أو ثقل

الحادى عشر . اذا خاطبه سلطانه أو رئيسه فى أمر من الامور أن يرعيه عينه و يصغي اليه بسمعه و يشغل به فكره حتى يستوعب ما يلقيه اليه ويجيبه عنه أحسن جواب ، ولا يلتفت فى حال اقباله عليه الى غيره ، ولا يصغى الى كلام متكلم حتى لو امتحنه باستعادة ما كلمه فيه وجده قد احرز جميعه فأن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء و يستدلون به على عجز المخاطب وضعفه، وان كان فيما خاطبه به ما يحتمل التأخير بادر الى الاعتذار عنه ائلا ينسب الى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه، وان كان فيه ما يخالف الصواب امضاه وإن تعذر السبيل الى فعله لم يظهر ان تأخيره لمخالفة الصواب بل يقابله بالاستصواب ثم يتلطف في تعريفه مكان الخطأ فيما رآه

الثاني عشر : ان يجرى في مجالسة سلطانه او رئيسه على ما يحبه ويؤثره : فان مال

الى الانبساط اطلق لسانه فيه اطلاق المتجنب للفحش، وان اظهر الانقباض جرى على مذهبه في ذلك؛ ولا يخالفه في حال من احواله فأن من شرط هذه الخدمة ان يتصرف صاحبها في كل ما يُصرِّف فيه بل يسرع الانقياد في كل مايدعى اليه الا ان يكون فيه معصية لله تعالى فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق؛ ولا يكثر الدعاء له والشكر على ما يوليه من العوارف فأن مثل ذلك تستثقله الملوك والرؤساء

الثالث عشر — ان لا يحضر سلطانه بملابسه التي جرت العادة ان ينفرد بها كالوشي ونحوه الا ان يكون هو الذى شرفه بها، وان يقصد في لباسه فينحط عما يلبسه سلطانه ورئيسه ويرتفع عما يلبسه السوقة، و يصرف عنايته الى التنظف والتعطر وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره حتى لا تقع عين رئيسه على دنس في أثوابه ولا يجد منه كريه رائحة في حال دنوّه منه، ويتعهد نفسه بالطيب والبخور الفائق والنضح بالمسك فان الملوك والرؤساء ترى ان من اغفل تعهد نفسه كان لغيرها اشد اغفالا

الرابع عشر : ان يتجنب التفاصح في مخاطبة سلطانه ورئيسه والافتخار بالبلاغة والبيان لما في ذلك من الترفع عليه فى الكلام، بل يجعل ما يلقيه اليه ضمن الفاظ تدل على المعانى بسهولة مع غض من صوته ، وخفض من طرفه ، وسكون من اعضائه، لان التسامح بالفصاحة انما يقع للخطباء الذين يثنون على الملوك فى المواقف العامة لاحتياجهم الى الالفاظ التى تقع فى الاسماع احسن المواقع

الخامس عشر : اذا ارتفعت رتبته عند سلطانه او رئيسه ان يجمّل القول في خاصته وعامته، ويحسن الوساطة لحاشيته ورعيته، ويتجنب القدح عنده فى اكفائه ونظرائه من بطانته والمقربين بحضرته ليكون ذلك داعيا الى محبته والثناء عليه مكافأة لصنيعه وامساك الالسن عن الطعن فيه

السادس عشر : — ان يبادر بالمشورة على سلطانه او رئيسه بالصواب فيما يستشيره فيه ويورده ايراد مستفيد لا مفيد ومتعلم لا معلم ويتلطف فى ان يوقعه عنده موقعاً يدعوه الى العمل فأن من عادة الملوك والرؤساء الأنفة من الانقياد الى ما ينتحله غيرهم من الآراء ولو كانت صوابا . وان تمكن من صياغة حديث يودع فيه ما يشير به فعل مخادعة لنفسه الأبية وعزته المتقاعسة

(الضرب الثاني)

« آداب عشرة الاكفاء والنظراء »

وطريقة الاعتدال فى ذلك الموافاة فى الاخاء والمساواة في الصفاء ومقابلة كل حالة بما يضاهيها . ولا نزاع فى ان المسامحة بالحقوق والإغضاء عمن قصر والمحافظة على ودّ من فرّط من أصل المآثر وآثر الفضائل لاسيما لمثل اهل هذه الصناعة التى يرتفع حق الاعتزاء اليها عن حقوق القرابات والانساب . فيجب عليه ان يعرف لأكفائه حقهم ويتلقاهم بالاكرام ويجعلهم فى أعلى المراتب عنده ويزيدهم على الانصاف ولا يقصر بهم عما يستوجبونه ويجرى على مثل ذلك فى حق نظرائه من غير الكتاب . وان تعذر عليه الاقتدار على طلباتهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل واجتهد فى الوفاء به

(الضرب الثالث)

« آداب عشرة الاتباع »

وهي لاحقة بعشرة الاكفاء من حيث ان الذين يستعين بهم الكاتب يدعون كتابا . وهم وان كانوا أتباع الكاتب فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم . فينبغى ان يخصهم بالنصيب الأوفر من اكرامه وملاحظته ، ويفرض لهم من الاختصاص والتقديم وتفقد الاحوال ما ينتهى اليه أمل المرءوس من الرئيس ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مودة لا خدمة رهبة ؛ وان يحبب خدمته اليهم بترك مناقشتهم والتضييق عليهم وانالتهم من الترقية فى بعض الاوقات ما يجدون به السبيل الى الاخذ بنصيب من لذاتهم وقضاء أوطارهم التى تميل اليها النفوس ، فأنهم متى لحقهم التعب اعترضهم الضجر والملال فقصروا فى العمل وتهاونوا بالاشتغال ؛ ولكن لا يفسح لهم فى مواصلة الراحة والاخلال بما يلزمهم ، فأن هذا يحمل على ان يصير ذلك دأبا لهم يفسد لهم حال خدمتهم . وعليه ان يحفظ لهم حقوق الصحبة والخدمة و يوجدهم من الاعانة ما فيه صلاح حالهم ، فان ذلك مما يستخلص مودتهم له اذ القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها

(الضرب الرابع)

« آداب عشرة الرعية »

وهي من الامور العظيمة النفع الجسيمة العائدة القاضية بالسلامة اذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ونفورهم عنه وان علت عند السلطان رتبته فينبغى ان يوفر العناية على استصلاحهم واستمالة قلوبهم اليه وتألفها ولين الجانب ووطأة الكنف وخفض الجناح كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين ويسلم من الطعن واللوم ويبرأ من البغض والشحناء وينقلهم عن رتبة الحسد والايذاء الى التألف والمودة وقد أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

(الضرب الخامس)

« آداب عشرة من يمت اليه بحرمة كالجار والقاصد والآمل والمدل بحق المفاوضة والمطاعمة والمحاضرة والسلام والمعرفة في الصبا والصداقة بين الآباء وغير ذلك من الحرم التى لا يطرحها أهل المروءات »

فعليه ان يوفيهم حقوقهم ، وينهض بقضاء أوطارهم ، ويعينهم على ما يحدث من نوب الزمان ، والمساعدة في بلوغ مطالبهم من سلطانهم ، ولا يبخل عليهم بجاه ولا مال ، ولا يخيب أمل آمالهم ، ويجعل لهم من اعتنائه ما يعز جانبهم ويسهل مآربهم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ، فانه اذا التزم لهم ذلك التزموا له الاعظام والاجلال وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه وأشاعوا ذلك بين امثالهم فاجتلبوا له مودتهم وتعصبهم . قلت : ومن تمام آداب الكاتب ان يعرف حقوق مشايخ الصنعة وأئمتها الذين فتحوا أبوابها وذللوا سبلها وسهلوا طرقها ، ويعاملهم بالانصاف فيما اعملوا فيه خواطرهم وأتعبوا فيه روياتهم : فينزلهم منازلهم ولا يبخسهم حقوقهم ؛ فمن آفات هذه الصناعة على ذوى الفضل من أهلها ان القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة المبرز بل لا يعفيه من ادعاء التقدم في الفضل عليه ؛ والمبرز في الفضل لا يقدر على اثبات نقص المتخلف فيه والله يعلم المفسد من المصلح

الباب الرابع

« فى التعريف بحقيقة ديوان الانشاء واصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفيه فصلان » :

(الفصل الاول)

« فى التعريف بحقيقته »

لاخفاء في أنه اسم مركب من مضاف وهو « ديوان » ومضاف اليه وهو « الانشاء » .

اما الديوان فاسم للموضع الذى يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال . قال ابو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب : وفتحها خطأ . ويجمع على دواوين . واختلف فى أصل لفظه فذهب قوم الى انه عربى . قال النحاس : والمعروف فى لغة العرب ان الديوان الاصل الذى يرجع اليه و يعمل بما فيه ، ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما : اذا سألتمونى عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فأن الشعر ديوان العرب . قال : والى هذا يميل كلام سيبويه . وذهب آخرون الى انه اعجمى، وهو قول الاصمعى؛ وعليه اقتصر الجوهرى في صحاحه فقال : الديوان فارسي معرب . وقد حكي الماوردى في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين . أحدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال : « ديوانَهْ » أى مجانين . فسمي موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ؛ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل : ديوان . وعلى هذا اقتصر النحاس فى « صناعة الكتاب » . والثانى ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، سمى بذلك الكتاب لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى منها والخفىّ

واما الانشاء فقد تقدم انه مصدر « أنشأ الشيء ينشئه » اذا ابتدعه واخترعه . وحينئذ فأضافة الانشاء الى الديوان يحتمل أمرين : أحدهما ان الامور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبتدأ منه . والثانى ان الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا . قلت : وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية

له بأشهر الأنواع التى تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الانشاء وأعمها، وربما قيل له ديوان المكاتبات؛ ثم غلب عليه اسم ديوان الانشاء واستمر عليه الى الآن . وربما جعلوا فى زماننا اسم ديوان الرسائل واقعاً على مادون ديوان الانشاء

(الفصل الثانى)

« فى أصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك »

اعلم ان هذا الديوان أول ديوان وضع فى الاسلام . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب امراءه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه . وكتب الى من قرب منه من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام : فكتب الى النجاشى ملك الحبشة ، والى هرقل ملك الروم ، والى كسرى ابرويز ملك الفرس ، والى المقوقس صاحب مصر ، والى هوذة بن على ملك اليمامة ، والى المنذر بن ساوى ملك البحرين الى غير ذلك من المكاتبات . وكتب لعمرو بن حزم عهدا حين وجهه الى اليمن ، وكتب لتميم الدارى واخوته بأقطاع بالشام ، وكتب كتاب القضية بينه وبين قريش عام الحديبية ، وكتب الأمانات أحيانا الى غير ذلك ممـا يأتى ذكره فى مواضعه ان شاء الله تعالى . وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فأن اول من وضعه ورتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته . وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب لذلك؛ وكذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فمن بعدهم من الخلفاء . وكانت كتبهم من ديوان الانشاء تصدر واليه ترد . ثم تفرقت دواوين الانشاء في الاقطار بحسب تفرق الممالك بالمشرق والمغرب فكان بكل مملكة ديوان انشاء تصدر منه المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيره وترد اليه مكاتبات الخلفاء فمن عداهم . وكانت الديار المصرية لابتداء الأمر بها الى حين الفتح الاسلامي والى الدولة الطولونية امارة ليس لديوان الانشاء بها كبير امر الى ان كانت الدولة الطولونية واستولى عليها احمد بن طولون فعظمت مملكتها واستفحل أمرها واستكتب ابا جعفر محمد بن احمد بن مودود بن عبد كان بديوان انشائه فكان لديوانه به الجمال وصدر عنه جليل المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيرها .

وكتب لخمارويه بن احمد بن طولون اسحق بن نصر العبادي، وتوالت الكتاب بديوان انشائه بعد ذلك الى انقراض دولتهم ثم انقراض الدولة الاخشيدية . ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم أمر ديوان الانشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له ·
وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي : فكتب للعزيز بن المعز ابو منصور بن سوريدين النصرانى ، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات فى أيامه، فكتب للحاكم القاضي ابو الطاهر البهركي؛ ثم كتب بعده لابنه الظافر؛ وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران؛ ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة وابو سعيد العميدى، وكتب للآمر والحافظ الشيخ الاجل ابو الحسن على بن أسامة الحلبي الى ان توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائه؛ فكتب له بعده والده ابو المكارم الى ان توفى أيام الحافظ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرياسة ابو القاسم على بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفى، والقاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس، وابن ابى الدم اليهودى؛ ثم كتب بعد ابى المكارم المقدم ذكره القاضى الموفق ابن الخلال ايام الحافظ الى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضى الفاضل البيسانى؛ ثم شرك العاضد مع الموفق ابن الخلال فى ديوان الانشاء القاضى جلال الملك محمود الانصارى، وكان فى أيامه القاضى المؤتمن كاسيبويه الكاتب : ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفق ابن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وكتب من انشائه عدة سجلات ومكاتبات منها عهد المنصور شيركوه بن شادى بالوزارة للعاضد ثم عهد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة له ايضاً

ثم كانت الدولة الايوبية فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أول ملوكها القاضى الفاضل البيسانى مضافا الى وزارته ، ثم كتب بعده لابنه العزيز وأخيه العادل أبى بكر ، ثم مات ؛ وكتب للكامل بن العادل القاضى أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج الى أن توفى، فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدة قليلة؛ ثم مات الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى ديوان الانشاء الصاحب بهاء الدين زهير : ثم صرفه وولى بعده الصاحب فخر الدين ابراهيم بن

لقمان الأسعردى فبقي الى انقراض الدولة الايوبية

ثم كانت الدولة التركية فكتب للمعز أيبك أول ملوكها القاضى فخر الدين بن لقمان المقدم ذكره ثم كتب للمظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس، ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله المنصور قلاوون عن ديوان الانشاء الى الوزارة : وولى ديوان الانشاء مكانه القاضى فتح الدين ابن القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى حياة والده فبقي حتى توفي المنصور قلاوون وتملك بعده ابنه الاشرف خليل بن قلاوون فاستقر فى ديوان الانشاء في أيامه برهة من الزمان ثم مات وهو معه فى سفر سافره الى الشام؛ فولى الاشرف مكانه القاضي تاج الدين أحمد بنى الاثير ثم مات بالطريق والأشرف راجع الى الديار المصرية بمضى شهر من ولايته فولى الاشرف مكانه عماد الدين اسماعيل بن الاثير بعد وصوله الى الديار المصرية فبقى حتى توفي؛ فولى مكانه القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فبقى بقية أيام الاشرف، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الاولى؛ ثم أيام العادل كتبغا بعده، ثم أيام المنصور لاجين، ثم أيام الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية، ثم أيام المظفر بيبرس الجاشنكير، وبرهة من أيام الناصر بن قلاوون فى سلطنته الثالثة، ثم نقله الى كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه القاضى محيي الدين بن فضل الله وولى مكانه بمصر علاء الدين بن الاثير فبقى حتى مرض بالفالج وبطلت حركته، فاستدعي الملك الناصر القاضى محيي الدين بن فضل الله من الشام وولاه ديوان الانشاء بالديار المصرية فى المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكان ولده القاضى شهاب الدين هو الذى يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأعادهما الملك الناصر الى دمشق وولى القاضى شرف الدين بن الشهاب محمود فى شعبان من السنة المذكورة فبقى حتى حج السلطان وعاد الى مصر فأعاد القاضى محيي الدين وولده القاضى شهاب الدين الى ديوان الانشاء بالديار المصرية فبقيا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ثم تغير السلطان على القاضى شهاب الدين وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضى علاء الدين مكانه يباشر مع والده القاضى محيي الدين ، ثم سأل القاضى محيي الدين السلطان فى العود الى دمشق فأعاده وصحبته ولده القاضى شهاب الدين وقد كبر سنه وكتب له تقليد في قطع الثلثين بان يستمر

على مكاتبة دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية وأن يكون جميع المباشرين بهذه الوظيفة بالباب الشريف فمن دونه نوابه وانه حيث حل يقرأ القصص والمظالم ويقرر الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويجهز ذلك الى مصر ليعلم عليه العلامة الشريفة . وولي بديوان الانشاء بالديار المصرية ولده القاضي علاء الدين فبقي في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر، ثم أيام ولده الملك المنصور ابي بكر، ثم ايام أخيه الاشرف كجك، ثم أيام أخيه الناصر احمد : فلما خلع الناصر احمد نفسه في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وتوجه الى الكرك صحبه القاضي علاء الدين فأقام عنده واستقر الصالح اسماعيل محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه الناصر احمد فقرر في ديوان الانشاء القاضي بدرالدين محمد بن محيي الدين بن فضل الله فبقي حتى عاد الناصر احمد بن محمد بن قلاوون الى السلطنة فعاد القاضي علاء الدين بن فضل الله وبقي بقية أيام الصالح اسماعيل ، ثم أيام أخيه الكامل شعبان، ثم أيام اخيه المظفر حاجي، ثم ايام أخيه الناصر حسن في سلطنته الاولى، ثم أيام أخيه الصالح صالح، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطنته الثانية ، ثم أيام المنصور بن حاجي بن محمد بن قلاوون، ثم أيام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فتوفي في أيامه: وولي الوظيفة بعده ولده القاضي بدر الدين محمد فبقي بقية أيام الاشرف شعبان ، ثم أيام ولده المنصور علي، ثم أيام اخيه الصالح حاجي بن شعبان الى ان خلع؛ وولي السلطنة الظاهر برقوق فقرر في ديوان الانشاء القاضي اوحد الدين بن التركماني فبقي حتى توفي فأعيد القاضي بدر الدين محمد الى الوظيفة وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الاشرف شعبان وهو على ولايته ودام حتى حضر الظاهر برقوق من الكرك فتولى مكانه القاضي علاء الدين الكركي وتوجه صحبته الى الشام في طلب منطاش فمات القاضي علاء الدين الكركي فأعيد القاضي بدر الدين الى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبقي حتى مات صحبة السلطان بالشام؛ وولي مكانه القاضي بدر الدين محمود الكلستاني في شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة فبقي حتى توفي في جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة، فولى الظاهر برقوق مكانه القاضي فتح الدين فتح الله فبقي أيام الظاهر وزمنا من أيام ولده الناصر فرج ثم صرفه الناصر فرج عن الوظيفة وولي

مكانه القاضى فخر الدين بن المزوّق فبقى مدة لطيفة: ثم أعيد القاضى فتح الدين فتح الله الى الوظيفة ثم صرف عنها وولى القاضى سعد الدين بن غراب؛ ثم اعيد اليها القاضى فتح الدين فتح الله فبقى الى ان قبض على الناصر فرج واستبد للمستعين بالله ابو الفضل العباسى بالخلافة والسلطنة؛ ثم فوض امر السلطنة الى السلطان الاعظم الملك المؤيد شيخ عز نصره ففوض ديوان الانشاء الى المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى الكبيرى الناصر محمد محمد بن البارزى والد المقر الشريف الكمالى المؤلف له هذا الكتاب فعلت رتبة ديوان الانشاء وغلت قيمته وجادت سحب الفضل وهمت ديمته وعلا به على سائر الدواوين وساد ودان فيه بالتناسخ فقال هذا الفاضل الك عاد

الباب الخامس

« فى قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وفيه اربعة فصول »

(الفصل الاول)

« فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله واقبه الجارى عليه فى القديم والحديث »

اما رفعة قدره وشرف محله فأشرف قدر وأرفع محل يكاد ان لا يكون عند الملك اخص منه ولا الزم لمجالسته . ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن مقدما لديهم على من عداه يلقون اليه اسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم و يطلعونه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء من الوزراء والاهل والولد وناهيك برتبة هذا محلها . حتى قال صاحب مواد البيان : ليس فى منزلة خدم السلطان والمتصرفين فى مهماته أخص من كاتب الرسائل. فانه أول داخل على الملك وأول خارج من عنده، ولا غنى به عن مفاوضته فى آرائه والافضاء اليه بمهماته وتقريبه من نفسه فى آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته فهو لذلك لا يثق باحد من خاصته ثقته به ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركونه اليه ومحله منه فى عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذى يؤامره فى مشكل امره حتى

ينقح ويراجعه فى مهم تدبيره حتى يتضح، ولسانه الذى يقرر بترغيبه اولياءه على الطاعة والموافقة ويستقر بترهيبه عن المعصية والمشاقة ويقر بأوامره ونواهيه أمور سلطانه وينزلها منازلها فى تمهيد مجالسها ويتمكن من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصلحة رعيته واجتلاب مودتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التى تلاحظ أحوال سلطانه ويرعيها مهمات شانه، وأذنه التى يثق بما وعته ولا يرتاب بما سمعته، ويده التى يبسطها بالانعام ويبطش بها فى النقض والابرام . قال : ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذى رتبه فيها أفضل الاسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب .
قال ابن الطوير فى ترتيب الدولة الفاطمية : وكان هذا المنصب لا يتولاه فى الدولة الفاطمية الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل ، واليه تسلم المكاتبة واردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها ، وربما بات عند الخليفة ليالى وهذا أمر لا يصل اليه غيره . قال : وهو أول أرباب الأقطاعات فى الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه الا الخواص، وله حاجب من الامراء الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند والدولة العظيمة الشأن، ويحمل دواته استاذ من خواص الخليفة عند حضوره الى مجلس الخلافة . قلت : ومرتبته فى زماننا أرفع مرتبة ومحله اعظم محل اليه تلقى اسرار المملكة وخفاياها ، وبرأيه يستضاء فى مشكلاتها وعلى تدبيره يعول فى مهماتها ، وعليه ترد المكاتبات وعنه تصدر، ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية بأسرها، ويقوم توقيعه على القصص فى نفوذ الاوامر مقام توقيع السلطان عليها، وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير فى مزرته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من مناشير الاقطاعات وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما من المربعات ونحوها . وليس لاحد من أرباب مناصب الدولة التعرض لاخذ علامة السلطان غيره البتة . وناهيك بذلك رفعة وشرفا باذخا

وأما لقبه الجارى عليه فى كل زمن فقد كانوا فى أوائل امر الخلافة الى آخر الدولة الايوبية يعبرون عنه « بالكاتب » لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاعى فى « عيون المعارف » فلما جاءت الدولة العباسية ولقب ابو العباس السفاح اول خلفائهم

كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة استقر لقب الوزارة من حينئذ ورفض التلقيب بالكاتب؛ ثم كانت كتابة الانشاء تارة تضاف الى الوزارة ويكون الوزير تارة يباشرها بنفسه او يفوضها الى من يتحدث عنه فيها ، وتارة تنفرد عن الوزارة ويلقب متوليها تارة بصاحب ديوان الرسائل وتارة بصاحب ديوان المكاتبات أو متولى ديوان المكاتبـاب وتارة بصاحب ديوان الانشاء . قال ابن الطوير : وكانوا يلقبونه في الدولة الفاطمية بالديار المصرية « كاتب الدست » . قلت : وانتهى الحال الى اوائل الدولة التركية والأمر في ذلك مختلف : فتارة يعبر عنه بكاتب الدست ، وتارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان الانشاء ونحو ذلك الى ان ولّى المنصور قلاوون فتح الدين ابن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فلقب بكاتب السر ، ونقل لقب كاتب الدست الى طبقـة دونه من كتاب الديوان ، واستمر هـذا اللقب في العرف على كل من ولى الديوان بعد ذلك الى زماننا . وربما قيل « كاتم السر » بابدال البـاء ميما ؛ وهو مستقيم من حيث اللغة ومن حيث المعنى . أما من حيث اللغة فأن ربيعة تبدل الباء ميما والميم باء ؛ واما من حيث المعنى فأنه الذي يكتم سر سلطانه مما التى اليه من خفايا أموره . ثم أنهم يطلقون ذلك على صاحب ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية ، وعلى أصحاب دواوين الانشاء بالممالك الشامية كدمشق وحلب وطرابلس وحمـاه والكرك . اما في عرف الديوان فيما يكتب فيه التقاليد والتواقيع والتعريف في المكاتبات فانهم يعبرون عن متولى ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بصاحب دواوين الانشـاء الشريف بالممالك الاسلامية ؛ ويعبرون عن متولى دمشق بصاحب ديوان الانشـاء الشريف بالشام المحروس، ويعبرون عن متولى ديوان حلب بصاحب ديوان المكاتبات بحلب وكذا في الباقيات بخلاف غزة اذا كانت تقدمة عسكر فأنه يعبر عن متولى ديوانها بكاتب الدرج وكذلك الاسكندريه

الفصل الثاني

« في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه »

قال ابو الفضل الصورى : يجب ان يكون صبيح الوجه ، فصيح الالفاظ ، طلق

اللسان ، أصيلا فى قومه ، رفيعا في حيه ، وقورا ، حليما ، مؤثرا للجد على الهزل ، كثير الأناة والرفق ، قليل العجلة والخرق ، نزر الضحك ، وقور النادى ، حديد الذكاء ، متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدّث ، حسن الأصغاء اذا حُدّث ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رؤوفا بأهل الدين ساعيا في مصالحهم ، محبا لأهل العلم والأدب راغبا في نفعهم ؛ وان يكون محبا للشغل اكثر من محبته للفراغ مقسما للزمان على اشغاله : يجعل لكل منها جزءا منه حتي يستوعبه في جميع أقسامها ، ملازما لمجلس الملك اذا كان الملك جالسا وملازما لديوانه اذا لم يكن جالسا ليتأسى به سائر كتاب الديوان ولا يجدوا رخصة في الغيبة عن دواوينهم ؛ وأن يغالب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه مالم ير في ذلك خللا على المملكة ، فأنه يجب ان يهدى النصيحة فيها للملك من غير ان يوجده(١) فيما تقدم من رأيه فسادا أو نقصا لكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه في نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن تأن وأفضل تلطف ؛ وان ينحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه ، ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرر ذكره واوجب على الناس شكره ؛ واذا قال الملك قولا في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقا للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير ، بل يصبر الى حين الخلوة ويدخل في اثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا تبجح بما عنده ؛ ويكون متابعا للملك على اخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة من بسط المعدلة ، ومد رواق الأمنة ، ونشر جناح الانصاف ، واغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وجبر الكسير والانعام على المعترّ المستحق ، والتوفر على الصدقات وعمارة بيوت الله تعالى وصرف الهمم الى مصالحها ، والنظر في أحوال الفقهاء وحملة كتاب الله العزيز بما يصلح ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد الاعداء ، ونشر الهيبة ، واقامة الحدود فى مواضعها ، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها ؛ وان أحس منه بخلة تنافى هذه الخلال أو فعلة تخالف هذه الافعال نقله عنها بألطف سعى وأحسن تدريج ولم يدع ممكنا في تبيين قبحها

---

(١) اوجده الشيء : جعله يجده ٠ فالمعنى انه يتلطف في نصح الملك بحيث لا يجعله يشعر بفساد رأيه

واصلاح رداءة عاقبتها وفضيلة مخالفتها الا بينه وأوضحه حتى يعيده الى الفضائل التي هي بالملوك النبلاء أليق ؛ وان يكون مع ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره وببعض الشيء على جميعه ، و يستغني عن التصريح بالاشارة والايماء لينبه الملك على الأمور من أوائلها و يعرفه خواتم الأشياء من مفتتحاتها ؛ وان لا يكتب عن الملك الا ما يقيم منار دولته و يعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها ؛ ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا ذم لها على غابر الأيام ومستأنف الاحقاب ، وان أمر بشيء من ذلك خرج منه بتطلف في المراجعة وبين وجه القول فيه حتى يرجع فيه الى الواجب ؛ وان يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد حتى يقرر فى نفسه امانة كل حديث يعلمه ويتناسى كل خبر يسمعه ؛ وان لا يطلع والدا ولا ولدا ولا أخا شقيقا ولا صديقا صدوقا على مادق او جل ولا يعلمه بما كثر منه ولا ماقل ، ويتوهم بل يتحقق ان في اذاعته ما يعلم به وضع منزلته وحط رتبته ، ويجتهد في ان يصير ذلك له طبعا مركبا وأمرا ضروريا . قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم والواجب المحتم وهي التي بها شهر وبالاضافة اليها عرف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانا وأوسعهم علما « الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء : القدح في الملك ، والافشاء للسر ، والتعرض للحرم » ومن كلام بعض الحكماء « سرك من دمك » . قال صاحب العقد : يعنون انه ربما كان في افشاء سرك سفك دمك . والى ذلك يشير ابو محجن الثقفي بقوله

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض   واكتم السر فيه ضربة العنق

(الفصل الثالث)

« فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان ويصرفه بقلمه . والمرجع في ذلك الى اثنى عشر امراً »

أحدها – التوقيع على القصص بما يعتمده كاتب الانشاء في الولايات والمكاتبات المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم . مما كان يتعاطاه الخلفاء ثم الوزراء . وهذا أمر جليل ومنصب حفيل

الثاني – النظر فى الكتب الواردة عليه من أهل مملكته ومن ملوك الأقطار.

وقراءتها على الملك وحسن السفارة فى ذلك

الثالث — النظر في رد الاجوبة عن الكتب الواردة على ملكه وإشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة في ذلك واعلامه ان من أعظمها خطرا أن يصدر جواب كل كتاب يرد عليه في يومه وان يقال في تاريخه : « وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا » فأن ذلك مما يقيم للملك هيبة ويدل على تطلعه الأمور وانتصابه لتدبير مملكته

الرابع — النظر فيما تتفاوت به المراتب فى المكاتبات والولايات من الافتتاح والدعاء والألقاب وقطع الورق ونحو ذلك . وقد كان هذا الباب فى زمن الخلفاء فى غاية من الضبط والتحرير حتى لقد قال صاحب مواد البيان : « ان الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة ».

الخامس — النظر فيما يكتب من ديوانه وتصفحه قبل اخراج ذلك من الديوان . قال ابو الفضل الصورى : على متولى الديوان ان يتصفح ما يكتب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات اذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسبق القلم : فما وجد من لحن أو خطأ أصلحه ونبه كاتبه عليه ليحذر مثله . فأن تكرر منه زجره وردعه فربما زل الكاتب فى شيء فزل بسببه متولى الديوان بل السلطان بل الدولة بأسرها . قال : فأن كان متولى الديوان مشتغلا بحضوره مجالس السلطان ومخاطباته نصب له فى ذلك نائبا كامل الصنعة يقوم مقامه فيه

السادس — النظر فى أمر البريد ومتعلقاته . وقد كان أمر البريد فى الزمن المتقدم ، والدوادارية يومئذ امراء صغار وأجناد ، اما بتلقي ما رسم به فيه كاتب السر عن السلطان نفسه أو يخرج برسالة السلطان على لسان بعض الدوادارية مما يرسم به لمن يركب البريد فى المهمات السلطانية وغيرها الى صاحب ديوان الانشاء فيأمر بعض الموقعين بتنزيلها ليعمل بمقتضاها . وكان للبريد الواح من نحاس كل واحد منها بقدر راحة الكف على احد وجهيه « لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وعلى الآخر ألقاب ذلك السلطان . واللوح

يعلق بشرابة حرير أصفر(١) يجعلها راكب البريد في عنقه و يرسل الشرابة بين اكتافه. وتلك الالواح عند كاتب السر : اذا رسم بخروج بريدى دفع اليه لوحا وشرابة وكتب له ورقة بخطه الى أميراخور البريد بالاسطبلات السلطانية بما تبرز به الرسالة من الخيل ويكتب اسم البريدى في آخر الكتاب ، ويكتب له ورقة طريق بأن يتوجه الى جهة قصده وعوده . قلت : وقد تغير كثير من ذلك (٢) وبطل حكم الواح البريد وتعطلت مراكز البرية وصارت اكثر امور البريد يعلقها موقعه برسالة عنه وتشك تلك الرسالة بأضبارات ديوان الانشاء

السابع : النظر في أبراج الحمام وتعلقاتها — والشأن في ذلك أن للحمام ابراجا قريبة يدرج الحمام من القلعة اليها : فينقل حمام القلعة الى أقرب الابراج اليها ، وحمام ذلك البرج الى البرج الذى يليه في تلك الجهة الى منتهاها . فأذا عرض أمر لديهم كتب(٣) بطاقتان ويؤرخان بساعة كتابتهما من النهار و يعلق كل واحدة في جناح طائر من الحمام الرسائلي و يرسلان . ولا يكتفى بواحد لاحتمال ان يعرض له عارض يمنعه من الوصول. فأذا وصل الطائر الى البرج الذى وجه به اليه أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذى يليه وعلى ذلك الى المقصد الذى يريده من القلعة الى غيرها من الجهات أو غيرها من الجهات اليها فتقرأ البطاقة و يعلم ما فيها

الثامن : النظر فى امر الفداوية — وهم طائفة من الاسماعيلية من الشيعة المنتسبين الى اسماعيل بن جعفر الصادق القائلين بأمامته مقيمون بقلاع الدعوة وهي : مصياف، والرصافة، والخوابى، والقدموس، والكهف، والعليقة، والمينقة . قال في مسالك الابصار : وهم يعتقدون ان كل من ملك مصر كان مظهرا لهم ولذلك يتولونه ويرون اتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقلون اليه من النعيم الاكبر بزعمهم . قال : واصاحب مصر بمشايعتهم

---

(١) الشرّابة معروفة وليست من اللغة العربية فى شئ (٢) وقد تغير الخ هكذا عبارة الضوء ، اما الصبح فقد اوردها على هذا السياق : وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وتركت وصار كل بريدى عنده شرابة حرير صفراء يجعلها فى عنقه من غير لوح . . . ولم يزد فى هذا الصدد (٣) فى الصبح : فأذا عرض امر مهم . . . . الى مكان من الأمكنة التى فيها برج من أبراج الحمام كتب واليها المتحدث فيها الخ

مزية يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالى ان يقتل بعده ومن بعثه الى عدو له فجبن عن قتله قتله أهله اذا عاد اليهم وان هرب تبعوه وقتلوه

قلت : وكانوا في الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة « مقدم الفداوية » وتارة « شيخ الفداوية » اما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وسموا كبيرهم «اتابك المجاهدين» . وقد كان الملوك في متقدم الزمان يمنعون هذه الطائفة من مخالطة الناس ويمنعون الناس من الدخول الى بلادهم لشراء قماش وغيره كتما لامرهم ثم انحلت تلك العرى وزال ذلك النظام كله

التاسع : النظر فى امر العيون والجواسيس — وهو مهم عظيم من مهمات الملك على صاحب ديوان الانشاء مداره ، واليه رجوع تدبيره ، واختيار رجاله وتبصر يفهم على وجوه السداد. فيجب عليه الاحتياط فى امر الجواسيس اكثر من احتياطه فى امر البريد والرسل؛ لان الرسول قد يتوجه الى الصديق وقد يتوجه الى العدو ، والجاسوس لا يتوجه الا الى العدو . فاذا وثق بجاسوسه اعتمد عليه وعمل بمقتضى خبره . وقد شرطوا فى الجاسوس شروطا يجب المصير اليها : منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، وان يكون ذا حدس صائب ، وفراسة تامة ، كثير الدهاء والحيل والخديعة ، له دربة بالاسفار ومعرفة بالبلاد ، عارفا بلسان أهل البلاد التى يتجسس فيها ، صبورا على ما لعله يصير اليه من عقوبة ان ظُفر به الى غير ذلك من الامور الاحاطية

العاشر : النظر فى أمور القصاد الذين يسافرون بالملطفات من الكتب عند تعذر وصول البريد الى ناحية من النواحى . وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه ان اول من اتخذ السعاة للمهمات معز الدولة بن بويه اول ملوك الديلم بالعراق . قلت : وذلك بالديار المصرية الى الآن مرزوق بخفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن له شدة العدو وسرعة الدبر مع الدربة بالسفر والاخذ بالاحتراس والحذر . وقد اخبرنى بعض من سافر في ذلك منهم انهم فى الغالب عند خوف التفطن بهم يكمنون نهارا ويمشون ليلا وربما اخذوا جانبا عن الطريق . واذا كانوا جماعة لا يمشون الا متفرقين فاذا طلع النهار كمنوا متفرقين مع مواعدتهم على مكان يجتمعون فيه

الحادى عشر : النظر فى امر المناور والمحرقات — اما المناور فسيأتى انه كان

فى الزمن القديم عند ملك التتار(١) ووقوع الحرب بينهم وبين الديار المصرية كان بين الفرات بآخر الممالك الشامية وإلى قريب من مدينة بلبيس من الديار المصرية أمكنة مرتبة برءوس جبال عوال بها اقوام مقيمون فيها لهم رزق على السلطان من اقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار واتصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الاعمال الحلبية فأن كان ذلك بالليل أوقدت النار بالمكان المقارب للفرات من رءوس تلك الجبال فينظره من بعده فيوقد النار وهكذا حتى ينتهى الوقود الى المكان الذى بالقرب من بلبيس فى يوم او بعض يوم فيرسل والى بلبيس بطاقة على اجنحة الحمام بالاعلام بذلك . قلت : كان الأصل في ذلك ما حكاه قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون فى تاريخه ان المعز بن باديس حين كان بالغرب رتب مناور من سبتة ببر العدوة الى بلاد الاسكندرية فكان ينقل الخبر من سبتة الى الاسكندرية فى يوم واحد

اما المحرقات فسيأتى انه كان قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على احراق زروعهم بأن تمسك الثعالب ونحوها من وحوش البر وتربط الحرق المغموسة فى الزيت بأذنابها وتوقد فيها النار وترسل في زروعهم إذا يبست فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنابها فتذهب فى الزروع آخذة يميناً وشمالا فما مرت بشىء الا أحرقته وتتواصل النار بعضها ببعض فتحرق المزرعة عن آخرها . قلت : وهذان الامران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار وهلم جرًا الى زماننا

الثانى عشر : النظر فى الأمور العامة مما يعود نفعه على السلطان — قال صاحب مواد البيان : انه يجب على متولى ديوان الانشاء ان لا يألو سلطانه نصحاً فيما يعلم انه أفلح لمملكته وأعمر لبلاده وأرغم لأعدائه وحساده وأثبت لدولته وأقوى لاسباب مملكته . قال : فاذا انتهى الى صاحب هذا الديوان خبر يتعلق بجلب نفع الى المملكة او دفع مضرة عنها أطلع سلطانه عليه فى أسرع وقت واعجله قبل فوات النظر فى ذلك وتحله صائب الرأي فيه ثم رد النظر فيه الى رأي السلطان ليخرج عن عهدته؛

---

(١) عبارة الصبح : عند وقوع الحرب بين التتار واهل هذه المملكة الخ

وان ارتاب في خبر المخبر أحضره معه الى السلطـان ليشافهه فيه حتى يكون بريئاً من تبعته؛ ولا يهمل تبليغ خبره للريبة لاحتمال صحته فى نفس الامر فيلحق بواسطة اهماله ضرر لا يمكن تداركه؛ وكذلك الحال فى سائر ما يرجع الى صلاح المملكة وحسن تدبيرها

(الفصل الرابع)

« في ذكر وظائف ديوان الانشاء بالديار المصرية وفيه حالان »

﴿ الحال الاولى ﴾

« ما كان الامر عليه في الزمن المتقدم في الدولة الفاطمية وما يليها »

قد ذكر ابو الفضل الصورى في مقدمة تذكرته ان ارباب الوظائف فيه على ضربين:

﴿ الضرب الاول ﴾

« الكُتّاب ، وعدتهم سبع »

الاول : كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات — ويشترط فيه ان يكون لاحقاً بصفات متولى الديوان في الفضل والبـلاغة ، واسع الباع في الكلام لأنه يتولى الانشاء من نفسه وتلقى اليه الكلمة الواحـدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاما طويلا ويأتى فيه بالعبارة الواسعة وهو لسان الملك المتكلم عنـه فمهما كان كلامه ابدع وفى النفوس أوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته على سائر الملوك فقد حكي ان يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد همّ بالعصيـان : « أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فاذا أتاك كتابى فاعتمد على أيهما شئت والسلام » . فكان سببا لأقلاعه عما همّ به

الثانى: كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه —وقد شرط فيه مع ما شرط في المتصدى للانشاء ان يكون على دين الملك ومذهبه لما يحتاج اليه في مكاتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ونصرة مذهبه بخلاف ما اذا كان مخالفا لدينه ومذهبه فأن المخالف انما يظهر له مواضع الطعن دون الحجاج ، وان يكون مع ذلك من علو الهمة وقوة العزم

وشرف النفس بالمحل الأعلى والمكان الارفع فأنه يكاتب عن ملكه وكل كاتب فأنه يجره طبعه وجبلته وخيمه الى ما هو عليه من الصفات : فكلما كان الكاتب أقوى جاشاً واشد عزماً وأعلى همة كان على التفخيم والتعظيم والتهويل والترغيب والترهيب اقدر، وكلما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وان يكون عارفا بقدر طبقة المكتوب اليه في معرفة اللسان العربي فيخاطب كل قوم على قدر رتبتهم في ذلك وما يعرف من فهمهم

الثالث — كاتب يكتب مكاتبات اهل الدولة وولاتها ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال وانشاء تقليدات ذوي الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسامات — وشرط فيه ان يكون مأمونا على الاسرار، كاف اليد، نزه النفس، عن العرض الدنيوي لانه يطلع على أكثر ما يجري في الدولة ويعلم بالوالي قبل توليه والمصروف قبل صرفه وان يكون مع ذلك سريع اليد في الكتابة حسن الخط إذ كان هذا القدر اكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل عن ذلك في اكثر الاوقات

الرابع — كاتب يكتب المناشير يعني المطلقات ونحوها مما لا يختم، والكتب اللطاف والنسخ . وقد شرط فيه أن يكون مأمونا كتوما للسر، فيه من الادب ما يأمن معه من الخطأ والزلل في لفظه وخطه ، ويكون مع ذلك حسن الخط بالغا فيه القدر الكافي وربما احتاج الى معين لكثرة تعلقات هذا الصنف من الكتابة بالديوان

الخامس — كاتب يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج الى حسن الخط كالعهود والبيعات ونحوها، فأنه قل ان يجتمع الانشاء وحسن الخط في واحد، لتصدر الكتب عن الملك بالألفاظ الرائقة والخط الرائع؛ فأن ذلك أكمل للمملكة وأكثر تفخيما عند من يكاتب عنها ؛ وان يكون مع ذلك من الامانة وكتمان السر ونزاهة النفس بالمكان الارفع

السادس — كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان، فأن الكاتب غير معصوم من السهو والخطأ واللحن وعثرات القلم . وكل أحد يتغطى عليه عيب نفسه ويظهر عنده عيب غيره، وزمن متولي الديوان أضيق من أن يقف على كل ما يكتب بديوانه بنفسه، والمطلوب أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطاً ولفظاً ومعنى واعرابا حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً . وشرط فيه أن يكون عالي الرتبة في اللغة والنحو وحفظ

كتاب الله تعالى ، ذكيا ، حسن الفطنة ، عاقلا مأمونا ؛ وان يكون مع ذلك بعيدا من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يبخس أحدا حقه ولا يحابي أحدا فيما أنشأه او كتبه بل يكون الكل عنده في الحق على حد واحد . وعليه ان يلزم الكتاب بعرض ما ينشئونه ويكتبونه عليه قبل عرضه على متولي الديوان . فأذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ كاتبه ومنشيه

السابع ـ كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمنة لمتعلقات الديوان المشتملة على مهمات الامور التي تنهي في ضمن الكتب ليسهل استخراجها منها اذا سئل عنها و يجعل لكل صفقة اوراقا على حدة ويكتب عليها « فصل من كتاب فلان ، ورد بتاريخ كذا ، مضمونه كذا ، أجيب عنه بكذا ، او لم يجب عنه » الى ان تفرغ السنة يستجد للسنة الاخرى تذكرة أخرى ؛ وكذلك تذكرة فيها مهمات ما صرح به من الاوامر في الكتب الصادرة على نحو ما تقدم من ذكر النواحي وأرباب الخدم ؛ واذا ورد جواب فيقول « ورد جوابه في تاريخ كذا بما صورته كذا وكذا » ؛ وان يضع في الديوان دفترا بألقاب الولاة وغيرهم من ذوي الخدم وأسمائهم وترتيب مخاطباتهم وكل واحد منهم كيف يخاطب : بكاف الخطاب او هاء الكناية ومقدار الدعاء الذي يدعى له به في السجلات والمكاتبات والمناشير والتوقيعات ، وألقاب الملوك الأباعد والمكاتبين من الآفاق وكناهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره ؛ ومتى تغير شيء من ذلك كتبه تحته ؛ ومتى صرف أحد من الولاة كتب عليه «صرف بتاريخ كذا ، واستخدم عوضا منه فلان بتاريخ كذا ، وأجرى في الدعاء على منهاجه او زيد او نقص» ؛ ويكون ذلك الدفتر موضوعا في الديوان ليقل منه الكاتب ما يتقرر عليه حفظه ... قلت : وهذا قد استغنى عنه في زماننا بالدساتير المصنفة في هذا الباب كالتعريف والتثقيف ونحوهما الا ان الدفتر أولى لما يعرض من الزيادة والنقص والتغيير . وأن يضع بالديوان دفترا للحوادث العظام وما يتلوها مما يجري في المملكة وتاريخ كل واقعة منها حتى انه لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع ؛ وأن يعمل فهرستا للكتب الصادرة ، وفهرستا للكتب الواردة ، وفهرستا لانشاء التقاليد والامانات وغير ذلك ، وفهرستا لما يترجم من الكتب الواردة بغير اللسان العربي من الرومي والفرنجي وغيرهما ؛ ويكون لكل شهر من شهور السنة فهرست يجعل

في إضبارة فاذا انقضت تلك السنة أخذ فهرستاً آخر لتلك السنة مفصلا بأشهرها

(الضرب الثانى)

(غير الكتاب)

والذى تدعو الضرورة اليه من ذلك اثنان :

احدهما الخازن الذى يحفظ ما في الديوان من الأضبارات والدفاتر . قال الصورى: ويجب فيه أن يكون رجلاً ذكيًا فطنًا عاقلاً مأمونًا بالغ الامانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع

الثانى : حاجب الديوان . قال الصورى : ينبغى لصاحب ديوان الانشاء ان يقيم لديوانه حاجباً لا يمكن احداً من النـاس من الدخول اليه خلا أهله الذين هو معزوق بهم كتماً لما يجرى فيه من سر المملكة وحفظًا لها عن الاشاعة

قلت : وقد استغنى عن خازن الديوان وحاجبه الآن بدوادار كاتب السر فهو الذى يحفظ ما فيه من التعلقات ويمنع من شاء من دخوله

﴿ الحال الثانية ﴾

(ما الامر عليه في زماننا . والكتاب فيه على طبقتين)

الطبقة الاولى : كتاب الدست — وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل فى المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة (١) ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر عليه على ترتيب جلوسهم ، ويوقعون على القصص بما يأمر به السلطان كما يوقع عليها كاتب السر ، ثم ترفع تلك القصص الى كاتب السر ليعينها على كتاب الدرج وسموا « كتاب الدست » اضافة الى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه ، لجلوسهم للكتابة بين يديه . وهؤلاء هم أحق كتاب الانشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص . ويقال انهم كانوا في أوائل الدولة التركية فى أيام الظاهر بيبرس وما والاها قبل ان يلقب صاحب ديوان الانشاء بكاتب السر ثلاثة كتاب رأسهم القاضى محيى

---

(١) القُدمة السابقة في الامر والمراد بها الفضل

الدين بن عبد الظاهر . اما الآن فقد زادوا فى العدة وخرجوا عن الحد الا أن الاعيان منهم قليل لحدوثهم

الطبقة الثانية : كتاب الدست — وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر وكتاب الدست او ما كان بأشارة النائب او الوزير او برسالة الدوادار وغير ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه . وسموا « كتاب الدرج » لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها فى درج الورق ؛ والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة اوصال ؛ وفى عرف الديوان انه يسمى كل عشرين وصلا منها درجاً . قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب : وهو فى الاصل اسم للفعل أخذا من « درجت الكتاب ادرجه درجاً اذا اسرعت طيه ، وأدرجته ادراجاً اذا أعدته على مطاويه » ويجوز ان يطلق على هؤلاء : كتاب الانشاء ؛ لأنهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره . ولا يجوز فى الحقيقة ان يطلق عليهم اسم الموقعين لما تقدم من ان المراد بالتوقيع : الكتابة على حواشى القصص ونحوها . ثم كما زادت عدة كتاب الدست زادت عدة كتاب الدرج حتى خرجت عن الحد ؛ وفيهم العالى الرتبة والمنحط

اما كتابة الدفاتر بالديوان بذكر ما يجرى فيه فقد كان الامر فى ذلك مستمرا فى بعضها ككتابة ما فى المكاتبات الواردة والصادرة بدفتر في الديوان الى آخر مباشرة القاضى بدر الدين بن فضل الله فى الدولة الظاهرية برقوق ، ثم رفض ذلك وترك واقتصر على ما يرد من المكاتبات وما يكتب من الملخصات وترجمة الكتب وكتابة الموقع الذى يكتب الجواب بسد كل فصل تحته وحفظ ذلك بأضبارات الديوان . وا كتفى من الخازن بدوادار كاتب السر وصار هو المتولى لحفظ ذلك وايداعه فى الأضابير واليه صار امر حجابة الديوان أيضاً . قلت : وقد أخذ المقر الاشرف الناصرى صاحب ديوان الانشاء فى الدولة المؤيدية شيخ في ضبط مهم المكاتبات الصادرة والواردة بدفتر بخطه

المقالة الاولى

(في بيان مايحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد ' وفيه بابان)

الباب الاول

« فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العلمية ' وفيه ثلاثة فصول »

(الفصل الاول)

« فيما يحتاج اليه الكاتب على سبيل الاجمال »

وقد اختلفت مقاصد المصنفين فى ذلك : فابن قتيبة بعد ان بنى كتابه « أدب الكاتب » على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء وغير ذلك قال : وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلق بالانشاء الا بالجسم، ولا من الكتابة الا بالرسم، ولم يتقدم من الاداة الا فى القلم والدواة ؛ ولكنه لمن سدد شيئا من الاعراب فعرف الصدر والمصدر، وانقلاب الياء عن الواو ، والالف عن الياء ، واشباه ذلك من النظر فى الاشكال لمساحة الارضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية' والمثلث الحاد'، والمثلث المنفرج ، ومساقط الاحجار، والمربعات المختلفات، والقسى والمدورات ، والعمودين . وتمتحن معرفته بالعمل فى الارضين لا فى الدفاتر فان المخبر عنه ليس كالمعاين . وذكر ان العجم كانت تقول : من لم يكن عالما باجراء المياه ، وحفر فرض المشارب ، وردم المهاوى ، ومجارى الايام فى الزيادة والنقصان ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر فى استهلاله واتصاله، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع ومختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالى والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناع' ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته . ثم قال : ولا بد مع ذلك من النظر فى جمل من الفقه والحديث ودراسة اخبار الناس وحفظ عيون الاخبار ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا بها اذا كتب او يصل بها كلامه اذا حاور . وختم ذلك بان قال : ومدار الامر في ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القريحة : فان القليل معهما بأذن الله تعالى كاف والكثير مع غيرهما مقصر . وتابعه أبو هلال العسكرى فى « الصناعتين » فى بعض ذلك فقال

في بعض ابوابه : وينبغى ان يعلم ان الكتابة تحتاج الى آلات كثيرة وأدوات جمة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعنى، وفن الحساب ، وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة، وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه . ولا يخفى ان ماذكره بعض مما ذكره ابن قتيبة يتواردان فيه فى المعنى وان اختلف اللفظ . وخالف أبو جعفر النحاس فى كتابه « صناعة الكتاب » فى كثير من ذلك فذكر فى المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط ان من أدوات الكتابة البلاغة ، ومعرفة الاضداد مما يقع فى الكتب والرسائل ، والعلم بترتيب أعمال الدواوين والخبرة بمجارى الاعمال، والدربة بوجوه استخراج الاموال مما يجب ويمتنع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته ولا انفراد باسم يخصه، وانما هو جزء من الكتابة وأصل فى أركانها : اما الفقه، والفرائض، والعلم بالانساب(١) فكل واحد منها منفرد على حدته وان كان الكاتب يحتاج الى أشياء منها نحو ما يكتب بالألف والياء ، والى شئ من المقصور والممدود . قال : ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصعب طريقا للأسهل والأشق مفتاحا للأهون وفي طباع الناس النفار عما ألزمهم(٢) من جميع هذه الاشياء

قلت : والتحقيق ان ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها ، فكل نوع من أنواعها يحتاج الى معرفة فن او فنون تختص به . ويوضح ذلك ماذكره حائك الكلام فى حكايته مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون من ذكره ان كاتب الرسائل يحتاج الى ان يعرف المفصول والموصول ، والمقصور والممدود ، والابتداء والجواب ، وان يكون حاذقا بالعقود والفتوح ؛ وكاتب الخراج يحتاج الى ان يعرف السطوح ، والمساحة والتقسيط ، وان يكون خبيرا بالحساب والمقاسمات ؛ وكاتب القاضى يحتاج ان يعرف الحلال والحرام ، والتأويل والتنزيل ، والمتشابه ، والحدود القائمة ، والفرائض ، والاختلاف في الاموال والفروج ، وان يكون حافظا للاحكام حاذقا بالشروط : وكاتب الجند يحتاج ان يعرف الحلى والشيات ؛ وكاتب الشرطة يحتاج أن يعرف القصاص ،

---

(١) اكتفى فى الضوء بذكر الفقه والفرائض والعلم بالانساب ، وفيه نقص يخل بمعنى ما بعده ؛ ولو ذكر معها النحو واللغة كما فى الصبح لتوقى هذا النقص وامتنع الاخلال

(٢) كذا بالاصل ويظهر ان المراد : عما هو ألزم لهم

والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو فى الجنـايات . فجعل لكل كاتب ادوات تخصه على ما ذكر فى الاصل من ايراد الحكاية عليها . على أن كاتب الانشاء لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن . فقد قال ابن الاثير فى « المثل السائر » : ان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء ، والماشطة عند جلوة العروس ، والى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة . فما ظنك بما فوق هذا . وذلك لأنه يؤهل لأن يهيم فى كل واد فيحتاج الى ما يتعلق بكل فن . بل قد قيل : ان كل ذى علم يسوغ ان ينسب اليه : فيقال فلان النحوى، وفلان الفقيه، وفلان المتكلم، ولا يجوز ان ينسب المتعلق بالكتابة اليها . فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن . نعم ليس احتياجه الى جميع الفنون على حد واحد ، بل منها مايحتاج اليه بطريق الذات كاللغة والنحو والتصريف وعلوم البلاغة من المعانى والبيان والبديع ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وعلى ذلك اقتصر الوزير ضياء الدين في « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبى في « حسن التوسل » . ومنها مايحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة والهيئة ونحوها مما يحتاج اليه باعتبار ما يعرض للكاتب من الاقتباس من الفاظ فن من الفنون او الاستشهاد ببعض رجاله ؛ فأنه يحتاج الى معرفة الالفاظ الدائرة بين أهل كل علم، والى معرفة المشهورين من أهله، ومشاهير الكتب المصنفة فيه، فينظم ذلك فى خلال كلامه فيما يكتبه من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالالفاظ الدائرة بين أهل الطب، ومشاهير أهله، وكتبه فيما يكتب به لرئيس الاطباء، ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ونحو ذلك . وربما احتيج الى معرفة ما هو دون ذلك في المرتبة كمعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به من قدمات البندق، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به فى دسكرة الفتوة ، بل ربما احتيج الى معرفة مصطلح سفل الناس كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب لطفيلى ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج الى وصفه كاوصاف الابطال والشجعان والجوارى والغلمان والخيل والابل وجليل الوحش وسائر أصنافه وجوارح الوحش والطير وطير الواجب والحمام الهدى وسائر أنواع الطير والسلاح بأنواعه وآلات الحصار والآلات الملوكية

وآلات الفر وآلات الصيد وآلات المعـاملات وآلات اللهو والطرب وآلات اللعب وآلات الشرب والمدن والحصون و بيوت العبادات والرياض والاشجار والثمار والازهار والبرارى والقفار والمفاوز والجبال والرمال والاودية والبحار والانهار وسائر المياه والسفن والكواكب والعناصر والازمنة والانواء والرياح والمطر والحر والبرد والثلج وما يتعلق بكل واحد من هذه الاشـياء او ينخرط فى سلكه ونحو ذلك ممـا تدعو الحاجة الى وصفه فى حالات الكتابة

﴿ الفصل الثاني ﴾

« من الباب الاول من المقالة الاولى — فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد الانشاء ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعا »

(النوع الاول)

« المعرفة باللغة وهي على ضربين »

الضرب الاول : العربية — ولا مرية فى ان اللغة العربية هي رأس مال الكاتب وأس كلامـه وكنز إنفاقه من حيث ان الالفاظ قوالب المعانى التى يقع التصرف فيها بالكتابة وحينئذ فيحتاج الى طول الباع فيها وسعة الخطو بحفظ ما يتهيأ له حفظه من مختصرات اللغة كفصيح ثعلب وكفاية المتحفظ والمذهبة والمعقبة لابن أصبع،(١) وايساع النظر فى كتبها المبسوطة كصحاح الجوهرى ومحكم ابن سيده وعباب الصغانى وجامع الازهرى ومجمل ابن فارس وغيرها من كتب اللغة مع معرفة أنواعها من الاسماء المترادفة وهي توارد الاسماء على المسمى الواحد كالبر والحنطة ، والاسماء المشتركة وهي ان يتحد الاسم ويختلف المسمى كالعين فانها تقع على العين البـاصرة والعين الجارية وغيرهما وغير ذلك من أنواعها فيستظهر على ما ينشيه ويحيط علما بما يذره ويأتيه وناهيك ان ابن قتيبة لم يضمن كتابه « أدب الكاتب » غير اللغـة الا النزر اليسير من الهجاء ، وأبا جعفر النحاس قد ضمن كتابه « صناعة الكتاب » جزءا وافرا من اللغة ،

---

(١) كذا في الضوء ، وهو في الصبح : ابن أصبغ ؛ ولعله الامام ابو محمد عبد العظيم ابن أبي الأصبع العدوانى المصرى مؤلف « تحرير التحبير » في البديع

وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه « كنز الكتاب » على ذكر الالقاب وتركيبها. فاذا أكثر من حفظ الالفاظ اللغوية وعرف الالفاظ المترادفة والمتقاربة المعانى تمكن من التعبير عن المعاني التي يضطر الى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة والالفاظ المتباينة، وسهل عليه التعبير عن مقصوده، وهان عليه انشاء الكلام وترتيبه، وساغ له العدول عن ضيق المجال من لفظ الى غيره مما هو بمعناه ؛ واذا عرف المشترك تفنن فى الكلام بتعبيره عن الشيء بلفظ ثم تعبيره عنه مرة أخرى بلفظ آخر مع ايضاح ذلك بذكر تخصيصه كقولك : عين حسناء في الباصرة ، وعين نضاخة في الجارية ، ونحو ذلك . وانت اذا تأملت كنز الكتاب لكشاجم عرفت فائدة كثرة الاطلاع على اللغة في اقتدار الكاتب بذلك على ما يروم تأليفه من الكلام لاسيما المترادف . ألا ترى الى كشاجم كيف يورد الرسالة متواردة الألفاظ العديدة على المعنى الواحد كما فى قوله في كريم الأصل : مخضر الأرومة : نجيب العنصر ، خالص السنخ ، صادق المحتد ، وافر الحسب ، ثاقب النسب ، محض الضرائب ، ظاهر الحزم ، صريح النصاب، زكي الفرس طيب المنتمى ، سامي المركب، رفيع النجر ، تالد المجد ، موفي الشرف ، سابق القدم ، شريف المنصب، وافر المقدم ، عالى البيت، مثبت الأ ثالة ، موفر الأثرة ، أغر المناقب . فلولا سعة باعه في اللغة ما تأتى له مثل هذه الالفاظ المترادفة والمتقاربة

الضرب الثانى : اللغة العجمية — وهي كل ما عدا العربية كالتركية والفارسية والرومية وغيرها من سائر اللغات وان كان العامة يعتقدون ان العجمية هى الفارسية ليس الا . واعلم ان الكاتب يحتاج الى معرفة اللغة العجمية من اللغات التى ترد على ملكه المكاتبات بها كالمغلية ، والفارسية ، والرومية ، والفرنجية بالنسبة الى كتاب ديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ليكون بقراءة ما يرد من المكاتبات الواردة في أكمل رتبة وذلك أكتم لسر سلطانه من حيث انه لا يطلع على كتبه ترجمان . وشاهد ذلك من السنة ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن ثابت رضى الله عنه : يازيد تعلم كتاب يهود فأنى والله لا آمن يهود على كتابى . قال : فتعلمت كتابهم فما مر لى ستة عشر ليلة حتى حذقتها فكنت اقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه

وأجيب اذا كتب ؛ وفي رواية العبرانية بدل السريانية(١) . قال محمد بن عمر المدائني : بل قد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وان كان عربياً لأن الله بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذى يبعث نبياً الى قوم لا يفهمون عنه ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة انه قال : سئل ابن عباس ، هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية ؟ . قال : نعم ، دخل عليه سلمان فقال له « درسته وسادته » . . . قلت : وحينئذ فيكون النبى صلى الله عليه وسلم انما أمر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ النوع الثاني ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب النحو والأخذ منه بالحظ الوافر ، وصرف اهتمامه منه الى القدر الكافى ، قال فى حسن التوسل : ويتبع ذلك قراءة ما يتفق له من كتبه التى يحصل بها المقصود من معرفة العربية بحيث يجمع بين طرفي الكتاب الذى يقرأه ويستكمل استشراحه ، ويكب على الاعراب ويلازمه ويجعله دأبه ليرتسم في فكره ، ويدور على لسانه ، وينطلق به عقال قلمه وكلمه ، ويزول به الوهم عن سجيته ، ويكون على بصيرة من عبارته ، فأنه لو أتى من البراعة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما اتى به وانهدمت طبقة كلامه وألقى جميع ما أحسنه ووقف به عند ما جهله . قال في المثل السائر : وهو أول ما ينبغي اتيان معرفته لكل متكلم باللسان العربى ليأمن معرة اللحن . قال صاحب الريحان والريعان ولم تزل الخلفاء الراشدون بعد النبى صلى الله عليه وسلم يحثون على تعلم اللغة العربية وحفظها والرعاية لمعانيها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص . قال عثمان المهرى : اتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء ويذكر فيها : « تعلموا العربية فأنها تصلح العقل وتزيد في المروءة » . وقال

---

(١) اقتصر الضوء في ايراد الحديث على رواية من ثلاث أوردها الصبح ، ثم جاء بهذه العبارة ولا محل لها بعد تركه الروايتين الأخريين لأن مرجعها اليهما . ومنهما هذه الرواية : قال (زيد بن ثابت) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحسن السريانية فأنه يأتيني كتب بها ، قلت : لا . قال : فتعلمها . فتعلمتها في سبعة عشر يوما . . . الخ

الرشيد يوماً لبنيه : ما ضر أحدكم لو نعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده وأمته ؟ ومن كلام مالك بن أنس : الاعراب حلى اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها . ولله در أبي سعيد البصري حيث يقول

النحو يبسط من لسان الألكن   والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها   فأجلها عندى مقيم الألسن

قال في الريحان والريعان : واللحن قبيح في كبراء الناس وسراتهم كما ان الاعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به الى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه. وكتب ميمون بن ابراهيم عن اسحاق بن ابراهيم وهو أمير على بعض الاعمال الى المأمون كتاباً منه : « وهذا المال مالا » فخط المأمون على موضع اللحن من الكتاب، ويقال انه لم يتجاوزه قراءة ، ووقع على حاشيته « تكاتبني باللحن ؟ » ، وأعاده الى اسحاق ؛ فدعا اسحاق ابنَ قادم النحوى وسأله عن ذلك فقال « الوجه : وهذا المال مال ، ويجوز وهذا المال مالا » فأقبل اسحاق على كاتبه بغلظة وفظاظة وقال : الزم الوجه ودع ما يجوز ويجوز . فكان ميمون يقول : ماأدرى كيف اشكر لابن قادم : بقيَ عليَّ روحى ونعمتى . ووقف بعض الخلفاء على كتاب من بعض عماله فيه لحن في لفظه فكتب الى عامله أن قنع كاتبك سوطا واصرفه عن عملك . قال احمد بن يحيى : كان هذا والعلم بحيث كانت الرغبة في طلبه والحذر من الزلل . قال صاحب الريحان والريعان : فكيف لو أبصر كتاب زماننا ! قلت : قد قال صاحب الريحان والريعان هذا وفى الناس بعض الرمق والعلم ظاهر واهله مكرمون والا فلو عمر الى زماننا لقال : تلك امة قد خلت .

اما التعمق في الاعراب والمبالغة فيه فان حكمه فى الاستكراه حكم التقعر في الاتيان بالغريب من اللفظ . ولم تزل الفصحاء تذم من يتعاناه ويسخرون ممن يتعاطاه . ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الاعراب يعرب كلامه ولا يخيل للسامع انه يعرب . ثم ان عرض مع التعمق فى الاعراب لحن كان ذلك أبلغ في الشناعة واجدر بتوجيه الملامة على صاحبه والسخرية منه . وقد قال الجاحظ : أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم . قال : واقبح من

ذلك لحن الاعاريب النازلين على طريق السابلة و بقرب مجامع الاسواق . قلت والذى يقتضيه حال الزمان والجرى على منهاج الناس الآن ان يحافظ على الاعراب في القرآن الكريم والاحاديث النبوية وفي الشعر والكلام المسجوع وما يدوّن من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها، و يغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس، الدائر على السنتهم مما يتداولونه بينهم و يتحاورون به فى مخاطباتهم. وعلى ذلك جرت طريقة الناس مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة حتى حكى ان الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو دخل يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه . فقال جعفر بن يحيي: ياأمير المؤمنين انه قد لحن . فقال له الرشيد : أتلحن ؟ فقال : ياامير المؤمنين ان طباع البدو الإعراب وطباع الحضر اللحن، فاذا حفظت او كتبت لم ألحن . واذا رجعت الى الطبع لحنت . فاستحسن الرشيد جوابه . وقال الجاحظ في البيان والتبيين : ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فاياك ان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فانك ان غيرتها بأن لحنت في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والمقلدين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ؛ وان سمعت نادرة من نوادر العوام وملحة من ملحهم فاياك ان تستعمل لها الاعراب او تتخير لها لفظا حسنا، فان ذلك يفسد الأمتاع بها ويخرجها عن صورتها التى وضعت لها ويذهب استطابتهم اياها . وبالجملة فالعبرة فى ذلك كله بحسب البلاد واهلها ألاترى ان العرب وان تغيرت ألسنتهم بمخالطة من عداهم فانهم لايخلو كلامهم من موافقة الأعراب في كثير من كلامهم خصوصا عرب الحجاز وأهل البادية منهم. وقد قال الجاحظ فى أثناء كلامه : ولأهل المدينة ألسنة ذلقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة في اللحن ؛ واللحن في عوامهم فاش وعلى من نظر منهم في النحو غالب . ثم لا يخفى وجه تصرف الكاتب في الأعراب فى كلامه ؛ ومن أهم ما يعتنى به من ذلك النسب لكثرة استعماله فى الالقاب ونحوها وكذلك العدد فأنه مما يقع فيه اللبس على المبتدى ومحل ذلك النحو

﴿ النوع الثالث ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب التصريف ليعلم أصل الكلمة وزيادتها ، وحذفها ، وابدالها،

وجمعها ، وتثنيتها ، وجمودها واشتقاقها ، وتصريف الفعل الى ماض ومضارع وامر ونهي وغير ذلك ؛ لانه اذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة اليهـا ولم يعرف الأصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها ضل عن سواء السبيل . قال في المثل السائر : وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحاً فيما اذا قيل للنحوى العارى عن التصريف : كيف تصغير « اضطراب » ؟ فأنه يقول « ضطيريب » حملا على قاعدة النحو فى أنه اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد حذف منها كقولهم فى «منطلق» مطيلق ، ولفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلم تحذف وحذفت النون ؛ والزائد في « اضطراب » الالف فحذفت فصغر على ضطيريب ، وهو خطأ لأن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء فأذا أريد تصغيرها اعيدت الى الأصل فيقال « ضتيريب » بالتاء . وقد حكى ابو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب أن عبيد الله بن سليمان نظر فى كتاب كتبه بعض الكتاب فاذا فيه حرف مصلح هو « وقد لهوت عن جباية الخراج » فاغتاظ وقال : لا يحكه غيرى ، فحكه وأصلحه : «وقد لهيت » بالياء بدل الواو. قال وحكي عن ابن اسرائيل مع تقدمه فى الكتابة انه قال : كانت رسومنا مساناة ، ثم صارت مشاهرة ، ثم صارت مياومة ، ثم صارت مساعاة . . . فأخطأ وكان يجب ان يقال « مساوعة » . قال فى المثل السائر : وكثيرا ما يقع ذلك لأكابر أهل العلم فكيف بالجهال الذين لا معرفة لهم بذلك ! ومما يقع الغلط فيه لأكابر أهل الشأن قول أبى نواس :

وكأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

فأن فُعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها وانما يجوز حذفهما من فُعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى الا ان تكون فعلى أفعل مضافة ، وهاهنا لا اضافة ولا الف ولام: وكان الصواب أن يقول : كأن الصغرى والكبرى ، أو : كأن صغراها وكبراها وغلط أبو تمام فى قوله يمدح المعتصم

بالقائم الثامن المستخلف اطّأدت قواعد الملك ممتدا لها الطول

فقال « اطأدت » وصوابه « اتطدت » لان التاء تبدل من الواو فى موضعين : احدهما مقيس كهذا الموضع ؛ لانك اذا بنيت « افتعل » من « الوعد » قلت « اتعد » ،

وكذلك « اتطدت » فى البيت فانه من « وطد ، يطد » كما يقال « وعد، يعد » فأذا بنى منه « افتعل » قيل« انطد » ولا يقال« اتّأد » . واعلم ان هذا العلم لم يزل مندرجا فى علم النحو حتى أفرده عثمان المازنى وتبعه الفتح بن جنى وصنف فيه مختصره الذى سماه « التصريف الملوكي» ثم تتابع الناس في التصنيف فيه . ومن امنع كتبه المتوسطة «شافية ابن الحاجب» وعليها شروح لمصنفها وغيره

(النوع الرابع)

مما يحتاج اليه الكاتب علوم المعانى والبيان والبديع . ووجه احتياجه الى هـذه العلوم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية علي سلوك سبل الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة والطريق الى تحسين الكلام اضطر الكاتب الى معرفتها والاحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك الى فهم الخطاب وانشاء الجواب جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب مع قوة الملكة على انشاء الاقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والاشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتحسين الكلام وتنميقه الى غير ذلك من الامور . قال ابو هلال العسكرى فى كتابه « الصناعتين » : فأن صاحب العربية اذا أخل بطلب هذه العلوم وفرط فى التماسها وفاتته فضيلتها وعلقت به رذيلة فوتها عفى على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردئ ولفظ حسن وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر نقصه ؛ واذا اراد أن ينشئ رسالة او يضع قصيدة وقد فاتته هذه العلوم مزج الصفو بالكدر وخلط الغرر بالعرر فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل ؛ وكذلك اذا أراد تصنيف كلام منثور وتأليف شعر منظوم وتخطى هذه العلوم ساء اختياره وقبحت آثاره فأخذ الردئ المردود وترك الجيد فدل على قصور همته وتأخر معرفته . قال : وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به والقارئ المقتدى بهديه والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آلته في مجادلته وشدة شكيمته فى حجاجه، وبالعربى الصليب والقرشى الصريح أن لا يعرف فهم إعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التى يعرفها الزنجى والنبطى وان يستدل عليه بما يستدل به الجاهل الغبى .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فى كتابه « حسن التوسل الى صناعة الترسل »:
وهذه العلوم الثلاثة وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب ، والطبع السليم ، والقريحة المطاوعة ، والفكرة المنقحة ، والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها يتمكن من أزمة المعانى وصناعة الكلام ، ويتصرف عن معرفة ، وينتقد بحجة ، ويتخير بدليل ، ويستحسن ببرهان ، ويصوغ الكلام بترتيب . قلت : وحقيق ما قاله فأن الناظم أو الناثر اذا أتى بملحة أو نادرة فأنه ليس على يقين من أمره اذ ليس له قانون يرجع اليه ، والذوق قد يصيب وقد يخطئ ؛ بخلاف العارف بهذه العلوم فأنه على يقين من أمره من حيث ان له قانونا يرجع اليه وأصلا يقف عنده . ألا ترى انه اذا جرى على قانون العلوم الثلاثة المتقدمة الذكر من التشبيه والاستعارة والتجنيس وغيرها من الأنواع أتى بما يبهر العقول ويأخذ بأزمة القلوب كقول القاضى الفاضل « فى ليلة قد جمد خمرها وخمد جمرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قمصاً الى قمصها والشمس لو جرت النار الى قرصها » وقول الواوا الدمشقى:

قالت متى البين ياهذا فقلت لها ... اما غداً زعموا أو لا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

وقول القاضي نجم الدين عبد الرحيم البارزى الحموى :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى ... على طبق في مجلس لأصاحبه
كشمس ببرق قد بدرًا أهلة ... لدى هالة في الافق بين كواكبه

وقول الآخر

ازورهم وظلام الليل يشفع لى ... وانثنى وضياء الصبح يغرى بى

وقول الآخر : سفرن بدورا وانتقبن أهلة . ونظموا على ذلك فأتوا بالسحر الحلال وابدوا من محاسن البلاغة بما يرفع من بدائعه فى وارف الظلال . على ان الشيخ بهاء الدين السبكي قد ذكر فى شرح تلخيص المفتاح ان أهل مصر لا يحتاجون لهذه العلوم وأنهم يدرونها بالطبع ، فقال فى أثناء خطبته : اما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان التى هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة فى المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلاوة

وأشار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار الاعمار' ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلف فيه صيقل　　من طبعه لم ينتفع بصقال

قلت : وهذا مما لاشك فيه : فانا نرى من عوامها الذين لا إلمام لهم بشئ من هذه العلوم من يأتى في الازجال ونحوها التى مبناها اللحن من المعانى الدقيقة بما تقف دونه افهام أرباب البيان من التشبيه وغيره كما في قول القائل

قف نقول لك يافهيم　　ما صنع هذا الغزال
ارخى ليل شعرو البهيم　　وتلثم بالهلال
وكشف ذاك اللثام　　ورفع ليل الشعر
انهتك فيه بالغرام　　كل ما كان استتر

وقول بعض المواله

اسبل على غرته طرة كليل همس　　وماس بأرداف تسكن عاشقيه الرمس
فقلت ما ريت مثله والكرام الخمس　　(١) * * الدجى بالشمس

وانظر الى هذه التشبيهات التى لا تقع فى كلام فحول الشعراء

واعلم ان هذه العلوم قد اختلفت مقاصد المؤلفين فى جمعها فى التآليف وتفريقها فجنح قوم الى افراد كل علم منها بتأليف : فمن الكتب المنفردة بعلم البيان « نهاية الأعجاز » الأمام فخر الدين بن الخطيب ، و« الجامع الكبير » لابن الأثير الجزرى ومن الكتب المنفردة بعلم البديع « زهر الربيع » للمطرزى' و « كتاب البديع » للتيفاشى ' و « تحرير التحبير » لابن أبى الاصبع . وأكثر المؤلفين على جمع العلوم الثلاثة بالتآليف ' فمن الكتب المختصرة المشتملة على ذلك « روض الازهار » لابن مالك ' ومن المتوسطة « المصباح » له ، ومن المبسوطة « شرح القطب » للشيرازى . قلت : والمشهور بين الناس الآن المتلقى بين أهل هذا الشأن بالقبول «تلخيص المفتاح» لقاضى القضاة جلال الدين القزوينى ' وشروحه كالخطيبى ' وشرح بهاء الدين السبكي'

---

(١) بياض فى الاصل

وشرح الشيخ أكمل الدين ، وشرح القاضي محب الدين ناظر الجيش ؛ واكثر إكبابهم الآن على شرحي الشيخ سعد الدين التفتازاني : المطول والمختصر . على ان هذه العلوم وان كانت غير خاصة بفن الكتابة فقد انتحلها جماعة من المؤلفين في صناعتها واستضافوها الى مصنفاتهم كأبي هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » والوزير ضياء الدين بن الاثير في « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في « حسن التوسل » اعتناء بشأنها وتنبيها على أن حال الكاتب لا يصلح الا بها بل قد ذكر في «حسن التوسل » أنها من الامور الخاصة بالكاتب دون غيرها من العلوم الواجبة فيما يحتاج اليه الكاتب

﴿ النوع الثاني ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ كتاب الله العزيز مع ادامة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا في فكره دائرا على لسانه ممثلا في قلبه فيكون ذاكرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة عليها فلله الحجة البالغة وكفى بذلك معينا له في قصده مغنيا له عن غيره . قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقال تعالى « تبيانا لكل شيء » . قال في المثل السائر : وكان بعضهم يقول لو ضاع لي عقال لوجدته في كتاب الله تعالى . قال في حسن التوسل : وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الأنس والجن عن الاتيان بسورة من مثله . فقد حكى ان سائلا سأل بعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى معنى قولهم الجار قبل الدار ؟ قال : في قوله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة » فطلبت الجار قبل الدار

وقد اختلف في جواز الاستشهاد بالقرآن الكريم في المكاتبات ونحوها فذهب اكثر العلماء الى جواز ذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه الى هرقل « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » . الى قوله « مسلمون » . وكتب ابو بكر الصديق

رضى الله عنه في عهده بالخلافة لعمر بن الخطـاب رضى الله عنهما « ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وكتب على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى آخر كتابه الى معاوية : قد علمت مواقع سيوفنا فى جـدك وخالك وأخيك وما هي من الظالمين ببعيد . وقال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » وكتب الى عامل من عماله فى صـدر كتاب : « قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسـدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ » وقال الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية حين نازعه فى الخلافة : « وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل ذلك . وكتب الحسن الى معاوية : « اما بعد فأن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة الى الناس اجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن ابى طالب الى المنصور لما حاربه فى صدر كتاب « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ...» الى قوله «ما كانوا يحذرون » ونقض عليه المنصور فى جوابه عن قوله فى كتابه (أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بقوله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» . وذهب قوم الى كراهة ذلك محتجين بما حكى عن الحسن البصرى انه بلغه ان الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية من كتاب الله تعالى . فقال أنسى نفسه حين كتب الى عبد الله بن مروان « بلغنى ان أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » قال فى حسن التوسل : واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن ان يكون انكاره على الحجاج لكونه انكر على غيره ما فعله هو . وذهب آخرون الى أن كل ما أراد الله تعالى به نفسه لا يجوز ان يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه كقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى . قال فى حسن التوسل : وقد اكثر الناس فى الاستشهاد فمفرط في الحسن ومفرّط . وأما تغيير شئ من اللفظ بغيره او احالة معنى عما أريد به فلا يجوز.

وينبغي العدول عن ذلك مهما امكن . قال في المثل السائر : واذا ضمنت الآيات فى أماكنها اللائقة ومواقعها المناسبة لها فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق.

اذا علمت ذلك فمن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجج وقطع النزاع وإذعان الخصم كما روى ان الحجاج قال لبعض العلماء : انت تزعم ان الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك فقرأ : (ومن ذريته داود وسليمان ...) الى ان قال (وعيسى ...) وعيسى هو ابن بنته فأسكت الحجاج . وأيضا فأن الآية الواحدة المستشهد بها فى بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والادلة القاطعة . فمن اخصر ما وقع فى ذلك وأبلغ ما حكي ان ملك الروم كتب الى الرشيد كتابا أغاظ فيه القول وتهدده فلما عرض عليه أمر كتابه ان يجيبوا عنه فأتوا بما لم يرضه فكتب : أما بعد فقد فهمت كتابك والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام على من اتبع الهدى . ويقال بل كتب : ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار . قال فى حسن التوسل : وأقرب ما اتفق من ذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله كتب الى ديوان الخلافة ببغداد كتابا يعدد فيه مواقفه فى إقامة دعوة بنى العباس بمصر فكتب فى جوابه : (يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) . وأخصر من ذلك كله وأبلغ ان الادفونش ملك الفرنج بالأندلس كتب الى يعقوب بن عبد المؤمن ملك المسلمين ببلاد المغرب وجزيرة الأندلس كتابا بخط وزير له يقال له ابن الفخار أبرق فيه وأرعد فكتب رحمه الله جوابه فى أعلى كتابه : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)

واعلم ان تضمين الكلام ببعض آى القرآن الكريم عند علماء البلاغة على ضربين : الضرب الاول الاستشهاد وهو أقلهما وقوعاً في الكلام ودوراناً فى الاستعمال . وهو أن يضمن الكلام شيئا منها على كونه من القرآن كقول الحريرى فى مقاماته : فقلت وانت اصدق القائلين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . وكقول أبى إسحاق الصابى فى عهد عن خليفة لملك : فاذا اطلع الله على نقاء جيبه ، وطهارة قلبه ، وصحة مروءته ، واستقامة

سريرته أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له مخلصا من الشبهة، ومخرجا من الحيرة، فقد قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . وكقول علاء الدين بن غانم فى تحميدة قدمة بصرع بعض رماة البندق لغلغة : نحمده على توفيقه الذى ساد به من ساد وسما ، واصاب بتفويقه بمعونة ربه طير السما ، فحسن ان يتلى له : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . وكما قلت فى اختتام بيعة لبعض الخلفاء أنشأتها امتحانا للخاطر : وهم يرغبون الى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور ، ويلجؤن اليه ان يجعل أئمتهم ممن أشار اليهم بقوله : الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور... الى غير ذلك من الاستشهادات التى لا تحصى كثرة

الضرب الثانى : الاقتباس . وهو أكثرهما وقوعا فى الكلام . وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن فلا ينبه عليه كقول ابن نباتة السعدى فى بعض خطبه : فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لا تسمعون ، فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ؛ وقوله : يوم يبعث الله العالمين خلقا جديداً ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، ثم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها و بينه امدا بعيدا ؛ وقول الحريرى : فلم يك الا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب . وقوله : أنا آتيكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليه ؛ وكقول الوزير ضياء الدين بن الاثير فى ذم البخل : ومن بسط يده فيه ثم قبضها ببخله فأنه يقف دون الرجال مغمورا ، ويقعد عن نيل المعالى محسورا ، وإذا أدركته منيته مضى وكان لم يكن شيئا مذكوراً ؛ وقوله فى وصف كاتب : له بنت فكر ما تمخضت بمعنى الا نتجته من غير ما تمهله ، وأتت به قومها تحمله ، ولم يعرض على ملأ من البلغاء الا ألقوا أقلامهم تستعيره لأيهم يكفله ؛ وقال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى من عهد السلطان : وخصك بانصار دينه الذين نهضوا بما امروا به من طاعتك وهم فارهون ، وقابوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ، وقوله من عهد المنصور لاجين : وجعل عدوه وأن أعرض بجيوش الرعب

محصورا ، وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل فى سفك الدماء فلم يسرف فى القتل انه كان منصورا ؛ وكما قلت في مقامة تتعلق بكتابة الانشاء : قلت ، قد بانت لى علومها ، فما رسومها ؟ قال ان اعباءها لباهظة حملا ، وانها لكبيرة إلا ، ولكن سأحدث لك مما سألت ذكرا ، وانبئك بما لم تحط به خبرا . الى غير ذلك من مواقع الاستشهاد .

قال في المثل السائر : والطريق فى استنباط المعانى من القرآن الكريم واستعمال الآيات في خلال الكلام ان تعمد الى سورة سورة من القرآن وتأخذ في تلاوتها ، وكلما مر بك معني أثبته فى ورقة مفردة حتى تنتهى الى آخرها ؛ ثم تاخذ في استعمال تلك المعاني التى ظهرت وادخالها فى خلال كلامك وكلما عادت التلاوة وكررتها ظهر لك من المعانى مالم يظهر لك في المرة التي قبلها حتى ان الآية الواحدة لتستعمل على عدة وجوه : فيورده الناثر الى معنى ثم ينقله الى معنى آخر كما وقع للوزير ضياء الدين ابن الاثير فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) فقال في دعاء فى صدر كتاب : من الحضرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى خطرها ، وقضى من العليا وطرها ، وأظهر على يديها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها ؛ ثم ابرزه فى معنى آخر فقال : اكرم النعم ماكان فيه ذكرى للعابدين ، وتقدمه انى رأيت احدعشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ؛ ثم نقله الى معنى آخر فقال في تقليد يكتب من ديوان الخلافة : فليزدد اعجابا بما ناله مواطئ أقدامه ولينظر الى سجود الكواكب فى يقظته لا فى منامه

(النوع السادس)

مما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وخصوصا فى السير والمغازى والأحكام ، وتأمل فصاحتها ، والنظر فى معرفة معانيها وغريبها ، وفقه ما لابد له من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعته ، ويستشهد لكل شئ فى موضعه ،

ويحتج بمكان الحجة، ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه، ويبني كلامه على أصل لايزلزل، ويسوق مقاصده الى سبيل لايضل عنه؛ فأن الدليل على المقصد اذا استند الى النص قويت فيه الحجة، وسلم له الخصم، وأذعن له المعاند. والفصاحة والبلاغة اذا طلبت غايتهما فأنهما بعد كتاب الله تعالى فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقال: انا أفصح من نطق بالضاد. وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يحتجون بالحديث ويستدلون به فى مواطن الخلاف والنزاع فينقاد الجموح ويستسهل الصعب؛ وقد رجع الانصار يوم السقيفة الى حديث: (الائمة من قريش) حيث رواه لهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه وأذعنوا له بعد ما اجتمعوا الى سعد بن عبادة وقالوا: منا أمير ومنكم أمير. ورجع عمر رضى الله عنه لحديث النهى عن دخول بلد فيه الطاعون فعاد الى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه ان به الطاعون وقال على رضى الله عنه فى حق الانصار: لو زالوا لزلت معهم؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أزول معكم حيثما زلتم). إذا تقرر ذلك فقد ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب ان الاحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها هي الاحاديث المتعلقة بالفقه واحكامه كقوله صلى الله عليه وسلم: البينة على المدعى واليمين على من انكر، والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار، والزعيم غارم، ولا وصية لوارث. الى غير ذلك من احاديث اخر اوردها من هذا الباب. والتحقيق ان حاجة الكاتب لاتختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه بل تتعلق بما هو اعم من ذلك خصوصا احاديث الحكم والأمثال والسير وما اشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به والاقتباس من معانيه فى فن الكتابة. قال في المثل السائر: وينبغى ان يكون اول ما يحفظه من الاحاديث كتاب (الشهاب فى المواعظ والآداب) للقضاعى فأنه كتاب مختصر وجميع ما فيه من الاحاديث يدخل فى الاستعمال من حيث انه يتضمن حكما وآدابا، فأذا حفظته وتدربت باستعماله حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل، وعند ذلك يتصفح صحيحى البخارى ومسلم، والموطأ، وجامع الترمذى، وسنن ابى داود، والنسائى، وغيرها من كتب الحديث؛ ويأخذ ما يحتاج اليه واهل مكة اخبر بشعابها. قال والذى تأخذه ان امكنك درسه وحفظه فهو المراد؛ وإلا فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمالها

فى كلامك حتى ترتقم على خاطرك، فأذا احتجت منها الى شئ وجدته وسهل عليك ان تأتي به ارتجالا . ثم قال : وأكثر الاحاديث تدخل فى الاستعمال ولا يخرج عنه الا القليل النادر . وذكر أنه امتُحن فى استعمال حديث : انه اختصم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبـد أو أمة ، فقال فى وصف كاتب بجمود الخاطر :واذا كشف خاطره وجد بايدا لا يخرج عن الكمه والعمه ، وان رام ان يستنتجه فى حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمه .

ثم اعلم ان تضمين الكلام شيئا من الاحاديث على ضربين: استشهاد واقتباس كما تقدم فى القرآن الكريم . فأما الاستشهاد فهو ان يضمن الكلام شيئا من الاحاديث وينبه عليه كقول ابى إسحاق الصابى فى وصـية عن خليفة لسلطان : وان تقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين، فأن ذمته ذمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ؛ وكقوله فى حفظ اللقطة من قضية عهد آخر : فأذا حضر صاحبها ، وعلم انه مستوجبها ، سلمت اليه ، ولم يعترض فيها عليه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضالة المؤمن من حرق النار . الى غير ذلك من الاستشهادات الواقعة فى كلامه وكلام غيره

واما الاقتباس فهو ان يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه كقول الحريرى فى بعض مقاماته : وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ؛ وقوله : شاهت الوجوه ، وقبح اللكع ومن يرجوه . وقد أكثر الوزير ضياء الدين بن الاثير من هذا الوجه وأتى منه بما نقف دونه الافكار كقوله فى دعاء كتاب : اعاذ الله ايامه من الغير ، وبين بخطر مجده نقص كل خطر ، وجعل ذكره زاداً لكل ركب وانساً لكل سمر ، ومنحه من فضله مالا عين رات ولا اذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر؛ أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف الجنة : فيها ما لاعين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ وقوله فى النصر على العدو : اخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النصر الذى نرجوه ، ونثرنا فى وجه العدو كفاً من التراب وقلنا شاهت الوجوه ، فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا ، واقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا . أخذ الاول من حديث غزوة حنين : ان النبى صلي الله عليه وسلم اخذ قبضة من

تراب والقى بها فى وجوه الكفار وقال : شاهت الوجوه ؛ واخذ الثانى من حديث غزوة بدر: ان رجلا من المسلمين اراد ان يضرب رجلا من المشركين فخر بين يديه ميتا قبل ان يصل اليه وسمع صوتا من فوقه يقول : اقدم خيزوم ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : ذلك من مدد السماء الثالثة . وكما قلت فى رسالة فى المفاخرة بين السيف والقلم : فقال القلم بسم الله تعالى استفتح ، وبحمده اتيمن واستنجح ، اذ من شأنى الكتابة ، ومن فنى الخطابة ، وكل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أجذم ، وكل كلام لا يفتتح بحمده فأساسه غير محكم ، ورداؤه غير معلم... اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم : كل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله او بحمد الله فهو اجذم . الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ النوع السابع ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب الاكثار من حفظ خطب البلغاء والتفنن فى اساليب الخطباء . قال ابو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب: وهي من آكد ما يحتاج اليه الكاتب وذلك ان الخطب من مستودعات سر البلاغة ومجامع الحكم: بها تفاخرت العرب في مشاهدهم ، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم ، بها يتميز الكلام ، وبها يخاطب الخاص والعام ، وعلى منوال الخطابة نسجت الكتابة ، وعلى طريق الخطباء مشت الكتاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله في الصناعتين : والرسائل والخطب متشاكلتان في انهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ؛ وقد يتشاكلان ايضاً من جهة الالفاظ والفواصل ، فالفاظ الخطب تشبه الفاظ الكتابة فى السهولة والعذوبة ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ؛ قال والفرق بينهما ان الخطبة يشافه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة فى ايسر كلفة . وقد كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريعان :ان ماتكلمت به العرب من اهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام اكثر مما تكلمت به من الموزون، إلا انه لم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من المنظوم عشره لان الخطيب انما كان يخطب فى المقام الذى يقوم فيه في مشافهة الملوك او الحمالات او الاصلاح بين العشائر

او خطبة النكاح، فاذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه؛ بخلاف الشعر فانه لا يضيع منه بيت واحد. قال ولولا ان خطبة قس بن ساعدة كان سندها مما يتنافسه الانام وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى رواها عنه فأطارذكرها ما تميزت مما سواها؛ ثم جاء الاسلام فرفع أمر الخطب وعظم شأنها. فأما خطب العرب في الجاهلية فأشهرها ذكرا وأرفعها قدرا خطبة قس بن ساعدة الآيادى التى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بسماعها منه يخطب بها الناس بسوق عكاظ وهي :

« أيها الناس، اسمعوا وعوا : من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج؛ ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تذخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة ! ان فى السماء لخبرا، وان فى الارض لعبرا ! ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا ! يقسم قس بالله قسما لا اثم فيه ان لله دينا هو ارضى له وأفضل من دينكم الذى انتم عليه، انكم لتأتون من الأمر منكرا ! »

واما خطب الاسلام فأعظمها شأنا وأفصحها مقالا وأبلغها معنى خطب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خطب الخلفاء الراشدين من بعده. فمن خطب النبي صلى الله عليه وسلم من رواية انس بن مالك رضى الله عنه :

« أيها الناس، كأن الموت على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون، نبوئهم أجداثهم ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس؛ طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس اهل الفقه والحكمة، وخالط اهل الذل والمسكنة؛ طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره؛ طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة »

ومن خطب ابى بكر الصديق رضي الله عنه خطبته يوم السقيفة حين اجتمع الأنصار الى سعد بن عبادة وقالوا للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير

« إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق، فدعا الى الاسلام، فأخذ

الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعانا اليه ، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع ؛ ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن مع ذلك أوسط العرب انسابا ليست قبيلة من العرب الا لقريش فيها ولادة . وأنتم أنصار الله الذين آووا ونصروا ، وأنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتم اخواننا في كتاب الله ، وشركاؤنا في دين الله وفيما كنا فيه من شر أو خير ، وأنتم أحب الناس الينا واكرمهم علينا ، واحق الناس بقضاء الله والتسليم لأوامر الله بما ساق الله لاخوانكم المهاجرين ، وأحق الناس ان لا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على انفسكم في الخصاصة ؛ وانما دعوتكم الى أبي عبيدة أو عمر فكلاهما قد رضيت لذلك الامر »

الى غير ذلك من خطبهم التي لا تحصى كثرة مما قد ذكرت الكثير منها في الأصل . فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة وعلم مقاصد الخطابة وموارد الفصاحة ، ومواقع البلاغة ، اتسع له مجال الكلام وفاض على لسانه في وقت الحاجة ما كمن من ذلك بين ضلوعه فأورده في نثره ، وضمنه في رسائله ، فاستغنى عن شغل الفكر فى استنباط المعانى البليغة والألفاظ الفصيحة التى لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد ، ولا يسمح خاطره بنظيرها ولو دأب . ألا ترى الى خطبة الصديق رضى الله عنه السابقة لو أراد مريد أن يوردها في صورة كتاب فى ذلك المعنى لساغ . على أن الخطب جزء من اجزاء الكتابة ونوع من أنواعها يحتاج اليها الكاتب في صدور بعض المكاتبات وفي البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض وكبار التواقيع والمراسيم والمناشير على ما سيأتى بيانه في مواضعه ان شاء الله تعالى

﴿ النوع الثامن ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ، ولطايف مخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ، وما ادعاه كل منهم لنفسه اولقومه ، ومانقضه عليه خصمه ، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها ، وتلقى الحوادث بما شاكلها ، والاقتداء بطريقة من أفلح منهم على خصمه ، واقتفاء أثر من اضطر الى عذر واثبات دعوى أو ابطالها فيلحن بحجته ويخلص بلطيف مأخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته . فأما مكاتباتهم

فمنها ما كتب به أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنهما الى ابن عباس رضى الله عنهما

« اما بعد فأن المرء ليسره درك مالم يكن ليحرمه، ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ؛ وليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن اسفك فيما فرطت فيه من ذلك ؛ وانظر ما فاتك من امور الدنيا فلا تكثر عليها جزعا ، وما نلت منها فلا تنعم به فرحا ؛ وليكن همك لما بعد الموت »

ومن ذلك ما حكاه الزبير بن بكار ان معاوية قال لعمرو بن العاص: ان رأس الناس مع علىّ ابنُ عباس فلو ألقيت اليه كتابا يرققه ، فأنه ان قال قولا لم يخرج عنه علىّ ، وقد أكلتنا هذه الحروب . فكتب الى ابن عباس كتابا منه :

« اما بعد فان الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وأنت رأس الناس بعد علىٍّ فانظر فى هذا الامر بعين ما مضى فوالله ما ابقت هذه الحروب لنا ولكم حياة. واعلم ان الشام لا يملك الا بهلاك العراق، وان العراق لا يملك الا بهلاك الشام ؛ فما خيرنا بعد إعدادنا فيكم ، وما خيركم بعد اعدادكم فينا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت الينا، ولكنا نقول : ليتها لم تكن . وان فينا من يكره اللقاء كما إن فيكم من يكرهه، وانما هو أمر مطاع ، أو مأمور مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت »

ثم بعثه اليه فأقرأ ابن عباس علياً الكتاب ، فقال : أجبه . فكتب اليه ابن عباس جواباً منه :

« اما بعد ، فأنى لا أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك : مال بك الى معاوية الهوى ، وبعته دينك بالخطر اليسير ، ثم خبطت الناس فى طحياء طمعا فى هذا الملك فلما لم تر شيئا أعظمت الدماء اعظام أهل الدين، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع لا تريد بذلك الا انك تهيبت الحرب . فأن كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك : فان هذه الحرب ليس علىّ فيها كمعاوية : بدأها علىّ بالحق، وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالظلم ، وانتهى فيها الى السرف »

ومن ذلك ان معاوية كتب الى على فى كتاب :

« أما بعد فانك لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت » فاجابه على : « لم تكن الجناية عليك ، حتى تكون المعذرة اليك »

ومن ذلك ان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط كتب الى جعفر المنصور كتابا منه : « فأنا أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أما وأبا ، لم تلدنى العجم ، ولم تعرق فيّ امهات الاولاد ؛ وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم » . فأجابه المنصور : « وأما قولك انه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك امهات الاولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا ، وأصلا وفصلا : فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك اين تكون من الله تعالى غداً : وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من على ابن الحسين وهو لأمّ ولد . وأما ماذكرت من انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد ابى ذلك فقال : ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ؛ ولكنكم قرابة »

واما محاوراتهم ومراجعاتهم فمن ذلك ان معاوية حج فاستدعى بامرأة من بنى كنانة يقال لها « الدارمية » وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فقال لها : ماحالك يا ابنة حام ؟ فقالت : لست لحام ادعي ان عبتنى فأنا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت ؛ اتدرين لم استدعيتك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : استدعيتك لأسألك علام احببت عليا وابغضتينى وواليتيه وعاديتينى ؟ قالت : أو تعفينى ياأمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت فأنى أحببت عليا على عدله فى الرعية وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت عليًا على ما عهد له من الولاية وعلى حبه المساكين وإعظامه لأمر الدين ، وعاديتك على سفك الدما ، وجورك فى القضا ، وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجزتك . قالت : ياهذا ، بهند كانت تضرب الأمثال لا بى . قال : ياهذه ، اربعى فأنا لم نقل الا خيراً : انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها ارتوى رضيعها ، واذا ربت عجيزتها رزن مجلسها . فسكنت . قال : فهل رايت عليا ؟ قالت : لقد كنت رايته . قال : كيف رأيتيه ؟ قالت : رأيته لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطيب من الصدا . قال .

صدقت ، فهل لك من حاجة . قالت : او تفعل اذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : اغذى بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واصالح بها بين العشائر . قال : فأن اعطيتك ذلك فهل احل عندك محل على ؟ قالت : ماء ولا كصدّاء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك . فأمر اذاً بطلبتها وانشد

اذا لم اعد بالحلم مني اليكم فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: اما والله لو كان علياً ما اعطاك منها شيئا قالت: والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

ومن ذلك ماحكاه صاحب العقد ان المنصور خطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس، اتقوا الله . . . فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : اذكرك الذى ذكرتنا به . فأجابه المنصور بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله ، واعوذ بالله ان اذكرك به وانساه فتأخذنى العزة بالأثم ، لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين . واما انت فوالله ما اللهَ اردت بهذا ، ولكن ليقال : قام ، فقال ، فعوقب ، فصبر : واهون بها لو كانت . وانا انذركم ايها الناس اختها ، فأن الموعظة علينا نزلت ، ومنا انبثت. ثم رجع الى مكانه من الخطبة

ومن ذلك ما يحكى عن الربيع انه قال : كنا وقوفاً على راس المنصور وقد وضع لابنه المهدى ولى عهده وسادة اذ اقبل صالح ابنه الثانى ، وكان قد رشحه ان يوليه بعض امره ، فقام بين السماطين والناس على قدر انسابهم ومنازلهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده اليه ثم قال : الىّ يا بنى ! فاعتنقه ، ونظر في وجوه اصحابه فقال : هل احد يذكر مقامه ، و يصف فضله ؟ فكلهم كره ذلك هيبة للمهدى . فقام شبة بن عقال التميمى فقال : لله در خطيب قام عندك يا امير المؤمنين ! ما افصح لسانه ، واحسن بيانه ، وأمضى جنانه ، وأبلّ ريقه ، واسهل طريقه ، وكيف لا يكون كذلك وامير المؤمنين ابوه ، والمهدى اخوه ، وهو كما قال زهير بن ابى سلمى

يطلب شأو امرأين قدما حسنا بذ الملوك و بذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا

او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا .

قال الربيع فأقبل عليّ بعض من حضر وقال : والله ما رايت مثل هذا محاجياً : ارضى امير المؤمنين، ومدح الغلام، وسلم من المهدى : فالتفت اليّ المنصور وقال : يا ربيع لا ينصرف التميمى الا بثلاثين الف درهم

ويحكى ان رجلا دخل على المهدى ولى عهد المنصور فقال . يا امير المؤمنين ان امير المؤمنين المنصور شتمني وقذف امى؛ فأما امرتنى ان احلله، واما عوضتنى فاستغفرت له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمت عدوه بحضرته فغضب ، فقال : ومن عدوه الذى غضب اشتمه ؟ قال : ابراهيم بن عبد الله بن حسن . قال : ان ابراهيم أمس به رحماً، واوجب عليه حقاً : فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب ، وعن عرضه دفع؛ وما اساء من انتصر لابن عمه . قال : انه كان عدوا له . قال : فلم ينتصر للعداوة، وانما انتصر للرحم . فأسكت الرجل . فلما ذهب ليولى قال : لعلك اردت امرا فلم تجد له ذريعة عندك ابلغ من هذه الدعوى . قال : نعم . فتبسم وامر له بخمسة آلاف درهم

ومن ألطف مخاطباتهم ما حكي ان وفود العرب وفدت على هشام بن عبد الملك يشكون جدب الحجاز فقال أصغرهم سناً : يا امير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاثة : احداها اذابت الشحم، والثانية اكلت اللحم، والثالثة ابلت العظم، وفي ايديكم فضول اموال: فأن كانت من مال الله فأنفقوا في عباد الله ، وان كانت لهم فردوا فيئهم من مالهم ، وان كانت لكم فتصدقوا عليهم فأن الله يجزى المتصدقين . قال هشام : لله دره لم يترك لنا في واحد عذراً

وحكى ان عبد العزى بن زرارة وفد على معاوية وهو سيد اهل الوبر . فلما اذن له وقف بين يديه وقال : يا امير المؤمنين لم ازل اهز ذوائب الرجاء اليك ، ولم اجد معولا الا عليك ، أمتطي الليل بعد النهار، وأسم المجاهل بالآثار ، يقودني اليك امل ، ويسوقني اليك بلوى ، والمجتهد يعذر ، واذ بلغتك فقط(١) فقال معاوية : فاحطط عن راحلتك وخلها (٢) وخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية الى المصائف وابوه زرارة

---

(١) لعله يريد : وإذ بلغتك فحسبي وكفى ، فأن قط بمعنى حسب ؛ وقد أهملها التنوء ووقف بالكلام عند قوله : واذ بلغتك ، وأثبتها التسبيح (٢) فى الصبح : رحلها

عند معاوية فهلك هنالك: فكتب يزيد الى ابيه معاوية بذلك . فقال معاوية لزرارة : اتانى اليوم نعي سيد شباب العرب . فقال : زرارة ياامير المومنين هو ابني او ابنك. قال: بل ابنك . فقال : للموت ما تلد الوالدة .

قال في حسن التوسل : فالنظر فى هـذا وامثاله ' والحفظ منه ، والاكثار من مطالعته مما يشحذ القرائح ' و يفتق الاذهان و يرتسم في الخواطر ' ويكمن في الافكار حتى يفيض منه مافاض على اسان القلم ويبدو اكل واقعة منوال ينسج عليه ومثال ينظر في نظائره اليه

﴿ النوع التاسع ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاشعار التى هي مادة الكتابة التالية بعد القرآن الكريم والاحاديث النبوية على قائلها افضل الصلاة والسلام خصوصا أشعار العرب وما توفرت دواعي العلماء على اختياره كالحماسة ، والمفضليات ' والاصمعيات' وديوان هذيل ' والمعلقات السبع وما اشبه ذلك' وفهم معانيها' واستكشاف غوامضها' والتوفر على مطالعة شروحها . ويلحق بذلك شعر المولدين من العرب وهم الذين كانوا فى اول الاسلام كجرير' والفرزدق' والاخطل' وغيرهم ؛ وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلقين من المحدثين كأبي تمام' ومسلم بن الوليد' والبحترى' وابن الرومى والمتنبى؛ ومهرة المتأخرين كالواواء الدمشقي ' والبها زهير' وابن النبيه' وابن شمس الخلافة' ومن جرى مجراهم .

اما شعر العرب والمولدين فلما فى ذلك من غزارة المواد، وصحة الاستشهاد، وكثرة النقل' وصقل مرآة العقل، وانتزاع الأمثال' والاحتذاء فى اختراع المعانى على اصح مثال ، والاطلاع على اصول اللغة وشواهدها ' والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها . وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء حتى ان امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يقدم زهير بن ابى سلمى فى الشعر فقيل له : بم استحق ذلك عندك . قال : لم يكن يعاضل بين القول، ولا يتتبع حوشي الكلام' ولا يصف الرجل الا بما يكون في الرجال. ويذكر عن الامام الشافعي او غيره من الائمة أنه كان يحفظ ديوان هذيل . فلا يخفى

أن شعر العرب هو ديوان أدبهم ومستودع حكمهم وأنفس علومهم في الجاهلية : به يفتخرون واليه يحتكمون . فأذا أكثر الكاتب من حفظه وفهم معانيه غزرت لديه المواد وترادفت عليه المعاني وتوالت على فكره

واما شعر المحدثين فلالطف مأخذهم، ودوران الصناعة في كلامهم، وقرب اسلوبهم من اسلوب الخطابة والكتابة لا سيما المتنبي الذى كأنه ينطق على ألسنة الناس في محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله وا كتفى بالبيت الواحد من شعره في الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض. أما قول الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى　　　لكنت اليوم أشعر من لبيد

فأنه يريد صرف الهمة الى الشعر بحيث يصير شأن الانسان وديدنه والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : لأن يملأ أحدكم جوفه قيحاً خير من أن يملأه شعرا . والا فقد قال صلى الله عليه وسلم : ان من الشعر لحكمة . وكان عمر رضى الله عنه يسمع البيت فيعجبه فيكرره مرات كما ذكره الجاحظ وغيره

واعلم أن للكاتب في استعمال الشعر ثلاث طرق : الطريق الاول . الاستشهاد: وهو أن يورد البيت من الشعر او البيتين أو أكثر في خلال الكلام المنثور مطابقا لمعنى ما تقدم من النثر ولا يعتبر فيه ان ينبه عليه بقوله : قال، ونحوه كما يعتبر ذلك في الاستشهاد بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية على ما تقدم . فأن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من انواع الكلام فلا يحتاج الى التنبيه عليه كما كتب القاضي الفاضل في صدر كتاب الى بعض اخوانه يتشوق اليه :

« فيارب ان البين اضحت صروفه　　　على ومالى من معين فكن معي

على قرب عذالى و بعد احبتي　　　وامواه اجفاني ونيران اضلعى

هذه تحية القلب المعذب، وسريرة الصبر المذبذب، وظلامة عزم السلو المكذب، اصدرها للمجلس وقد وقد في الحشا نارها الزفير اوارها ، والدموع شرارها ، والشوق آثارها ، وفي الفؤاد ثارها

لو زارني منكم خيال هاجر　　　لهدته في ظلماته انوارها

أسفا على ايام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والاسرار، ومباسم الثغور

والاوطار ، وتذكر الاوقات عذب مذاقها، وامتـد بالانس رواقها، وزوجت بكرها، وروجت ذكرها

والله مانسيت نفسى حـلاوتها فكيف اذكرانى اليوم اذكرها »

الطريق الثانى : التضمين . وهو أن يضمن البيت اونصفه ابعض القرينة كما كتب القاضى الفاضل :

« وصل من الحضرة

كتاب به ماء الحياة ونقعه الـــحيا فكأنى اذ ظفرت به الخضر

فوقفت عنده منه على

عقود هي الدر الذى انت بحره وذلك مالا يدعي مثله البحر

ورتعت منه في

رياض يد تجني وعين وخاطر تسابق فيه النور والزهر والثمر

وكرعت منه في حياض

تسر مجانيها اذا ما جنى الظما وتروى مجاريها اذا بخل القطر »

وأما تضمين نصف البيت فكما كتب القاضى الفاضل :

« وصل كتاب مولاى بعد ما « أجاب المنـادى للصلاة فأعتما » . فلما استقر لدى « تجلى الذى من جانب البدر أظلما » ، فقرأته « بعين اذ استمطرتها امطرت دما »

وربما ركبت القرينة الكاملة على البيت اونصف البيت كما كتب به القاضى الفاضل أيضا :

ورد كتاب الحضرة بعد أن عددت الليالى لطلوع صديعه(١) « وقد عشت دهرا لاأعد اللياليا »، و بعد ان انتظرت القيظ والشتاء افصل ربيعه، « فما للنوى ترمى بليلى المراميا »، واستروحت الى نسيم سحره، « اذا الصيف أتى فى الديار المراسيا »، ومددت يدى لاقتطاف ثمره، « فلله ما أحلى وأحمى المجانيا » . . .

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة كما ذكرت فى المفاخرة بين السيف والقلم على لسان السيف فى مخاطبته للقلم؛ فقلت : « . . . لكنى قد نلت من هذه الرتبة أسنى المقاصد ، وشهدت معه من الوقائع مالم تشاهد ، وحلانى من كفه شرفا لا يزول

---

(١) الصديع : الصبح ، وقيل : الفجر لانصداعه أو لأنه بصدع الليل يعنى يشمه

حليه أبدا، وقمت بنصره فى كل معترك « فسل حنيناً وسل بدرًا وسل احدًا »

وقد يضمن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ثم يستطرد ليذكر أبياتا كاملة الأجزاء على نمط أنصاف الابيات التى يوردها كما كتب الشيخ ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبى فى كتاب كتب به من فتى من الصعيد بمصر الى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بالقاهرة في جواب مكاتبة . منه :

و ينهى ورود عذرائه التى لها « الشمس خدن والنجوم ولائد » ، وحسنائه التى « لها الدر لفظ والدرارى قلائد » ، ومشرفته التي « لها من براهين البيان شواهد » ، وكريمته التى « لها الفضل ورد والمعالى موارد » ، و بديعته التى « لها بين أحشائى وقلبى معاهد »

وآيتها الكبرى التي دل فضلها على أن من لم يشهد الفضل جاحد
وأنك سيف سله الله للهدى وليس لسيف سله الله غامد

وقد يخالف بين قوافي انصاف الأبيات الممزوجة ببعض القرائن كما يخالف بين فواصل القرائن كما كتب البديع الهمذانى :

أنا لقرب دار مولاى « كما طرب النشوان مالت به الخمر » ، ومن الارتياح الى لقائه « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ومن الامتزاج بولائه » كما التقت الصهباء والبارد العذب » ، ومن الابتهاج بمزاره « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب» . . . الى غير ذلك من فنون الامتزاج التى يزاوج فيها بين المنثور والمنظوم. واعلم أنه ربما قام البيت الواحد مقام الكتاب البليغ من الكتابة به كما كتب بعض كتاب الخلفاء عن الخليفة بالانذار والحث على الطاعة :

أناة فأن لم تجد عتب بعدها وعيد فأن لم يجد أجدت عزائمه

وكما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرموم

الطريق الثالث : الحل . وهو أن يعمد الكاتب الى الابيات من الشعر ذوات المعانى البديعة فيحلها من عقد الشعر ويسبكها في كلامه المنثور. قال في الريحان والريعان: وهو شأن حذاق الكتاب في زماننا ، وفيه من الجمال فنون. وقال في المثل السائر: وانما جعل

المنظوم مادة للمنثور بخلاف العكس لان الاشعار اكثر والمعانى فيها أغزر . قال : وسبب ذلك ان العرب الذين هم أصل الفصاحة كان جل كلامهم الشعر فلا يوجد المنثور فى كلامهم الا يسيرا ، وان كثر فأنه لم ينقل عنهم ؛ وقد اودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال تعالى: « ألم تر انهم فى كل واد يهيمون » . ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ' واستمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والمنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر . قال فى الريحان والريعان : وأول من فك رقاب الشعر ومرح مقيده الى النثر عبد الحميد الاكبر كاتب بنى أمية الى انقضاء خلافتهم . قال : وربما رامه غير المطبوع المتصرف فعقده وأفسده كما قيل : و بعضهم يحل فيعقد قال في حسن التوسل : والحل باب يتسع على المجيد مجاله ' وتتصرف فى كلام العارف رويته وارتجاله . قال : وكيفية الحل ان يتوخى البيت المنظوم ويحل فرائده من سلكه ، ثم يرتب تلك الفرائد وما يشابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها في أحسن سلك ، وأجمل قالب وأصح سبك ، ويكملها بما يناسب من أنواع البديع إذا أمكن من غير كلفة ، و يتخير لها القرائن ؛ واذا تم له المعنى المحلول في قرينة واحدة فيضيف له من حاصل فكره او من ذخيرة حفظه ما يناسبه ؛ وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده الى ما شاء : فان كان نسيبا وتأتي له ان يجعله مديحا فليفعل ، وكذلك غيره من الانواع ؛ واذا أراد الحل بالمعنى فلتكن الفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ' فمتى قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا ؛ واذا حل اللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل الا مع مراعاة تدبير الفصاحة واجتناب ما ينتقص المعنى . قال : وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه ولا حجر على التصرف فيه

واعلم ان حل الابيات الشعرية واستعمالها فى النثر على ثلاثة اصناف :

﴿ الصنف الاول ﴾

(أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فينثره بلفظه وهو أدنى مراتب الحل)

قال في المثل السائر وهو عيب فاحش اذا لم يزد فى نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير . قال : ومثله كمن أخذ عقدا قد اتقن نظامه وأحسن تأليفه

فأوهاه و بدده ، وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله او احسن منه : وايضا فانه إذ نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال: هذا شعر فلان بعينه ؛ لكون الفاظه باقية لم يتغير منها شئ . و بالجملة فنثر الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين :

الحال الاول -- ان يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض الفاظه وتأخير بعضها . وله فى ذلك طريقان

الطريق الاول -- ان يحله بالتقديم والتأخير من غير زيادة فى لفظه كما ذكر صاحب الصناعتين عن بعض الكتاب انه حل قول البحترى :

أطل جفوة الدنيا وتهوينَ شأنها ... فما الغافل المغرور فيها بعاقل

يرجي الخلود معشر ضل سعيهم ... ودون الذى يرجون غول الغوائل

اذا ما حريز القوم بات وماله ... من الله واق فهو بادى المقاتل

فقال فى نثرها : اطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها فما المغرور الغافل فيها بعاقل ، ويرجو معشر ضل سعيهم الخلود وغول الغوائل دون مايرجون ، واذا بات حريز القوم وماله واق من الله فهو بادى المقاتل . فلم يزد فى ألفاظها شيئا

الطريق الثانى -- ان يحله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قايب المعتزلى انه سمع منشدا ينشد للمتنبي :

افلت بطالته وراجعه ... حلم وأعقبه الهوى ندما

ألفي عليه الدهر كلكاه ... واعاره الاقتار والعدما

فاذا ألم به اخوة ثقة ... غض الجفون ومجمج الكلما

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من اهله : جعلنى الله فداك ليس هو اليوم كما كان . انه وحياتك أفلت بطالته ، اى والله وراجعه حلمه ، وأعقبه وحقك الهوى ندما . أخنى الدهر عليه بكلكله فهو اليوم اذا رأى أخا ثقة غض بصره ومجمج كلامه . . . فزاد فى نثره ألفاظا على ألفاظ الشعر

الحال الثانى -- ان يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها فيحتاج في نثره الى الزيادة فيه والنقص منه حتى استقيم كقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فأن المصراع الثانى من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير وانما ينحل بزيادة وتغيير بخلاف المصراع الاول فأنه يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول فيه : فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف؛ ولايمكن ذلك فى المصراع الثاني حتى يزيد فيه او ينقص فيقول مثلا : فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف ، كما تقدم ، ثم يقول : وصورته من اللحم والدم فضلة لا غنى بها دونهما ولا معول عليها الا معهما . قال في الصناعتين : وزيادة الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن بسط الألفاظ فى أنواع المنثور سائغ . ألا ترى انها تحتاج الى الازدواج ، ومن الازدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك بقبيح الا إذا اتفق لفظاهما : الا أن أكثر ما يحسن فيه ايراد المعنى على غاية ما يمكن من الايجاز . ومعنى قوله : فلم يبق الاصورة اللحم والدم ، داخل فى قوله : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ، والمصراع الثانى تذييل للأول . قال : فأذا أردت ان تحله حلا مقتصرا بغير لفظه قلت : الانسان شطران لسان وجنان

﴿ الصنف الثاني ﴾

(وهو أعلى من الصنف الاول ، أن ينثر المنظوم ببعض الفاظه ويأتى عن البعض بألفاظ أخر ، ويحسن ذلك فى حالتين) :

الحالة الاولى — ان يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الالفاظ مقامها بأن تكون مثلا سائرا ، أو جارية مجرى المثل كقول بعض شعراء الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

فأن لفظ « بنو اللقيطة » لا يقوم غيره من الالفاظ مقامه لوقوعه علما على قوم مخصوصين ، فيحتاج الناثر أن يبقيه بلفظه كما فعل الوزير ضياء الدين بن الاثير فى قوله فى نثر البيت المذكور : لست ممن يستبيح ابله بنو اللقيطة ولا الذى اذا هم بأمر كانت الآمال اليه وسيطة ، ولكني أحمى العمل ، وأفوت الامل ، وأقول : سبق السيف العذل . . . قلت : ويحكي ذلك ما حللت من قول الشاعر

اذا مضر الحمراء كانت عشيرتى   وقام بنصرى خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت   يداى الثريا نائماً غير قائم

فخلته فى المفاخرة بين السيف والقلم بأن قلت : فعطس كل منهما بأنف شامخ غير مسلم للآخر ولا مسالم ، ومد للعليا يد المطاولة فتناول الثريا نائما غير قائم ... وكذلك كل ما جرى هذا المجرى

الحالة الثانية — ان يكون فى البيت لفظ رائق قد اخذ من الفصاحة بزمامها وأحاط من البلاغة بجوانبها فيبقيه على حاله ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه . قال في المثل السائر: وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشاكلة ومؤاخاة الالفاظ الباقية من البيت بالالفاظ المرتجلة ؛ فأنه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء بما فى ذلك من التعرض للقدح والاستهداف للطعن . قال : وهو عندى أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه لأنه مسلك ضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ماهو فى غاية الحسن والجودة بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فأن ناثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته . ومثل لذلك بقول ابى تمام

حذّاء تملأ كل أذن حكمة   وبلاغة وتدرّ كل وريد

ثم قال : فقوله « تملأ كل أذن حكمة وبلاغة » من الكلام الحسن ، وهو أحسن مافى البيت ؛ وقد نثر ذلك فقال يصف كلام نفسه . « وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر ، فلو قال قائل : لمن هذا ؟ قيل : وهل يخفى القمر ؛ واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة ، ولم يخش عليه سرقة إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ؛ ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة » . فبقى لفظة « يملأ كل أذن حكمة » وأتى معها بما يناسبها من الألفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ماذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى أنه يؤاخى القرينة بالقرينة كما فعل هو فى تقاليد أنشأه فقال : فكم ملّ ضوء الصبح مما يغيره ، — ثم قال : وظلام النقع مما يثيره ، — ثم قال بعد ذلك : وفلّ حديد الهند مما يلاطمه ، — ثم قال : والأجل مما يسابقه الى قبض النفوس ويزاحمه ... والقرينتان الأوليان نصفا بيتين للمتنبى . فأضاف الى كل قرينة ما يناسبها ، وذكر ان هذا أكثر ما يستعمل فى الكتابة

﴿ الصنف الثالث ﴾

(وهو اعلى من الصنفين الاولين، ان يأخذ معنى الشعر فيكسوه الفاظا من عنده و يصوغه بلفظ غير لفظه)

قال فى المثل السائر: وثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته و يعلم مقدار تصرفه فى صناعته وان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون اولى بذلك المعنى من صاحبه الاول . ولتعلم ان الأبيات الشعرية فى حلها بالمعنى لها حالان :

الحال الاول — ان يكون البيت مما يتسع المجال لناثره فى نثره فيورده بضروب من العبارات . قال ابن الاثير : وذلك عندى أشبه بالمسائل السيالة فى الحساب التى يجاب عنها بعدة من الاجوبة . فمن ذلك قول المتنبي

لا تعذل المشتاق في أشواقه   حتى تكون حشاك فى احشائه

فهذا البيت يتصرف فى نثره فى وجوه من المعانى . وقد نثره بن الاثير فقال : لا تعذل المحب فيما يهواه ، حتى تطوى القلب على ما طواه . ثم نثره على وجه آخر فقال : اذا اختلف العينان فى النظر، فالعذل ضرب من الهذر . وعلى هذا النهج يجرى قول ابن الرومي فى وصف الحديث

وحديثها السحر الحلال لو انه   لم يجن قتـل المسـلم المتحـرز

نثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في وصف السيوف فقال : وكفى السيوف فخرا انها للجنة ظلال، وإلى النصر مآل ، واذا كان من بين الحديث سحر فأن بيان حديثها عمن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله الى وصف الأسنة فقال : حسب ألسنة الأسنة شرفا ان كشف خبايا القلوب يذم الا منها ، وان بث اسرار الضمائر تكره روايته الا عنها ، فمكرر حديثها في ذلك لا يفضي الى ملال ، واذا لم يكن حسن حديثها الذى يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال . ثم نقله الى وصف البلاغة فقال : البلاغه تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا ، وتحيل الهوى المدرك بالسمع لانسجامه وعذوبته فى الذوق نهرا ، لكنه سحر لم يجن قتـال المسلم فيتأول في حله ،

وان كان فى الحديث ما هو عقلة المستوفز فهذا أنشوطة نشاط البليغ وحل عقال عقله .
ثم نقله الى وصف الكتابة فقال : خطه شرك العقول ، وفتنة تشغل المطمئن بملاحة
المرئى المكتوب عن فصاحة المسموع المعقول ، ولو لم يكن البيان سحرًا لما تجسدت منه
فى طرسه هذه الدرر، ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النّفس عما يهتدى
به من هذه الاوضاح والغرر

الحال الثانى — ان يكون الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر تبديل الفاظه .
وذلك قليل بالنسبة لما يتسع فى حله المجال . قال فى المثل السائر : وسببه ان المعنى
ينحصر فى مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتى الا فذًّا . فمن ذلك قول المتنبى

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

فأن ابا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة ،وذلك ان الروم قصدوا حصنا من
حصون سيف الدولة بن حمدان فانتزعوه وهدموه ثم ظهر عليهم سيف الدولة فانتزعه
منهم وأعاد عمارته وحصانته ونصب جملة من جثث القتلى على السور فنظم ابو الطيب
فى هذا قصيدته التى اولها : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم » الى أن انتهى الى
ذكر الحصن فأتى بهذا البيت فأبرز صورة الحال في معنى التمثيل بالجنون والتمائم :
وذلك مما لا يمكن تبديل لفظه . وحينئذ فيجب على الناثر حسن الصنعة في حله ونثره .
وقد نثره ابن الأثير فقال : سرى الى حصن كذا مستعيذًا منه سبية نزعها العدو اختلاسا ،
وأخذها مخادعة لا اقتراسا ، فما نزلها حتى استقادها ولا نازلها حتى استعادها فكأنما
كان بها جنون فبعث عليها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رءوس القتلى تمائم .
ثم قال : وفى هذا من الحسن ما لا خفاء فيه فمن شاء ان ينثر شعرا فلينثر هكذا والا
فليترك . ثم نقله الى معنى آخر بعد أن أضاف اليه البيت الذى قبله وهو قوله

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

فنثرهما فقال : بناها والاسنة فى بنائها متخاصمة، وأمواج المنايا فوق أيدى البانين
متلاطمة وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل
الجنون فعلقت عليها تمائم من الرءوس والأجساد ولا شك ان الحرب تعرّد عمن
عز جانبه وتقول ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه ؛ وقال هذا أحسن من الاول وأتم

معنى — قلت : وقد استعملت هذا المعنى في كتاب كتبته الى المقر الاشرف الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وهو صحبه المقام الشريف السلطانى المؤيدى شيخ بالشام في سنة تسع عشرة وثمانمائه عند بعثه برءوس من عصي عليه من الامراء فعلقت على باب زويلة وقد أخذ فى بناء الجامع المؤيدى بجواره ، فقلت :وحملت رءوسهم على الرماح فكانت لها عمائم، وخيف على باب زويلة لمجاورة الجامع العين فعلق عليه منها تمائم . وهذا باب متسع وفيما ذكرته منه ارشاد لما لم يذكر

﴿ النوع العاشر ﴾

الاكثار من حفظ امثال العرب نثرا ونظما ، والنظر في الكتب المصنفة في ذلك كامثال ابى عبيد الميدانى ، والمفضل بن سلمة الضبى ، وحمزة الاصبهانى ، والقمى ، وغيرهم ؛ وكذلك امثال المولودين الواردة في اشعارهم كالأمثال الواردة فى شعر جرير، والفرزدق ونحوهما ؛ وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم أيضاً كأبى العتاهية ، وأبى تمام، والمتنبى وما يجرى مجرى ذلك من الامثال الموضوعة على السنة الحيوان عن العرب وغيرهم ليستشهد بذلك فى موضعه ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بنى عليه : لأن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم؛ وهذه الالفاظ الواردة فى المثل دالة عليها معبرة عن المراد بها بأخصر لفظ وأوجزه. ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من هذه الالفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات ، وليس في كلامهم الكثير الدوران أخصر منها. ولما كانت الامثال كالرموز والاشارات التى يلوح بها الى المعانى ، تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا وحيث كانت بهذه المرتبة فلا ينبغى الاخلال بمعرفتها . قال صاحب العقد : والامثال هي وشى الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعانى وهي التى تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها فى كل زمان على كل لسان . فهى أبقى من الشعر واشرف من الخطابة لم يسر شئ كسيرها ولا عم عمومها حتى قالوا « أسير من مثل » والى ذلك يشير الشاعر بقوله

ماأنت الا مثل سائر   يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله تعالى الامثال فى كتابه العزيز في غير موضع من القرآن فقال « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال فى غير موضع .فأما الامثال الواردة نثرا فضربان

الضرب الاول — ان يصرح بذكر المثل فى الكلام . وعلى ذلك أكثر امثال القرآن الكريم والسنة النبوية . فما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بأذن ربها ـ الى ان قال ـ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار »؛ وقوله جلت قدرته « وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »؛ وقوله « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعني ... ومما ورد في السنة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا » فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله ، والداعي القرآن . الى غير ذلك من الامثال

الضرب الثانى — ان لا يصرح بذكر المثل فى القرآن بل تقع الاشارة اليه بكلام يسير . وعليه ورد بعض آي القرآن كقوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ونحوه . وعلى ذلك ورد اكثر امثال العرب * ثم منه ما هو قريب من الفهم لظهور معناه وكثرة دورانه على الألسنة ، ومنه ماهو على خلاف ذلك . فالقريب من الفهم مثل قولهم :عند الصباح يحمد القوم السرى . وهو مثل يضرب للترغيب في السير في الليل والحث عليه . وأول من ارسله مثلا خالد بن الوليد رضى الله عنه : قاله فى صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت فى طريقه من العراق الى الشام . ومن أمثال المحدثين فى ذلك قولهم : المؤمن لا يكون حبلى * والبعيد من الفهم مثل قولهم : ان يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر . وهو يضرب لمن ينكر الامر الظاهر عنادا . وأصله

ان بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس ليلة البدر : فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر ظاهر ، وقالت طائفة يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس ؛ فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما . فقال واحد منهم : ان قومي يبغون عليّ . فقال الحكم : ان يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر ؛ فجرت مثلا . قال في المثل السائر : ومن المعلوم ان قول القائل : ان يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر اذا أخذ على صبغته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد اعطاه المثل بل كان يفهم من هذا القول معنى لا يفيد؛ لان البغي هو الظلم، والقمر ليس من شأنه ان يظلم احدا فيصير معنى المثل : إن كان يظلمك قومك فلا يظلمك القمر ؛ وهو كلام مختل المعنى غير مستقيم

واما الامثال الواردة نظما فهي كلمات استحسنت في الشعر وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس تداولها الناس وأجروها مجرى الامثال النثرية كقول طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالنصف الأخير منه ، وقد روى أنه كان يخرجه عن الوزن ويحوله عن طريق الشعر فيقول : ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فرارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه العليّ ؛ على أنه صلى الله عليه وسلم انما هو ممنوع من نظم الشعر لا من إنشاده . فقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ؛ أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ماخلا الله باطل . ويروى ان عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلومه   على شعث أي الرجال المهذب

وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضى الله عنهم كثير . وكذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في اشعارهم مايستظرف كقول القاضي الأرجاني

تأمل منه تحت الصدغ خالا   لتعلم كم خبايا في الزوايا

استعمل فيه المثل السائر في قولهم : في الزوايا خبايا . الى غير ذلك من الأمثال الواردة في هذا الباب

وأما الامثال الموضوعة على ألسنة الحيوانات فكما روى ان أمير المؤمنين على بن

ابى طالب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الصحابة وتخاذلهم تمثل بقولهم : انما أكلت يوم أكل الثور الابيض ، يعنى : انما خُذلت يوم خذل عثمان . وأصل ذلك ما يحكى من قولهم إنه اصطحب اسد، وثور أحمر، وثور أسود ، وثور أبيض فى أجمة ؛ فقال الأسد للأحمر والاسود : هذا الابيض يفضحنا بلونه ويُطمع فينا من يقصدنا ، فلو تركتمانى آكله أمِنا فضيحة لونه ؛ فأذنا له فى ذلك ، فأكله . ثم قال للأحمر : هذا الأسود يخالف لونى ولونك ، ولو بقيت أنا وأنت ظنك من يراك أسدا مثلى، فدعنى آكله . فسكت عنه ، فأكله . ثم قال للثور الاحمر : لم يبق الا انا وأنت ، وأريد ان آكلك . فقال ان كنت فاعلا ولا بد فدعنى أصعد تلك الهضبة وأصيح ثلاثة أصوات . فقال : افعل ماتريد . فصعد وصاح ثلاثة اصوات : ألا انما أكلت يوم أكل الثور الابيض ؛ فجرت مثلا ... الى غير ذلك من الامثال الواردة في هذا الباب

فأذا أكثر الكاتب من حفظ الامثال السائغ استعمالها انقادت اليه معانيها وسيقت اليه الفاظها في وقت الاحتياج اليها فى نظائرها من الوقائع والأحوال فأودعها فى مكانها واستشهد بها في موضعها . والطريق في استعمالها في النثر كما في حل الشعر واستعماله في النثر، الا أن الامثال لا يجوز تبديل لفظها ولا تغيير اوضاعها لأنها بذلك عرفت واشتهرت . وقد أكثر حذاق الكتاب في استعمالها في كلامهم وايرادها في خلال نثرهم بحسب ما يقتضيه الحال و يسوق اليه الكلام . فمن ذلك قوله في التعريف في وصية أمير مكة: وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء ينزه ان يلحق به فحش عابها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتتبعها « وأهل مكة أخبر بشعابها » . وقد وقع هذا المثل في كلامه أحسن موقع اذ أتى به في مكانه اللائق به ومحله المخصوص بوضعه . وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نباته فاستعمله في غير هذا المعنى فجاء منحطا عن هذه الرتبة ، فقال فى وصية خطيب : ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو كأهل مكة أخبر بشعابها .

ومما حلّ من الامثال الواردة نظما قول القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصية أمير مكة على وفود الحجيج : فليأخذ بمن أطاع الله من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد فأن العبد لا يزجره الا العصا . استعمل فى ذلك قول ابن دريد فى مقصورته

واللوم للحرّ مقيم رادع والعبد لا يردعه الا العصا

ومما استعمل من الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوان ما قلته في موضوع امتناع الصلح: وأنى يتم الصلح وشجة ذات الصفا بعدُ ما اندملت ، ولسان ملامتها يتلو بأي ذنب قتلت، وراعى سائمة المراوضة ينظر الى قبر أخيه فيذكر مساءته ' ولسان الآثار ينشد اذا وترت امرأ فاحذر عداوته . استعملت فيه حال الحية التى كانت تخرج من جحر وتعطي البدوى الذى كان يرعى الغنم في واد كل يوم دينارا ، فظن أنها على كنز فأراد قتلها ليأخذ الكنز ' فتناول مسحاة وارتقبها حتى خرجت من الجحر وضربها فشج رأسها ، فوثبت عليه فقتلته ، فجاء اخوه فأخذه ودفنه في قبر وأقام يرعى الغنم مكانه فى ذلك الوادى ؛ ثم أتى الحية فقال لها : ان أخي كان ظالما لك ، فأن رأيت ان تعطينى الدينار الذى كنت تعطينه له كل يوم فتبقى الصحبة بينى وبينك فافعلى . فقالت : ان ذلك لا يتم ، لأنى كلما نظرت لشجة رأسى ذكرت صنع أخيك فىّ ' وأنت كلما نظرت الى قبر أخيك ذكرت قتلى اياه فلا تنتظم بيننا صحبة . ومنه قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة من توقيع بنظر مدرسة : وكيف لا وهو نعم الناظر والانسان ، وفي مصالح القول والعمل ذو اليدين واللسان ، وذو العزائم الذى تقيدت في حبه الرتب ومن وجد الاحسان . استعمل فيه البيت المشهور: « ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا » وأتى فيه بالاكتفاء فزاد فى كلامه حسنا وطلاوة .

ومما استعمل من امثال المحدثين نثرا قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى وصف خطيب من جملة توقيع : ومن إذا قام فريداً عدّ بألف من الرجال تنظم ، واذا أقبل في سواد طيلسانه واحدًا قيل جاء السواد الأعظم . فاستعمل المثل السائر فى قولهم « السواد الاعظم » يريدون الجم الغفير . ومن ذلك ماذكرته فى المفاخرة بين السيف والقلم وهو : وأظهر كل منهما ما كان يخفيه فكتب وأملى ' وباح بما يكنه صدره والمؤمن لا يكون حبلى . فاستعملت المثل السائر فى قولهم « المؤمن لا يكون حبلى » . . الى غير ذلك من الاستعمالات التى لا تحصى كثرة

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

معرفة ايام العرب ، وتسمية الايام التى كانت بينهم ، ويوم كل قبيلة على الاخرى وما جرى بينهم من الاشعار والمناقضات ' وذكر فارس مشهور وملك مذكور وواقعة معينة لشخص خاص ، وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ' أو يرد عليه فى مكاتبة من ذكر يوم مشهود او فارس معين ' أو غير ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية أو جرى فى الاسلام ؛ فأن الكاتب اذا لم يكن عارفا بالوقائع عالما بما جرى فيها لم يدر كيف يجيب عما يرد اليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها

فأما ايام الحروب فهى التى كان يقع فيها القتال بين قبائل العرب فيسمى ذلك اليوم تارة باسم المكان وتارة باسم سبب الحرب وتارة بغير ذلك كيوم جرار ، وهو جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ' وكانت الحرب فيه بين ربيعة وقبائل اليمن ' وكانت الغلبة فيه لربيعة ؛ ويوم عين أباغ ، وهو موضع يقال له ذات الخيار ، وكانت الحرب فيه بين غسان ولخم ' وفيه قتل المنذر بن ماء السماء فانهزمت لخم ؛ ويوم الكديد ، وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فيه فارس كنانة ربيعة بن مكدّم ؛ ويوم ذى قار ، وكان بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى ابرويز ملك الفرس ' وكانت الغلبة فيه للعرب على العجم ... الى غير ذلك من ايام الحرب التى لا تحصى كثرة . وقد افردها ابو عبيد بتصنيف ، وأورد فى العقد جملة منها ، وفي آخر الامثال للميدانى جملة صالحة من ذلك

وأما ايام المفاخرة فهى الأيام التي وقعت المفاخرة فيها بين قبائل العرب كما حكى ابن الكلبي ان كسرى ابرويز قال للنعمان بن المنذر يوما : هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : نعم ، قال : فبأى شئ ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ' ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلة فيه وينسب اليه . قال ، فاطلب ذلك . فطلبه فلم يجده الا فى آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زرارة ، وآل ذى الجدين ، وآل الاشعث بن قيس بن كندة . فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم وأقعد لهم الحكام والعدول وقال : ليتكلم كل رجل منكم بما تر قومه وليصدق . فكان حذيفة

ابن بدر الفزاري اول متكلم ، وكان أسن القوم . فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة الصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ؟ .. قيل: صدقت ثم قام شاعرهم فقال :

فـزارة بيت العـز والعز فيهم　　فزارة قيس حسب قيس نضالها

لها العزة القعساء والحسب الذي　　بناه لقيس في القديم رجالها

في أبيات أخرى . ثم قام الاشعث الكندي فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وانا لغياث الكربات ، ومعدن المكرمات . قالوا: ولم يا أخا كندة ؟ قال : لانا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الاعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم . ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست ابيات الرجال ببيتنا　　وجدت لنا فضلا على من يفاخر

فمـن قال كلا أو اتانا بخطـة　　ينافـرنا فيهـا فنحن نخـاطر

تعالوا قفوا كي يعلم النـاس اينا　　له الفضـل فيما اورثتـه الاكابر

ثم قام بعده بسطام الشيباني فذكر مآثر قومه؛ ثم حاجب بن زرارة التميمي ففعل كذلك ، ثم قام بعده قيس ابن عاصم السعدي فأتى بمثل ذلك . فقال كسرى : حينئذ ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه واسنى حباءهم واعظم صلاتهم ... الى غير ذلك من المفاخرات الواقعة بينهم . وقد اوردت جملة منها في الاصل . فاذا اكثر الكاتب من معرفة ايام العرب من حرب او مفاخرة ومن يعد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومفلقي شعرائها وما جرى بينهم في ذلك من الخطب والاشعار والمناقضات كان مستعدا لما يستشهد به كما قال ابو تمام يمدح بني شيبان

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها　　وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار امالت سيوفكم　　عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير بذلك الى ان حاجب بن زرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جدب فقال له الحاجب : من أنت ؟ قال . رجل من العرب . فلما دخل على كسرى قال له : من انت ؟ قال : سيد العرب . قال : ألم تقل بالباب انك رجل من العرب : قال : كنت

بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سدّتهم . فلا فه دراً . فشكا اليه محل الحجاز وطلب منه حمل الف بعير بُرّاً علي ان يبعث اليه بقيمتها بعد قفوله الى الحجاز. فقال : وما ترهنني على ذلك ؟ قال : قوسي . فاستعظم همته وامر له بطلبته فأخذها وذهب فمات بعد ذلك فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا قوس ابيهم . فافتخر بنو تميم بذلك فاشار ابو تمام فى شعره الى هذه القضية . . . وكما قال ابو نصر الفتح بن خاقان فى خطبة كتابه قلائد العقيان : لو جاوره كليب ما طرق حماه ، أو استجار به احد من الدهر حماه ، او كان بوادى الاخرم ، لطاف به ربيعة واحرم ، اواستنجده الكندى ما كساه الملاءه ، او كان حاضر بسطام لما خر على الألاءه » ؛ وكما قلت في المفاخرة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر الامير ابى يزيد الدوادار الموضوعة له : « فلو لقيه فارس عبس لولى عابسا ، او طرق حمى كليب لبات من حماه آيسا ، او قارعه ربيعة ابن مكدّم لعلا بالسيف مفرقه ، اونازله بسطام لبدد جمعه وفرقه » . الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . . . . قلت : وقد ذكرت فى الاصل هنا جملة فى أنساب العرب وقبائلهم وأوابدهم التى كانوا يعتقدونها وكثيرمن احوالهم ووقائعهم فليراجعها فيه من اراد الوقوف على ذلك

﴿ النوع الثانى عشر ﴾

النظر فى كتب التاريخ والمعرفة بأحواله وتفاصيلها وما جرياتها واحوال الملوك والاعيان والحوادث والوقائع ليحتج بكل واقعة منها في موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها ؛ فأنه متى اخل بمعرفة ذلك احتج بالقضية فى غير موضعها اونسبها الى غير من هي له او ألبس عليه خصمه باستشهاد بواقعة لاحقيقة لها

واعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له . ومن أهم ما يحتاج اليه الكاتب من فنونه أمور «الاوائل» ، وهي المعرفة بأول من وضع كل أمر من الامور المهمة ورتبه ، واول من قال كذا ، واول من تسمى بكذا ، ومعرفة نوادر الامور ولطائف الوقائع والماجريات وما يتعلق من ذلك بالملوك واحوال الدول ومشاهير الناس والاتفاقيات . وقد ذكرت في الاصل من هذه الامور ما فيه مقنع مما لم يجتمع فى غيره . فاذا أكثر الكاتب من معرفة

الامور التاريخية عرف كيف يتصرف فيما يكتب وأورد كل قضية في موضعها .
وانت اذا نظرت الى رسالة الوليد بن زيدون التى كتبها على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري توبيخ من استمالها عنه لنفسه علمت وجه انتفاع الكاتب بفن التاريخ وموقعه من فن الكتابة . ألا ترى الى قوله : . . . حتى خلت ان يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حامل غاشيتك ، وقيصر راعي ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا فى طاعتك ، وأزدشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ، وشيرين نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة انما أردف لك ، وعروة بن جعفر انما رحل اليك ، وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك ، وجساساً انما قتله بمنعتك ، ومهلهلاً انما طلب ثاره بهمتك ، والسموءل انما وفى عن عهدك ، والأحنف انما احتبى فى بردك ، وحاتماً انما جاد بوفرك ، ولقى الأضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك ، والسليك بن السلكة انما عدا على رجليك ، وعامر ابن مالك انما لاعب الأسنة بيديك ، وقيس بن زهير انما استعان بدهائك ، واياس ابن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان وائل انما تكلم بلسانك ، وعمرو ابن الأهتم انما سحر ببيانك ، وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحمالات في دماء عبس وذبيان أسندت الى كفالتك ، وان احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن إشارتك ، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن مشورتك ، والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك ، وأفسد ذات بينهم بكيدك ، وأن هرمس اعطى بلينوس ما اخذ منك ، وافلاطون أورد على أرسطاطاليس ما حدث عنك ، وبطليموس سوى الاسطرلاب بتدبيرك ، وصور الكرة على تقديرك ، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلدك فى العلاج ، وسألك عن المزاج ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء ، وأنك نهجت لأبي معشر طريق الفضاء ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ، وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ، وجعلت للكندى رسما استخرج به الدقائق ،

وأن صناعة الألحان اختراعك ، وتأليف الأنقار توليدك وابتداعك ، وأن عبدالحميد ابن يحيي بارى أقلامك ، وسهل ابن هارون مدون كلامك ، وعمرو بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك . . . الى غير ذلك من الأمور التاريخية التى انتظمها سلك هذه الرسالة . وقد أوردتها بجملتها فى الأصل

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

المعرفة بأنواع العلوم الشهيرة التى تقع الولايات السلطانية لأربابها كالتفسير والقرآن والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع والهندسة وعلم النجوم وما يجرى مجرى ذلك ومعرفة أعيان أهلها والمصنفين في كل علم منها وأسماء الكتب المصنفة فيه ومصطلح كل علم والألفاظ المتداولة بين أهله وما في معنى ذلك ليتوصل بذلك الى ذكر ما يحتاج لذكره في انشائه من تفاصيل هذه الامور التى يحسن الكلام بايرادها وينقح بذكرها . وقد ذكرت في الاصل هنا من العلوم والكتب المصنفة ما فيه غنية للناظر في استعلام ذلك . فاذا عرف الكاتب هذه العلوم وماصنف فيها من الكتب امكنه التصرف فيها في كتابته بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه وذكر كتاب مصنف في ذلك العلم حيث تدعو الحاجة الى ذكره كما وقع لى في تقريظ مولانا قاضى القضاة شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن الكنانى البلقينى الشافعى :

« ان تكلم فى الفقه فكأنما بلسان الشافعى تكلم ، والربيع عنه يروى والمزنى يتعلم ، أو خاض في اصول الفقه قال الغزالى هذا هو الامام باتفاق ، وقطع السيف الآمدى بأنه المقدم فى هذا الفن على الاطلاق ، اوجرى في التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الاوحد ، وأعطاه ابن عطية صفقة يده بأن مثله فى التفسير لا يوجد ، واعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن الغوامض ، وقال الأمام فخر الدين هذه مفاتيح الغيب واسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض ، أوأخذ فى القراآت والرسم أزرى بأبى عمرو الدانى ، وعدا شأو الشاطبى فى الرائية وتقدمه فى حرز الامانى ، أوتحدث فى الحديث شهد له السفيانان بعلو الرتبة في الرواية ، واعترف له ابن معين فى التبريز والتقدم فى الدراية ، وهتف الخطيب البغدادى بذكره على المنابر ، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد تتعين الرحلة ، وفى

محصيلها تنفد المحابر، أوأبدى فى أصول الدين نظرا تعلق منه أبو الحسن الأشعرى بأوفى زمام، وسدّ باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء : ليتنا لم نفتح بابا فى الكلام، أو دقق النظر فى المنطق بهر الابهرى فى مناظرته، وكتب الكاتبى وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته، أو ألمّ بالجدل رمى الارموى نفسه بين يديه، وجعل العميدى عمدته فى آداب البحث عليه، أو بسط فى اللغة لسانه اعترف له ابن سيدة بالسيادة، وأقر بالعجز لديه الجوهرى وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفادة، اونحا الى النحو والتصريف أربى فيه على سيبويه، وصرف الكسائى له عزمه فسار من البعد اليه، أووضع أنموذجا فى علوم البلاغة وقف عنده الجرجانى، ولم يتعد حده ابن ابى الاصبع ولم يجاوز وضعه الرمانى، أو روى أشعار العرب أزرى بالاصمعى فى حفظه، وفاق أبا عبيدة فى كثرة روايته وغزير لفظه، أو تعرض للعروض والقوافى استحقهما على الخليل، وقال الأخفش عنه أخذت المتدارك واعترف الجوهرى بأنه ليس له فى هذا الفن مثيل، أو أصل فى الطب أصلا قال ابن سينا هذا هو القانون المعتبر فى الاصول، وأقسم الرازى بمحيى الموتى أن بقراط لو سمعه لماصنف الفصول، أو جنح الى غيره من العلوم الطبيعية فكأنما طبع عليه، أو جذبه بزمام فانقاد ذلك العلم اليه، أوسلك فى علوم الهندسة طريقا لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم، وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك وولى وهو كظيم، وحمد المؤتمن بن هود عدم اكمال كتابه الاستكمال وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم، أو عرج على علم الهيئة لاعترف أبو الريحان البيرونى انه الاعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح هذا العالم قطب هذه الدائرة، أو صرف الى علم الحساب نظره لقال السموءل بن يحيى لقد أحيى هذا العز الدارس، وانجابت عن هذا العلم غياهبه حتى لم يبق عمة لعامه ولا غمة على ممارس

وقد وجدت مكان القول ذا سعة   فان وجدت لسانا قائلا فقل»

﴿ النوع الرابع عشر ﴾

﴿ المعرفة بالاحكام السلطانية ﴾

ليعرف كيف يخاص قلمه على حكم الشريعة المطهرة وما يشترط فى كل ولاية من

الشروط فينبه عليها ويقف عندها وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له فيورده فى وصاياه. وقد أورد أقضى القضاة ابو الحسن على بن حبيب الماوردى رحمه الله تعالى فى « الاحكام السلطانية » له من ذلك ما فيه مقنع، وأوردت في الاصل مالا غنى بالكاتب عنه من معرفة احوال الامامة والوزارة وانقسامها الى وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ، وتقليد الامارة على البلاد، والامارة على الجهاد، والولاية على ضروب المصالح، وولاية القضاء، والمظالم، والنقابة على ذوى الانساب، وأمور الصلاة والحجيج، والصدقات وقسم الفيء والغنيمة، ووضع الجزية والخراج، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد، وإحياء الموات، واستخراج المياه، والحمى، والاوقاف، وأحكام الاقطاع، وأحكام الديوان، وأحكام الجرائر، وأحكام الحسبة. فاذا عرف الكاتب حكم كل ولاية من هذه الولايات، وما يوجب توليتها، وما يعتبر فى متوليها من الشروط، وما يلزمه من الامور إذا تولاها، وما ينافى امورها ويجانب احوالها، عرف ما يأتى من ذلك وما يذر فيكون ما ينشئه من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع وما يجرى مجرى ذلك جاريا منه على السداد ماشيا على القواعد الشرعية التى من حاد عنها ضل ومن سلك خلاف طريقها ذل. وكذلك لمناشير المتعلقة بالاقطاعات وعقد الجزية والمهادنات والمفاسخات وما يجرى مجرى ذلك من الامور السلطانية

وهذه فقر من بيعة أنشأتها لخليفة توضح ما أشرت اليه من ذلك. فمن ذلك ما قلته فيها مشيرا الى وجوب القيام بالامامة : « أما بعد فأن عقد الامامة لمن يقوم بها من الواجب بالاجماع، مستند لاقوى دليل تنقطع دون نقضه الاطماع، وتنبو عن سماع ما يخالفه الاسماع» * — ومن ذلك ما قلته أيضا فيها مشيرا الى اجتماع شروط الخلافة فى المولى: «وكان فلان أمير المؤمنين هو الذى جمع شروطها فوفاها، واحاط منها بصفات الكمال واستوفاها، ورامت به ادنى مراتبها فبلغت أغياها، وتسور معاليها فرقي الى اعلاها، واتحد بها فكان صورتها ومعناها » * — ومن ذلك ما قلته فيها مشيرا الى عقد البيعة : « فجمع اهل الحل والعقد المعتبرين للاعتبار والعارفين بالنقد من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأرباب الرأى والنصحاء، واستشارهم فى ذلك فصوبوه، ولم يروا العدول عنه الى غيره بوجه من الوجوه ...» فلولا العلم بالاحكام السلطانية لما تأتى

ذكر هذه الاعتبارات وايرادها في مواضعها

﴿ تنبيه ﴾

قد أوردت فى الاصل طرفا فى جملة مايحتاج اليه الكاتب من وصف الانسان والخيل والابل والبغال وجليل الوحش كالاسد والنمر وغيرهما وجوارح الصيد وجليل الطير ونفيس الاحجار وأنواع الطيب وغير ذلك مما تقدمت الاشارة اليه فأخرته لأذكر مايحتاج اليه من ذلك عند ذكر أوصافها ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيما يحتاج اليه الكاتب من صنعة الكلام وكيفية انشائه وفيه طرفان)

﴿ الطرف الاول ﴾

(فى اصول يجب على الكاتب ان يعرفها قبل الخوض في صنعة الكلام وهي ستة أصول)

﴿ الاصل الاول ﴾

(فى النظر فى المعانى والالفاظ وأحكامها)

فأما المعانى فهى سر الكلام وخلاصة المقصود منه . فقد قال فى الصناعتين: المعانى من الالفاظ بمنزلة الابدان من الثياب ، بل المعانى هي أرواح الالفاظ وغايتها التى لأجلها وضعت وعليها بنيت ؛ فالالفاظ تابعة والمعانى متبوعة ، واحتياج صاحب البلاغة الى اصابة المعني اشد من احتياجه الى تحسين الالفاظ ؛ لانه اذا كان المعنى صوابا واللفظ منحطًا ساقطًا عن اسلوب الفصاحة كان الكلام كالانسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه ؛ وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الانسان الميت الذى لاروح فيه ولو كان علي أحسن الصور وأجملها . قال فى المثل السائر : وانما اعتنت العرب بالالفاظ فأصلحتها وهذبتها لان المعانى أقوى عندها واكرم عليها وأشرف قدرًا فى نفوسها . ولما كانت الالفاظ عنوان المعانى وطريقا الى اظهار اغراضها اصلحوها وزينوها و بالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد . قال فى الصناعتين : ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل

الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ماتهيأ له فى الاولى . ألا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها الى اللسان العربى ؟ وقد قسم أبو هلال العسكرى المعانى الى خمسة أقسام :

﴿ القسم الاول منها ﴾ — ان يكون المعنى مستقيما حسنا كقولك: رأيت زيدا. قال وهو أعلى الانواع الخمسة وأشرفها . فمن المعني المستقيم الحسن من الشعر فى الوعظ قول النمر بن تولب يذم طول الحياة

يكاد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء اذا رام القيام ويحمل

وفى وصف الايام قول ابى تمام

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وفى المدح قول الآخر

هم الأولى وهبوا للمجد انفسهم فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

وفى الفخر قول الآخر

ولست بنظار الى جانب الغني اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وفى الغزل قول النظام

توهمه طرفى فآلم خده فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحه قلبي فآلم كفه فمن صفح قلبي فى أنامله حفر

ومر بفكرى خاطرا فجرحته ولم ار خلقا قط تجرحه الفكر

وفى النسيب قول القائل

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه .

ومن المعنى المستقيم الحسن فى النثر قول القاضى الفاضل : وأنتم يا بنى أيوب لو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم، وقلدتم أيامه صوارم ، وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم ، وأيامكم : أعراس ومآتم ، فيها على الاموال مآتم ، والجود فى أيديكم خاتم ، ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم . . . الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ القسم الثانى من المعانى ﴾ — ان يكون المعنى مستقيما قبيحا كقولك : قد زيدا رأيت. قال فى الصناعتين وانما قبح لانك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير . وهذا النوع

يسميه علماء المعانى « التعقيد » وسماه ابن الاثير « المعاظلة المعنوية » وهو تقديم ما الاولى به التأخير كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف . وهو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان . ومنه قول الفرزدق يمدح خال هشام بن عبد الملك

الى ملك ما أمه من محـارب   أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد : الى ملك ابوه ما أمه من محارب ، والمعنى ما أمُّ أبيه من محارب ؛ يمدحه بذلك ذما لمحارب . وسيأتى الكلام على ذلك فى الكلام على الفصاحة فيما بعد ان شاء الله

﴿القسم الثالث من المعانى﴾ — أن يكون المعنى مستقيما ولكنـه كذب ، كقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ، وما أشبه ذلك . ولتعلم ان أكثر المعاني المستعملة فى الشعر والكتابة جارية على هذا الاسلوب لا سيما المعانى الشعرية فأنها مقـدمات تخيلية تؤثر فى النفس انقباضا وانبساطا على ما هو مقرر في علم المنطق . وقد قال فى الصناعتين ان أكثر الشعر مبنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادة والالفاظ الكاذبة ، وليس يراد منه الاحسن اللفظ وجودة المعنى ؛ فهذا الذى يسوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه . قال ابن ابى الاصبع : وقد اختلف فى المبالغة ، فقوم يرون أن أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، وقوم يرون ان المبالغة من عيوب الكلام ولا يرون من محاسنه الا ما خرج مخرج الصدق وجاء على منهج الحق ، ويزعمون ان المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن ان يخترع معنى ، أو يفرع معنى من معنى ، أو يحلى كلامه شيئا من البديع ، أو ينتخب ألفاظـا موصوفة بصفات الحسن ويجيد تركيبها . فأذا عجز عن ذلك كله عدل الى المبالغة ليسد بها خلاله ويتم نقصه لـما فيها من التهويل على المسامع . قال : ونحن نرى كثيرا من الكلام والاشعار جاريا على الصدق المحض وهو في غاية الجودة ونهاية الحسن وتمام القوة . ثم قال : وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ومن كان مذهبه توخي الصدق فى شعره غالبا ليس فوق أشعارهم غاية لمرتقٍ . وانظر الى قول زهير

ومهما يكن عند امرئٍ من خليقة   وان خالهـا تخفى على الناس تعلم

وقول الحطيئة

من يفعـل الخير لا يعدم جوازيه   ان يذهب العرف بين الله والناس

وناهيك بقول حسان رضي الله عنه

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

والذى يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق فى أشعارهم على الكذب أن الحرورية امرأة عمرو بن حطان قاضي الصفرية من الخوارج قالت لزوجها يوما : أنت اعطيت الله تعالى عهدا أن لا تكذب فى شعرك فكيف قلت :

فهناك مجزأة بن ثو ر كان اشجع من أسامه

فقال : ياهذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة قط . . . والتحقيق ان المبالغة اذا لم تخرج عن حد الامكان ولم تجر مجرى الكذب المحض لا تذم ، كقول قيس ابن الحطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها من وراءها

فانه وان بالغ غاية المبالغة لم ينته الى حد الاستحالة بخلاف ماخرج منها عن حد الامكان فأنه مذموم كقول البحتري

ولو قست يوما حجلها بحقابها لكان سواء لا بل الحجل أوسع

فأنه وصفها بدقة الخصر وغلظ الساق حتى جعل حجلها الذى يدور على ساقها أوسع من حقابها الذى يدور على خصرها

﴿ القسم الرابع ﴾ — ان يكون المنى مما لم يمكن كونه ألبتة كقولك : آتيك أمس وأتيتك غدا ، وما أشبه ذلك . قال فى الصناعتين : وهو قليل الوقوع فى الشعر كقول عبد الرحمن بن عبد الله القس

وإني إذا ماالموت حل بنفسها يزال بنفسى قبل ذاك فأقبر

قال فى الصناعتين : فهذا من المحال الذى لا وجه له ؛ وهو شبيه بقول القائل : اذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله ؛ يعنى ان كلا منهما متوقف على الآخر فيلزم الدور . قال : فان اتصل الكذب بمحال صار كذبا محالا كقولك : رأيت قاعدا قائما ، ومررت بيقظان نائم ؛ فانه كذب للاخبار بغير الواقع ، ومحال لعدم امكان الجمع بين النقيضين

القسم الخامس — أن يكون المعنى غلطا ، وهو ان تريد الكلام بشئ فيسبق لسانك الى خلافه كقولك : ضربني زيد ، وأنت تريد : ضربت زيدا . قال في الصناعتين وهذا أكثر وقوعا في الكلام من الذى قبله ؛ وقد وقع فيه الفحول من الشعراء كقول المرار

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاء بادٍ دجونها

فشبه الخال بالبدر ، والمعروف ان الخال أسود . وقول ذى الرمة

اذا انجابت الظلماء أضحت رءوسها عليهن من جهد الكرى وهي ضلع .

فوصف الرءوس بالضلع وهو العوج ... الى غير ذلك من الغلط الذى لا تكاد تحصر أنواعه

وأما الألفاظ فقد تقدم في الكلام على المعانى ان الألفاظ من المعانى بمنزلة الثياب من الأبدان ولا خفاء في أن الوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية والقبيح يزول عنه بذلك بعض القبح ، كما ان الحسن ينقص حسنه برثاثة ثيابه وعدم بهجة ملبوسه والقبيح يزداد قبحا الى قبحه بمثل ذلك . وقد ذكر في الصناعتين هنا مايدل على تعظيم شأن الالفاظ وعلو مرتبتها فقال : ليس الشأن في ايراد المعانى ، لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى ؛ وانما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف . قال : وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ماتقدم من نعوته . ثم قال : ومن الدليل على أن مدار البلاغة تحسين اللفظ ان الخطب الرائعة والاشعار الرائقة ماعملت لإفهام المعانى فقط ، لأن الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام ؛ وانما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشيه : وأكثر هذه الأوصاف يرجع الى الألفاظ دون المعانى ، وتوخى صواب المعانى أحسن من توخى هذه الأمور في الألفاظ ؛ فلهذا يتأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة ويبالغون في تجويدها و يغلون فى ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ؛ ولو كان الامر في المعانى لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا . وأيضا فأن الكلام اذا

كان لفظه حلوا عذبا سلسا سهلا ومعناه وسطا دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر . ألا ترى الى قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

ليس تحته كثير معنى ؛ ومع ذلك فهو رائق معجب بخلاف ما اذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا فاترا فأنه يكون مستهجنا مرفوضا كقول أبى العتاهية يرثى أبا عثمان سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا ابا عثمان ابكيت عينى يا ابا عثمان أوجعت قلبي

فأنه منحط الى الغاية

الاصل الثانى

﴿ الفصاحة في اللفظ المفرد ﴾

مما يجب معرفته قبل الخوض في صنعة الكلام : الفصاحة والبلاغة . فأما الفصاحة فهى في أصل اللغة « الخلوص » . يقال أفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وافصح الاعجمى اذا أبان بعد أن لم يكن يبين ، وأفصح الرجل عما في نفسه اذا أظهره . ويوصف بها المفرد ، والكلام ، والمتكلم ؛ فيقال : لفظ فصيح ، وكلام فصيح ، ومتكلم فصيح . والفصاحة في المفرد اعتبر فيها المحققون من علماء المعاني أربع صفات

(الصفة الاولى)

سلامة اللفظ من تنافر الحروف وهو ما يثقل النطق به ويعيب وجعله في الايضاح على مرتبتين :

﴿ المرتبة الأولى ﴾ — مايخف الثقل فيه بعض الخفة كلفظ « مستشزرات » في قول الشاعر

غدائره مستشزرات الى العلى تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فالغدائر : الذوائب ، والمستشزرات بفتح الزاى بمعني « مرفوعات » وبكسرها بمعنى « مرتفعات » ، والمدارى : أسنان المشط ، والمثنى والمرسل صفتان للشعر . وانما وقع الثقل فى « مستشزرات » لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاى وهي مجهورة

﴿ المرتبة الثانية ﴾ ـــ ماتكون الكلمة فيه متناهية في الثقل وعسر النطق بها كما يحكى ان أعرابيا سئل عن ناقة فقال : تركتها ترعى « الهعخع » بضم الخاء المعجمة والهاء ، ويقال : « الخعخع » بخاءين معجمتين مضمومتين ، ويقال : « العهعخ » بضم العينين المهملتين ؛ ثم قيل إنه نبت ، وقيل : شجر ، وقيل : هي كلمة معاياة لا أصل لها فى اللغة

﴿ الصفة الثانية ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب كقريش وغيرهم وهو لقلة استعماله عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ثم صار غريبا بالنسبة لمن بعدهم فأنه فصيح وإلا لزم ان يكون جميع مافى كتب غريب القرآن والحديث غير فصيح وهو ممتنع كما أشار اليه السبكى في شرح التلخيص . واعلم أن صاحب المثل السائر قد جعل ، الألفاظ على أصناف :

﴿ الأول ﴾ ـ المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم فى كل زمان ، وهو ما تداول استعماله الأول والآخر وهلم جرا الى زماننا كالسماء والارض والليل والنهار والحر والبرد وما أشبه ذلك ؛ وهو أحسن الألفاظ وأعذبها وأعلاها درجة وأغلاها قيمة . قال فى المثل السائر : وأنت اذا نظرت الى كتاب الله العزيز الذى هو أفصح الكلام وجدته سهلا سلسا ، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا مع انه قد أنزل في زمن العرب العرباء وكفى بالقرآن قدوة . وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم « ما أنزل فى التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن » يريد فاتحة الكتاب ، وألفاظها من أسهل الالفاظ وأقربها يفهمها كل أحد حتي صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة : فأن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه. قال : وقد كانت العرب في الزمن القديم تتحاشي اللفظ الغريب فى نظمها ونثرها وتميل

الى السهل وتستعذبه وانظر الى قول امرئ القيس وهو أفحل شعراء الجاهلية كيف يقول

فلو أنما أسعي لأدني معيشة   كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

تجده في غاية السهولة والوضوح . وأمثال ذلك في كلامهم كثير

﴿ الثانى ﴾ ـ الغريب المتوحش عند كل قوم في كل زمن . وهو مالم يكن متداول الاستعمال فى الزمن الاول ولا ما بعده بل كان مرفوضا عند العرب فمن بعدهم ؛ ويسمى « الوحشى » نسبة الى الوحش لنفاره و « الحوشى » نسبة الى الحوش وهي النفار ، ويقال هي بلاد الجن وراء رمل يبرين حيث لا يسكن أحد من الناس ؛ ور بما قيل فيه « الغليظ ، والعكر ، والمتوعر » قال في المثل السائر : والناس في قبح استعماله سواء لا يختلف فيه عربى بادٍ ولا قروى متحضر وليس وراءه في القبح درجة ؛ وهو ما مجه سمعك ونباعنه لسانك وثقل عليك النطق به . ومثل له بلفظ « جحيش » من قول تأبط شرا

يظل بموماة ويمسى بغيرها   جحيشا و يعرورى ظهور المسالك

ولفظ « اطلخم » في قول أبى تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت   عشواء تالية عبسًا دهاريسا

و بلفظ « جفخت » في قول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم   شيم على الحسب الاغرّ دلائل

وجحيش بمعنى فريد ، واطلخم بمعنى اشتد ، وجفخت بمعنى فخرت

﴿ الثالث ﴾ ـ المتوحش فى زمن دون زمن . وهو ما كان متداول الاستعمال في زمن العرب ثم رفض وترك بعد ذلك كقول بعض الاعراب في وصف ابل . كومٌ بها زر ، مكدٌ خناجر ، عظام الحناجر ، سباط المشافر . . . فى كلام آخر ؛ يريد بالكوم جمع « كوماء » وهي الناقة العظيمة ، والمكد جمع « مكود » وهي الناقة الغزيرة اللبن ، والخناجر جمع خنجور وهي الغزيرة اللبن أيضا ، والعظام الحناجر الغلاظ الاعناق ، وسباط مسترسلات ، والمشافر جمع مشفر وهو من الناقة كالجحفلة من الفرس . ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى . قال في المثل السائر : وهذا ومثله لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم غريبا ولا لديهم وحشيا . وأعظم شاهد لاستحسان استعماله

عندهم ووضوح منهجه لديهم ان القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك كقوله تعالى «ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب» وقوله «ان الانسان لربه لكنود» وما أشبه ذلك لان هذه الالفاظ كانت مفهومة عند العرب ، وكذلك ورد في كلام النبوة جملة مستكثرة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم «من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تِرَةٌ» أى نقص، وقيل تبعة ، وقيل حسرة ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم «ليسترجع أحدكم حتى فى شسع نعله فأنها من المصائب» والشسع أحد سيور النعل ؛ ونحو ذلك أما غير العرب ممن تكلف ذلك وأتى به في كلامه المعتاد في مخاطباته أو نثره ونظمه فأنه يعاب عليه ذلك وينحط عن درجة الفصاحة لان المقصود من الكلام إفهام المخاطب. وأنت اذا تأملت رسائل الكتاب ومكاتباتهم فى كل زمن علمت مراعاتهم لذلك فان كتاب الدولة الاموية قد أتوا فى مكاتباتهم بالالفاظ الغريبة بكثرة فلما جاءت الدولة العباسية تنازلوا في مكاتباتهم عن الغريب ثم تقهقر الحال فى ذلك الى ما صار عليه الامر الآن

﴿الرابع﴾ — المتوحش عند قوم دون قوم ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة لاهل الحضر فان اهل الحضر يألفون السهل من الكلام ويستعملون الالفاظ الرقيقة ولا يستعملون الغريب الا فى النادر ، وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل ويميلون الى استعمال الغريب المتوحش . واذا نظرت الى كلام أهل مكة وكلام قريش وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كأن البادى يرطن بالنسبة الى الحاضر ويتكلم بلغة غير العربية . قال بعضهم : دخلت بلاد حضرموت فسمعت رجلا يقول «حسنناه سويحسم فما وجدناه (١)» فظننته يتكلم بالحبشية فسألت رجلا عن كلامه فقال انه يقول : طلبناه يأكل فما وجدناه .

﴿الصفة الثالثة﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من مخالفة القياس نحو قول ابى النجم : الحمد

---

(١) كذا فى الأصل . وليس فى العربية «سو»

لله العلى الأجلل . فأن قياس التصريف ان يقال :الأجل لاجتماع المثلين وتحرك الثانى وذلك مما يوجب الادغام

﴿ الصفة الرابعة ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الابتذال، وهو الامتهان بأن لا يكون عاميا ولا ساقطا سوقيا . والمبتذل ضربان

﴿ الضرب الاول ﴾ — مالم يتغير عن وضعه اللغوى إلا ان العامة اختصت باستعماله فابتذل لاجل ذلك وسخف لفظه وانحطت رتبته وصار من استعمله من الخاصة ملوما على الاتيان به لمشاركة العامة فيه وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء كقول الفرزدق

وأصبح مبيض الضريب كأنه على سروات النبت قطن مندّف

فقوله « مندف » من الالفاظ العامية المبتذلة ؛ وكقول أبى نواس

وملحة بالعذل تحسب انى بالجهل أترك صحبة الشطار

فالشطار جمع شاطر وهو الشجاع الذى أعيى الناس شجاعة ، وغلب دورانه على لسان العامة فابتذل ؛ وكقول المتنبى

ومن الناس من يجوز عليهم شعراء كأنها الخاز باز

ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الضرب الثانى ﴾ — ما كان في أصل اللغة دالا على معنى فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر . وهو إما غير مستقبح فى الذكر أو مستقبح

فأما غير المستقبح فكتسميتهم الانسان اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة واللباس او ما فى معنى ذلك « ظريفا » ، والظرف فى أصل اللغة يختص بنطق اللسان فقط ؛ فغيرته العامة عن بابه ونقلته الى اعم من موضوعه وقد وقع الذهول في ذلك لأبى نواس فى قوله

وقال هـذاك وجهـه لى للظرف والحسن والكمال

فوصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق كما تقدم

واما المستقبح الذكر فكما فى لفظ « الصرم » بالصاد المضمومة فأنه فى أصل اللغة

هو القطع . يقال: صرمه ، يصرمه ، صرما بالفتح والضم اذا قطعه ، وبالسين المحل المخصوص فقلبت العامة السين من المحل المخصوص صادا واستعملوه بمعنى السرم الذى هو المحل المخصوص فصار لفظه مستقبحا وسماعه مستكرها حتى عيب على ابى الطيب فى قوله

أذاق الغواني حسنه ما أذاقني وعف فجـا زاهن عني بالصرم

على ان العرب كانت تستعمله فى أشعارها بالصاد فلا يعاب عليها لأن الالفاظ فى زمنهم كانت باقية على أوضاعها . وممن استعمله منهم ابو صخر الهذلى فى قوله

فقد كان صرم فى الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم

﴿ الفصاحة في الكلام والمتكلم ﴾

والفصاحة فى الكلام اعتبروا فيها ثلاث صفات :

﴿ الصفة الاولى ﴾ — سلامته من ضعف التأليف نحو ضرب غلامه زيد . فأن فيه عود الضمير الى المتأخر لفظا ورتبة والجمهور على منعه وإن جوزه ابن جنى وابن مالك وغيرهما مستدلين بقول الشاعر

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاديات وقد فعل

واذا كان الجمهور قد ذهبوا الى امتناعه فلا أقل ان يكون ضعيفا

﴿ الصفة الثانية ﴾ — سلامته من تنافر الكلمات كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

قال الزنجاني : يقال انه من شعر الجن لأنه لا ينشده أحد ثلاث مرات متواليات الا تعتع فيه . قال الخفاجي : وثقل هذا البيت لتقارب الحروف المماثلة وتكررها أيضا. وجعل فى الايضاح التنافر منقسما الى : أعلى وهو ما تقدم، وأدني كلفظ «امدحه» من قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى واذا مالمته لمته وحدى

وعلله بأن فى قوله « أمدحه» ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر لتقاربهما، فان التقارب قد يكون سببا للتنافر، ولذلك حكم على الكلمات التى تكررت فيها الحروف المماثلة بالثقل

﴿ الصفة الثالثة ﴾ — سلامته من التعقيد . وهو ان لا يكون ظاهر الدلالة على

المراد لخلل . وهو على ضربين :

الضرب الاول — وهو الذي يسميه ابن الأثير « المعاظلة المعنوية » : ان لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم او تأخير او اضمار او غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وان كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين بحيث يخيل (١) على السامع نظم الكلام فلا يدرى كيف يصل الى معناه كقول الفرزدق يمدح ابراهيم ابن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك

وما مثله فى الناس الا مملكا   ابو أمه حيٌّ ابوه يقاربه

يريد: وما مثل هذا الممدوح فى الناس حيٌّ يقاربه الا مملكا، أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح. والمعنى انه لا يماثل أحد هذا الممدوح الذى هو ابراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام. ففصل بين « ابو أمه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبر : « حي » الأجنبي ، وفصل بين المبتدإ والخبر وهما « مثله وحيٌّ » بقوله « فى الناس الا مملكا ابو أمه » ، وفصل بين « حي » وهو موصوف يقاربه بـ « أبوه » وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعقد . والخالى من التعقيد ، لا يكون فيه ما يخالف الاصل من تقديم او تأخير او اضمار او غير ذلك الا بقرينة ظاهرة لفظا او معنى مع نكتة

﴿ الضرب الثاني ﴾ — ان لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى الثانى المقصود كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

يريد أن من عادة الدهر معاكسة المقاصد : فاراد ببعد الدار ليحصل القرب وتسكب عيناه الدموع فتجمد بحصول السرور بالملاقاة : فكنى بسكب الدموع عن الكآبة والحزن وهو الظاهر من المعنى لانه كثيرا ما يجعل دليلا عليه فيقال أبكاني الدهر ، وكنى بجمود العين عما يوجبه دوام التلاقى من الفرح فأن المتبادر الى الذهن من جمود العين بخلها بالدموع عند ارادة البكاء حال الحزن بخلاف ما أراده الشاعر من التعبير به عن الفرح وان كانت حالة جمود العين مشتركة بين بخل العين بالدموع عند

---

(١) لعله من خيَّلت السماء إذا تغيمت فيكون المعنى : بحيث يغيم (اى يغمض) على السامع نظم الكلام

ارادة البكاء وبين زمن السرور الذى لم يطلب فيه بكاء . . . قلت وقد شرط شارطون فى الفصاحة أمورا أخرى ليس هذا موضع ذكرها

والفصاحة فى التكلم ، قال فى التلخيص، هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وهو يشمل اللفظ المركب والمفرد

واما البلاغة فقال فى الصناعتين: وهي مأخوذة من قولهم بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيرك ، والمبالغة فى الشيء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه وهي مما يوصف به الكلام والمتكلم

فأما البلاغة فى الكلام فقد اختلفت عبارتهم فيها اختلافا كثيرا يأتى على نيف وثلاثين بلاغة ترجع الى معنى الوصف لها وقد عرفها صاحب التلخيص بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ وعرفها في حسن التوسل بأن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع رعاية الحال بلا اخلال واطالة فى غير إملال . وهذان التعريفان مما لا خفاء فيه . ثم لها طرفان : أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما لو عبر عنه الى مادونه للحق عند البلغاء بأصوات البهائم . وقد ظهر لك بذلك أن كل بليغ من كلام او متكلم فصيح ولا عكس

الاصل الثالث

مما يجب معرفته قبل الخوض فى صنعة الكلام معرفة الايجاز والاطناب والمساواة ومواقعها

الايجاز — فأما الايجاز فهو فى اللغة تقصير الكلام : يقال اوجزت الكلام اذا قصرته، وكلام موجر وموجز بفتح الجيم وكسرها، ووجز بسكونها ، ووجيز؛ وفي الاصطلاح جمع المعانى الكثيرة في الالفاظ القليلة . وعليه ورد اكثر آى القرآن الكريم كما فى مفتتح سورة الفاتحة وهو قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » ؛ فأنه انتظم فيه خلق السموات والارض وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شيء فى أوجز لفظ وأقربه وأسهله، وقوله تعالى « ألا له الخلق والامر » استوعب جميع الاشياء على الاستقصاء حتى يقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية فقال: من بقى له شيء فليطلبه، وقوله « فاصدع بما تؤمر » ثلاث كلمات اشتملت على امر الرسالة وشرائطها وأحكامها . . . الى غير ذلك من الآيات

الجارية هذا المجرى. وكذلك وقع فى مثل هذا المعنى من كلام النبوة مثل قوله صلى الله عليه وسلم « نية العبد خير من عمله » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « حبك الشئ يعمى ويصم » . . . الى غير ذلك من جوامع الكلم

﴿ الاطناب ﴾ — واما الاطناب فهو في اللغة المبالغة ، فيقال : أطنب فى الكلام اذا بالغ فيه ؛ وفى الاصطلاح الاشباع فى القول وترديد الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد . وقد وقع منه الكثير فى القرآن الكريم مثل قوله « فأن مع العسر يسرا ان مع العسر يسراً » ، وقوله « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » كرر اللفظ فى الموضعين تأكيدا للامر واعلاما انه كذلك لامحالة ؛ وقوله « ففرّوا الى الله إنى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين » . وكرر سبحانه وتعالى فى سورة « الرحمن » قوله « فبأى آلاء ربكما تكذبان » حيث عدد فيها نعمه وأذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة لنبهها على موضع ما أسداه اليهم فيها . وكذلك كرر فى سورة « والمرسلات » قوله « ويل يومئذ للمكذبين » تأكيداً لامر القيامة المذكورة فيها . وقد وقع التكرار للتأكيد فى كلام العرب كثيرا كما فى قول الشاعر : أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس ؛ فكرر أتاك مرتين، واحبس مرتين تأكيدا للامر ؛ وكما فى قول الآخر : كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ، فكرر « كم » اربع مرات فى سبع كلمات . . . الى غير ذلك مما وقع فى كلامهم مما لا تأخذه الأحاطة

﴿ المساواة ﴾ — وأما المساواة فهى ان تكون الالفاظ بأزاء المعانى فى القلة والكثرة لا يزيد بعضها عن بعض . وقد مثل له العسكرى فى الصناعتين بقوله تعالى « حور مقصورات فى الخيام » وقوله « ودوا لو تدهن فيدهنون » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير مالم تر الامانه مغنما والزكاة مغرما » وقوله « إياك والمشارّة فأنها تميت الغرّة وتحيي العرّة » وقول بعض الكتاب: سألت عن خبرى وأنا في عافية لاعيب فيها الافقدك ونعمة لامزيد فيها الا بك ، وقول آخر: وقد علمتنى نبوتك سلوتك ، وأسلمنى يأسى منك الى الصبر عنك ؛ وقول الآخر: فتولى الله النعمة عليك وفيك ، وتولى اصلاحك والاصلاح بك ، وأجزل من الخير حظك والحظ منك ، ومن عليك وعلينا بك ،

وقول الشاعر

أهابك اجلالا وما بك قدرة　　علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس انك عندها　　قليل ولا ان قل منك نصيبها

اذا علمت ذلك فقد اختلف البلغاء في أي الثلاثة أبلغ وأولى بالكلام : فذهب قوم الى ترجيح الايجاز محتجين بأنه صورة البلاغة وان ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلة فى حيز اللغو والهذر وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وغباوته ، وقد قال الامين محمد بن الرشيد : عليكم بالايجاز فأن له إفهاما ، وللاطالة استبهاما ؛ وقال جعفر بن يحيي لكتابه : ان قدرتم على أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا حثا منه لهم على الايجاز والتقصير . وقال بعضهم : البلاغة بالايجاز أنجع من البيان بالاطناب وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : الايجاز . وقيل لابن حازم : لم لا تطيل القصائد ؟ فأنشد

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى　　الى المعنى وعلمى بالصواب
وايجازى بمختصر قريب　　حذفت به الفضول من الجواب

وقيل لبعض الشعراء : لم اخترت البيتين والثلاثة على القصائد الطوال ؟ . فقال : لأنها فى القلوب أوقع ، وفى الآذان أولج ، وفى الآفاق أسير

وذهبت طائفة الى ان الاطناب ارجح . واحتجوا لذلك بأن النطق انما هو بيان ، والبيان لا يحصل الا بأيضاح العبارة ، وايضاح العبارة لا يتهيأ الا بمرادفة الالفاظ على المعنى حتى يحيط به احاطة يؤمن معها اللبس والابهام : وأن الكلام الوجيز لا بد من وقوع الاشكال فيه ، ومن ثم لم يحصل على معانيه الاخواص أهل اللغة العارفين بدلالات الالفاظ بخلاف الكلام المشبع الشافى فأنه سالم من الالتباس تساوى الخاص والعام فى جهته

وذهبت فرقة الى ترجيح مساواة اللفظ المعنى . واحتجوا لذلك بأن منزع الفضيلة من الوسط دون الأطراف ، وأن الحسن انما يوجد في الشيء المعتدل . قال في مواد البيان : والذى يوجبه النظر الصحيح ان الايجاز والأطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه إذا وضع فيه انتظم فى سلك البلاغة

ودل على عقل الواضع ، واذا وضع فيه غيره دل علي نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة: فأما الكلام الموجز فأنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوى الأخطار العالية والشئون السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما همته مصروفة الى مطالعة غيره ؛ وأما الأطناب فأنه يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل والعهود السلطانية ومخاطبة من لا يصل المعنى الى فهمه بأدنى اشارة ؛ وأما مساواة اللفظ المعنى فأنه يصلح لمخاطبة الأكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء . فكما ان هذه المرتبة متوسطة بين طرفى الأيجاز والأطناب كذلك يجب أن تخص بها الطبقة الوسطى من الناس ؛ قال : اما لو استعمل كاتب ترديد الألفاظ وترادفها على المعنى في المكاتبة الى ملك مصروف الهمة الى أمور كثيرة متى انصرف منها الى غيرها دخلها الخلل ، ارتب كلامه في غير رتبته ودل على جهله بالصناعة ؛ وكذا لو بنى على الأيجاز كتابا يكتبه في فتح جليل الخطر حسن الأثر يقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رءوس الأشهاد من العامة ومن يراد منه تفخيم شان السلطان في نفسه لأوقع كلامه فى غير موقعه ونزله في غير منزلته : لأنه لا أقبح ولا أسمج من أن يستنفر الناس لسماع كتاب قد ورد من السلطان في بعض عظائم امور المملكة او الدين فأذا حضر الناس كان الذى يمر على أسماعهم من الألفاظ واردا موارد الأيجاز والاختصار ولم يحسن موقعه وخرج عن وضع البلاغة بوضعه في غير موضعه ؛ قال : ولا يحتج بما كتبه المهلب بن ابى صفرة الى الحجاج في فتح الأزارقة، وكان من اعظم الفتوح، موردا له فى قالب الاختصار فأن الذى حمله على الاختصار فيه انما هو كونه الى السلطان الذى من شأنه اختصار الكتب التى تكتب اليه، بخلاف مالو كتب به عن السلطان الى غيره فأنه يتعين فيه بسط القول واطالته . . . قال : ومما يدل على أن الأيجاز والأطناب يختلف باختلاف المقامات انك اذا تأملت القرآن الكريم وجدت أن الله تعالى اذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى ، واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا، وقلما تجد فى القرآن قصة لبنى اسرائيل إلا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم وغباوتهم

﴿ الاصل الرابع ﴾

(مما يجب معرفته قبل الخوض فى صناعة الكلام معرفة الاختراع والاتباع وتراقيهما)

﴿ الاختراع ﴾ ـ فأما الاختراع فهو الابتداع والاتيان بما لم يسبق اليه المخترع . قال الوزير ضياء الدين بن الأثير : وطريقه ان لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها، بل يصرف همته الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية والأشعار و يستنبط منها المقاصد التي يريد كتابتها فيقوم ويقع ويخطئ و يصيب و يضل ويهتدى حتى يستقيم له طريق يفتحها لنفسه . قال : وأخلق بتلك الطريقة ان تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها. وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما فى الكتابة كما يعد الشافعي وابوحنيفة وابن مالك وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه؛ الا أنها مستوعرة جدا لا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا رقّاما . قال : ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا فى كتابته بما استخرجه من القرآن والأخبار والأشعار بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك ، بل اذا حفظ الاخبار والأشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دفائنه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية . على أنه لا بد للكاتب المرتقى الى درجة الاجتهاد فى الكتابة مع حفظ القرآن الكريم والاستكثار من حفظ الأخبار النبوية والاشعار المختارة من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان من علم اللغة والتصريف والنحو والمعانى والبيان والبديع وغير ذلك من الآلات ليتمكن من التصرف فى اقتباس المعانى واستخراجها والترقي الى درجة الاجتهاد، كما ان المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد من آيات الأحكام وأحاديثها ولغتها ويعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والحساب والفرائض والاجماع وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته استخرج بفكره ما يؤديه اليه اجتهاده . فالمجتهد فى الكتابة يستخرج المعانى من مظانها من القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار والأمثال وغيرها بواسطة آلة الاجتهاد كما ان المجتهد فى الفقهيات يستخرج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة الاجتهاد ...

قال : ولا يخفى أن هذه الرتبة لا يبلغها الا المبرز الكامل

﴿ الاتباع ﴾ اما الاتباع فهو أن يتبع غيره فيما يقدمه عليه . وسماه ابن الأثير التقليد . وهو على ضربين :

﴿ الضرب الأول ﴾ ـ الاتباع فى الألفاظ ـ وهو اعتماد الكاتب على مارتبه غيره من الكتابة وأنشاه سواه من أهل الصناعة بأن يعمد الى ماأنشأه أفاضل الكتاب ورتبه علماء الصناعة من نثر أو نظم فيأخذه برمته ويأتى عليه بصيغته فيكون ناسخا ناقلا لكلام غيره حاكيا له . ولمثل هذا توضع الدساتير وتدوّن الدواوين . على أنه ربما غير وبدّل وحرّف وصحف وأزال اللفظ عن وضعه وأحال المعنى عن حكمه ، وربما حمل أحدهم الأنفة والخوف من أن يقال : أخذ كلام فلان برمته ، على أن يلتقط من كلام غيره من كل مكان سجعتين أو سجعات فيرتب بعضها على بعض حتى يقوم بمقصوده وينتهى الى مراده . فأن كان لطيف الذوق حسن الاختيار رائق الترتيب فاختار من خلال السجع لطيفه وأحسن ترصيفه وتأليفه جاء بهجا رائقا الا أن فيه اخراج الكلام عن وضعه الذى قصده الناثر ، وتفريق مادوّن من كلام الافاضل ، وتبديد شمله ، وخروج الكلام عن أن يعرف قائله ويعلم منشئه فيقع من القلوب بمكان صاحبه ويهتدى بهديه وينسج على منواله . وان لم يكن لطيف الذوق ولا حسن الاختيار جاء مالفقه من كلام غيره رثا ركيكا نائيا عن الذوق بعيدا عن الصنعة ، وعاد من النسخ الى المسخ ، وأخرج الكلام عن موضوعه ، وأفسده فى وضعه وتركيبه ؛ وأن صحبه التصحيف والتحريف فتلك الطامـة الكبرى ثم لا يكتفى بذلك حتى يتبجح به معتقداً أن ذلك عين الانشاء وحقيقته محتجا فى ذلك بقول الحريرى : ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق ، وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق . ظانا أن التلفيق هو ضم سجعات منتظمة وفقرات مؤلفة بعضها الى بعض ولم يعلم أن المراد بالتلفيق ضم لفظة الى أختها واضافة كلمة الى مشاكلتها . وشتان ما بين التلفيقين وبعداً لما بين الطريقين

وللزنبور والبـازى جميعـاً لدى الطيران أجنحة وخفق
ولـكن بين ما يصطاد باز وما يصطـاده الزنبور فرق

واعلم ان الشاعر المفلق والناثر الماهر قد يأتى بكلام سبق اليه غيره فيأتى بالبيت

من الشعر او القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظه الاول من غير زيادة ولا نقص او بتغيير يسير . وهذا هو الذى تسميه اهل هذه الصناعة « وقوع الحافر على الحافر » . وقد سئل ابو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى واحد فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها . كما روى أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنهما :

تشط غداً دار جيراننا

فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك ... الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة . قال فى الصناعتين : وإذا كان القوم فى قبيلة واحدة في أرض واحدة فأن خواطرهم تقع متقاربة كما ان أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة . قال فى المثل السائر : ويقال ان الفرزدق وجريراً كانا ينطقان فى بعض الاحوال عن ضمير واحد ، قال : وهذا عندى مستبعد ؛ فأن ظاهر الامر يدل على خلافه وباطن الامر لا يعلمه الا الله . وربما وقع الاتفاق فى البيت فى المعنى وبعض اللفظ إما فى الكثير منه كقول امرئ القيس

وقوفاً بها صحبى علىّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وإما في القليل من اللفظ كقول البحترى فى وصف غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الأمـ ـر اليه ودون كيد الكبار

أخذه من قول أبي نواس

لم يخف من كبر عما يراد به من الامور ولا أزرى به الصغر

الضرب الثانى — الاتباع فى المعانى دون الألفاظ ، وهذا مما لا يستغنى عنه ناظم ولا ناثر . قال فى الصناعتين : ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ؛ ولكن عليهم اذا اخذوها أن يكسوها الفاظا من عندهم ، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ، ويوردوها فى غير حليتها الاولى ، ويزيدوا عليها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها . فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن

سبق اليها . قال ولولا ان القائل يؤدى ماسمع لما كان فى طاقته أن يقول ؛ وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين . وقد قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لنفد . على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي ؛ وانما يتفاضل الناس فى الألفاظ ووضعها وتأليفها ونظمها . وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه بكل لفظه . أو أفسده فى الأخذ وقصر فيه عمن تقدمه . ولاخفاء أن ابتكار المعاني والسبق اليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى ؛ وانما مرجع الفضيلة فيه الى الذى ابتكره وسبق اليه ؛ فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط والردئ ردئ وان لم يكن مسبوقا اليهما . على ان بعض الأدباء قد ذهب الى أنه ليس لأحد من المتأخرين معنى مبتدع ، محتجا بأن قول الشعر قديم مذ نطق باللغة العربية ، وأنه لم يبق معنى من المعاني الا وقد طرق مرارا . قال في المثل السائر : والصحيح أن باب الابتداع مفتوح الى يوم القيامة ؛ ومن ذا الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لانهاية له . الا أن من المعانى مايتساوى فيه الشعراء ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لان الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وماعفت   آثارهن من القلوب

وقولهم في المديح : ان عطاءه كالبحر أو كالسحاب ، وما أشبه ذلك من سائر المعاني التي تتوارد عليها الخواطر من غير كلفة ويستوى فى ايرادها كل بارع . ومثل ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم (السرقة) من الأول ؛ وانما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص . ولم تزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معانى من قبلهم و يبنون على بناء من تقدمهم كقول أبى تمام

خلقنا رجالا للتجلد والأسى   وتلك الغواني للبكا والمآتم

أخذه من قول عبدالله بن الزبير لما قتل أخوه مصعب : وانما التسليم والسلو لحزماء الرجال ، وان الجزع والهلع لربات الحجال ؛ وكقول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

أخذه من قول ارسطاطاليس : الظلم كمين في النفس يخفيه العجز وتبديه المقدرة . . .

إلى غير ذلك من أنواع أخذ المعاني التى لا تنحصر كثرة . ومما وقع للكتاب من ذلك ما كتب به ابراهيم بن العباس فى قوله فى فصل من كتاب له : « اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه ، وللمسيء من العقاب ما يقمعه ، ازداد المحسن فى الاحسان رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة » أخذه من قول علي رضي الله عنه : « يجب على الوالى ان يتعهد أموره ويتفقد اعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسيء ، ثم لا يترك واحدا منهما من غير جزاء فأن ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وضاع العمل » ؛ وكما كتب احمد بن يوسف فى فصل من كتاب : « أحق من أثبت لك العذر فى حال شغلك من لم يخل ساعة من برك فى وقت فراغك » ، أخذه من قول علي أيضا « لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتى ويلتمس الزيادة فيما بقى » .

قال في الصناعتين : ومن أخفى اسباب السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده فى نثر ، أو من نثر فيورده في نظم ، أو ينقل المعنى المستعمل فى صفة خمر فيجعله فى مديح ، او فى مديح فينقله فى وصف ؛ الا أنه لا يصل لهذا الا المبرز الكامل المقدم . وقال في المثل السائر : أشكل سرقات المعانى وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ ؛ قال: وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى كقول أبى تمام في المدح

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

أخذه من قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

فعروة جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح ، وأبو تمام جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهدين في لقاء العدو قائما مقام الانتصار. قال في المثل السائر : وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف

اذا علمت ذلك فقد جعل في المثل السائر سرقة المعنى المجرد عن اللفظ أنواعا:

احدها ــ ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه . وقلما يقع ، كقول المتنبي

واذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأني كامل

استخرجه من قول بعض شعراء الحماسة

لقد زادني حبا لنفسي انني ... بغيض الى كل امرئ غير طائل

فان الاول يقول: ان بغض الذى هو غير طائل اياي قد زاد نفسي حبا الىّ لانه قد كملها في عيني وحسنها عندى كون الذى هو غير طائل مبغضى ، والمتنبي يقول: ان ذم الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذى هوغيرطائل نفس ذلك الرجل عنده

الثانى — أن يؤخذ المعنى فيعكس . قال فى المثل السائر: وهوحسن يكاديخرج عن حد السرقة كقول أبى نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم ... اشهى المطيّ الى ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

وقول مسلم بن الوليد فى عكسه

ان المطية لايلذ ركوبها ... حتى تذلل بالزمام وتركبا

والدر ليس بنافع أصحابه ... حتى يزين بالنظام ويثقبا

الثالث — ان يؤخذ بعض المعنى دون بعض كقول على بن جبلة

وأثل مالم يحوه متقدم ... وإن نال منه آخر فهو تابع

وقول المتنبي بعده

ترفع عن عون المكارم قدره ... فما يفعل الفعلات الاعذاريا

فابن جبلة أتي بمعنيين: احدهما ان الممدوح فعل مالم يفعله أحد ممن تقدمه ، والثانى أن من نال شيئا من ذلك لم يفعله الا اقتداء به وتبعا له ؛ والمتنبي أتى بالمعنى الاول فقط ، وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره مشيرا الى ذلك بقوله «فما يفعل الفعلات الاعذاريا» بمعنى انه يستبكرها ويزيل عذرتها

الرابع — أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر . قال في المثل السائر: وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره كقول الاخنس بن شهاب

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا الى اعدائنا فنضارب

أخذه مسلم بن الوليد فقال

ان قصر الرمح لم تمش الخطا عددا ... أو عرّد الرمح لم نهمم بتعريد

فزاد على الاخنس عدم تعريدهم اذا عرد السيف يعني أنهم لا يفرون اذا نبت سيوفهم عن الضريبة ... قلت : ومما اتفق لى نظمه في هذا الباب أنه لما عمرت مدرسة الظاهر برقوق بين القصرين بالقاهرة وكان القائم بعمارتها الامير جركس الخليلي وقد حمل اليها الحجارة العظيمة على عجل نظم ابن أبي العباس الدمنهوري أبياتا منها

و بعض خدامه طوعاً لخدمته ... يدعو الصخور فتأتيه على عجل

وكان قد أقام على الباب مستحثاً اسمه عمرو يستحث أرباب العمل و يضربهم بالسياط فكلفت نظم أبيات فى المعنى فوقع لى أبيات منها

و بالخليلى قد راجت عمارتها ... فى سرعة بنيت من غير ما مهل

كم أظهرت عجباً أسواط حكمته ... وقد غدت مثلاً ناهيك من مثل

وكم صخور تخال الجن تنقلها ... فأنها بالوحا تأتي و بالعجل

فزدت عليه ذكر « الوحا » الذى معناه السرعة فصار مطابقا لما يأتى به المعزمون فى عزائمهم من قولهم : الوحا ، الوحا ، العجل ، العجل مع ما تقدم له من التوطئة بقولى « تخال الجن تنقلها » . على انى لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجال هذا الوغي

الخامس — ان يؤخذ المعنى فيكسى عبارة احسن من العبارة الاولى . قال ابن الاثير : وهذا هو المحمود الذى يخرجه حسنه عن باب السرقة كقول العلاء بن سليمان فى مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة ... ولكنها فى وجهه اثر اللطم

نقله ابن القيسرانى الى الغزل فقال

وأهوى الذى يهوى له البدر ساجدا ... ألست ترى فى وجهه أثر الترب

السادس — ان يؤخذ المعنى و يسبك سبكا موجزا . قال فى المثل السائر : وهو من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسط الناظم فى القول وسعة باعه فى البلاغة كقول أبى العتاهية

وانى لمعذور على فرط حبها ... لان لها وجها يدل على عذرى

أخذه أبو تمام فقال

له وجه اذا أبصر ... ته ناجاك عن عذرى

فأوجز فى هذا المعنى غاية الايجاز

السابع — ان يؤخذ المعنى فيزاد بيانا مع المساواة فى المعنى بأن يضرب له مثال يوضحه

كقول ابى تمام

تقصلت شفتاه من حفيظتـه فخيل من شدة التعبيش مبتسما

أخذه ابو الطيب فقال

وجاهل مده في جهله ضحكى حتى أتتـه يد فرّاسـة وفم

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث مبتسم

فضرب له مثلا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا

الثامن — أن تتحد الطريق في المعنى ويختلف المقصود مثل أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين فيتبين فضل أحدهما على الآخر كقول النابغة

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقنّ أن قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب

وقول مسلم بن الوليد بعده

قد عوّد الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل

التاسع — ان يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما قال ابن الأثير: وهو من السرقات التى يسامح فيها . أما جعل العام خاصا فكقول الأخطل

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

أخذه ابو تمام فقال

أألوم من بخلت يداه وأغتدى للبخـل تربا ساء ذاك صنيع

وأما جعل الخاص عاما فكقول ابى تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها ولكن منعن الدرّ والدر حافـل

وقول المتنبي بعده

وما يؤلم الحرمان من كف حارم كما يؤلم الحرمان من كف رازق

العاشر — قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة . قال في المثل السائر : وهذا لايسمى سرقة، بل إصلاحا وتهذيبا كقول ابى نواس يصف لاعبى الكرة والصولجان من أرجوزة

جن علي جن وإن كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالإبر

وقول المتنبي بعده

فكأنما نتجت قياما تحتهم   وكأنهم خلقوا على صهواتها

الحادى عشر — قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة . وهو الذي يعبر عنه أهل هذه الصناعة بالمسخ ، وهو من ارذل السرقات وأقبحها كقول ابى تمام

فتى لا يرى ان الفريصة مقتل   ولكن يرى ان العيوب مقاتل

أخذه المتنبي فمسخه فقال

يرى أن ماما بان منك لضارب   بأقتل مما بان منك لعائب

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام وجود الطبع السليم وخلو الفكر عن المشوش وبيان ما يستحسن من الكلام

﴿ اما وجود الطبع السليم ﴾ فقال في مواد البيان : اول معادن هذه الصناعة الجليلة القريحة الفاضلة والغريزة الكاملة التى هي مبدأ الكلام ومنشأ التمام والاساس الذي يبنى عليه والركن الذى يستند اليه؛ فأن المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب ويتوفر على اقتناء العلوم واكتسابها وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيد ما اكتسبه . بخلاف المطبوع على ذلك فأنه وان قصر في اقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يلحق بأوساط اهل الصناعة ؛ وذلك ان الطبع حظ يخص الله به المطبوع دون المتطبع والمناسب بغريزته للصناعة دون المتصنع فلا سبيل الى اكتساب سهولة الطبع ولا كزازته ، بل هو موهبة تخص ولا تعم وتوجد في الواحد وتفقد في الآخر . قال في تحرير التحبير : ومن الناس من يكون في البديهة أبدع منه في الروية ، ومن هو مجيد في الروية وليست له بديهة ، وقلما يتساويان؛ ومنهم من إذا خاطب أبدع واذا كتب قصر ، ومن هو بضد ذلك ومن قوى نثره ضعف نظمه ، ومن قوى نظمه ضعف نثره ، وقلما يتساويان؛ وقد يبرز الشاعر في معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ولهذا قيل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، وعنترة إذا كلب ، والأعشى إذا طرب . قال في المثل السائر : بل ربما مهر في بعض أنواع الشعر أو النثر دون بعض : فيرى مجيدا

في المدح دون الهجو ، أو بالعكس ؛ اوماهرا في المقامات ونحوها دون الرسائل ؛ أو في بعض الرسائل دون بعض . قال ابن ابى الأصبع : وربما واتاه العمل في وقت دون وقت ؛ ولذلك قال الفرزدق : انى ليمر عليّ الوقت ولقلع ضرس من أضراسى أيسر عليّ من قول الشعر . ولذلك عز تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ من حيث ينبو طبعهم عن تركيب بسائط الكلام الذى قامت صور معانيه في نفوسهم وصعب الأمر عليهم في تأليفه ونظمه فقد حكى ان الخليل بن أحمد مع تقدمه في اللغة ومهارته في العربية واختراعه علم العروض الذى هو ميزان شعر العرب لم يكن يتهيأ له تأليف الألفاظ السهلة لديه الحاصلة المعانى في نفسه على صورة النظم إلا بصعوبة ومشقة ؛ وكان إذا سئل عن إعراضه عن نظم الشعر يقول : يأبانى جيده وآبى رديئه : مشيرا بذلك الى أن طبعه غير مساعد له على تأليف المرضىّ الذى تحسن نسبته الى نفسه . وقد قيل للمفضل الضبى : ألا تقول الشعر وأنت اعلم الناس به ؟ فقال : علمى به يمنعنى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفيء رديئه على ويناى منه ما كان محكما
فياليتنى انلم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وأنشد ابو عبيدة خلفا الأحمر شعرًا له فقال : « اخبأ هذا كما تخبأ السنورة حاجتها » مع ما كان عليه أبو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وامثالها وأيام حروبها وما يجرى مجرى ذلك من مواد نظم الشعر . ويحكى عن المبرد أنه قال : لا احتاج الى وصف نفسى ، لان الناس يعلمون أنه ليس أحد بين الخافقين يختلج في نفسه مسألة مشكلة الا لقيني بها وأعدنى لها ؛ فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى عليّ مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ، ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة او التماس فأجعل المعنى الذى أقصد نصب عينى ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ؛ ولقد بلغنى ان عبد الله بن سليمان ذكرنى بجميل فحاولت أن أكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أمورى فأتعبت نفسى يوما فى ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها ، وكنت أحاول الافصاح عما في ضميرى فينحرف لسانى الى غيره . ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خدعة وزيادة الأدب على المنطق هجنة . فقد تبين ان العبرة بالطبع وأنه الأصل المرجوع اليه فى ذلك

﴿ وأما خلو الفكر عن المشوش ﴾ فأنه يرجع الى أمرين :

﴿ الأمر الاول ﴾ — صفاء الزمان . فقد قال أبو تمام فى وصيته للبحترى مرشداً له للوقت المناسب لذلك : « تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة فى الاوقات اذا أراد الانسان تأليف شئ أو حفظه أن يختار وقت السحر؛ فأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء وصفا الدماغ من كدر الأبخرة والادخنة وسكنت الغماغم ورقت النسائم وتغنت الحمائم » ... وخالفه ابن أبى الاصبع فى ذلك وجنح الى اختيار وسط الليل أخذ من قول أبى تمام فى قصيدته البائية

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى ... والليل أسود رقعة الجلباب

مفسراً للدجى بوسط الليل؛ محتجا لذلك بأن وقت السحر وان كان فيه يرق النسيم وينهضم الغذاء فأنه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوان من الناطق وغيره ويرتفع معظم الأصوات ويجرى الكثير من الحركات وينقشع بعض الظلماء بطلائع أوائل الضوء، وربما انهضم عن بعض الناس الغذاء فتحركت الشهوة لأخلاف ما انهضم منه وخرج من فضلاته فكان ذلك داعيا الى شغل الخاطر وباعثا على انصراف الهم الى تدبير الحدث الحاضر فيتقسم الفكر ويتذبذب القلب ويتفرق جميع الهم، بخلاف وسط الليل فأنه خال من جميع ذلك

﴿ الأمر الثانى ﴾ — صفاء المكان الذى هو فيه بأن يكون خاليا من الاصوات عاريا عن المخوفات والمهولات والطوارق، وأن يكون مع ذلك مكانا رائقا معجبا رقيق الحواشى فسيح الأرجاء بسيط الرحاب غير غمر ولا كدر؛ فأن انضم الى ذلك ما فيه بسط الخاطر من ماء وخضرة وأزهار وطيب رائحة كان أبسط للفكر وأنجح للخاطر ان تصدى للعمل فى النهار . على أن بعضهم قد ذهب الى أنه ينبغى خلو المكان من النقوش الغريبة والمرائى العجيبة فأنها وان كانت مما يبسط الخاطر فأن فيها شغلاً للناظر فيتبعه القلب فيتشتت

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام معرفة السجع وأحكامه واختلاف احواله . وهو عمدة هذه الصناعة وأس بنائها . قال في مواد البيان : هو مشتق من الساجع وهو المستقيم

لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه ؛ وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد . يقال منه : سجعت الحمامة تسجع سجعا فهي ساجعة ؛ سمى السجع فى الكلام بذلك لان مقاطع الفصول تأتى على ألفاظ متوازنة متعادلة و كلمات متوازية متماثلة فأشبه ذلك الترجيع . قال : وهو في الاصطلاح تقفية مقاطع الكلام من غير وزن وقال في المثل السائر : هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد ؛ و يقال للجزء الواحد منه « سجعة » وتجمع على سجعات ، وفقرة - بكسر الفاء - أخذا من فقرة الظهر وهي احدى عظام الصلب وتجمع على فقر وفقرات - بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها وربما فتحت الفاء والقاف جميعا - ويقال لها أيضا قرينة لمقارنة اختها ، وتجمع على قرائن ؛ و يقال للحرف الاخير منها « الفاصلة » و « حرف الروى » . والقاعدة فيه ان تكون كلمات الاسجاع ساكنة الاعجاز موقوفا عليها بالسكون فى حالتى الوقف والدرج ؛ لان الغرض منه المناسبة بين القرائن والمزاوجة بين الفقر وذلك لا يتم الا بالوقف بدليل قولهم : ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت ، فانك لو ذهبت تصل فيه لم يكن بد من اعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الاعراب ، فتختلف أواخر القرائن و يفوت الساجع غرضه .

قال فى الصناعتين : ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاما محلولا من الازدواج ، وناهيك أن القرآن الكريم الذى هو عنصر البلاغة ومناط الاعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سوره وان قصرت ، بل ربما وقع السجع فى فواصل جميع السورة كما في سورة « النجم ، واقتربت ، والرحمن » وغيرها من السور ؛ بل ربما وقع فى أوساط الآيات كقوله تعالى « الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور » وقوله « لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم » وما أشبه ذلك وكذلك وقع فى الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » بل ربما صرف الكلمة عن موضعها فى اللغة مراعاة للمزاوجة كقوله صلى الله عليه وسلم « انصرفن مأزورات غير مأجورات » أصلها « موزورات » أخذا من الوزر ، فعبر بمأزورات لموافقة مأجورات . وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب فى مهم كلامهم من الدعاء وغيره كقول بعض الاعراب وقد ذهب السيل بابنه : اللهم

ان كنت قد ابتليت فطالما عافيت . أما ماروى أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل فى الجنين بغرة عبد أو أمة فقال الرجل : أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أسجعا كسجع الكهان ؛ فإنما كره صلى الله عليه وسلم السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه سجع الكهان لما فيه من التكلف والتعسف كما قاله أبو هلال العسكرى ، أو لجريانه على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما قاله غيره ، أو انه انما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بانكار ايجاب الدية لا لنفس السجع المأتى به كما اختاره صاحب المثل السائر

وليعلم أن السجع تارة تكون القرينتان فيه متفقتين في حرف الروى ، و يسميه الرمانى « السجع الحالى » وعليه عمل أكثر الكتاب من زمن القاضي الفاضل الى زماننا ، وأعلاه ان تكون الفاظ القرينتين مستوية الاوزان و يسمى «التصريع» وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها كما فى قوله تعالى « ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم » وقوله « ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم » وقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي ؛ وقوله للانصار : انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ؛ ودون ذلك فى الرتبة ان يختص التوازن بالكلمتين الاخيرتين من الفقرتين فقط دون سائر الالفاظ كقوله تعالى « فيها سررٌ مرفوعةٌ واكوابٌ موضوعةٌ ونمارقُ مصفوفةٌ وزرابىّ مبثوثةٌ » ؛ ودونه أن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن فى شئ من أجزاء الفقرة في الآخر ولا غيره ، و يسمى المطرف كقوله تعالى «مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » . وتارة تختلف حروف الروى في آخر الفقرتين وهو الذى يعبرون عنه بالازدواج ، والرمانى يسميه «السجع العاطل» وعليه كان عمل السلف من الصحابة والتابعين ومن قارب زمانهم ؛ وأعلاه ان يراعى الوزن فى جميع كلمات الفقرتين او في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزنا ، و يسمى التوازن، كقوله « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » : ودون ذلك في المرتبة ان يراعى التوازن في الكلمتين الاخيرتين فقط . و يسمى « التوازن » أيضا كقوله تعالى « ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » . وقولهم : اصبر على حر القتال وشدة المصاع ومداومة البراز ، ودونه أن لا تقع

موازنة في آخر القرينتين ولا فى شئ من احداهما كقوله تعالى «والسماء ذات البروج واليوم الموعود»

ثم اعلم أن من السجع ما يوصف بالقصر ومنه ما يوصف بالطول. فالسجعة القصيرة من عشرة ألفاظ فما دونها، قال في حسن التوسل: وهي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة لا سيما القصير منها للغاية؛ وأقل ما يكون من لفظتين، كقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر). قال: ومثله فى القرآن الكريم كثير إلا ان الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» وما أشبه ذلك... وأما السجعة الطويلة فقال فى حسن التوسل: هي ألذ فى السمع لتشوف السامع الى ما يرد متزايدا على سمعه؛ وأقل ما تكون من احدى عشرة كلمة فما فوقها كقوله تعالى «واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور. ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور» فالاولى من احدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث عشرة لفظة، وغالب ما يكون من خمس عشرة لفظة فما فوقها كقوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» فالاولى من اربع عشرة لفظة، والثانية من خمس عشرة، وقوله تعالى «اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور» فالاولى عشرون لفظة، والثانية تسع عشرة، وهذا غاية ما انتهى اليه الطول فى القرآن الكريم. قال في المثل السائر وحسن التوسل: انه لا ضابط لأكثره. قلت: ومما اعتنى به كتاب الزمان أنهم يجعلون السجعة الاولى من خطبة الولاية ونحوها قصيرة بحيث يقع انتهاؤها وابتداء الثانية فى السطر الاول، وأن طال ذلك فيكون فى السطر الثانى ليقع نظر الناظر على السجعة الاولى لأول وهلة

ومما ينبغى معرفته ان أقل ما يكون السجع سجعتان، والازدواج قرينتان، ولا نهاية لغايته وقد كان كتاب المصر ومن قاربهم فى الزمان يحرصون على ان تكون الخطبة فى الولاية ونحوها على روى واحد الى حسن انتهائها. وعلى ذلك كان يكتب القاضى محيى

الدين بن عبد الظاهر والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما من أفاضل الكتاب؛
ثم أهمل الامر فى ذلك آخراً فصاروا يقتصرون على التحميدة أن تكون على روي واحد
على القاعدة الاولى. ثم ان لم يزد السجع على سجعتين فتارة تكون القرينتان متساويتين
لاتزيد احداهما على الاخرى كقوله تعالى «فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر»،
وقوله «فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً» وما أشبه ذلك؛
وتارة تكون القرينة الثانية أطول من الاولى بقدر يسير كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا»
فالاولى ثمان كلمات، والثانية تسع؛ أما اذا طالت الثانية عن الأولى طولا يخرج عن الاعتدال
فانه يستقبح، قال فى حسن التوسل: لأن بعد دخول القافية على السامع يقل الالتذاذ بسماعها
والمرجع فى ذلك الى الذوق. وتارة تكون القرينة الثانية اقصر من الاولى، قال فى المثل
السائر: وهو عندى عيب فاحش لأن السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول
بحكم طوله، ثم يجيء الفصل الثانى قصيرا فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه
كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها. وفيما قاله نظر؛ فقد تقدم فى قوله تعالى «اذ
يريكهم الله فى منامك قليلا ...» الآيتان، أن الاولى عشرون كلمة، والثانية تسع عشرة،
بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكرى فى الصناعتين محتجاً بكثرة وروده فى كلام
النبوة كقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار: انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع؛
وقوله: المؤمنون تتكافؤ دماؤهم وهم يد على من سواهم، وقوله: رحم الله من قال خيرا
فغنم أو سكت فسلم

وان زاد السجع على سجعتين فقد يقع على حد واحد وهو مستحسن وقد وقع فى القرآن
الكريم بعض ذلك كقوله تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود» فهذه السجعات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين، وقد تكون
الاولى أقصر، والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا، اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقاً
مقرنين دعوا هنالك ثبورا» فالاولى من ثمان كلمات، والثانية والثالثة من تسع تسع، وقد تكون
الاولى والثانية متساويتين، والثالثة زائدة عليهما. وقد أشار الى ذلك فى حسن التوسل

حيث قال : فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة، ولم يمثل لها ؛ وقد تكون الثانية زائدة على الاولى ، والثالثة زائدة على الثانية ، قال فى المثل السائر : وينبغي ان تكون فى هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة فى الطول عن الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الاولى ، فاذا كانت الاولى والثانية اربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشرة لفظة : ومثل له في حسن التوسل بعد ان ضبط الزيادة بأن لا تتجاوز المثل بقوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل ما في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً » فالاولى من ثمان كلمات ، والثانية من تسع ، والثالثة من عشرين ، ولا يخفى حكم الرابعة في الزيادة على الثالثة . قال فى حسن التوسل : ولا بد من الزيادة فى آخر القرائن

اذا تقرر ذلك فمن السجع ما يستحسن ومنه ما يستقبح .

﴿ فحسنه ﴾ يكون بأمور : منها أن يكون بريئا من التكلف خاليا من التعسف محمولا على ما يأتي به الطبع وتبديه الغريزة ؛ ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج اليه فى المعنى دون الاتيان بزيادة أو نقص تدعو اليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز الحسن الى حيز القبح . ومنها أن تكون الالفاظ حلوة حادة لا غثة ولا باردة مونقة المعنى حسنة التركيب غير قاصرة على صورة السجع الذى هو تواطوء الفقر فيكون كمن نقش أثوابا من الكرسف او نظم عقداً من الخرز الملون . قال في المثل السائر : وهذا مقام تزل عنده الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد بعد الواحد من ارباب هذا الفن ؛ قال : ومن اجل ذلك كانت اربابه قليلا ، ولولا ذلك لكان كل أديب سجاعاً اذ ما من احد منهم الا وقد يتيسر عليه تأليف الفاظ مسجوعة في الجملة

ومنها أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها فلا يكون مثل قول الصابئ فى وصف مدبر : يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويثخن الجراح في عدوه وسيفه فى الغمد لم يبرح . لأن اشتمال السجعتين على معنى واحد يمكن ان يكون في إحداهما بمفرده وهو عين التطويل المذموم فى الكلام

ومنها ان يقع التجنيس في نفس الفواصل كقوله : إذا قلت الأنصار ، كلت الأبصار؛ ونحو ذلك . ومنها أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعا في سجع كقوله تعالى « ولو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » وقوله « ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » فأن قوله : بذنوبهم ، وقوله : على قلوبهم سجعتان داخلتان فى السجعة التى آخرها : حتى يروا العذاب الأليم ؛ وقوله : بآخذيه ، وقوله : تغمضوا فيه ، سجعتان داخلتان في السجعة التى آخرها : غنى حميد .

﴿ وقبحه ﴾ يعتبر بأمور : منها التجميع ، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى كما حكى قدامة ان كاتبا كتب في جواب كتاب : وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وان كان قديم العبودية ، و يستغرق الشكر وان كان سابق فضلك لم يبق شيئا منه . فأن « العبودية » بعيدة عن مشاكلة «منه » — ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره ، وهو ان يجيء الجزء الأول طويلا فيحتاج الى إطالة الجزء الثانى بالضرورة كما حكي أن كاتبا كتب فى تعزية : اذا كان للمحزون في اقتاء مثله كبير الراحة في العاجل ، وكان طويل الحزن راتبا إذا رجع الى الحقائق وغير زائل . . . قال في الصناعتين : وذلك انه لما أطال الجزء الأول وعلم أن الجزء الثانى ينبغى أن يكون مثله أو أطول احتاج الى تطويل الثانى فأتى باستكراه وتكلف : قال في مواد البيان: والأطالة بقوله « وغير زائل »

الطرف الثاني

(فى كيفية انشاء الكلام وتأليفه وتهذيبه ، وبيان ما يستحسن منه وما يعاب)

﴿ أما انشاؤه وتأليفه ﴾ فقد قال ابن أبي الأصبع في تحرير التحبير : يجب على كل من كان له ميل الى علم الشعر وانشاء النثر أن يتعهد أولا نفسه ويمتحنها بالنظر فى المعانى وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات ؛ فأذا وجد لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكرا ثاقبا وفهما سريعا وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة وقوة حافظة وقدرة حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة أخذ حينئذ فى العمل

وان كان بعض ذلك غير لازم لرب الانشاء ولا يضطر اليه أكثر الشعراء ولكن اذا كملت هذه الصفات فى الكاتب والشاعر كان موصوفا فى هذه الصناعة بكمال الاوصاف النفيسة . قال فى الصناعتين : اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك؛ وتنوق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها؛ واعمله مادمت فى شباب نشاطك، فأذا غشيك الفتور وتخونك الملال فأمسك، فان الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شئ بعد شئ فتجد حاجتك من الرى وتنال أربك من المنفعة، فأذا أكثرت عليها نضب ماؤها فقل عنك غناؤها . وينبغى ان تخرج مع الكلام معارضة فأذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته أو معنى بديع تعلقت بذيله، وتحرز أن يسبقك، فأنه ان سبقك تعبت فى تطلبه ولعلك لا تلحقه على طول الطلب ومواصلة الدأب وهذا الشاعر يقول

اذا ضيعت أول كل شئ   أبت أعجازه الى التواء

وقد قالوا: ينبغى لصائغ الكلام ان لا يتقدم الكلام تقدما ولا يتتبع ذناباه تتبعا ولا يحمله على لسانه حملا؛ فأنه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه، وان تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه وتباعدت عنه جياده وغرره، وان حمله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعباؤه ودخلت مساويه فى محاسنه، ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادة تعجبه سمنا الا كبحها، ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا أرهقها، وطورا يفرقه ليختار أحسنه، وطورا يجمعه ليقرب عليه خطو الفكر ويتناوله من تحت لسانه، ولا يسلط الملل على قلبه ولا الاكثار على فكره فيأخذ عفوه و يستغزر دره، ولا يكره آبيا ولا يدفع آتيا، واياك والتعقيد والتوعر، فأن التوعر هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فأن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يدنسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما الى حد تكون فيه أسوأ حالا منك قبل ان تلتمس البلاغة وترتهن نفسك فى ملابستها، وليكن لفظك شريفا عذبا فخما سهلا، ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، فان وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى مركزها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب أماكنها والنزول فى غير أوطانها. وان بليت بتكلف القول وتعاطى الصناعة ولم تسمح لك

الطبيعة فى أول وهلة وعصت عليك بعد اجالة الفكر فلا تعجل ودع سحابة يومك ولا تضجر وامهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فانك لا تعـدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عِرف؛ وينبغى أن تعرف اقدار المعانى فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وأقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ولكل حال مقاما حتى تقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات فأن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال قال فى مواد البيان : ويكون استعمال كل جزل من الالفاظ وسهلها وفصيحها وسلسها وبهجها فى موضعه وأن يسلك فى تأليف الكلام الطريق الذى يخرجه عن حكم الكلام المنثور العاطل الذى تستعمله العامة فى المخاطبات والمكاتبات الى حكم المؤلف الحالى بحلى البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والاسجاع والمقابلات وغيرها من أنواع البديع . قال فى الصناعتين: وان عملت رسالة أوخطبة فتخط ألفاظ المتكلمين كالجسم والجوهر والعرض واللون والتأليف واللاهوت والناسوت، فأن ذلك هجنة . قال في مواد البيان: وذلك بأن يقصد الكاتب الى ألفاظ الصناعة فيخرج منها الى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها، قال: وانما يؤتى الكاتب فى هذا الباب بأن يكون له شركة فى صناعة غير الكتابة كالفقه والكلام وغيرهما مثل صناعة أصحاب الإعراب ونحوها، فلكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها يستعملونها فيما بينهم عند المحاورة والخوض فى الصناعة، ومن عادة الانسان اذا تعاطى بابا من هذه الابواب أن يسبق خاطره الى الالفاظ المتعلقة به فيوقعها فى الكتب التى ينشئها لغلبة عادة استعماله اياها فيهجنها بادخاله فيها ما ليس من أنواعها . قال فى الصناعتين : وتخير الالفاظ وابدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته: فأن أمكن مع ذلك انتظامه من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب اليه، وان اتفق له أن يكون موقعه في الاطناب أو الايجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال كان جامعا للحسن بارعا فى الفضل فان بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره وأوله يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام . قال على بن خلف : واذا سلكت طريقا فمرّ فيها ولا تتنازل عنها ان كانت رفيعة ولا ترتفع عنها ان كانت وضيعة . وخالف ابن أبى الاصبع فى ذلك فقال : ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا

ولا وضيعا نازلا، بل فصله تفصيل العقود فأن العقد اذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده ولا يبين جمال واسطته، فأن الكلام اذا كان متنوعا في البلاغة افتنت الأسماع فيه ولا يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه ولا يخرج عن غرض الى غيره حتى يكمل كل ماينتظم فيه كما اذا كان ينشئ كتابا في العذل والتوبيخ فيشوب ألفاظه بألفاظ أخرى تخرج عن الخشونة الى اللين، فان اختلاف رقعة الكلام من أشد عيوبه. قال في الصناعتين: ولا تجعل لفظك حوشيا بدويا ولا مبتذلا سوقيا ورتب الالفاظ ترتيبا صحيحا تقدم منها مايحسن تقديمه وتؤخر منها مايحسن تأخيره، ولا تقدم منها مايكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر ما كان التقديم به أليق، ولا تكرر الكلمة الواحدة في كلام قصير كما كتب سعيد بن حميد « ومثل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئا يفي بحقك ورأى أن تقريظك بما يبلغه اللسان وان كان مقصرا عن حقك أبلغ في اداء مايجب لك » فكرر ذكر « الحق » مرتين في مقدار يسير. على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر في صناعة الكتاب أن ذلك ليس بعيب عند كثير من أهل العربية، وهو الحق، فقد وقع مثل ذلك من التكرير في القرآن الذي هو أفصح كلام وأتق نظام في قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات في مقدار يسير من الكلام: وامثاله في القرآن الكريم كثير. قال ابو هلال العسكري فان احتاج الى اعادة المعاني أعادها بغير اللفظ الذي بدأ به كما قال معاوية: من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو لزيق، ومن لم يكن من بني المغيرة تياها فهو سنيد. فقال دخيل ثم لزيق ثم سنيد والمعنى واحد والكلام على ما ترى حسن ولو قال لزيق ثم اعاد لسمج على أن الوزير ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر قد ذكر ما ينافي ذلك وتعقب ابا اسحاق الصابي في قوله في تحميدة كتاب « الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الالسن في ألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها » فقال لا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور. قال في الصناعتين: واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع؛ فان جعلتها مسجوعة كان أحسن مالم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد

وكثيرا ما يقع ذلك في السجع وقلما يسلم اذا طال من استكراه وتنافر. قال ابن أبي الاصبع: ولا تجعل كلامك كله مبنيا على السجع فتظهر عليه الكلفة ويتبين فيه أثر المشقة وتتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط واللفظ النازل وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة فى السجع فجاءت نافرة من اخواتها قلقة فى مكانها؛ بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعانى واجتهد فى تقويم المبانى، فان جاء الكلام مسجوعا عفوا من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان؛ وان عز ذلك فاتركه، وان اختلفت أسجاعه وتباينت فى التقفية مقاطعه؛ فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه الا ما أتت به الفصاحة فى اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة. وتلك طريقة الامام على رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع، ويزيد بن هارون، وابراهيم بن العباس، والحسن بن سهل، وعمرو بن مسعدة، وأبى عثمان الجاحظ وغيرهم من الفصحاء والبلغاء. وينبغي ان يعمل السجعات متفرقة بحسب ما يجود به الخاطر ثم يرتبها في الآخر ويحترز عند جمعها من سوء الترتيب ويتوخى حسن النسق عند التهذيب ليكون بعض كلامه آخذا بأعناق بعض فأنه أكمل لحسنه وأمثل لوصفه. قال فى مواد البيان: واقل ما يكون من الازدواج قرينتان. قال العسكرى: وينبغى أن يجتنب اعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد اذا كتبت في مثل قول القائل: له منه عليه، أو عليه منه، أو به له منه، وحقه له عليه، قال وسبيله أن يداويه حتى يزيله بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول: أقمت به شهداء عليه

قال ابن أبي الاصبع وابراع الايجاز في موضعه والاطناب في موضعه بحسب ما يقتضيه المقام ويتجنب الاسهاب والتطويل لغير المفيد. قال العسكرى: وينبغي أن يأتى في تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز في الامور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعانى على ما يقع في موقعه ويليق بالمكان الذى يوقع فيه؛ ولكن لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه تنزيها لكلام الله تعالى عن الابتذال فانه انما يستعمله على جهة التبرك والزينة لا ليجعل حشوا فى الكلام واذا استعير منه شيء أتى به على صورته ولا ينقله عن صيغته ليسلم من تحريفه ومخالفة اختيار الله فيه قال وكما لا يجوز الاكثار منه

لايجوز أن يخلى كلامه من شئ منه تحلية له فان خلو الكلام من القرآن يطمس محاسنه وينقص بهجته ولذلك كانوا يسمون الخطبة الخالية من القرآن « بتراء » وينبغى أن لا يستعمل في كتابته ماجاء به القرآن العظيم من الحذف، ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص، والجماعة بلفظ الواحد، والواحد بلفظ الجماعة وما يجرى هذا المجرى؛ لأن القرآن قد نزل بلغة العرب وخوطب به فصحاؤهم بخلاف الرسائل وكذلك لايجوز أن يستعمل فيهما ما يختص بالشعر من صرف مالا ينصرف، وحذف مالا يحذف، وقصر الممدود ، ومد المقصور والاخفاء فى موضع الاظهار ، وتصغير الاسم في موضع تكبيره الا أن يريد تصغير التعظيم كقول القائل: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ومما يناسب الكاتب من وصية أبى تمام لابى عبادة البحترى قوله: وأن تناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام وتكون كخياط يقدر الثياب على قدر الاجسام، وأن تجمل شهوتك لتأليف الكلام هى الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين، وتعتبر كلامك بما سلف من كلام الماضين فما استحسنه العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه. وينبغى للكاتب أن يحصل المبدأ والمخلص والمقطع ويميز بفكره محط الرسالة قبل العمل فانه أسهل للقصد ويجتهد فى تجويد هذه المواضع وتحسينها

﴿ وأما بيان مايستحسن من الكلام المصنوع ومايعاب منه ﴾ فقد قال في الصناعتين : ان الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه ولين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديه وموافقة أواخره لمباديه مع قلة ضروراته بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه. فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من ضعف التأليف وبعده من سماجة التركيب صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا فاذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم تمجه النفس فأن النفس تقبل اللطيف وتنبو عن الكثيف وتقلق عن الجاسى البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه وتنفر عما يضاده ويخالفه، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف ويصغي الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافي الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب إلا

الفهم المضطرب والروية الفاسدة. قال : وأحسن الكلام ما تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن نظمه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون خلقا بغيضا، ولا السوقي من الالفاظ فيكون مهلهلا دونا؛ ولاخير في المعاني اذا استكرهت قهرا، والالفاظ اذا أجبرت قسرا؛ ولاخير فيما أجيد لفظه الا مع وضوح المغزى وظهور المقصد. ثم قال : وقد غلب على قوم الجهل فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد، ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة: ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا وأعز مطلبا وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ؛ ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع. وقد وصف الفضل ابن سهل عمرو بن مسعدة فقال : وهو أبلغ الناس ؛ ومن بلاغته ان كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتابته فاذا رامها تعذرت عليه

الفصل الثانى

﴿ الأيام والساعات ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين وتفاصيل أجزائها والطرائق الموصلة اليها على اختلاف الاسم في ذلك

﴿ فأما الايام ﴾ فيحتاج اليها الكاتب في تواريخ المكاتبات والولايات وغيرهما مما يحتاج الى التاريخ بمثل ان يكتب « وكتب في اليوم الفلانى » أحد أيام الاسبوع ، ويحتاج الى ساعاتها في تاريخ البطائق التى تحملها الحمائم إذ العادة فيها أن يؤرخ بالساعات لوصول الطير الى المقصد غالباً في يومه ، وكذلك في عقد الهدن من حيث انها تصدر بمدد محررة من تلك الساعة وإلى أمد معلوم على ما سيأتى في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم الأيام جمع يوم ؛ وقد اختلف فى مدلول اليوم على مذهبين :

﴿ المذهب الأول ﴾ — وهو مذهب أهل الهيئة ، أن اليوم عبارة عن زمان جامع لليل والنهار ، مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الاولى الى عودها الى ذلك الموضع الذى ابتعدت منه . وأظهر هذه الدوائر الأفق ، وهو حيث مطالع الشمس . ثم منهم من يقدم الليل فيفتتح اليوم بغروب الشمس ويختم بغروبها

من اليوم القابل ، وعليه عمل المسلمين وأهل الكتاب ، وعليه كانت العرب تعمل لأن شهورهم مبنية على سير القمر كما سيأتى؛ وأوائلها مقدرة برؤية الهلال . ومنهم من يقدم النهار على الليل فيفتتح اليوم بطلوع الشمس ويختم بطلوعها من اليوم القابل ، وعليه عمل الفرس والروم

﴿ المذهب الثانى ﴾ — وهو مذهب الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتي لو قال لزوجته : انت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين: طبيعى، وشرعى . أما الطبيعى فالليل من لدن غروب الشمس واستتارها بحدبة الارض الى طلوعها وظهورها من الافق ؛ والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيبوبة نصفها فى الافق في المغرب ؛ وجميع الامم تستعمله كذلك. وأما الشرعى فالليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى، والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس؛ و بذلك تتعلق الاحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرهما

ثم قد يوجد وقتُ الصبح فى موضع طلوع الشمس ، ويوجد وقت الظهر في موضع وقت الغروب في موضع آخرُ(١) . وعلى هذا قد قسم علماء الهيئة مقدار الليل والنهار الى ثلاثمائة وستين جزءا ، سموا كل جزء منها درجة ؛ ثم جعلوا كل خمس عشرة درجة جزءا وسموها ساعة ، فتكون جملة ساعات الليل والنهار أربعا وعشرين ساعة كلٌ اثنتا عشرة ساعة . واطول ما يكون النهار بالديار المصرية أربع عشرة ساعة، وهي مائتان وعشر درجات . وأقصر ما يكون عشر ساعات وهي مائة وخمسون درجة . ولكل ساعة من ساعات الليل والنهار اسم يخصها : فالأولى من ساعات الليل تسمى الشاهد ، والثانية الغسق ، والثالثة العتمة ، والرابعة الفحمة ، والخامسة الموهن ، والسادسة القطع ، والسابعة الجرس(٢)، والثامنة العلك(٣)، والتاسعة النباشير، والعاشرة (٤)، والحادية عشرة الفجر الأول ، والثانية عشرة الفجر المعترض . واما ساعات النهار فالأولى منها تسمى الذرور ، والثانية البزوغ ، والثالثة الضحى ، والرابعة الغزالة ، والخامسة الهاجرة،

---

(١) اى من الكرة الأرضية (٢) في الضوء الحرس ، وفى الصبح الحوبان وكلاهما خطأ
(٣) بياض بالمختصر والمطول ولعلها السحر (٤) في الصبح الهكة وفي الضوء العتلة وكلاهما تحريف

والسادسة الزوال ، والسابعة الدُلوك ، والثامنة العصر ، والتاسعة الأصيل ، والعاشرة الصبوب ، والحادية عشرة الحدور(١) ، والثانية عشرة الغروب . ويروى عنهم على وجه آخر فيقال فيها : البكور، ثم الشروق ، ثم الأشراق ، ثم الراد ، ثم الضحى ، ثم المتوع ، ثم الهاجرة ، ثم الاصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الغروب . قال في مناهج الفكر: ان أول من قسم النهار الى اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام وضمن ذلك وصية لابنه شيث وعرفه ماوظف عليه فى كل ساعة من العبادة . ومن فائدة معرفة ساعات النهار كتابة تاريخ البطائق فأنها انما تؤرخ بالساعات على ماسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

اذا علمت ذلك فلا نزاع فى أن الأيام سبعة ففى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال «خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الأثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل» . فصرح فى الحديث بذكر الأيام السبعة . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ان الله عز وجل خلق يوما واحدا فسماه الأحد ، ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ، ثم خلق خامسا فسماه الخميس. ولا ذكر فى هذا الاثر ليوم الجمعة لكن قد ورد به الحديث المتقدم، بل نص فى القرآن عليه بقوله تعالى « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة » وقد اختلف فى أول أيام الاسبوع وما كان فيه ابتداء الخلق منها على ثلاثة أقوال :

أحدها — ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ... واذ كان هو ابتداء الخلق لزم أن يكون اول أيام الاسبوع * الثانى — ان ابتداء الخلق وأول أيام الاسبوع السبت احتجاجا بحديث مسلم المتقدم ذكره انه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله

---

(١) في الضوء الحدرد وفي الصبح الحدود والصواب الحَدُور لأنه سمى العاشرة الصبوب ، والصبوب والحدور اسم مقدار الماء في انحدار صببه ، سميت بذلك لمضي أكثر الليل بها ويقولون صبة من النهار أى طائفة وتصبصب النهار ذهب أكثره .

التربة يوم السبت ... واذا كان هو الذي ابتدئ فيه الخلق تعين ان يكون هو أول الاسبوع *
الثالث – ابتداء الخلق يوم السبت، لحديث مسلم المتقدم ذكره، وأول الاسبوع الاحد
لقول ابن عباس في أثره السابق : خلق الله يوما واحدا فسماه الاحد . . .

واعلم ان السهيلي قد حكي ان اسماء الايام المتداولة بين الناس وهي الاحد، والاثنان، والثلاثاء، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة مأخوذة عن أهل الكتاب، أخذها عنهم العرب لما جاوروهم؛ ولا حقيقة لذلك ، بل عن العرب في أسمائها ثلاث روايات :

الرواية الاولى – ما نطقت به العرب المستعربة من بنى اسماعيل وبه وردت السنة النبوية وهو الاسماء المتقدمة : الاحد ' والاثنان ، والثلاثاء ، والاربعاء ' والخميس، والجمعة : فالاحد بمعنى واحد ' و يقال بمعني أول، ورجحه أبو جعفر النحاس فى صناعة الكاتب وهو المطابق لتسمية الثاني الاثنين. والثالث بالثلاثاء، والرابع بالأربعاء . وقيل أصله « وحد » بفتح الواو والحاء كما ان « أناة » أصلها « وناة » وجمع فى القلة على آحاد وأحدات؛ وفى الكثرة على أوحد وأوحاد ؛ و يحكي فى جمعه أيضا أحد . قال النحاس كأنه جمع الجمع * والاثنان بمعنى الثانى : قال النحاس وسبيله انه لا يثنى ولا يجمع وأن يقال فيه مضت ايام الاثنين الا أن يقول « ذوات » : قال: وقد حكى البصريون الأثن والجمع الثنى . وقال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ان شئت ان تجمعه فكأنه مبنى للواحد قلت أثانين . وحكي النحاس مثله عن كتاب الفراء فى الايام؛ وقال انما يجوز على حيلة بعيدة وهي ان يقال اليوم الاثنان فتضمر النون فيصير مثل عمران فتثنيه وتجمعه على هذا . وحكى عن الفراء أيضا فى جمع الكثرة أثان فتقول مضت أثان مثل اسماء وأسام . قال: وقرأت على أبى اسحاق فى كتاب سيبويه فيما حكاه : اليوم الثنى ، فتقول على هذا في الجمع الاثناء * والثلاثاء بمعنى الثالث ويجمع على ثلاثاوات وحكى الفراء ثلاثات وأثالث : قال فى صناعة الكاتب ويجوز التأنيث وكذا ثلاثات مثل جمع ثلاثة لان ألف التأنيث كالهاء : وتقول فيه مضت الثلاثاء على تأنيث اللفظ ومضى على تذكير اليوم ' وكذا فى الجمع تقول مضت ثلاث ثلاثاوات وثلاثة ثلاثاوات * والاربعاء بمعنى الرابع وتجمع على اربعاوات واربابيع ، والياء فيه عوض عما حذف ' فان لم تعوض قلت أرابع وأجاز الفراء أربعآت مثل ثلاثآت ومنعه البصريون للفرق بين [illegible] وغيرها * والخميس بمعنى الخامس ' ويجمع فى القلة على أخمسة وفى الكثرة

على خمس وخمسان كرغف ورغفان ويقال أخمساء كأنصباء . وحكي عن الفراء في الكثرة اخامس * والجمعة بضم الميم واسكانها ومعناها الجمع واختلف في سبب تسميتها بذلك : فقال النحاس لاجتماع الخلق فيه اى استكماله اذ كان آخر يوم وقع فيه الخلق وهذا ظاهر في أن هذا الاسم كان لها قديما . وقال العسكري في كتابه «الاوائل» اول من سماها جمعة كعب بن لؤي جمع قريشا فيها وخطبهم فسميت جمعة وكانوا لا يعرفون الا العروبة وعليه يدل كلام السهيلي وقيل بل اجتمع فيها الانصار الى سعد بن زرارة الانصارى فذكرهم وصلي بهم فسمى جمعة لاجتماعهم فيه وانزل الله تعالى سورة الجمعة : ومقتضاه ان هذا الاسم انما حدث لها في دار الاسلام وقد خصها الله تعالى بالذكر في كتابه العزيز بقوله «اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة» وتجمع على جمع وجمعات بفتح الميم وتسكينها * والسبت معناه القطع لأنه قطع فيه الخلق على رأى من يرى ان السبت آخر أيام الجمعة وأنه لا خلق فيه وقول النحاس انه مشتق من الراحة لا عبرة به لمضاهاة قول اليهود لعنهم الله تعالى أن الله استراح فيه بعد، وقد رد تعالى عليهم بقوله «وما مسنا من لغوب» أى تعب ويجمع في القلة على أسبت وفي الكثرة على سبوت مثل قرح وقروح

الرواية الثانية(١) — ما روى عن العرب العاربة من بنى قحطان وجرهم الأولى وهو انهم كانوا يسمون الأحد أول لأنه أول أعداد الايام ويسمون الاثنين أهون أخذا من الهون والهوينا وأوهد أيضا أخذا من الوهدة وهي المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه عن اليوم الأول في العدد ويسمون الثلاثاء جبارا بضم الجيم لأنه جبر به العدد ويسمون الاربعاء دبارا بضم الدال المهملة لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبره ويسمون الخميس مؤنسا لأنه يؤنس به لبركته ويسمون الجمعة العروبة بفتح العين مع الألف واللام وفي لغة شاذة عروبة بغير الف ولام مع عدم الصرف ومعناه اليوم البين أخذا من قولهم أعرب إذا أبان والمراد أنه بين العظمة والشرف اذ لم يزل معظما عند أهل كل ملة ويسمونه أيضا حربة بمعنى أنه مرتفع عال كالحربة التى هي كالرمح ويسمون السبت شيارا بفتح الشين المعجمة وكسرها مع الياء المثناة تحت ، أخذا من شرت الشيء اذا استخرجته وأظهرته من مكانه اما بمعنى انه استخرج من الأيام التى وقع

(١) هذه هي الرواية الثانية وتخطاها المؤلف في الضوء فلم يذكرها فلخصناها من الصبح

فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الاسبوع وأن ابتداء الخلق الأحد وانتهاءه الجمعة واما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه والى هذه الأسماء يشير النابغة بقوله

أؤمل ان اعيش وان يومي … لأول او لأهون أو جبار
أو التالى دبار فأن أفته … فمؤنس أو عروبة أو شيار

. الرواية الثالثة — مايروى عن العرب العاربة أيضا انهم كانوا يسمون الايام أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، فيحتمل أن أبجد للأحد على راى من يرى أنه ابتدئ فيه الخلق ويكون لا ذكر فيها للسبت ويحتمل ان ابجد اسم للسبت على راى من يرى أنه ابتدئ فيه الخلق وتكون الجمعة لا ذكر لها

الشهور

وأما الشهور فيحتاج اليها الكاتب في التواريخ ايضاً كما يحتاج الى الايام مثل أن يكتب « وكتب يوم كذا من شهر كذا » وتختص الشهور الشمسية بمعرفة مايكون فى كل زمان مما جرت العادة به فيه على ماسنرى بعضه عند ذكر الشهور القبطية ان شاء الله تعالى . والشهر فى لغة العرب مأخوذ من الشهرة ، سمى بذلك لاشتهاره برؤية الهلال في أوله ويجمع في الكثرة على شهور وفى القلة على أشهر ؛ ثم الشهور على ضربين

﴿ الضرب الاول الطبيعى ﴾ والمراد به الشهور القمرية وهي صنفان :

﴿ الصنف الاول ﴾ شهور العرب . ومدارها على رؤية الهلال . والمنجمون يجعلون عدد ايامه تسعة وعشرين يوما ونصف يوم على التقريب . ولما كان هذا الكسر في العدد عسراً عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما: احدهما ثلاثون يوما وهو التام، والآخر تسعة وعشرون ، وهو الناقص .فيعدون أبدا شهرا ثلاثين وشهرا تسعة وعشرين، ويجرون على ذلك في أعمالهم . وطريقة العرب فيه اعتماد رؤية الهلال فيعتبرون الشهر من رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا؛ وعليها ورد الشرع وبها نطق التنزيل بقوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج» فتارة يكون الشهر ثلاثين، وتارة تسعة وعشرين بحسب رؤية الهلال . وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ام سلمة رضي الله عنها أن

النبي صلى الله عليه وسلم حلف لا يدخل على بعض نسائه شهرا، فلما مضى تسع وعشرون غدا عليهن أو راح، فقيل يارسول الله حلفت لا تدخل عليهن شهرا . فقال الشهر يكون تسعاً وعشرين، وقد يتوالى شهران فأكثر ناقصة. فباستهلال الهلال يعرف ابتداء الشهر وانسلاخ ما قبله ، وبزيادته ونقصانه وتنقله فى المنازل يعرف كم مضى من الشهر

اذا علم ذلك فقد قسمت العرب ليالى الشهر بعد استهلاله كل ثلاثة أيام قسما وسمتها باسم : فالثلاث الاول منها هلال ، والثلاث الثانية قمر ، والثلاث الثالثة بهر ، والثلاث الرابعة زهر ، والثلاث الخامسة بيض لان الليالى تبيض بطلوع القمر فيها من أولها الى آخرها ، والثلاث السادسة درع لان أوائلها تكون سوداء وسائرها بيض ، والثلاث السابعة ظلم ، والثلاث الثامنة حنادس ، والثلاث التاسعة دآدى الواحدة منها دأدأة على وزن فعللة ، والثلاث العاشرة : ليلتان منها محاق ، وليلة سرار لأمحاق الشمس القمر فيها وقيل غير ذلك

اذا علم ذلك فشهور العرب اثناعشر شهرًا لا زيادة فيها ولا نقص وبها نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض » وقد سمت العرب كل شهر منها باسم . ثم عنهم في ذلك روايتان :

الرواية الاولى — ما نطقت به العرب المستعربة وبه وردت السنة في تسمية كثير منها وعليه الاستعمال من ابتداء الاسلام وهلم جرا الى الآن : الاول المحرم ، سمى بذلك لانهم كانوا يحرمون فيه القتال لكونه من الاشهر الحرم . ويجمع على محرمات ، ومحارم ، ومحاريم * الثانى صفر ، سمي بذلك لانهم كانوا يغيرون فيه على العدو لانحباسهم عن القتال في المحرم قبله فتبقى بيوتهم صفرًا منهم أي خالية ؛ وقيل لانهم كانوا يغيرون فيه على بلاد يقال لها الصفرية . ويجمع على صفرات ، واصفار ، وصفور ، وصفار * الثالث ربيع الاول ، سمى ربيعا لانهم كانوا يحصلون فيه ما أصابوه فى صفر فتخصب بيوتهم . والربيع فى اللغة : الخصب ؛ وقيل : لارتباعهم فيه ، قال فى صناعة الكتاب : والاول اولى بالصواب . ووصف بالاول ليفرق بينه وبين ربيع الآخر . ويقال فى تثنيته ربيعان الاولان ، وفي الجمع ربيعات الأولات ؛ فان اضيف اليه شهر فقيل شهر ربيع الاول قيل في التثنية شهرا ربيع الاولان ؛ وفى الجمع شهرات ربيع الأولات والاوائل ؛

قال النحاس: وان شئت قلت في القليل اشهر وفي الكثير شهور. وحكى عن قطرب: الاربعة الاوائل، وعن غيره: ربع الأوائل * الرابع ربيع الآخر، والكلام في تسميته وتثنيته وجمعه كالكلام في ربيع الاول * الخامس جمادى الاولى، سمي بذلك لجمود الماء فيه لان الوقت الذى سمى فيه بذلك كان الماء فيه جامداً لشدة البرد. ويقال في تثنيته جماديان الاوليان. وفي الجمع جماديات الأوليات * السادس جمادى الآخرة، والكلام فيه تسمية وتثنية وجمعاً كالكلام في جمادى الاولى * السابع رجب، سمي بذلك لتعظيمهم له أخذاً من الترجيب وهو التعظيم. ويجمع على رجبات، وأرجاب، وفي الكثرة على رجاب، ورجوب * الثامن شعبان، سمي بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات لأمساكهم عن القتال في رجب لكونه من الاشهر الحرم؛ وقيل لتشعب العود في الوقت الذى سمى فيه؛ وقيل لأنه شعب بين رجب ورمضان. ويجمع على شعبانات وشعابة على حذف الزوائد. وحكي الكوفيون شعابين. قال النحاس: وذلك خطأ على قول سيبويه كما لا يجوز في جمع عثمان عثامين * التاسع رمضان، سمى بذلك أخذاً من الرمضاء لأنه وافق وقت تسميته زمن الحر. ويجمع على رمضانات وحكى الكوفيون رماضين. قال النحاس: والقول فيه كالقول في شعابين. فأن أضيف اليه لفظ شهر قيل في التثنية شهرا رمضان؛ وفي الجمع شهرات رمضان، وأشهر رمضان، وشهور رمضان * العاشر شوال، سمى بذلك أخذا من قولهم شالت الابل بأذنابها إذا حملت لحمايهم عليها فيه لكونه أول شهور الحج، وقيل من شال يشول اذا ارتفع ولذلك كانت الجاهلية تكره التزويج فيه نظراً لما فيه من معنى الاشالة والرفع وجاء الاسلام بهدم ذلك حتى قالت عائشة رضى الله عنها ردا عليهم: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال، فأي نسائه كان أحظي عنده مني. ويجمع على شوالات وشواويل وشواول * الحادي عشر ذو القعدة بفتح القاف وكسرها، سمى بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه من الاشهر الحرم. ويجمع على ذوات القعدة: وحكي الكوفيون أولات القعدة. وربما قالوا ذات القعدة أيضاً * الثاني عشر ذو الحجة، سمى بذلك لوقوع الحج فيه. والكلام في جمعه كالكلام في ذي القعدة من غير فرق

واعلم ان من الشهور المذكورة اربعة أشهر حرم كما نطق بها الكتاب العزيز بقوله تعالى «منها اربعة حرم» وهي المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة ؛ وسميت حرما لتحريم القتال فيها. وقد كانت العرب في الجاهلية يقعدون عن القتال فيها ويحرمونه حتى ليلاقي الرجل منهم قاتل أبيه فلا يقتله. وقد اختلف فى الابتداء بعدّها : فذهب أهل المدينة الى أنه يبتدأ بذى القعدة احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم عدها فى حجة الوداع كذلك فقال: السنة اثناعشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. واختاره النحاس. وذهب أهل الكوفة الى انه يبتدأ بالمحرم فيقال المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة ليأتوا بها من سنة واحدة. واليه ميل الكتاب ؛ قال فى صناعة الكتاب : ولا حجة لهم فيه لأنه اذا علم أن المقصود ذكرها فى كل سنة فكيف يتوهم أنها من سنتين

واعلم انه يجوز ان يضاف لفظ شهر الى جميع الاشهر فيقال شهر المحرم، وشهر صفر، وشهر ربيع الاول، وكذا فى البواقي؛ على أن منها ثلاثة أشهر لم تكد العرب تنطق بها الا مع الاضافة وهي شهرا ربيع وشهر رمضان كما صرح به الجوهرى. ويؤيد ذلك اضافة شهر الى رمضان فى قوله تعالى « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » وقد روي عن مجاهد انه قال فيه : لا تقل رمضان، ولكن كما قال الله تعالى : شهر رمضان؛ فأنك لا تدرى ما رمضان. وعن عطاء نحوه ؛ وأنه قال : لعل رمضان اسم من اسماء الله تعالى. لكن قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا جاء رمضان اغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين.. وهو صريح فى جواز تعريته عن الاضافة. وللعلماء في ذلك ثلاثة مذاهب : أحدها جواز تعريته عن « شهر» مطلقا سواء قامت قرينة على أن المراد به الشهر أم لا. فيقال : جاء رمضان وصمت رمضان، وهو ما رجحه النووى في شرح مسلم * والثاني المنع مطلقا * والثالث ان قامت قرينة كما فى قوله صمنا رمضان، جاز وإلا فلا. وزاد بعضهم فيما يضاف اليه شهر رجبا أيضا، وقال : كل شهر اوله حرف « راء » لا يقال الا بأضافة « شهر» اليه. ويقال في المحرم شهر الله المحرم. ففي صحيح مسلم وغيره من رواية أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم *

ويقال فى الربيعين : ربيع الأول وربيع الآخر ، ويقال فى الجمادين : جمادى الاولى وجمادى الآخرة على التأنيث . قال فى تثقيف اللسان ولا يقال جمادى الاول ، والآخر بالتذكير ؛ وجوزه ابن الاحدائى في كلامه على تثقيف اللسان . قال فى صناعة الكتاب: وانما قالوا ربيع الآخر ، وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثانى وجمادى الثانية لأنه انما يقال الثانى والثانية لما له ثالث وثالثة ؛ ولما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل : الدنيا والآخرة . ويؤيد ما قاله ما جرى عليه التنزيل في قوله تعالى فى واقعتي بنى اسرائيل « فاذا جاء وعد أولاهما » ثم قال « فاذا جاء وعد الآخرة » ولم يقل الثانية . على ان اكثر استعمال بلاد المغرب على « الاولى والثانية » * ويقال فى رجب: الفرد ، لانفراده عن بقية الاشهر الحرم . ويقال فيه أيضا « رجب مضر » فقد قال صلى الله عليه وسلم فى عدة الاشهر الحرم « . . . ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » ويقال أيضا فيه « الاصم » لأنه لم يسمع فيه صوت سلاح لكونه من الاشهر الحرم * ويقال فى شعبان « الكريم » لتكرمته وعلو قدره * ويقال في رمضان « المعظم » والمعظم قدره » لعظمته وشرفه * ويقال فى شوال « المبارك » للفرق بينه وبين شعبان خشية التحريف * ويقال فى كل من ذى القعدة وذى الحجة « الحرام » قال النحاس: وقد روى فى ذى الحجة ايضا « شهر الله الاصم » وروى بسنده عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا على ناقة حمراء مخضرمة فقال : اتدرون أي يوم يومكم هذا ؟ قلنا : يوم النحر . قال: صدقتم ، يوم الحج الاكبر . اتدرون اي شهر شهركم هذا ؟ قلنا : ذو الحجة . قال: صدقتم ، شهر الله الاصم

الرواية الثانية — ما روى عن العرب العاربة وهو أنهم كانوا يقولون في المحرم المؤتمر ، أخذا من « أمر القوم » إذا كثروا بمعنى أنهم يحرمون فيه القتال فيكثرون لعدم القتل ؛ وقيل: أخذا من الائتمار بمعنى انه يؤتمر فيه بترك الحرب . ويجمع على مؤتمرات ، ومآمر ومآمير * ويقولون في صفر « ناجر » أخذا من النجر ، والنجار ، وهو السوق الشديد لشدة سوقهم الخيل الى الحرب فيه لوقوعه بعد المحرم ويجمع على نواجر * ويقولون في ربيع الأول « خوّان » بالخاء المعجمة لأن الحرب تشتد فيه فتخونهم فتنقصهم .

ويجمع على خوانات ، وخواوين ، وخواون * ويقولون فى ربيع الآخر « وبصان » أخذا من الوبيص وهو البريق، لبريق الحديد فيه بوقوع القتال. ويجمع على وبصانات* ويقولون في جمادى الأولى « حنين » لأنهم يحنون فيه الى اوطانهم لكونه كان يقع في زمن الربيع . ويجمع على أحنة وحُنن كرغيف ورغف * ويقولون لجمادى الآخرة «ربّا» و« ربة » يعنى جماعة ، لأنه يجتمع به جماعة من الشهور التى ليست بحرم وهي ما بعد صفر . قال أبو عبيدة : وربان كل شيء جماعته . ويجمع على ربات ، وربايا مثل حبالى ؛ ومن قال رُبة جمعه على ما ربب * ويقولون في رجب «الاصم» لما تقدم من أنه لا يسمع فيه صوت السلاح ولا الاستغاثات . ويجمع على أصام . قال النحاس : ولا تقل : صم" ، لأنه ليس بنعت كما انك لو سميت رجلا « أحمر » جمعته على أحامر ولم تجمعه على حمر * ويقولون فى شعبان « عادل » بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الأقامة ببيوتهم لتشعبهم في القبائل . ويجمع على عوادل * ويقولون في رمضان « ناتق » لكثرة المحل عندهم فيه لأغارتهم على الأموال في الذى قبله . ويجمع على نواتق * ويقولون في شوال «وعل» أخذاً من قولهم : وعل الى كذا : إذا لجأ اليه؛ لأنهم يهربون فيه من الغارات لان بعده الأشهر الحرم فيلجؤن فيه الى امكنة يتحصنون فيها . ويجمع على اوعال ككتف وأكتاف ، وفي الكثرة وعول * و يقولون في ذى القعدة « ورنه » والواو فيه منقلبة عن همزة أخذا من أرن إذا تحرك لأنه الوقت الذى يتحركون فيه الى الحج . ويجمع على ورنات ، ووران كجفان * ويقولون فى ذى الحجة « برك » أخذا من البركة لوقوع الحج فيه ، أو من برك البعير؛ لأنه الوقت الذى تبرك فيه الابل للوسم . ويجمع على بركان مثل نغر ونغران * وقيل فيها غير ذلك

الصنف الثانى — من الشهور القمرية شهور اليهود وهي عندهم من الاجتماع الى الاجتماع ، وهو اقتران الشمس والقمر فى آخر الشهر ؛ ولذلك توافق شهورهم في التقدير شهور العرب ولا تخالف أوائلها إلا بيوم واحد فى بعض الاحيان لأسباب فى ملتهم ؛ ولكنها لا تطابق شهرً الشهر فأن شهور العرب غير مكبوسة وشهور اليهود مكبوسة. وطريقتهم في ذلك لا تعرف إلا بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم إلا الآحاد لخفائها . وشهورهم اثنا عشر شهرًا بعضها ثلاثون وبعضها تسعة وعشرون على

ما يقتضيه سير الشمس والقمر؛ وفي السنة الكبيسة تكون شهورهم ثلاثة عشر شهراً كما سيأتي وهي توافق شهور السريان في بعض أسمائها : الأول منها تشرى ' الثاني خشوان ، الثالث كسلا ' الرابع طابات ' الخامس شباط ، السادس أدار ' السابع نيسان ' الثامن إيار ، التاسع سيوان ، العاشر تموز ' الحادى عشر آب ، الثاني عشر ايلول

﴿ الضرب الثاني — الشهور الاصطلاحية ﴾ وهي التي اصطلح عليها الأمم والمشهور منها ثلاثة أنواع :

النوع الاول — شهور القبط . وينسب ترتيبها الى دقلطيانوس الملك . وهي : توت ودخوله في العشرين من آب من شهور السريان ' وأول يوم منه نيروز القبط وهو رأس سنتهم ؛ وآخره السادس والعشرون من أيلول منها ؛ فيه يذهب الحر ' وتجيء الكراكى الى مصر ، وفي سابع عشره عيد الصليب ' فيه يفتح أكثر الترع بمصر ' وفي ثامن عشره أول فصل الخريف ' وفي الرابع والعشرين منه أول « ذى ماه » من شهور الفرس * والثاني بابه . ودخوله في السابع والعشرين من أيلول من شهور السريان ' وآخره السادس والعشرون من تشرين الاول منها ' وثالثه رأس سنة السريان ' وفي رابعه اول تشرين الاول من شهورهم ' وفي الرابع والعشرين منه أول « بهرماه » من شهور الفرس * والثالث هاتور . ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثاني منها ، وفي خامسه أول تشرين الثاني ، وفي الرابع والعشرين أول « استيدارماه » من شهور الفرس * والرابع كيهك . ودخوله في السادس والعشرين من تشرين الثاني من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من كانون الاول منها . في أوله ابتداء أربعينات مصر ' وفي خامسه أول كانون الاول من شهور السريان ' وفي سابع عشره أول فصل الشتاء وهو أول أربعينات الشام ' وفي ثامن عشره يبتدئ تنفس النهار ' وفي الرابع والعشرين منه أول « مردوماه » من شهور الفرس * والخامس طوبه . ودخوله في السادس والعشرين من كانون الاول من شهور السريان وآخره الرابع والعشرون من كانون الثاني منها وفي عاشره آخر أربعينات مصر ' وفي الرابع والعشرين اول « برد هتماه » من شهور الفرس * السادس أمشير ودخوله في الخامس والعشرين من كانون الثاني من شهور السريان وآخره الثالث

والعشرون من شباط منها . فى سادسه أول شباط ' وفى الرابع والعشرين منه أول « حرداماه » من شهور الفرس * السابع برمهات . ودخوله فى الرابع والعشرين من شباط من شهور السريان' وآخره الخامس والعشرون من أدار منها . فى خامسه أول أدار من شهور السريان ' وفى الرابع والعشرين أول « بيرماه » من شهور الفرس * الثامن برموده . ودخوله فى السادس والعشرين من أدار من شهور السريان ، وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها في سادسه اول نيسان المذكور وفي الرابع والعشرين اول « مرداماه » من شهور الفرس * التاسع بشنس ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور السريان وآخره التاسع والعشرون من ايار منها . فى سادسه أول ايار من شهور السريان وفى الرابع والعشرين منه أول « برماه » من شهور الفرس * العاشر بؤنه . ودخوله فى الخامس والعشرين من أيار من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من حزيران منها . وفى سابعه اول حزيران * الحادى عشر ابيب . ودخوله فى الرابع والعشرين من حزيران من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من تموز منها ؛ وفى سابعه اول تموز من شهور السريان ' وفي الرابع والعشرين اول (ايارماه) من شهور الفرس ، وفى السادس والعشرين منه طلوع الشعرى اليمانيه * الثاني عشر مسرى . ودخوله فى الرابع والعشرين من تموز من شهور السريان وآخره السابع والعشرون من آب منها : وفى ثامنه أول آب المذكور ، وفي السابع والعشرين أول (أدرماه) من شهور الفرس * أيام النسئ . ودخولها فى الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها

النوع الثانى — شهور السريان . وهي اثناعشر شهرا بعضها ثلاثون يوما وبعضها زائد على الثلاثين وبعضها ناقص عنها ولا نسيء فيها وينسب ترتيبها الى الاسكندر الاول . الاول تشرين وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الرابع من بابه من شهور القبط وآخره الرابع من هاتور منها ويوافقه اكتوبر من شهور الروم وهو الشهر العاشر منها . الثانى تشرين الثانى وهو ثلاثون يوما ودخوله في الخامس من هاتور من شهور القبط وآخره الرابع من كيهك منها . ويوافقه (نونمبر) من شهور الروم وهو الشهر الحادى عشر منها . الشهر الثالث كانون الاول وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله فى الخامس من كيهك من شهور القبط وآخره

الخامس من طو به منها ويوافقه (دجنبر) من شهور الروم وهو الشهر الثانى عشر منها.
الرابع كانون الثانى وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله فى السادس من طوبه من شهور القبط وآخره السادس من أمشير. ويوافقه (ينير) من شهور الروم وهو الشهر الاول منها * الخامس اشباط ويقال شباط وهو ثمانية وعشرون يوما ودخوله فى السابع من أمشير من شهور القبط وآخره الرابع من برمهات منها. ويوافقه (فبرير) من شهور الروم وهو الثانى من شهورهم * السادس اذار وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الخامس من برمهات من شهور القبط وآخره الخامس من برموده منها * ويوافقه (مارس) من شهور الروم وهو الثالث من شهورهم * السابع نيسان وهو ثلاثون يوما ودخوله فى السادس من برموده من شهور القبط وآخره الخامس من بشنس منها. ويوافقه « ابريل » من شهور الروم وهو الرابع من شهورهم * الثامن ايار وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى السادس من بشنس من شهور القبط وآخره السادس من بؤنه منها. ويوافقه «مايه» من شهور الروم وهو الخامس من شهورهم * التاسع حزيران وهو ثلاثون يوما ودخوله فى السابع من بؤنه من شهور القبط وآخره السادس من أبيب منها. ويوافقه «يونية» من شهور الروم وهو السادس من شهورهم * العاشر تموز وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله فى السابع من أبيب من شهور القبط وآخره السابع من مسرى منها. ويوافقه « يوليه » من شهور الروم وهو السابع من شهورهم * الحادى عشر آب وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله فى الثامن من مسرى من شهور القبط وآخره الثالث من توت منها ويوافقه «اغشت» من شهور الروم وهو الثامن من شهورهم.
الثانى عشر ايلول وهو ثلاثون يوما ودخوله فى الرابع من توت من شهور القبط وآخره الثالث من بابه منها ويوافقه « شتنبر » من شهور الروم وهو التاسع من شهورهم وقد نظمها بعضهم فى أبيات ابتدأ فيها بأيلول وهو الثانى عشر منها مقدما لآخر السنة على أولها فقال:

وابدأ بأيلول من السريانى * تشرين الاول يعتقبه الثانى
كانون كانون شباط يطلع * اذار نيسان ايار يتبع
ثم حزيران وتموز وأب * تبارك الرحمن بهدى من أحب

قلت: وقد أكثر الناس من النظم في تداخل الشهور القبطية مع السريانية وأوردت جملة من ذلك فى الاصل. وأخصر ما رأيته في ذلك ما نظمه بعض المتأخرين في بيت

واحد فيه اثنتا عشرة كلمة ، كل كلمة ثلاثة أحرف ، الحرف الاول اشارة للشهر السريانى ، والثانى لعدد الايام والثالث اشارة للشهر القبطى وهو

ادت تدب تهه كهك كوط أزا   أهب نوب أوب حزب تزا أحم

فالالف من أدت اشارة لايلول من شهور السريان وهو آخر شهورهم ، والتاء اشارة لتوت من شهور القبط وهو أول شهورهم ، والدال من أدت بأربعة ، ففي الرابع من توت يدخل أيلول ؛ والتاء من « تدب » اشارة لتشرين الاول والباء اشارة لبابه والدال بينهما بأربعة ففي الرابع من بابه يدخل تشرين الاول ، والتاء من « تهه » اشارة لتشرين الثانى والهاء الاخيرة اشارة لهاتور والهاء المتوسطة بينهما بخمسة ففي الخامس من هاتور يدخل تشرين الثاني ؛ والكاف الاولى من « كهك » اشارة لكانون الاول والكاف الاخيرة اشارة لكيهك والهاء بينهما بخمسة ففي الخامس من كيهك يدخل كانون الاول ؛ والكاف من كوط اشارة لكانون الثاني والطاء اشارة لطوبه والواو بينهما بستة ففي السادس من طوبه يدخل كانون الثانى ؛ والالف الاولى من أزا اشارة لاشباط والالف الاخيرة اشارة لامشير والزاى بينهما بسبعة ففي السابع من أمشير يدخل اشباط ؛ والالف من أهب اشارة لادار والباء اشارة لبرمهات والهاء بينهما بخمسة فى الخامس من برمهات يدخل ادار ؛ والنون من نوب اشارة لنيسان والباء اشارة لبرموده والواو بينهما بستة ففى السادس من برموده يدخل نيسان : والالف من أوب اشارة لايار والباء اشارة لبشنس والواو بينهما بستة ففي السادس من بشنس يدخل ايار ، والحاء من حزب اشارة لحزيران والباء اشارة لبؤنه والزاى بينهما بسبعة فى السابع من بؤنه يدخل حزيران ، والتاء من تزا اشارة لتموز ، والالف اشارة لابيب والزاى بينهما بسبعة فى السابع من أبيب يدخل تموز ؛ والالف من أحم اشارة لآب والميم اشارة لمسرى والحاء بينهما بثمانية فى الثامن من مسرى يدخل آب

﴿ النوع الثالث ﴾ — شهور الروم . وتنسب لاغشطش ملك الروم وهو قيصر الاول وهي أثنا عشر شهرًا بعضها ثلاثون يوما و بعضها زائد علي الثلاثين و بعضها ناقص عنها كما فى شهور السريان وهي مطابقة لشهور السريان في العدد مخالفة لها فى الاسم والترتيب . الاول (ينير) ، و يوافقه كانون الثانى من شهور السريان وهو الرابع من شهورهم ، وفى أول يوم منه يكون القلنداس يوقد أهل الشام في ليلته نيرانا عظيمة لاسيما مدينة انطاكية

وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الروم وسائر بلاد النصارى * الثانى (فبرير) ويوافقه شباط من شهور السريان وهو الخامس من شهورهم * الثالث (مارس) ويوافقه ادار من شهور السريان وهو السادس من شهورهم * الرابع (ابريل) ويوافقه نيسان من شهور السريان وهو السابع من شهورهم * الخامس (مايه) ويوافقه ايار من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * السادس (يونيه) ويوافقه حزيران من شهور السريان وهو التاسع من شهورهم * السابع (يوليه) ويوافقه تموز من شهور السريان وهو العاشر من شهورهم * الثامن (أغشت) ويوافقه آب من شهور السريان وهو الحادى عشر من شهورهم * التاسع (شتنبر) ويوافقه ايلول من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * العاشر (أكتوبر) ويوافقه تشرين الاول من شهور السريان وهو الاول من شهورهم * الحادى عشر (نونبر) ويوافقه تشرين الثانى من شهور السريان وهو الثانى عشر من شهورهم * الثانى عشر (دجنبر) ويوافقه كانون الاول من شهور السريان وهو الثالث من شهورهم ...
وقد نظمها صاحبنا الشيخ ابراهيم الدهشوى المشهور بالسهر وردى رحمه الله في أبيات على الترتيب فقال

ينير فبرير مارس للروم ابريل مايو خامس المعلوم
ينيه ويليه ثم أغشت شتنبر اكتوبر نونبر دجنبر

﴿ النوع الرابع ﴾ - شهور الفرس . وهى اثنا عشر شهرا كل شهر منها ثلاثون يوما وأيام النسى خمسة أيام فى آخر الشهر السابع منها وهو (أبان ماه) (وماه) عندهم اسم للشهر ، والذى قبله صفة له ومضاف اليه : الاول منها - (افرودين ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من شهر طوبه منها * الثانى (ارديبهشتماه) ودخوله فى الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أمشير * الثالث (حردادماه) وأوله فى الرابع والعشرين من آب من شهور القبط وآخره في الثالث والعشرين من برمهات منها * الرابع (تيرماه) ودخوله فى الرابع والعشرين من برمهات من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من برموده منها * الخامس (ترداماه) ودخوله في الرابع والعشرون من برموده من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بشنس * السادس « يرماه » ودخوله فى الرابع والعشرين من بشنس

وآخره في الثانى والعشرين من بؤنه منها * السابع (مهرماه)ودخوله فى الرابع والعشرين من بؤنه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أبيب منها * الثامن (أبان ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من أبيب من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من مسرى منها * أيام النسئ ـ وتعرف عندهم بالمشتركة وهي خمسة أيام أولها الرابع والعشرون من مسرى من شهور القبط وآخرها الثامن والعشرون منه * التاسع (ادرماه) ودخوله في الثالث والعشرين من مسرى من شهور القبط وفى ثالثة أيام النسئ للقبط وآخره الثالث والعشرون من توت منها * العاشر (ذى ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من توت من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بابه منها * الحادى عشر (بهمن ماه) ودخوله فى الرابع والعشرين من بابه وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها * الثاني عشر (١)

السنون

السنون جمع سنة، ويقال لها العام والحول . وقد نطق القرآن العظيم بالأسماء الثلاثة قال تعالى « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » فأتى بذكر السنة والعام في آية واحدة، وقال جل وعز (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فأتى بذكر الحول . وقد تختص (السنة) بالجدب و (العام) بالخصب وقد ورد القرآن بذلك فى بعض الآيات ، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه والسلام (ثم يأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) فعبر بالعام عن الخصب ، وقال جل ذكره (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) فعبر بالسنين عن الجدب . على أنه وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضاً في قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما

(١) بياض في المختصر والمطول . ومما ننبه اليه ان المؤلف اضطرب في هذا الفصل وخلط فيه هنا وفي الاصل . فقد ذكر أن أيام النسئ تعقب الشهر السابع ثم سردها بعد الثامن ، وأورد أسماء الشهور فلم يوفها في الموضعين فضلا عن انها لا تطابق ما ذكره منها في تداخلها مع الشهور القبطية (صحيفة ١٥٠) وقد ورد في دائرة المعارف ان شهور الفرس هي : مرداة ، شهريروار ، مهر ، آبان ، أدار ، دى ، بهمان ، اسفندرماد ، فروردين ، ارديبا هشت ، حرداد ، تير

حصدتم فذروه في سنبله) اما الحول فأنه يقع على الخصب والجدب جميعا . ثم السنة على قسمين : طبيعية واصطلاحية كما في الشهور

﴿ القسم الاول ﴾

﴿ السنة الطبيعية ﴾ وهي القمرية . وأولها استهلال القمر في غرة المحرم وآخرها سلخ ذى الحجة من تلك السنة . وهي اثنا عشرا شهرا هلاليا قال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثناعشرشهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض) وعدد أيامها فيما قاله المنجمون ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم تقريبا ويجتمع من هذا الخمس والسدس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذى اجتمع شيء فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك الى أن يبقى الكسر أحدعشر يوماعند تمام ثلاثين سنة وتسمى تلك السنين كبائس العرب . قال السهيلي : كانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ؛ فلما كانت سنة حجة الوداع وهي سنه تسع من الهجرة عاد الحج الى وقته اتفاقا في ذى الحجة كما وضع أولا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ثم قال في خطبته التى خطبها يومئذ: ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض . يعنى ان الحج قد عاد فى ذى الحجة . وقيل لم تزل العرب في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لاتنسأ سنيها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب فارادت العرب ان يكون حجهم في أخصب وقت من السنة وأسهل زمان للتردد بالتجارة فتعلموا الكبس من اليهود . ولما جاء الاسلام بنى الشارع الشهور على الأهلة ومنع النسيء الذى كانت العرب تفعله فقال تعالى (انما النسيء زيادة في الكفر . . .) الآية

﴿ القسم الثانى ﴾

﴿ السنة الاصطلاحية ﴾ وهي الشمسية . وشهورها اثنا عشر شهرًا كما في السنة الطبيعية إلا أن كل طائفة راعت عدم دوران سنيها فجعلت في اشهرها زيادة في الأيام إما جملة واحدة كما فى الشهور القبطية واما متفرقة كما في الشهور السريانية وسمتها نسيئا

بحسب ما اصطلحوا عليه كما ستقف عليه فى مصطلح كل قوم ان شاء الله تعالى. وعدد أيام السنة الشمسية عند جميع الطوائف من المنجمين والقبط والسريان والروم والفرس ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم . فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام وثمانية أعشار يوم وخمسة أسداس يوم . وقد قال بعض حذاق المفسرين فى قوله تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) انه ان حمل على السنين القمرية فهو على ظاهره من العدد ؛ وان حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية لأن فى كل ثلاثمائة سنة تسع سنين لا تخل بالحساب اصلا . قال فى مناهج الفكر : ولذلك كانوا فى صدر الاسلام يسقطون عند رأس كل ثلاثين سنة عربية سنة و يسمونها سنة الازدلاف، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريبا . قال : وانما حملهم على ذلك الفرار من اسم النسىء الذى أخبر الله تعالى أنه زيادة فى الكفر . واعلم ان المعتبرين للسنة الشمسية اختلفت مصطلحاتهم فيها بحسب اصطلاح مقاصدهم على مصطلحات :

منها مصطلح المنجمين . والسنة عندهم من حلول الشمس فى أول رأس الحمل الى حلولها فى آخر نقطة من الحوت . ومنهم من يجعلها من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها في آخر نقطة من السنبلة . والاول هو المعروف . وتساهل بعضهم فقال : هي من كون الشمس في نقطة ما من تلك البروج الى عودها الى تلك النقطة . و يقال ان سنة الجند والمرتزقة بالديار المصرية كانت اولا على هذا المصطلح وبه يعملون في الاقطاعات ونحوها

ومنها مصطلح القبط . وقد اصطلحوا على ان جعلوا شهورهم ثلاثين يوما كما تقدم فاذا انقضت الاثنا عشر شهرا اضافوا اليها خمسة أيام يسمونها أيام النسىء . يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية فاذا كانت السنة الرابعة أضافوا الى خمسة أيام النسىء المذكورة ما اجتمع من الربع يوم الزائد على الخمسة أيام فى السنة الشمسية فتصير ستة أيام فيجعلونها كبيسة في تلك السنة . قال اصحاب الزيجات : وأول ابتدائهم ذلك فى زمن اغشطش ملك الروم فكانوا من قبل يتركون الربع ألى ان تجتمع منه أيام سنة كاملة وذلك فى الف سنة وأربعمائة واحدى وستين سنة و يسقطونها من سنيهم . وعلى هذا المصطلح

استقر عملهم بالديار المصرية فى الاقطاعات والزرع وجباية الخراج وما شاكل ذلك

ومنها مصطلح السريان والروم . وشهورهم على ماتقدم من كون بعضها ثلاثين يوما وبعضها زائدة عليها وبعضها ناقصة عنها . وانما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسئ فى شهورهم اذ الأيام الخمسة الزائدة على شهور القبط موزعة على رءوس الزوائد من شهورهم وذلك أن من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل منها يوما على الثلاثين وهي: تشرين الاول ، وكانون الثاني ، وأدار ، وايار ، وتموز ، وآب فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما بيومين يبقى خمسة ايام وهي نظير النسئ في سنة القبط والفرس . ويبقى بعد ذلك الربع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية فاذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأرباع الثلاثة الملقاة الى الربع الرابع فيجتمع منها يوم فيجعلونه نظير اليوم الذى كبسه القبط ويضيفونه الى شباط فيصير تسعة وعشرين يوما

ومنها مصطلح الفرس ــ وشهورهم كشهور القبط في عدد الأيام على ما تقدم كل شهر منها ثلاثون يوما . واذا كان آخر شهر « أبان ماه » وهو السابع من شهورهم أضافوا اليه الخمسة الأيام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما . وتسمى الفرس هذه الأيام الخمسة « الاندركاه » . ولما لم يجز في معتقدهم كبس السنة باليوم الواحد المجتمع من الربع الباقي بعد ثلاث سنين كما تفعل القبط كانوا يؤخرونه الى أن يتم منه شهر كامل في مائة وعشرين سنة فيلقونه وتسمى السنة التي يلقى فيها « بهرك » . قال المسعودى في مروج الذهب وانما أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لأن الأيام عندهم منها سعود ونحوس ، فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما وتنتقل بذلك أيام النحوس ، ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر . قال : وعلى هذا الاصطلاح كان يجبى الخراج للخفاء وتمشى الأحوال الديوانية في بداية الأمر وعليه العمل في العراق وبلاد فارس الى الآن

واعلم أن شهور اليهود وان تقدم عدتها في القمرية فقد اضطروا الى أن تكون سنتهم شمسية يأتون فيها بالكبيس ؛ وذلك لأنهم أمروا في التوراة أن يكون عيد الفطر فى زمن الفريك فلم يتأت لهم الا بذلك

فصول السنة

وأما فصول السنة فقد جعلوها أربعة فصول :

الاول منها -- فصل الربيع . وابتداؤه عند حلول الشمس برأس الحمل ، ومدته أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم وآخره عند قطعها برج الجوزاء . وهو حار رطب وفيه تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتزهر الأشجار وتورق ويتهيج الحيوان للسفاد وتذوب الثلوج وتنبع العيون وتسيل الاودية وأخذت الارض زخرفها وازينت واختالت في وشيها وتبرجت للنظارة في معرض الحسن والنضارة حتى قال الوزير المغربي : لوكان الربيع شخصا لكان مقبلا ولو أن الأيام حيوان لكان لها حليا . وكان عبدوس الخزاعي يقول : من لم يبتهج بالربيع ولم يستمتع بأنواره ولا استروح بنسيم أزهاره فهو فاسد المزاج . وكانت ملوك الفرس اذا عدمته استعملت ما يضاهي زرعه من البسط المنقشة والنمارق المرقشة حتى اتخذ انو شروان بساطا سماه بساط الربيع ورصعه بأزرق الياقوت والجواهر واصفره وأبيضه وأخضره فجعل اخضره مكان اغصان الاشجار وألوانه بموضع الزهر . وأخذ هذا البساط فى وقعة القادسية وحمل الى عمر فقال : ان أمة أدت هذا الى أميرها لأمينة . والكلام في فصله وفضله يطول

الثاني — فصل الصيف . وهو فى المقدار مقدار زمن الربيع . وأوله إذا حلت الشمس برأس السرطان ؛ وآخره اذا أتت علي آخر درجة من السنبلة . وطبعه حار يابس فيه يشتد الحر ويقوى الوهج . وللعرب فيه وغرات ، وهي الحرور : منها وغرة الشعرى . يقال ان الرجل يعطش بين الحوض والبئر فاذا طلع سهيل ذهبت الوغرات

الثالث — فصل الخريف . وأوله عند حلول الشمس رأس الميزان فى الثامن عشر من توت ؛ وآخره اذا أتت على آخر درجة من القوس . وطبعه بارد يابس . فيه يبرد الهواء ويتغير الزمان وتنصرم الثمار ويتغير وجه الارض وتهزل البهائم وتصير الارض كأنها كهلة مدبرة ؛ الا انه ميقات الأقوات وموسم الثمار وأوان شباب الاشجار . قال ابن شبل : كل ما يظهر فى الربيع نواره ففي الخريف تجني ثماره . ومن ثم يقال فصل الخريف

ربيع النفس كما ان فصل الربيع ربيع العين . وبالغ بعضهم ففضله على فصل الربيع الذى هو أحسن الفصول فقال

محاسن للخريف لهن فخر على زمن الربيع وأى فخر
به صار الزمان امام برد يراقب نزحه وعقيب حر

وناقضه آخر فقال

خذ فى التدبر فى الخريف فأنه مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الايام جرى نفاقها كصديقها ومن الصديق يخاف

الرابع فصل الشتاء - ومدته كمدة الذى قبله . وأوله عند حلول الشمس رأس الجدى وذلك فى الثانى عشر من كيهك ، وهو اذا بقى من كانون الاول من شهور السريان ثمانية أيام ، وآخره اذا أتت الشمس على آخر درجة من الحوت . وهو بارد رطب ؛ فيه يهب الريح الدبور ، ويشتد البرد ويخشى الهواء ، ويتساقط ورق الشجر ، وتكثر الأنواء ، ويظلم الجو ، وتصير الأرض كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت . ومن أحسن ما قيل فيه قول بعضهم

شتاء تقلص الأشداق منه وبرد يجعل الشبان شيبا
وأرض تزلق الاقدام فيها فما تمشى بها الا دبيبا

وذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب طريقا آخر فقال : الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه الورد والكمأة والنور ولا يعرفون الربيع غيره. قال :والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف ، وبعده فصل الشتاء ، ثم فصل الصيف وهو الوقت الذى تسميه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ وهو الذى تسميه العامة الصيف . ومنهم من يسمي الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذى يلى الشتاء وتأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى ؛ ثم قال : وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع. وفى ذلك كلام آخر لغير ابن قتيبة يطول ذكره ، ذكرته فى الاصل

اعياد الامم ومواسمها

وأما اعياد الامم ومواسمها فتختلف باختلافهم في تعظيم الأزمنة وتفضيل بعضها

على بعض . والعيد ، قيل ، مأخوذ من العود لعوده في كل سـنة ، وفيه نظر ؛ لأن العيد من ذوات الياء ، والعود من ذوات الواو . ويحتاج الكاتب اليها فى الأيمان وتحليف أرباب الملل والنحل على ماستقف عليه في موضعه ان شاء الله تعالى . وقد اشتهر منها اعياد للأمم

﴿ أعياد المسلمين ﴾

واعلم ان الذى وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان : الأول عيد الفطر وهو في اليوم الأول من شوال وسمي بذلك لوقوعه عند الفطر من صوم رمضان * الثانى عيد الاضحى — وهو فى اليوم العاشر من ذى الحجة . والاضحى جمع اضحاة وهي الاضحية ؛ سمى بذلك لوقوعه فى اليوم الذى يضحى فيه . والأصل فيهما ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما ؛ فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله قد بدلكم خيرا منهما ' يوم الأضحى ويوم الفطر . وأول ما بدئ به منهما عيد الفطر فى سنة اثنتين من الهجرة . وقد زادت الشيعة ثالثا هو عندهم من أعظم الأعياد ، وهو عيد « الغدير » محتجين بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل بغدير « خم » وآخى بين الصحابة ولم يؤاخ بين على وبين أحد منهم ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم منه انكسارا فقال : أما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى . والتفت الى اصحابه وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه . وكان ذلك فى الحادى عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة . فاتخذ الشيعة ذلك اليوم عيدا . وشعارهم فيه لبس الجديد ، وعتق العبيد ، وذبح الأغنام ، والحاق الاجانب بالأهل فى الأكرام . والشعراء والمترسلون يهنئون أكابرهم بالرسائل والشعر فى هذا اليوم

(أعياد القبط [1])

(اعلم ان أعياد القبط كثيرة ونحن نقتصر فى هذا الفصل على المشهور منها دون غيره ونبين أوقاتها ونشرح أسبابها وهي على قسمين : كبار وصغار : فأعيادهم الكبار سبعة أعياد : الاول عيد البشارة) ويعنون به بشارة جبريل عليه السلام لمريم بعيسى صلوات الله عليه . ويعملونه فى التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط * الثانى عيد الزيتونه وهو عيد الشعانين ، وتفسيره بالعربية التسبيح ؛ يعملونه في سابع أحد من صومهم . وهم يزعمون ان المسيح عليه السلام فى مثل ذلك اليوم ركب اليعفور ، وهو الحمار ، فى القدس ودخل صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه وهو يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر * الثالث عيد الفصح ، بكسر الفاء ، وهو عيدهم الأكبر يعملونه يوم الفطر من صومهم ويزعمون ان المسيح عليه السلام قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام فى الارض أربعين يوما آخرها يوم الخميس ، ثم صعد الى السماء قاتلهم الله أنى يؤفكون * الرابع خميس الاربعين ، ويسميه الشاميون السلاق ، وهو فى يوم الثانى والاربعين من فطرهم : يقولون ان المسيح عليه السلام تسلق فيه من بين تلاميذه الى السماء بعد قيامه من الصلب ووعدهم بأرسال الفارقليط وهو عندهم روح القدس * الخامس عيد الخميس ، ويسمونه العنصرة ، يعملونه بعد خمسين يوما من القيام . وهو فى السادس والعشرين من بشنس ؛ ثم يقولون ان روح القدس حل فى التلاميذ فيه وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلم كل منهم بلسان ، وذهب كل واحد منهم الى بلاد لسانه الذى تكلم به يدعوهم الى دين المسيح * السادس الميلاد ، وهو اليوم الذى يقولون ان المسيح عليه السلام ولد فيه ببيت لحم ، وهي قرية من قرى فلسطين . وهم يعملونه فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط ؛ ويقولون انه ولد فيه يوم الاثنين فيجعلون عشية الاحد ليلة الميلاد ، فيوقدون فيها المصابيح بالكنائس ويزينونها * السابع عيد الغطاس ، وهو فى الحادى عشر من طوبه من شهور القبط :

---

(١) عنوان هذا الفصل وما وضع بين أقواس من مفتتحه ترك على بياض في «الضوء» فأخذناه من «الصبح» مختصرا على طريقة المؤلف

يزعمون أن يحيى بن ذكريا عليه السلام ، وهم يسمونه يوحنا المعمدان ، غسل عيسى عليه السلام ببحيرة الأردن ؛ وانه حين خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى ينغمسون فيه فى الماء ويغمسون فيه أولادهم على أنه يقع في شدة البرد

﴿ وأعيادهم الصغار ﴾ سبعة أيضا : احدها الختان ، وهو فى سادس بؤنه * والثاني الاربعون ، يعملونه فى الثامن من امشير * والثالث خميس العهد وهو قبل الفصح بثلاثة ايام ، وهو الذى تسميه العامة خميس العدس * والرابع سبت النور ، وهو قبل الفصح بيوم * والخامس حد الحدود ، وهو بعد الفصح بثمانية أيام * والسادس التجلي ، وهو فى الثالث عشر من مسرى * والسابع الصليب ، وهو فى السابع عشر من توت . . . قلت : ولكل واحد منها سبب . ولهم أعياد أخرى . وقد ذكرت الجميع فى الاصل

﴿ أعياد اليهود ﴾

(وهي عندهم على ضربين)

﴿ الضرب الاول ﴾ — ما نطقت به التوراة بزعمهم ؛ وهي خمسة أعياد : الاول رأس السنة ، يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد « رأس هيشا » أي رأس الشهر . وهو أول يوم من تشرى من شهورهم ؛ وهو منزل عندهم منزلة عيد الاضحى عندنا ؛ ويزعمون انه اليوم الذى امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده اسحاق فيه وفداه بذبح عظيم * الثانى عيد « صوماريا » ويسمونه الكبور ، وهو عندهم الصوم العظيم الذي يقولون ان الله فرض عليهم صومه ، ومن لم يصمه منهم استحق القتل . ومدته خمس وعشرون ساعة ، اولها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى المذكور ، ويختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر منه ؛ وربما سموه العاشور . ولا يجوز عندهم ان يكون في يوم الاحد ، ولا يوم الثلاثاء ، ولا يوم الجمعة . ويزعمون ان الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم الا الزنا بالمحصنة ، وظلم الرجل أخاه ، وجحد ربوبية الله تعالى * الثالث عيد « المظلة » ، وهو سبعة أيام اولها خامس عشر تشرى المقدم ذكره وآخرها يسمى « عرابا » ومعناه شجر الخلاف يجلسون فيه تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف ونحوها ، ويزعمون أن ذلك تذكار منهم بتظليلهم بالغمام فى التيه * الرابع عيد « الفطير »

و يسمونه الفصح، وهو فى الخامس عشر من نيسان من شهورهم . ومدته سبعة أيام من حينئذ . ينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير ويزعمون أن هذه الايام هي التى نجى الله فيها موسى من فرعون وأغرقه ، وأنهم خرجوا بعد ذلك الى التيه فجعلوا يأكلون الخبز الفطير باللحم وهم فرحون بذلك * الخامس عيد « الاسابيع » و يسمى عيد العنصره، وعيد الخطاب . وهو بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع وهو فى السادس من « سيوان » من شهورهم ؛ ويوافقه الثالث والعشرون من بشنس من شهور القبط . وهم يزعمون انه اليوم الذى خاطب الله تعالى فيه بنى اسرائيل من طورسيناء . وهم يأكلون فيه القطائف ويتفننون فى عملها ، ويجعلونها بدلا من المن الذى انزل عليهم فى هذا اليوم

﴿الضرب الثانى﴾ مالم تنطق به التوراة - وهو عيدان : احدهما عيد « الفوز » وهو يوم النصف من « أدار » : وهم يزعمون ان موسى عليه السلام ولد فيه . وهذا العيد عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة يتهادون فيه ويزعمون ان بختنصر لما أجلى اليهود من بيت المقدس الى عراق العجم واسكنهم أصفهان بقوا هناك الى ايام ازدشير بن بابك وكان له وزير اسمه هيمون فهم بقتلهم فى ذلك اليوم وكان الملك قد تزوج منهم فاحتالت لخلاص قومها بأن حسنت للملك قتل هيمون فقتله ونجاهم من القتل فاتخذوا ذلك اليوم عيدا * الثانى عيد « الحنكة » وهو ثمانية أيام يوقدون فى الليلة الاولى من لياليها سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويزيدون في كل ليلة سراجا الى آخر الثمانية . وهم يقولون ان سبب اتخاذه أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وفتك باليهود فوثب عليه ثمانية منهم فقتله اصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا فوزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم فى كل ليلة الى ثمان ليال . فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموه الحنكة ، ومعناها التنظيف ؛ لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقذار ذلك الجبار

(أعياد الفرس)

وكان دينهم المجوسية ؛ وأعيادهم كثيرة للغاية حتى ان على بن حمزة الاصفهانى صنف فيها كتابا . والمشهور منها سبعة اعياد : الأول النيروز ، وهو تعريب نوروز ؛

ومعناه اليوم الجديد . وهو اول يوم من « افريدون ماه » من شهورهم وهو رأس سنتهم ؛ ويمتد عندهم الى سبعة أيام . وهم يزعمون ان سبب اتخاذه أن دينهم كان قد فسد ؛ فلما ملك « جم شاد » أحد ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس جدده وأظهره ؛ فسمى اليوم الذى ملك فيه « نوروز » . وقيل ان « جم شاد » كان يختفى عنهم فأبرز لهم وجهه في هذا اليوم، وكان فائقا في الجمال ، فاتخذوا يوم رؤيته عيدا . وبعض الفرس يزعم أنه اليوم الذى خلق الله فيه النور ، وأنه كان معظما عندهم قبل « جم شاد » . وبعضهم يزعم أنه اليوم الذى ابتدأ فيه دوران الفلك . وكانت عادتهم رفع النار في ليلته تنويها بذكره وإشهارا لأمره ويرشون فيه الماء فتطهر الأبدان من دخان النار الموقدة في ليلته . وقيل ان بيروز بن يزدجرد أحد ملوكهم بقى سبع سنين لم تمطر في ملكه ، فأمطرت في هذا اليوم، ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم، فصار صب الماء فيه سنة عندهم في كل عام . وما أحسن قول القائل يخاطب محبوبه

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى … وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار في كبدى … وتارة كتوالى عبرتى فيه

وقد كان من عادتهم فيه ان يهادى بعضهم بعضا، ثم حسم الاسلام مادة ذلك الى زمن الحجاج بن يوسف فأحدث المهاداة فيه ثم أبطل ذلك عمر بن عبد العزيز : واستمر المنع الى أن فتح باب المهاداة فيه احمد بن يوسف الكاتب فأهدى فيه للمأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معه « هذا يوم جرت فيه العاده ، بأتحاف الساده » واستمر الحال فيما بعد ذلك

الثانى المهرجان – قال المسعودى : وسبب تسميته هذا الاسم انهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى « مهر » يسير فيهم بالعنف فمات في النصف من هذا الشهر فسمى هذا اليوم مهرجان ، ومعناه : روح مهر ذهبت . وبعضهم يقول ان مهر بالفارسية معناه : حفاظ، وجان : الروح : فمعناه حفاظ الروح . وقيل معناه : درك الثار ؛ وذلك ان افريدون أحد ملوكهم أخذ ثار جده « جم شاد » من الضحاك في ذلك اليوم فسمى بذلك . ووقوعه في السادس من « مهرماه » من شهور الفرس، وهو في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان، وفي التاسع والعشرين

من أبيب من شهور القبط ويبقى ستة أيام ؛ والأمر في المهاداة فيه على ما تقدم في النيروز

الثالث : السدق — ويسمى « آبان روز » وهو فى ليلة الحادى عشر من شهر « بهمن ماه » من شهور الفرس . وهم فيه يوقدون النيران بجميع الأدهان ويلقون جميع الحبوب فيها . ويزعمون ان سبب اتخاذه ان « كيومرث » وهو الأب الأول بزعمهم لما كمل له مائة ولد زوج الذكور منهم بالاناث، وصنع لهم عرسا أكثر فيه من وقود النيران، فوافق ذلك هذه الليلة فاتخذه الفرس سنة بعده

الرابع التيركان — ومعناه رمى سهمه . وهو فى الثالث والعشرين من « تيرماه » من شهور الفرس ؛ يزعمون انه لما وقع الصلح بين « منوجهر » أحد ملوك الفرس وبين « فراسياب » ملك الترك على رمية سهم من المملكة رمى سهما فامتد السهم من جبال طبرستان الى أعالى طخارستان

الخامس — أيام الفرودجان ـ وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من « أبان ماه » من شهور الفرس . ومعناه تربية الروح لأنهم كانوا يعملون فيه أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ويزعمون انها تتغذى بها

السادس ـ ركوب الكوسج — وهو فى أول يوم من « أذرماه » من شهور الفرس ويمتد سبعة أيام ؛ وهو عندهم عيد لهو وخلاعة . قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار : وسبب ذلك أن كوسجا كان يشرب فى هذه الأيام الدواء ويطلى بدنه فيها فغلب عليها اسمه . وسنتهم فيه أن يركب فى كل بلد من بلادهم كوسج يأكل الأطعمة الحارة كالجوز والثوم واللحم السمين ونحوها ، ويشرب مع ذلك الشراب الصرف اياما قبل حلول ذلك الشهر : فاذا دخل الشهر لبس غلالة سابورية وركب بقرة وأخذ على يده غرابا وأوباش الناس حوله يصبون عليه الماء ويضربونه بالثلج ويروحون عليه بالمراوح وهو يصيح بالفارسية « كرم ! كرم ! » اى الحر ! الحر ! وهم ينتهبون ما يجدون فى الحوانيت من الأمتعة . وللسلطان عليهم أتاوة مقررة ويبقون كذلك سبعة أيام فمن وجد منهم بعد عصر اليوم السابع ضرب وحبس . قال في مروج الذهب : ولا يعرف ذلك الا بالعراق وأرض العجم : اما الشام والجزيرة ومصر واليمن فلا يعرفون ذلك

السابع عيد بهمنجة — وهو في يوم بهمن من شهر « بهمن ماه » وعادتهم فيه

أنهم يأكلون البهمن الابيض باللبن الحامض على انه ينفع الحفظ . ورؤساء خراسان يعملون فيه الدعوات على طعام يطبخون فيه كل حب مأكول ولحم حيوان يؤكل ويحضر معه مايوجد فى ذلك الوقت من بقل أو نبات

الباب الثانى من المقالة الاولى

(فيما يحتاج اليه الكاتب من صناعة الخط ، والمقصود من وضعه ، وذكر آلاته ، وأول من وضعه وتوابعه من النقط والشكل والهجاء ، والفرق بين الضاد والظاء ، وذكر الورق ، ومقادير قطع الورق المستعمل بديوان الانشاء ، ومايناسب كل قطع منها من الاقلام ، ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، وقدر مابين السطور . وفيه سبعة فصول)

الفصل الاول

في المقصود من وضع الخط

اعلم ان المقصود من وضعه أداء اللفظ المقصود الواقع على المعنى المطلوب وتفهيمه للناظر فيه . فاذا أردت تأدية الالفاظ الى أحد الناس بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الالفاظ فينظر تلك النقوش ويفهم منها معانى تلك ألالفاظ . قال في مواد البيان : وبين اللفظ والخط مناسبة ظاهرة : فكما ان اللفظ فيه الجزل الفصيح الذى يستعمله مصاقع العلماء ومفاالق الشعراء ، والمبتذل السخيف الذى يستعمله العوام فى المكاتبة والمخاطبة فكذلك الخط فيه المحرر الذى تكتتب به الكتب السلطانية والامور المهمة ، وفيه المطلق المرسل الذى يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم ؛ وكما ان اللفظ يقع فيه لحن الإعراب الذى يزيل بهجته ، كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء ؛ وكما ان اللفظ اذا كان مقبولا حلوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس ، وان كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع و بعده من القلوب كذلك الخط إذا كان جيدا حسنا بعث الأنسان على قراءة ما اودع فيه ولو كان قليل الفائدة ، وان كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل ماتضمنه ولو كان جليل الفائدة . ولما اشترك اللفظ والخط فى الفوائد العامة التى جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آلتيهما : اذ آلة اللفظ اللسان ، وآلة الخط القلم ، وكل منهما يفعل فعل الآخر فى الابانة عن المعانى . الا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جعلت آلته آلة طبيعية ،

والخط لما كان دليلا صناعيا جعلت آلته آلة صناعية . ولما تقاسمت الآلتان الدلالة نابت احداهما مناب الاخرى، فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأقلام ألسنة الافهام. وشركوا بينهما فى الاسم فقالوا : القلم احد اللسانين

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى ذكر آلات الخط)

وسمطها الجامع لها الدواة . وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال : خلق الله النون ، وهي الدواة . ووقفه ابن جرير على ابن عباس. وهذا هو المناسب لذكر القلم في قوله تعالى : « ن ، والقلم » وان فسر بالحوت . قال محمد بن شعيب : مثل الكاتب بغير دواة مثل من يسير الى الهيجاء بغير سلاح. وقال عبد الله بن المبارك : من خرج من بيته بغير دواة فقد عزم على الصدقة . قال أبو القاسم ابن عبد العزيز : وتجمع في القلة على « دويات » وفى الكثرة على « دُوى » بضم الدال وكسرها ، و « دوايا » مثل حوايا : ورجل دواء ، بفتح الدال وتشديد الواو ، إذا كان يبيعها كقولك عطار وبزار ؛ ويقال لمن يحملها « دَاوٍ » على وزن وَادٍ . قال الفضل بن سهل : وينبغى ان تتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا كالأبنوس، والساسم، والصندل. قلت : وهذا اعتماد منه على ما كان يعتاده أهل زمانه ويتعاناه أهل عصره؛ اما الآن فقد غلب على كتاب الانشاء اتخاذ دوى النحاس الاصفر والفولاذ مدورة الرأسين، وتغالوا فى تحسينها . والنحاس أكثر استعمالا من الفولاذ لعزة الفولاذ واختصاصه بأكابر الأعيان وصارت دوى الخشب مخصوصة بالقضاة وكتاب الحكم ومن فى معناهم وأكثر ما يتعانونه دوى الآبنوس والصندل الاحمر

قال الحسن بن وهب : وسبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون ويمكن ان يحلى به الدوى فى وثاقة ولطف ليأمن من أن تنكسر أو تنقصم فى مجلسه . قال : وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات ليأمن من مسارعة القذى والدنس اليها ولا يكون عليه نقش ولا صورة . قلت : وحق هذه الحلية مع ما ذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه بخلاف الذهب والفضة فإنه يصير حكمها حكم

الضبةفي الاناء فتحرم مع الكبر والزينة ، وتكره مع الصغر والزينة والكبر والحاجة ، وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه وكذلك التمويه اذا كان يحصل منه بالعرض على النار شئ على ماقرره اصحابنا الشافعية وقد أوضحت ذلك فى شرحي على جامع المختصرات ومختصر الجوامع في الفقه .

قال ابن وهب : وسبيلها ان تكون متوسطة في قدها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها وتقبح، ولا بالكثيفة فيثقل حملها اذ لا بد لصاحبها أن يحملها بنفسه حتى يضعها بين يدى ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره . قال الفضل بن سهل: ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلا ليكون مناسباً لمقدار القلم . وينبغى للكاتب ان يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصونها ولله در المدائنى حيث يقول

جود دواتك واجتهد فى صونها ان الدوى خزائن الكتاب

﴿ الآلات التى تشتمل عليها الدواة ﴾

ثم الدواة تشتمل على خمس عشرة آلة مما يحتاج اليه كاتب الانشاء :

﴿ الأولى المحبرة ﴾

بكسر الميم وفتح الباء — وهي الجونة التى تستمد منها للكتابة . قال بعض فضلاء الكتاب: وينبغى ان تكون شكلا مدور الرأس يجتمع على زوايتين قائمتين ،ولا يكون مربعا بحال ؛ لأنه اذا كان مربعا تكاثف المداد فى زواياه وفسد، واذا كان مستديرا كان أبقى للمداد وأسعد في الاستمداد . قلت : وأهل العصر يجعلونها مستديرة من جانب الاستمداد ، مربعة من الجانب الذى يقابله فيجتمع مايلقيه الاستمداد من كدر الحبر وما لعله يصل اليها من الغبار في ركنى التربيع و يسلم جانب الاستمداد من ذلك. ثم المحبرة تشتمل على « الليقة »وهي مأخوذة من قولهم : فلان ما يليق كفه درهما،أى لايحبسه ولا يمسكه . سميت بذلك لامسا كها الحبر ومنعها اياه من السيلان .ويقال منه ألقت الدواة ، ولِقتها : اذا جعلت فيها الليقة . قال الجاحظ : ولا تستحق اسم الليقة حتى تلاق فى الدواة بالنقس، وهو المداد .قال بعض الكتاب . وتكون من الحرير الخشن لتنتفش في المحبرة فلا تتلبد فتكون أعون على الكتابة . وعلى الكاتب ان يتفقد

الليقة و يطيبها فأنها تتغـير رائحتها على طول الزمن . وقد كان بعض الكتاب يطيب دواته بأجود طيب نفسه و يقول : أنا أكتب بها اسم الله تعالى، واسم رسوله صلى الله عليه وسلم، واسم امير المؤمنين، وربما سبق القلم بغير المراد فنلحسه بألسنتنا. قال السرمرى: ويتعين على الكاتب تجديدها في كل شهر، وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة تحرزا عن التراب ونحوه مما يفسد الحبر . وقد نظم ذلك في أرجوزته فقال

وجدد الليقة كل شـهر　　فشيخنا كان بهذا يغرى

لاجل مايقع فيها من قذى　　فينتشي من ذاك في الخط أذى

وحكى محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » ان بعض العلماء رأى صبيا يبصق في دواته فزجره وقال لمعلمه امنع الصبيان من مثل هذا فانهم يكتبون به كلام الله . قال: وماروى ان ابن عباس كان يبصق في دواته فكذب؛ أنكره البزاز وقال : وضعه عاصم بن سليمان الكودن وكان كذابا . وذكر عن أبي داود نحوه

﴿ الآلة الثانية المداد ﴾

وسمى بذلك لانه الذى يمـد القلم ، أى يعينه . وقد قال تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » قال ابن قتيبة : هو من المداد، لا من الأمداد . ويقال : أمده القلم في الخير مثل « وأمددناهم بفاكهة ولحم »، ومده في الشر مثل « ونمد له من العذاب مدا » . وقد اصطلح الكتاب على تسمية المداد حبرا ، بكسر الحاء، لخلوص سواده عما يخالطه : يقال فلان ناصع الحبر، أى اللون الخالص من كل شئ. سمي المداد بذلك لخلوص لونه في السواد ونقائه عما يخالطه . قال الثورى سألت الفراء عن المداد . لم سمي حبرا ؟ فقال : يقال للعالم حبر، وحبر بفتح الحاء وكسرها ؛ فأرادوا : مداد حبرٍ، أى مداد عالم ؛ فحذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا . فذكرت ذلك للاصمعى فقال : ليس هذا بشئ ، انما هو لتأثيره: يقال على أسنانه حبر، اذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب الى السواد؛ سمى حبرًا لتأثيره فى القرطاس. قال المبرد : وأنا أحسب أنه سمي بذلك لان الكتب تحبر به ، أى تحسن، أخذا من قولهم : حبرت الشئ تحبيرا ، أى حسنته . قال بعض العلماء: وانما اختير للكتابة السواد

دون غيره لمضادته للون الصحيفة ، قال ، وليس شئ من الالوان يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض. ولا خفاء أن الحبر أحد أركان الكتابة ولله در القائل

ربع الكتابة في سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب

والربع من قلم تسوّى بريه وعلى الكواغد رابع الاسباب

واعلم ان المداد في أصل اللغة يطلق علي كل ما امددت به الليقة ليكتب به على أي لون كان من سواد أوغيره . والمعتبر استعماله من ذلك السواد كما تقدمت الأشارة اليه ؛ وهو صنفان :

الصنف الاول – ماغلب عليه اسم المداد، وبه كانت كتابة الاولين. قال ابن مقلة: وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط بأن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهما، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير فى هيئة الطين، ثم يترك فى اناء ويرفع الى وقت الحاجة وذكر في الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور ليطيب رائحته، والصبر ليمنع وقوع الذباب فيه ويقال ان الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب . واستحسن احمد بن يوسف الكاتب فيه دهن بزر الفجل لرطوبته . وهذا الصنف يصلح للكتابة في السفر لأمكان حمله في أي شئ كان لجموده

الصنف الثانى – ماغلب عليه اسم الحبر وهو إما حبر دخان أوحبر راس . فحبر الدخان هو المناسب للكاغد أى الورق . والدخان الذى أضيف اليه هذا الحبر هو دخان بزر الكتان ونحوه . وطريق استخراجه ان يوضع منه في مسارج قدر صالح ، وتوقد تلك المسارج، ويجعل عليها طاس يعلق عن النار قليلا : فأذا نفد الدهن رفع الطاس وجمع مافيه . وصفة صنعته أن يؤخذ من العفص الشامي رطل فيدق جريشا ، وينقع في ستة أرطال من الماء مع قليل من الآس وهو المرسين أسبوعا، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام ، ثم يصفى ثانيا ويضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربى، ومن الزاج القبرسى كذلك ثم يضاف اليه من الدخان السابق ذكره لكل رطل من الحبر ثلث أوقية بعد أن تسحق الدخان

بكلوة الكف بالسكر النبات، والزعفران الشعر، والزنجار حتى تجيد سحقه، ولا تسحقه في صلاية ولا هاون يفسدعليك . . . قال ابن العفيف : وان جعل مكان العفص اهليلج أصفر جاء الحبر مطوسا مائلا الى الخضرة . قال ابن الوحيد : ولا بد له مع ذلك من الملح ليمنعه من التعفن ، والكافور ليحسن رائحته ويمنعه من نفوذه في الكاغد على طول الزمن . قال بعض الكتاب : ويحتاج مع ذلك الى العسل ليحفظه على طول الزمان، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه

واما الحبر الراس فهو المناسب للرق ولا دخان فيه، ولذلك يجيء بصاصا وفيه أضرار للبصر من جهة بريقه؛ واذا كتب به في الكاغد نفذ فيه على طول . وصفته أن يؤخذ من العفص الشامي رطل فيجروش، ويلقى عليه من الماء ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير ويوضع على النار ، ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج، وعلامة نضجه ان تكتب به فتكون الكتابة حمراء، ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث اواقي، ومن الزاج أوقية ، ثم يصفى ويودع في إناء جديد . ويستعمل عند الحاجة

ثم لتعلم أنه قد يستعمل في ديوان الانشاء للكتابة أشياء أخرى غير ماتقدم :

أحدها ماء الذهب — ويحتاج اليه في مكاتبات الملوك العظام لقانات الشرق ونحوهم كما سيأتي . وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب ويضرب كل عشرين أوقية منه في أوقية من شراب الليمون أو عسل النحل حتى يختلط به اختلاطا جيدا، ثم يجعل في سكرجة صيني أو نحوها، ويصب عليه قدر رطل من الماء الصافي، ويقتل فيه حتى تخالط أجزاؤه أجزاء الماء ويترك حتى يرسب الذهب في أسفل السكرجة فيراق الماء عنه، ويؤخذ مارسب فيجعل في مقتلة زجاج واسعة الأعلى ضيقة الأسفل ليجتمع فيها، ويجعل فيه قليل ليقة مع يسير من ماء الصمغ العربي ويكتب به، فأذا جف صقل بجزعة حتى تطهر صقالته، ثم يزمك بالسواد

الثاني المغرة العراقية — ويحتاج اليها في مكاتبات بعض القانات أحيانا كما سيأتي . وهي معروفة؛ وطريقها ان تسحق بالماء على رخامة حتى تنعم، ويضاف اليها قليل من ماء الصمغ، وتجعل في مقتلة زجاج كما في الذهب ويكتب بها

﴿ الآلة الثالثة المزبر ﴾

بكسر الميم واسكان الزاى المعجمة وفتح البـاء الموحدة ، وهو القـلم كما قاله الجوهرى وغيره . وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه أنه دعا فى مرضه بدواة ومزبر ، سمى بذلك أخـذا من قولهم : زبرت الكتاب ، إذا أتقنت كتابته . ومنه سميت الكتب زُبَراً قال تعالى : « وإنه لفى زُبُرِ الاولين » . قال الراغب فى مجمع البلاغة : ويقال فيه أيضاً المرقم ، والمرقش . واختلف فى تسميته « قلماً » : فقيل سمى بذلك لاستقامته كما سميت القداح أقلاما فى قوله تعالى « اذ يلقون أقلامهم » ، والقـداح يضرب بها المثل فى الاستقامة . وقيل أخذًا من «القلام» وهو شجر رخو؛ فلما ضارعه القـلم في الضعف سمى بذلك . والتحقيق انه انما سمى قلما لقـلم رأسه من حيث أنه لا يسمى قلما حتى يبرى، والا فهو قصبة . وقد نص اصحابنا الشافعية أنه اذا حلف لا يكتب بهذا القلم فانكسر، ثم براه وكتب به لم يحنث . ويحكي انه قيل لأعرابى : ما القلم ؟ ففكر ساعة ثم قال : لا أدرى . فقيل له : توهمه . فقال : هوعودقلم من جوانبه كتقليم الظفر، فسمى قلما . وقد روى الامام احمد وابو داود والترمـذى وابن أبى حاتم من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان أول ماخلق الله القلم . وأخرج الطبرى من حديث ابن عباس ان أول ماخلق الله القلم والحوت ؛ ووقفه ابن جرير على ابن عباس . وناهيك بشرفه أن الله تعالى أقسم به فقال «ن ، والقلم وما يسطرون» ولله در ابى الفتح البستى حيث يقول

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقد قال عبد الحميد الكاتب : القلم شجرة ثمرها الألفاظ . ومن كلام ابن المعتز : لم تحظ دولة بالقلم الا فخرت على الدول واستغنت عن الحيل والحول . وما أحسن قول القائل

فلكم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها كرم السيول وصولة الآساد

وقد اكثر الأدباء من مدحه نظما ونثرا، وأوردت بعض ذلك فى الاصل . وفيما

ذكر مقنع . ثم للقلم أوصاف لا يستغنى عن وجود هافيه نبه عليها أهل الصناعة منها مايرجع الى ذاته – وقداعتبروا فيه عدة أوصاف . قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : ينبغى للكاتب ان يتخير من أنابيب القصب أقلها عقدا، وأكثفها لحما، وأصلبها قشرا، وأعدلها استواء . وقال ابراهيم بن العباس لغلام يكتب بين يديه يعلمه الخط : ليكن قلمك صلبا ، بين الدقة والغلظ ، ولا تكتب بقلم ملتوى ، ولا ذى شق غير مستوى. وقال الوزير ابو على بن مقلة : خير الأقلام ما استحكم نضجه فى جرمه ، ونشف ماؤه فى قشره ، وقطع بعد إلقاء بزره ، وبعد أن اصفر لحاؤه وورق شجره ، وصلب شحمه ، وثقل حجمه ، وكان طوله من ستة عشرة اصبعا الى اثنتى عشرة، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة الى الخنصر . وقال فى موضع آخر : أحسن قدود القلم أن لا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته . وقال الشيخ عماد الدين الشيرازى : أحمد الأقلام ماتوسطت حالاته فى الطول والقصر والغلظ والدقة ؛ وقال فى «الحلية» : اذا كانت الصحيفة لينة ينبغى ان يكون القلم لين الأنبوب، وفى لحمه فضل، وفى قشره صلابة ؛ وان كانت صلبة كان يابس الانبوب صلبه، ناقص الشحم؛ لأن حاجته الى كثرة المداد فى الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة : فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد، ويكفي في الصحيفة الصلبة ماوصل اليها فى القلم الصلب الخالى من المداد

ومنها مايرجع الى برايته – يقال بريت القلم ، أبريه بريا وبراية ، والقلم مبرى ، وأنا بار للقلم ، بغير همز فى الجميع . قال الشاعر

يا بارى القوس بريا ليس يحكمه   لا تفسد القوس أعط القوس باريها

وربما قيل : بروت ، بالواو ؛ والياء أفصح . ويقال لما سقط منه حالة البرى ، براية ، بضم الموحدة على وزن نزالة ، وحثالة ؛ ويقال في الامر: ابر قلمك . وقال ابو اسحاق ابن حماد : لاحذق لغير مميز لصنوف البراية . ويحكي ان الضحاك كان اذا أراد ان يبرى قلما توارى بحيث لا يراه أحد ويقول : الخط كله القلم

إذا علمت ذلك فقد قال ابراهيم بن محمد الشيباني : يجب ان يكون البرى من جهة نبات القصبة ، يعني أعلاها اذا كانت قائمة على أصلها ، فأن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس . وقال ابو القاسم ابن شعبة : اذا أخذ القلم لبريه فأن كان

مستويا فالبراية من رأسه وهو حيث استدق ، وان كان معوجا فالبراية من أسفله لأن أسفله أقل التواء من اعلاه . قال ابن البربرى : اذا بدأت بالبراية فأمسك السكين باليد اليمنى، والانبوبة باليسرى، وضع ابهامك اليمنى على قفا السكين، ثم اعتمد على الانبوبة اعتمادا رفيقا . والمرجع في البراية الى أربعة أمور :

أحدها : الفتح ومقداره فى الطول والتقعير ـ قال ابن مقلة : ويجب ان يكون فى القلم الصلب أكثر تقعيرا ، وفى الرخو أقل ، وفى المعتدل بينهما . وصفته أن تبتدئ بالسكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى مايلى رأس القلم؛ ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام أو كمناقير الحمام . والى ذلك أشار الشيخ علاء الدين السرمرى في أرجوزته بقوله

وطولها كقعدة الابهام لا أعلى ولا أدنى يكون ارذلا

قال ابن البواب : وكل قلم تقصر جلفته فأن الخط يجئ به اوقص . والوقص قصر العنق . ورأى عبد الحميد زغبان يكتب بقلم قصير البراية فقال : أتريدان تجود خطك ؟ قال : نعم . قال : أطل جلفة قلمك وأيمنها . قال : ففعلت، فجاد خطى . وقال ابن العفيف : اذا طالت البرية فأنه يجئ الخط بها أخف وأضعف وأجلي، واذا قصرت جاء الخط بها أصفى وأثقل وأقوى

الثاني : النحت ـ قال ابن مقلة ، وهو نوعان : نحت حواشيه ، ونحت بطنه . فأما نحت حواشيه فيجب ان يكون متساويا من جهتى السن معا، ولا يحمل على احدى الجهتين فيضعف سنه ؛ ويجب ان يكون جانباه مسيفين بأن يكون أعلاه ذاهبا نحو رأس القلم أكثر من أسفله فيحسن جرى المداد منه . . . وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الاقلام فى صلابة الشحم ورخاوته : فصلب الشحمة ينبغي أن ينحت وجهه فقط، ثم يجعل مسطحا، وعرضه كقدر عرض الخط الذى يؤثر الكاتب ان يكتبه . والرخو يجب أن تستأصل شحمته حتى ينتهى الى الموضع الصلب من جرم القلم ، إذ متى كتبت بشحمته تشظى القلم ولم يصف جريانه . ثم الجلفة تكون على انحاء : منها ان يرهف جانب البرية و يسمن وسطها شيئا يسيرا ؛ وهذا يصلح للمبسوط والمعلق والمخفف . ومنها ما تستأصل شحمته كلها : وهو يصلح للمرسل والممزوج والمفتح. ومنها

ما يرهف من جانبه الأيسر وتبقى فيه بقية في الأيمن ؛ ويصلح للطوامير وماشابهها .
ومنها ما يرهف من جانبي وسطه ويكون مكان القطة منه أعرض مما تحتها ؛ ويصلح في قلم الثلث وفروعه

الثالث : الشق — وفائدته توالى جرى القلم . قال ابن مقلة :لوكان القلم غير مشقوق مااستمرت به الانامل، ولا اتصل الخط للكاتب، ولكثر الاستمداد وعدم المشق، ولمال المداد الى أحد جنبى القلم على قدر فتل الكاتب له قال : ويختلف بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته . فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار ثلث الفتحة ، والرخو يجب ان يكون شقه الى نصف الفتحة لأنه لو زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط، والصلب ينبغي ان يكون شقه الى آخر الفتحة وربما زاد على ذلك بمقدار افراطه في الصلابة . وقال ابن مقلة : ويجب ان يكون الشق متوسطاً لجلفة القلم غلظ أو دق . وعليه جرى أبو الحسن البواب : فقال وليكن غلظ السنين جميعاً سواء ، قال ، ويجوز ان يكون الأيمن أغلظ من الأيسر دون العكس بكل حال . وهذا انما يتأتى في الخطوط التي تبتدأ الكتابة فيها من اليمين الى اليسار، أما اذا كانت آخذة من اليسار الى اليمين كالخط القبطى والرومى فانه ينبغى ان يكون الأمر فيه على العكس

الرابع : القط - وهو في اللغة القطع . يقال قططت القلم ، أقطه ، فأنا قاط، وهو مقطوط وقطيط اذا قطعت سنه . والقط هو المقصود الاعظم من البراية وعليه مدار الكتابة .
قال الضحاك بن عجلان : من وعى كثرة اجناس القط كان مقتدرا على الخط ثم هو على نوعين في الجملة : محرّف ومستوٍ .

فالمحرف هو ان يكون السن الايمن اطول من السن الايسر فى الكتابة العربية ونحوها . قال ابن العفيف : وطريق بريه ان تحرف السكين فى حال القط . قال :وهو اما قائم او مصوب : فالقائم ماجعل منه ارتفاع الشحمة مثل ارتفاع القشرة ؛والمصوب ما كان القشر فيه أعلى من الشحم . ثم قال :وكان بعض من لايعتد به يقط القلم على ضد ذلك فيجعل الشحم هو المشرف على ظاهره فكان خطه لا يجئ الا رديئا

والمستوى ماتساوى سناه . قال ابن مقلة : وأجودهما المحرف . قال ابن العفيف:

واجود المحرف المعتدل التحريف ، وأفسد القطات المستوية ، لان المستوى أقل تصرفاً من المحرف . قال ابن مقلة : واذا عزمت على القط فاضجع السكين قليلا ولا تنصبها نصبا . يريد بذلك ان تكون القطة مائلة الى التحريف . قال ابن العفيف والرقاع والتواقيع أميل الى التدوير من قطة مربعة، والنسخ والمحقق والمشعر أميل الى التحريف والمحقق أكثر تحريفا منهما . قال ابن الوحيد : وقطة الريحان أشد القطات تحريفا، وقطة الرقاع أقلها تحريفا . . . واعلم أن ابن العفيف قد ذكر للقلم وجها وصدرا وعرضا وحرفا : فوجهه حيث تضع السكين وأنت تريد قطه وهو مايلى شحمة القلم ، وصدره مايلى قشرته . وعرضه نزولك به على تحريفه ، وحرفه هو السن اليمنى المرتفعة

ثم اعلم ان رءوس الاقلام تختلف باختلاف الأقلام التى جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب وأعظمها مساحة في العرض قلم الطومار . وهو قلم كان الخلفاء يعلمون به في المكاتبات وغيرها، قال في منهاج الاصابة : وصفته ان يتخذ من لب الجريد الاخضر، ويؤخذ منه من اعلى الفتحة مايسع رءوس الأصابع ليتمكن الكاتب من امساكه . قال : ويتخذ ايضا من القصب الفارسى، ولا بد فيه من ثلاثة شقوق لتسهل الكتابة به ويجرى المداد فيه . قلت : والذى استقر عليه الحال الآن انه ينتقى من البوص الابيض من جزائر الصعيد ما فيه غلظ، ويحمل الى ديوان الانشاء، فيتخذ منه اقلام السلطان التى يكتب بها . وقد قدروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون معترضات . وهو أصل لما دونه من الأقلام : فقلم الثلثين مقدر بست عشرة شعرة، وقلم النصف بقدر اثنتى عشرة شعرة، وقلم الثلث بقدر ثمان شعرات، وخفيف الثلث دون ذلك قليلا . ودون ذلك قلم يسمى مختصر الطومار به تكتب عهود السلاطين بالديار المصرية والكتب التى تكتب عن السلطان الى قانات الشرق كصاحب الرأى ونحوه، وبه يعلم النواب والوزراء ومن ضاهاهم على المراسيم ونحوها؛ ومساحته ما بين الكامل والثلثين . قال ابن مقلة : وينبغى للكاتب ان يكون في دواته من الأقلام بعدد ما يؤثر الكتابة به يعنى من الثلث والتوقيعات والرقاع وغيرها

﴿ الآلة الرابعة المدية ﴾

قال الجاحظ : تقال بضم الميم وفتحها وكسرها ؛ وتجمع على مدى . وسميت مدية لأنها تقطع مدى الأجل بالذبح . وتسمى السكين ايضاً ، بكسر السين ، وسميت بذلك لأنها تسكن حركة الحيوان بالذبح ؛ وهي تذكر وتؤنث، تقول هذا سكين، وهذه سكين. قال الكسائي : ومن أنث أراد المدية . وربما قيل ، سكينة، وهو قليل؛ وتجمع على سكاكين . قال بعض الكتاب : هي مسن الاقلام تستحدها اذا كلت، وتطلقها إذا وقفت، ونلمها اذا تشعثت . فتجب المبالغة فى سقيها وإحدادها لتتمكن من البرى فيصفو جوهر القلم ولا تتشظى قطتـه . ولا ينبغى ان تستعملها في غير البراية لئلا تكل وتفسد . قال ابن مقلة : واستحدّ السكين حدا ، ولتكن ماضية جدا ، فأنها اذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا . وما أحسن قول القائل على لسانها

انا في السلم خادم لداواة وبحدى تقوّم الاقـلام

قال صاحب كتاب القلم والدواة : وينبغى ان تكون لطيفة القد معتدلة الحد . ولا عيب في حملها في الكم والخف بل قد عد بعضهم حملها في الخف من المروءة . قال ابن العفيف: ورأيت والدى وجماعة من الكتاب يستحسنون العقابية، وهي التى صدرها أعرض من أسفلها

﴿ الآلة الخامسة المقط ﴾

قال الجوهرى هو بكسر الميم ، الا انه قال مقطة بالتأنيث . ويتعين فيه ان يكون املس صلبا غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظى القلم . قال ابن العفيف : وينبغى ان يتخذ من الآبنوس والعاج ونحوهما، ويكون مسطح الوجه الذى يقط عليه، ولا يكون مستديرا لئلا يتشظى القلم، وربما تهلت القطة فتأتى الأدارات والتشعيرات في الخط غير جيدة . قالت : وينبغي ان لا يكون مع ذلك مانعا كالحديد والنحاس ونحوهما ، فأن ذلك مما يفسد السكين ، فلا تجيء معه القطة صالحة

﴿ الآلة السادسة المسن ﴾

هو بكسر الميم وفتح السين . وهو آلة تتخذ لأحداد السكين من حجارة صلبة أحسنها الرومي، وهو أكهب اللون ، ويليه الأخضر ، وهو حجازى وقوصى ؛ والحجازى أفضلهما

﴿ الآلة السابعة الملزم ﴾

بكسر الميم وسكون اللام وفتح الزاى ؛ ويقال الملزمة بالتأنيث . وهي آلة ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حالة الكتابة، ويحبسان بمحبس ليمنعا الدرج من الرجوع على الكاتب بالريح . وتتخذ من النحاس ونحوه . وأصل ذلك منقول عن الملزم الذى يكون مع الصياقلة والأبارين . قال الجوهرى وهو خشبتان تشدأوساطهما بحديدة

﴿ الآلة الثامنة الممسحة ﴾

بكسر الميم الاولى وسكون الثانية، وهي آلة تخذ من خرق متراكبة ذات وجهين يكونان من صوف أوحرير أوغيرهما من نفيس القماش، يمسح القلم بباطنها في تلك الخرق عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد : وتسمى الدفتر ايضاً . والغالب في هذه الآلة ان تكون مدورة الشكل، مخزومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة؛ وتكون سعتها على قدر سعة الدواة . وما أحسن قول المولى زين الدين شافع الكاتب فيها

وممسحة تناهى الحسن فيها ... فأضحت فى الملاحة لاتبارى
ولا نكر على القلم الموافى ... اذا في وصلها خلع العذارا

﴿ الآلة التاسعة المسقاة ﴾

بكسر الميم؛ وهي آلة لطيفة تتخذ اسقى المحبرة الماء ، وربما سميت « الماوردية » أيضا، لان الغالب ان يجعل في المحبرة الماورد عوضا عن الماء لتطييب ريحها . وتكون هذه الآلة من الحلزون الصغير المستخرج من البحر الملح، وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة العاشرة الملواق ﴾

بكسر الميم وهي آلة مستدبرة عريضة الرأس تلاق بها الدواة ، أى تحرك بها الليقة . قال بعض الكتاب : والأحسن ان يكون من الآبنوس لئلا يغيره لون المداد . وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة الحادية عشرة المقلمة ﴾

بكسر الميم . وهي الجونة التي تكون فيها الاقلام ونحوها من آلات الدواة وربما كانت من جلد منقوش تجعل فيها الاقلام خارج الدواة قال بعض الكتاب : وينبغي

ان لا تقصر جدا لئلا تقصر الاقلام بقصرها

﴿ الآلة الثانية عشرة المفرش ﴾

بكسر الميم: ويقال المفرشة بالتأنيث وهي الفرش الذى يفرش فى باطن الدواة تحت الاقلام وما معها. وتكون من حرير أو صوف أو غيرهما على حسب تكوين الدواة

﴿ الآلة الثالثة عشرة المرملة ﴾

بكسر الميم الاولى، وفتح الثانية. وهي الظرف الذى يجعل فيه الرمل، ويكون من جنس الدواة ان كانت الدواة نحاسا، او من النحاس وغيره ان كانت خشبا، على حسب مايختاره ربها. ومحلها من الدواة مايلى الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة، مما يقابل المنشاة الآتي ذكرها ويكون فى فمها شباك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها: وربما اتخذت مرملة أخرى اكبر منها تكون فى باطن الدواة، لاحتمال ان تضيق تلك عن الكفاية بصغرها. وأرباب الرياسة من الوزراء والامراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب جوزة الهند، لها عنق في أعلاها، يكون في الغالب من جنس الدواة من نحاس أو غيره. ومما ألغز فيها القاضى شهاب الدين بن بنت الأعز

ظريفة الشكل والتمثال قد صنعت تحكي العروس ولكن ليس تغتلم
كأنها من ذوى الالباب خاشعة تبكي الدماء على ماسطر القلم

وتسمى المتربة أيضا، أخذا من التراب، اذ الاصل فى الكتب التتريب. وفيها يقول الوجيه المناوى

يامادحا أمرا ولم يأته ولم ينل منه ولا جربه
لا تغبط الكاتب فى حاله فأنه المسكين ذو المتربه

وقد اختار الكتاب لذلك الرمل الاحمر دون غيره، لانه يكسو الخط الاسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من انواع الرمل: وربما رمل بالاصفر ونحوه

﴿ الآلة الرابعة عشرة المنشاة ﴾

وهي الظرف الذى يجعل فيه النشا الذى يوصل به الورق. ويختم به الجواب، وحالها كحال المرملة فى الهيئة والمحل من الدواة: الا انه لا شباك في فمها، بل تكون مفتوحة الفم

لاخراج اللصاق منها؛ وربما فتحت من أسفلها واستغنى بذلك عن فتح أعلاها ؛ وربما اتخذ بعض الكتاب منشاة أخرى في باطن الدواة من نحاس مرصعة الباطن على هيئة حق لطيف ليسهل تناول النشا منها . واللصاق الذى يجعل فيها يكون من النشا المطبوخ الكثيف وربما جعل من « الكثيرا » المبلولة بالماء . قال في مواد البيان : و يكون من الصمغ أيضاً

(الآلة الخامسة عشرة المقص)

بكسر الميم، وهو معروف . ويسمي الجلم، بفتح الجيم واللام، ويحتاج اليه الكاتب فى قص الورق للتسوية ونحوها . ويتعين ان يكون لطيفا بحيث يدخل فى باطن الدواة مع بقية آلاتها

﴿ آلات أخرى ﴾

قلت : وقد زيد على هذه الخمس عشرة آلة خمس آلات أخرى من آلات الدواة اول كل منها ميم مما لا يحتاج اليه كاتب الانشاء

احدها المنفذ، بكسر الميم وفتح الفاء و بالذال المعجمة . وهي آلة تشبه المخرز وتتخذ لخرز الورق . وأكثر ما يحتاج لهذه الآلة كتاب الاموال * الثانية المخيط . وهو ما يخاط به الورق عند الحاجة الى ذلك * الثالثة الملف . وهو مايلف عليه الخيط الذى يحزم به الدفتر * الرابعة المسطرة . وهي التي يسطر بها الورق للكتابة او للتذهيب * الخامسة المصقلة . وهي التى يصقل بها الورق لازالة مافيه من الخشونة . أو يصقل بها الذهب بعد الكتابة لتظهر بهجته . . . واذا ضمت هذه الخمس الى الخمس عشرة السابقة صارت عشرين آلة، اول كل منها ميم

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى اول من وضع الخط ومن هو واضع الخط العربى ومن نقله عن الكوفى الى ما هو عليه الآن)

اما أول من وضع الخطوط فى الجملة فيروى أن آدم عليه السلام كتبها فى طين وطبخه قبل موته بثلاثمائة سنة، فلما أظل الارض الغرق أصاب كل قوم كتابهم . وقيل : أول من وضعها أخنوخ، وهو ادريس عليه السلام . وذكر أبو عمرو الدانى فى كتابه التنبيه

على نقط المصاحف أنها أنزلت على هود عليه السلام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان، وبولان قبيلة من طيئ، كانوا نزولا بمدينة الانبار؛ وهم مرار بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة: اجتمعوا فوضعوا حروفا مفصولة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية. فمرار وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامر وضع الإعجام. ثم نقل ذلك الى مكة وتعلمه من تعلمه، وكثر فى الناس وتداولوه. وحكي الجوهري أن اول من وضعه رجال من طيئ منهم مرار بن مرة، وأنشد عليه

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب

ثم قال: وانما قالوا آل مرامر، لأنه كان قد سمى كل واحد من اولاده بكلمة من «أبي جاد»، وهم ثمانية. وقيل أول من وضعه ستة أشخاص من طسم من العرب البائدة، كانوا نزولا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن وسعفص، وقرشت. فوضعوا الخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها، وسموها «الروادف» وهي: ثخذ، ضظغ. وقيل أول من وضعه نفيس، ونصر، وتيم، ودومة، بنو اسماعيل عليه السلام: وضعوها سطرا واحدا، موصول الحروف ثم فرقها بعد ذلك نبت، وهميسع، وقيدار، وجعلوا الاشباه والنظائر. وقيل أول من وضعه حمير بن سبا: علمه في المنام؛ وأنهم كانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند، سمى بذلك لأنهم كانوا يسندونه الى هود عليه السلام. قال السهيلى فى «التعريف والاعلام»: والأصح ماورويناه من طريق ابن عبد البر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أول من كتب بالعربية اسماعيل. ثم قيل أول ماظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل ابى سفيان ابن أمية عم ابى سفيان بن حرب، وهو تعلمها من قبل رجل من الحيرة، وأهل الحيرة تعلموها من أهل الانبار. ويروى أنه قيل لابن عباس: من أين تعلمتم الهجاء والكتابة؟ قال من حرب بن أمية. قيل: ومن أين علمه حرب بن أمية؟ قال من طارئ طرأ علينا من اليمن. قيل: ومن أين علمه ذلك الطارئ؟ قال: من كاتب الوحي لهود عليه السلام. ولما تعلمه حرب بن أمية تعلمه منه ابنه أبو سفيان بن حرب، ثم تعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سفيان. اما أهل

المدينة فكانت الكتابة العربية قليلا فيهم . وكان يهودى من يهود ماسكة تعلمها فكان يعلمها الصبيان فجاء الاسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي، وأبو عبس بن كثير، وسعد بن الربيع، وأوس بن خولى، و بشير بن سعد . قال صاحب «الابحاث الجيلة » والخط العربى هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الاقلام التي هي الآن . وذكر ابن الحسين فى كتاب « قلم الثلث» أن الخط الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين هما التقوير والبسط فالمقور هو المعبر عنه الآن باللين، وهو الذى تكون عراقاته منخسفة الى أسفل ؛ والمبسوط هو المعبر عنه الآن باليابس . وعلى هذين الاصلين رتبت الاقلام الموجودة الآن

وأما أول من نقله من الكوفي الى مبادى ماهو عليه الآن، فقد ذكر صاحب « إعانة المنشي » ان أول ما نقل الخط العربى من الكوفى الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن فى أواخر دولة بني أمية وأوائل الدولة العباسية . قال فى صناعة الكتاب : و يقال ان جودة الخط انتهت الى رجلين من اهل الشام هما الضحاك، واسحاق بن حماد، وكانا يخطان «الجليل» قال فى اعانة المنشى : وكان الضحاك فى خلافة السفاح، واسحاق بن حماد فى خلافة المنصور والمهدى . قال النحاس ثم أخذ ابراهيم الشجرى عن اسحاق بن حماد « الجليل » واخترع منه قلما أخف منه سماه « قلم الثلثين » وكان أخط اهل دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه « قلم الثلث » . قال صاحب الابحاث الجيلة وأخذ يوسف اخو ابراهيم الشجرى القلم الجليل عن اسحاق أيضا . واخترع منه قلما ارق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون وأمر أن يحرر الكتب السلطانية به ولا يكتب بغيره، وسماه « قلم الرياسى » قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات . قال النحاس : ثم أخذ عن ابراهيم الشجرى الأحول «الثلثين» وقلم «الثلث» واخترع منهما قلما سماه « قلم النصف» ، وقلما أخف من الثلث سماه «خفيف الثلث » ، وقلما متصل الحروف ليس فى حروفه شيء منفصل عن غيره سماه « المسلسل »، وقلما سماه « غبار الحلية » وقلما سماه « قلم المؤامرات » وقلما سماه « قلم القصص » وقلما مقصوعا سماه « القلم الجوانحي » . قال : وكان خطه يوصف

بالبهجة والحسن من غير احكام ولا اتقان. وكان عجيب البرى للقلم. وكان وجه النعجة مقدما فى الجليل، وكان محمد بن معدان، يعني المعروف بأبى ذرجان، مقدما فى خط النصف وكان قلمه مستوى السنين، وكان يشق الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف و يعطف مثل يا و يصل كل ياء من يساره الى يمينه بعرض النصف لايرى فيه اضطراب وكان احمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجل الكتاب خطا فى الثلث وكان ابن الزيات يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره. وانتهت رياسة الخط بمصر فى زمن ابن طولون الى طبطب المحرر جودة واحكاما. قال فى صناعة الكتاب وكان أهل مدينة السلام يحسدون اهل مصر عليه، وعلى «ابن عبد كان» كاتب الانشاء ويقولون بمصر كاتب ومحرر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما. قلت: ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة الى الوزير أبى على بن مقلة وأخيه ابى عبد الله. قال صاحب اعانة المنشى: وولدا طريقة اخترعاها: وكتب في زمانهما جماعة فلم يقار بوهما وتفردا بو عبد الله بالنسخ والوزير ابو على بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذى هندس الحروف وأجاد تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها. ثم أخذ عن ابن مقلة محمد بن السمساني ومحمد بن أسد وعنهما أخذ الاستاذ ابو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها واخترع عدة أقلام واستقرت الاقلام الاصول على خمسة أقلام وهي الثلث، والوقاع والتوقيعات والنسخ والمخفف وعنها تفرعت سائر الاقلام من الغبار والمشعر والمنثور والحواشي وغيرها. وممن أخذ عن ابن البواب محمد بن عبد الملك، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيخة المحدثة الكاتبة زينب الملقبة بشهدة بنت الابرى، وعنها أخذ أمين الدين ياقوت، وعنه اخذ الولى العجمى، وعليه كتب العفيف، وعنه أخذ ولده الشيخ عماد الدين، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين بن أبى رقيبة محتسب الفسطاط وهو ممن عاصرناه، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين الزفتاوى المكتب بالفسطاط عنه تليقنا

﴿ الكلام في هذا الفن ﴾

اعلم ان الحروف التى تركب منها الكلام العربى يسميها سيبويه والخليل حروف

العربية ، بمعنى حروف اللغة العربية؛ وتسمى حروف الهجاء حروف التهجي، لان تهجي الكلام يقع عليها، وتسمى أيضا حروف المعجم اما لأنها مقطعة لاتفهم الا بأضافة بعضها الى بعض اولأعجام بعضها بالنقط أخذا من قولهم اعجمت الشئ اذا بينته فكأنها مبينة للكلام ثم لاخفاء انها تسعة وعشرون حرفا يسقط منها «اللام ألف» من حيث أنها مركبة من حرفين : الألف واللام، تصير ثمانية وعشرين حرفا . قال علماء الحرف وجعلت ثمانية وعشرين على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين . ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحت الارض أربع عشرة منزلة، كانت هذه الحروف منها مايظهر مع لام التعريف أربعة عشر حرفا بعدد المنازل الظاهرة، وهي الألف، والباء الموحدة، والحاء المهملة، والخاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء والقاف، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو، والياء، آخر الحروف تقول الألف، والباء، والحاء فتظهر اللام في لفظك، وكذلك في البواقي . وما يندغم منها اربعة عشر حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة وهي التاء المثناة فوق، والثاء المثلثة، والدال المهملة، والذال المعجمة، والراء المهملة، والزاى المعجمة ، والطاء المهملة ، والظاء المعجمة، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة ، والضاد المعجمة ، والنون : نقول التاء، والثاء، والذال فتخفي الالف فى لفظك وكذلك البواقي

ثم ترتيب الحروف على ضربين : مفرد، ومزدوج . وفي كل من الضربين اختلاف بين اهل المشرق وأهل المغرب . فالمفرد يبدأ فيه اهل المشرق بالألف ، ثم الباء ، ثم التاء، ثم الثاء ، ثم الجيم ، ثم الحاء، ثم الخاء، ثم الدال ، ثم الذال ، ثم الراء، ثم الزاى، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم الطاء ، ثم الظاء، ثم العين ، ثم الغين، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم الكاف، ثم اللام، ثم الميم، ثم النون، ثم الهاء ، ثم الواو، ثم اللام ألف، ثم الياء على ماهو معلوم . وأهل المغرب يرتبونه على هذا الترتيب الى الزاى ، فيجعلون بعدها الطاء ، ثم الظاء ، ثم الكاف، ثم اللام، ثم الميم ، ثم النون، ثم الصاد، ثم الضاد ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم السين، ثم الشين، ثم الهاء، ثم الواو ، ثم اللام ألف ، ثم الياء . والمزدوج اهل المشرق يرتبونه على هذا الترتيب : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، وأهل المغرب يرتبونه

على هذا الترتيب الى، كلمن ، فيقولون : سعفص قرشت ثخذ ظغش (هكذا)

ثم اعلم ان تحسين الخط مطلوب للكاتب لايجوز له اغفاله اذ هو من أحسن صفات الكاتب التي ترفع قدره عند الناس، وتكون وسيلة الى نجح مقاصده وبلوغ مآربه. وقد قال امير المؤمنين على رضى الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا. وقال بعض العلماء : الخط كالروح في الجسد ، فاذا كان الانسان وسيما جسيما حسن الهيئة كان في العيون اعظم وفى النفوس أفخم، واذا كان على ضد ذلك سئمته النفوس ومجته القلوب فكذلك الخط : اذا كان حسن الوصف، مليح الرصف، مفتح العيون، املس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشت اليه النفوس واشتهته الارواح، حتى ان الانسان ليقرأه وان كان فيه كلام دنئ ؛ واذا كان قبيحاً مجته الافهام، ورفضته العيون والأفكار وان كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها . قال فى مواد البيان : ولما كان الخط قسيما للفظ ، فى امتنان الله تعالى بتعليمه على الانسان، وجب على الكاتب ان يعتنى بأمر الخط، ويراعى من تجويده وتصحيحه ما يراعيه من ترتيب اللفظ وتنقيحه، ليدل على سرعته وسهولته كما يدل اللفظ البليغ البين؛ لان الخط وان كان على الاطلاق في المنزلة التي لا تساوى من الشرف فأنما تحصل فضائله للجيد منه كما ان النطق وان كان من الشرف في هذا الحد فانما تتحصل فضائله التامة لنطق البليغ اللسن، دون منطق الغبى الالكن، وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق انما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدى اذا علمت ذلك فاعلم ان للكتابة قوانين يجب اعتبارها :

﴿ كيفية امساك القلم ﴾ -- قال ابن مقلة : يجب ان تكون أطراف الاصابع الثلاثة: السبابة ، والوسطى والابهام على القلم. قال ابن العفيف ، وتكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة ، ليتمكن من ادارة القلم؛ ولا يتكئ على القلم الاتكاء الشديد المضعف له، ولا يمسكه الامساك الضعيف فيضعف اقتداره فى الخط، لكن يكون اعتماده فى ذلك اعتمادا معتدلا . وقال حنون : اذا اراد ان يكتب أخذ القلم واتكأ على الخنصر، واعتمد سائر اصابعه على القلم، ويعمل الابهام في دورانه وتحريكه . قال ابن مقلة : ويكون امساكه فويق المفتحة بمقدار عرض شعيرتين اوثلاث، وتكون اطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تفضل احداهن على الاخرى. قال ابن العفيف : وعلى حسب تمكن الكاتب من ادارة قلمه

وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهر حروفه

﴿ كيفية الاستمداد ﴾ وهو أصل عظيم من أصول الكتابة . قال ابن العفيف واذا مد الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة امساكه له حين الكتابة، ولا يديره للاستمداد، لان أحسن المذاهب فيه أن يكون وضعه في يد الكاتب على صورة وضعه فى الكتابة ؛ ويحرك رأس القلم من باطن يده الى خارجها فأنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الاصابع، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة فى نقل نصبة الاصابع في كل مرة. قال: وهذا من أكبر ما يحتاج اليه الكاتب، وعليه مدار جودته؛ وقلما يدرك علم هذا الفصل الا العالم الحاذق بهندسة الخط مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية . قال المقر العلائى ابن فضل الله : وينبغى ان لا يكثر الاستمداد، بل يمد مدا معتدلا، ولا يحرك الليقة من مكانها، ولا يرد القلم الى الليقة حتى يستوعب ما فيه من المداد، ولا يدخل منه الدواة الا الى حد شقه، ولا يجاوزه الى آخر الفتحة ليأمن تسويد أنامله وليس ذلك من خصال الكتاب . قال ابن مقلة ويجب ان يكون اول ما يضع من القلم على الدرج موضع القطة منكبا . قال محمد ابن عمر المدائنى : و يستحب للكاتب اذا فكر فى حاجة ان يضع القلم على أذنه . و يساق بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية : اذا كنت كاتبا فضع القلم على أذنك، فأنه أذكر لك والمملى . وأنه قال لزيد بن ثابت رضى الله عنه : ضع القلم على أذنك فانه أذكر لك .

﴿ حسن التشكيل ﴾ — قال ابن مقلة : وتحتاج الحروف فى تصحيح اشكالها الى خمسة أشياء :

الاول التوفية — وهو أن يوفي كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التى تركب منها من مقوس، ومنحن، ومنسطح * الثانى الاتمام — وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الاقدار التى يجب ان يكون عليها من طول، اوقصر، أودقة، أو غلظ * الثالث الاكمال — وهو أن يوفي كل خط حظه من الهيئات التى ينبغي ان يكون عليها من انتصاب، وتسطيح وانكباب، واستلقاء، وتقويس * الرابع الاشباع — وهوان يوفى كل خط حظه من صدر القلم حتى يتساوي به فلا يكون بعض اجزائه أدق من بعض، ولا أغلظ، الا فيما يجب ان يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة على خلاف باقيه مثل الألف

والراء ونحوهما * الخامس الارسال - وهو ان يرسل يده بالقلم في كل شكل يجرى بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه

﴿ حسن الوضع ﴾ قال ابن مقلة : ويحتاج إلى تصحيح اربعة أشياء : ألاول الترصيف - وهو فصل كل حرف متصل الى [illegible] * الثاني التأليف — وهو جمع كل حرف غير متصل الى غيره على افضل ماينبغي ويحسن * الثالث التسطير - وهو إضافة الكلمة الى الكلمة حتى تصير سطرا منتظم الوضع كالمسطرة * والرابع التنصيل - وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة

﴿ معرفة مواقع المدات ﴾ قال في مواد البيان : والمدات في الخط تستعمل لأمرين: أحدهما انها تحسن الخط وتفخمه في مكان كما يحسن مد الصوت اللفظ ويفخمه فى مكان * الثانى أنه ربما أوقعت ايتم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر، لان السطر ربما ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتمد التي تقع في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذى يليه . وقال ابن العفيف : مواضع المدات أواخر السطور ، ويكره إذا كانت في وسطها ، قال ، ويجوز ان تكون في أول السطر اذا كانت سينا مدغمة . قال في مواد البيان : ويجب علي الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها في غير المواضع اللائقة بها، فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى ، مثل ان يوقع المدفى متعلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستعلم ، أو يوقع المدفى متسلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستسلم : ثم قال : فالكلمة الأصلية اسما كانت أو فعلا أو حرفا لا تخرج عن اربعة اصناف : ثنائية ، وثلاثية ، ورباعية ، وخماسية . فالثنائية نحو يد ، وصر ، وسر ، وشر ، وظل ، وطل ، وما أشبه ذلك من الاسماء وقل ، وكل ، وقي ، وعد ، ونم ، ومر ، وما أشبهها من الافعال ، وهل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومن ، وعن ، ولو ، ولم ، وما يجرى مجراها من الحروف : فلا يحسن المد في شئ منها الا فى سر وشر من الاسماء ، وسر من الأفعال ، لأن السين والشين وان كان كل منهما حرفا على حياله في صورة ثلاثة أحرف ، قال ، وقد يحسن في نحو ظل وطل في بعض المواضع أما الحروف فأنه لا يحسن المد فى شئ منها . وحكي صاحب منهاج الاصابة ان بعض الكتاب كان يمد في أواخر السطور مثل : ما ، وهل ، وعن . ثم حكى عن ابن مخلوف أن ذلك لا يجوز في أول سطر ، ولا

في آخره * والثلاثية مثل: بيع، وقطع . قال في مواد البيان: والمد فيها على الاكثر قبيح، لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين؛ على أن منها ما يسامح في مده للضرورة كما اذا وقع في آخر سطر يحتاج الى التتميم فيمد كبيع وقطع ونحوهما . وعلى ذلك جرى في منهاج الاصابة ثم قال : ويجوز أن تمد اذا كان ثالثها الفا أو لاما قال ابن العفيف : وكان والدي رحمه الله يمد في الكلمة الثلاثية اذا كان أولها الجيم وأختيها ، والطاء ، والظاء ، والعين ، والغين ، قال في مواد البيان : وينبغي اذا مد أن يقدم الحرفين الأولين ويوقع المدة بينهما وبين الثالث : أما متى ، وفتى ، وعسى ، ونحوها فأنها لا تحتمل مدا بحال * والرباعية مثل محمد وجعفر . قال ابن خلوف : والمد فيه جائز بل هو أحسن من القصر . قال في مواد البيان : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الرابع ، ولا بالعكس : بل يوقع المد بين الجزئين الأولين والجزئين الأخريين فقط : على أن منها ما لا يحسن المد فيه مثل ثعلب ، وعنبر ، وقبر ، ونحوها * والخماسية نحو : مشتمل ، ومستقل ، ومسيطر ، ومهيمن . وقد اختلف فيها : فذهب صاحب مواد البيان الى منع المد فيها لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين ، فيمتنع المد فيها كما في الثلاثية؛ وذهب ابن خلوف الى لزوم المد فيها . ثم اذا مد، فالذي في مواد البيان أنه لا يحسن ان يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأخر . قال في مواد البيان : ويصح المد فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية، مثل كلمته، وعلمته وفيه، ومنه، وعليه، واليه، اذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير . قال ومشق السين يحسن الخط في بعض المواضع . ويقبح اذا وقعت طرفا نحو مشق السين من القياس، وأقبح من ذلك مشقها اذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها نحو يأنس، وعانس؛ واذا توالت سينان، أو سين وشين، فالأحسن ان يفصل بينهما في الخط المحرر بمدة لطيفة نحو مسست، وعششت، ورششت . قال ابن خلوف : ومن الحروف ما لا يحسن المد بعده اذا كان مبتدأ وهي الباء وأختاها، والياء، والفاء، والقاف، واللام، والكاف المشكولة : فانه لا يجوز مد ما بعدها في ابتداء ولا توسط . قال ابن العفيف : و « على » تمد اذا كانت الياء معرقة . فان كانت راجعة لم يجز المد أصلا . قال في مواد البيان: ويقبح أن تمد حرفين توالى بينهما في سطر واحد، وان توقع حرفين ممدودين في سطرين . أعلى وأسفل على

تقابل وتحاذ . قال السرمرى وان كان فى آخر الكلمة ياء لم يجز المد قبل الياء . قال؛ ولذلك لا يجوز المد بعد السين في اسم موسى، ولا قبل السين فى اسم عيسى

﴿ مراعاة فواصل الكلام ﴾ بأن يميز الفصول المشتمل كل فصل منها على نوع من الكلام عما تقدمه لتعرف مبادى الكلام ومقاطعه فأن الكلام ينقسم فصولا طوالا وقصارًا : فالفصول الطوال كتقسيم منثور المترسل الى رسائله، ومنظوم الشاعر الى قصائده، قال، ومثل هذا لا يحتاج الى تفصيل لأنه لا يشكل الحال فيه فى الرسالة أو القصيدة بغيرها اتصالا وانفصالا والفصول القصار كانقسام الرسالة الى الفصول، والقصيدة الى الأبيات . ومثل هذا قد يشكل، فينبغى ان يميز تمييزًا يؤمن معه من الاختلاط؛ فأن ترتيب الخط يفيد ما يفيده ترتيب اللفظ؛ وذلك أن اللفظ اذا كان مرتبا يخلص بعض المعانى من بعض ، واذا كان مختلطا أشكلت معانيه وتعذر على سامعه إدراك محصوله؛ وكذلك الخط اذا كان متميز الفصول وصل كل فصل منه الى النفس على صورته، واذا كان متصلا دعا اعمال الفكر فى تخليص اعراضه . وقد اصطلح كتاب الرسائل على ان يجعلوا للفواصل بياضا يكون بين الكلامين من سجع ، أو فواصل كلام، بقدر رأس خنصر . قال فى مراد البيان: وينبغى ان لا تكون الجملة، يعنى التى ينتهى بها الكلام الأول، فى آخر السطر، والفاصلة فى أول السطر الذى يليه، فأنه يلبس لاتصال الكلام، بل لا يجعل فى أول السطر بياضا أيضاً لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور، ولا أن يفسح بين السطر والذى يليه افساحا زائدا عما بين كل سطرين، لكن يراعي ذلك من أول شروعه فى كتابة السطر بقدر الخط بالجمع والمشق حتى يخلص من هذا العيب

﴿ ومنها حسن التدبر فى قطع الكلام ووصله فى أواخر السطور وأوائلها ﴾ لأن السطور فى المنظر كالفصول، فأذا قطع السطر على شئ يتعلق بما بعده كان قبيحا ولذلك حالتان :

الحالة الاولى ـ أن يكتب بعض حروف الكلمة فى آخر السطر وبعضها فى أول السطر الذى يليه، أو يقع فى آخر السطر الذى يليه مثل ان يقع معه لفظ « كتاب » فى آخر السطر فيكتب الكاف والتاء والالف فى آخر السطر ، والباء فى أول السطر الذى يليه أو يقع فى آخر السطر لفظ «مسرور» فيكتب الميم والسين والراء فيه، والواو والراء الثانية

فى أول السطر الذى يليه ونحو ذلك . قال في مواد البيان : وهو قبيح جدا لانه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه؛ قال، وا كثر ما يوجد فى مصاحف العامة وخطوط الوراقين عند ضيق آخر السطر عن الكلمة بكمالها. ومن ثم احتاج الكاتب الى النظر فى ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه فى كتابة أول سطر على ما تقدم. قال صاحب منهاج الاصابة وانما وقع مثل ذلك في المصاحف التى كتبت فى زمن امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط؛ فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها في السطر الثاني

الحالة الثانية — ان يفصل الكلمة التامة ويصلها مثل ان يكتب «وصل كتابك» مفصولا، فيكتب وصل في آخر السطر، وكتابك في أول الذى يليه ونحو ذلك. قال في مواد البيان والأحسن تجنبه اذا أمكن فأن لم يمكن فيتجنب القبيح منه وهو الفصل بين المضاف والمضاف اليه كعبد الله، وغلام زيد، وما أشبه ذلك، لأن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الاسم الواحد؛ والفصل بين الاسم وما يتلوه فى النسب كقولك : زيد بن محمد، فلا يجوز أن يفصل بين المنسوب والمنسوب اليه كما لا يجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف اليه. قال : فأن كان المراد بلفظ الابن تثبت البنوة كقولك « ازيد ابن » جاز قطع الابن عما تقدمه لأن «لزيد» لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس، بخلاف غلام زيد ونحوه . قال : ومما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جعلا اسما واحدًا نحو حضرموت، وتأبط شرًّا، وذى يزن، وأحد عشر، وما أشبه ذلك. قلت: وقد ذكرت فى الاصل هنا هندسة الحروف وصورة وضع حروف كل قلم وكيفية التصرف فى ذلك مما لا يحتمله هذا المختصر

﴿ الفصل الرابع ـ في نقط الخط وشكله ﴾

﴿ اما النقط ﴾ فقد تقدم فى الكلام على وضع الحروف العربية ان أول من وضعها ثلاثة من طيئ هم مرار بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة ؛ وأن مرارا وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامرا وضع الأعجام . وبمقتضى ذلك يكون النقط موضوعا مع وضع الحروف . وهو أمر مطلوب عند خوف اللبس لأنه انما وضع لذلك . قال

محمد بن عمر المدائني: ينبغي للكاتب ان يعجم كتابه، ويبين اعرابه، فأنه متى اعراه عن النقط كثر فيه التصحيف وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده الى ابن عباس انه قال: لكل شيء نور ونور الكتابة العجم . وعن الأوزاعي، نحوه . ومن كلام ابي مالك الحضرمي: قلم لم تعجم فصوله، استعجم محصوله . ومن كلام بعضهم: الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة . وذلك انما هو مطلوب مع خوف اللبس أما مع أمن اللبس فأن الاولى تركه لئلا يظلم الخط من غير فائدة . فقد حكى أنه عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال: ما أحسنه لولا أنه كثير شونيزه . وحكى محمد بن عمر في كتاب القلم والدواة عن بعض الأدباء أنه قال: كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه . قال: ولذلك لا تنقط عهود الخلفاء والملوك

واعلم انه قد تقدم ان حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا، وقد وضعت اشكالها على تسعة عشر شكلا، فمنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الحرفان كالدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، ومنها مايشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء؛ ومنها ماينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها مالا يلتبس حالة الافراد، فأذا ركب ووصل بغيره التبس كالنون والقاف؛ فان النون في حالة الافراد لها صورة تخصها فاذا ركبت مع غيرها في أول كلمة أو وسطها اشتبهت بالباء وما في معناها؛ والقاف اذا كانت منفردة لا تلتبس، فاذا وصلت بغيرها التبست بالفاء، فاحتيج الى مميز يميز بعض الحروف عن بعض من نقط أو اهمال ليزول اللبس ويذهب الاشتراك . قال الشيخ أثير الدين: ولذلك ينبغي ان القاف والنون اذا كتبتا في حالة الانفراد على صورتهما الخاصة بهما لا ينقطان، لأنهما لا شبه بينهما، ولا يشبهان غيرهما فيكونان اذ ذاك كالكاف واللام . قال: ومنع بعض مشايخنا الاشتراك في صورة الحروف وقال ان الصورة والنقط مجموعهما دال على كل الحرف

ثم ماعدا الألف واللام من الحروف فهي ثمانية وعشرون حرفا مرتبة على منازل القمر على ماتقدم . ومنازل القمر أبدا منها اربع عشرة ظاهرة فوق الارض، وأربع عشرة مختفية تحت الارض . ثم لا بد أن يبقى فوق الارض أيضا منزلة مختفية تحت الشفق، فتصير المنازل المختفية خمس عشرة منزلة، والظاهرة ثلاث عشرة منزلة؛ فكانت الحروف المنقوطة

خمسة عشر حرفا بعدد المنازل المختفية اشارة الى أنها تحتاج الى الاظهار لاختفائها. وهي الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والخاء، والذال، والزاي، والشين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون، والياء. وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر حرفا بعدد المنازل الظاهرة وهي الألف، والحاء، والدال، والراء، والسين، والصاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو: فالالف لاتنقط لانفرادها بصورة واحدة من حيث أنه ليس في الحروف ما يشبهها في الأفراد والتركيب؛ والباء تنقط بواحدة من أسفل لتخالف التاء المثناة فوق، والثاء المثلثة في حالتي الافراد والتركيب، والياء المثناة تحت والنون في حالة التركيب ابتداء أو وسطاً؛ والتاء تنقط باثنتين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد وتخالفها مع الياء والنون في حالة التركيب؛ والثاء تنقط بثلاث من فوقها لتخالف ما قبلها من الصورتين في الافراد وتخالفهما مع النون والياء ايضاً في التركيب ابتداء ووسطا؛ والجيم تنقط بواحدة من تحتها لتخالف الصورتين بعدها. والحاء لاتنقط ويكون الأهمال لها علامة: وحذاق الكتاب يجعلون لها علامة حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم؛ والخاء تنقط بواحدة من فوقها لتخالف ما قبلها من الجيم والحاء. والدال لاتنقط ولا تعلم، ويكون ترك العلامة لها علامة والذال تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها وبين أختها؛ والراء لاتنقط. ويكون الأهمال لها علامة، والزاى تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها وبين الراء؛ والسين لاتنقط، وتكون علامتها الاهمال كغيرها. وبعض الكتاب ينقطها بثلاث من أسفلها. والشين تنقط بثلاث من فوقها فرقا بينها وبين أختها. فأن كانت مدغمة فلابد من جرة فوقها. والصاد لاتنقط الا أن حذاق الكتاب يجعلون لها صادا صغيرة تحتها كما في الحاء، والضاد تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها و بين أختها. والطاء لاتنقط لكن لها علامة كالصاد والحاء، وهي طاء صغيرة تحتها. والظاء تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها و بين أختها. والعين لاتنقط ولها علامة كما في الحاء والصاد والطاء. وهي عين صغيرة فى بطنها؛ والغين تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها وبين أختها؛ والفاء أهل الشرق ينقطونها بواحدة من أعلاها، وأهل المغرب ينقطونها بواحدة من أسفلها؛ والقاف لاخلاف بين أهل الخط أنها تنقط من أعلاها، إلا أن من نقط الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف باثنتين من أعلاها للفرق بينهما، ومن

نقط الفاء بواحدة من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها للفرق بينهما أيضا وقد تقدم من كلام ابي حيان أنها إذا كتبت على صورتها الخاصة بها في حالة الافراد ينبغي ان لا تنقط، والكاف لا تنقط الا أنها اذا كانت مشكولة علمت بشكلة، وان كانت معراة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما التبست باللام؛ واللام لا تنقط ولا تعلم، وترك العلامة لها علامة، والميم لا تنقط ولا تعلم أيضا لانفرادها بصورة، والنون تنقط بواحدة من فوقها، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداء ووسطا لالتباسها حينئذ بالباء والتاء والثاء أوائل الحروف والياء آخر الحروف، بخلاف حالة الافراد والتطرف في التركيب آخرا فأنها تختص بصورة ولا تلتبس كما أشار اليه ابو حيان؛ والهاء لا تنقط في جميع أشكالها وان كثرت لأنه ليس لها في اشكالها ما يلتبس بغيره * والواو لا تنقط وان كانت في حالة التركيب تقارب الفاء، وفي حالة الافراد تقارب القاف، لأن الفاء لا تشابهها كل الشبه، ولأن القاف أكثر مساحة منها؛ واللام ألف لا تنقط لانفرادها بصورة لا يشاركها فيها غيرها؛ والياء تنقط بنقطتين من أسفلها وان كانت في حالة الافراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها، لأنها حالة التركيب في الابتداء والتوسط تشابه الباء والتاء والثاء والنون فيحتاج الى بيانها بالنقط تغليبا لحالة التركيب على حالة الأفراد كما في النون، وربما نقطها بعض الكتاب في حالة الأفراد بنقطتين في بطنها

اذا تقرر ذلك فللنقط صورتان نبه عليهما ابن مقلة: احداهما شكل مربع على هذه الصورة (• •) والثانية شكل مستدير على هذه الصورة (٠ ٠) قال ابن مقلة: واذا كان على الحرف نقطتان فأن شئت جعلت واحدة فوق أخرى على هـذه الصورة (:) وان شئت جعلتهما في سطر معا على هذه الصورة (¨) الا أن يكون بجوار الحرف حرف ينقط فأنه لا يجوز الا أن يكون النقط واحدة فوق أخرى، لأن النقط اذا كنّ في سطر واحد خرجن عن حروفهن فوقع اللبس في الاشكال، فأذا جعل بعضها فوق بعض كان على كل حرف قسطه من النقط فزال الاشكال، واذا كان على الحرف ثلاث نقط فأن كان ثاء مثلثة جعلت واحدة فوق اثنتين وان كان شينا فبعض الكتاب ينقطه كذلك، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرا لسعة الشين بخلاف الثاء المثلثة. اما السين المهملة اذا نقطت من أسفلها فالأولى جعل نقطها الثلاث سطرا تحتها، واذا كانت

محققة(١)فاللائق التأسيس بنقطتين من تحت وجعل نقطة ثالثة اعلاهما

﴿ واما الشكل ﴾ فبفتح الشين . قال اهل اللغة : وهو مأخوذ من شكل الدابة وهو تقييدها لأن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس اعرابها كما تضبط الدابة بالشكال فيمنعها من الهرب . قال ابو تمام

ترى الامر معجوما اذا كان معجما لديه ومشكولا اذا كان مشكولا

وقد اختلف فى اول من وضع الشكل ، فذهب قوم إلى ان أول من وضع ذلك أبو الأسود الدؤلى حين وضع الاعراب و بدأ بشكل المصحف فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف عليه اذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف، واذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف، واذا ضممت فاى فاجعل نقطة امام الحرف . فان أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة ' يعنى تنوينا ' فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف . وذهب آخرون الى ان أول من وضعه نصر بن عاصم الليثى ، وأنه الذى خمس آيات القرآن وعشرها : وذهبت طائفة الى أن أول من وضعه يحيي بن يعمر . قال ابو عمرو الدانى : وهؤلاء الثلاثة من جملة تابعى البصريين . أما الهمزة والتشديد فأن واضعهما الخليل بن احمد . وقد اختلفت مقاصد الكتاب فى التقييد بالشكل ، فذهب بعضهم الى الترغيب فيه قال هشام بن عبد الملك : اشكلوا قرائن الآداب لئلا تند عن الصواب . وقال على بن منصور : حلوا غرائب الكلم بالتقييد وحصنوها عن شبه التحريف . وذهب بعض الى كراهة ذلك . قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن تشكل الحروف على القارئ أحب الىَّ من أن يعاب الكاتب بالشكل ونظر محمد ابن عباد الى كاتب وهو يقيد ما كتب بالشكل فقال : لو عرفته ما شكلته

واعلم أن الشكل جار مع الاعراب كيف جرى : فيرجع الى السكون وهو الجزم، والى الفتح وهو النصب ،والى الضم وهو الرفع ،والى الجر وهو الخفض . ثم اعلم أن المتقدمين كانوا يجعلون الشكل نقطا يكون مخالفا للون الحبر من حمرة ونحوها كما تقدمت الاشارة في الكلام على ابتداء أبى الأسود ذلك . والمتأخرون اصطلحوا

---

(١) هذه العبارة مذكورة في الصبح في آخر الكلام على نقط السين ومحلها هنا في الضوء

لذلك على صور مختلفة الأشكال أتوا بها بالحبر لمناسبة تخص كل شكل منها .
و يتعلق المقصود من ذلك بسبع علامات : الاولى علامة السكون ، والمتقدمون يجعلونها جرة بالحمرة فوق الحرف سواء كان الساكن همزة كما في هذه الصورة « لم يشأْ » أو غيرها من الحروف كالذال من قولك « اذْهب » ، والمتأخرون يرسمون لها دائرة تشبه رأس الميم اشارة الى الجزم على هذه الصورة «بْ» من حيث ان الميم آخر حرف من لفظ الجزم، و يحذفون عراقة الميم استخفافا ،و يسمون تلك الدائرة «جزمة» أخذًا من الجزم الذى هو لقب السكون ، ويحتمل ان يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصفر فى حساب الهند اشارة الى الخلو عن الحركة ، اذ الصفر هو الخالى عن الشئ : وحذاق الكتاب يجعلون الجزمة جيما لطيفة بغير عراقة اشارة للجزم على هذه الصورة (د) * الثانية علامة الفتح .والمتقدمون يجعلونها نقطة بالحمرة فوق الحرف على هذه الصورة «بَ» فأن اتبعت حركة الفتح تنوينا جعلت نقطتين احداهما للحركة والأخرى للتنوين على هذه الصورة «زيدً » والمتأخرون يجعلون علامتها ألفًا مضطجعة بقدر ثلث الف ذلك الخط تقف فيها بالقطة مائلاً الى اليسار بقدر نقطة من ذلك الخط على هذه الصورة « بَ » لما تقدم من أن الالف علامة الفتح فى الاسماء المعتلة ، ورسموها بأعلى الحرف موافقة للمتقدمين فى ذلك ، وسموا تلك الالف المضطجعة « نصبة » أخذًا من النصب، ويجعلون حالة التنوين خطتين مضطجعتين من فوق الحرف كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين من فوق على هذه الصورة « مًا » وعبروا عنهما بنصبتين * الثالثة علامة الضم ، والمتقدمون يجعلونها نقطة بحمرة وسط الحرف على هذه الصورة « ــ » أو أمامه على هذه الصورة « ب· » ،فأن لحقه تنوين رسموا لذلك نقطتين احداهما للحركة والثانيه للتنوين على هذه الصورة « بٌ » : والمتأخرون يجعلون علامة الضم واوًا صغيرة على هذه الصورة «بُ » لما تقدم ان الواو علامة الرفع فى الاسماء المعتلة ، وسموها « رفعة» لذلك ورفعوها بأعلى الحرف دون وسطه كي لا تشين الحرف بخلاف المتقدمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة فان لحق حركة الضم تنوين رسموا لذلك واوًا صغيرة بخطة بعدها : الواو اشارة للضم ، والخطة اشارة للتنوين على هذه الصورة « ـٌ » وعبروا عن تينك

الواو والخطة برفعتين و بعضهم يجعل عوض الخطة واوًا أخرى مردودة الآخر على رأس الاولى على هذه صورة (ـُ‎ُ) وربما جعلوا الواوين سطرا على هيئتهما على هذه الصورة (ـُ‎ُ) * الرابعة علامة الكسر والمتقدمون يجعلون علامته نقطة بالحمرة تحت الحرف على هذه الصورة ـِ ويسمونها كسرة فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين على هذه الصورة ـٍ : والمتأخرون جعلوها شظية من أسفل الحرف اشارة الى الياء التي هي علامة الجر فى الاسماء المعتلة على ما مر وسموا تلك الشظية «خفضة» أخذًا من الخفض الذى هو لقب الكسر ولم يخالفوا بينها و بين علامة النصب لاختلاف محلهما الا أنهم اختلفوا في صورهما فبعضهم يجعلها على صورة ما تقدم فى الفتحة من الختم بالقطة والامالة الى اليسار على هذه الصورة «ـِ» ومنهم من يجعلها مسبلة الى أسفل مختمة بسن القلم على هذه الصورة «ـِ» فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطتين من أسفله احداهما للحركة والاخرى للتنوين اما مبطوحتان على هذه الصورة (ـٍ) واما مسبلتان على هذه الصورة (ـٍ) * والخامسة علامة التشديد والمتقدمون اختلفوا فيها فأهل المدينة يرسمونها على هذه الصورة ( )[1] ولا يجعلون معها علامة الاعراب بل يجعلون علامة الشد مع الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم امام الحرف، ومنهم من يجعل مع ذلك نقطة علامة للاعراب . قال أبو عمرو الدانى : وهو عندى حسن . وعامة اهل الشرق اصطلحوا على أنهم يرسمون علامة التشديد صورة شين من غير عراقة على هذه الصورة (ـّ) كأنهم يريدون اول شديد. ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدًا ، و يعربونه بالحركات : فأن كان مفتوحا جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح على هذه الصورة (ـّ) ، وان كان مضموما جعلوا مع الشدة نقطة امام الحرف علامة الضم على هذه الصورة (ـّ) وان كان مكسورا جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر على هذه الصورة (ـّ) وعلى هذا المذهب استقر رأى المتأخرين أيضًا غير أنهم جعلوا بدل النقطة الدالة على الاعراب التى اصطلحوا عليها من النصبة والرفعة والخفضة فيجعلون النصبة بأعلى الشدة على هذه الصورة (ـَّ) ويجعلون الخفضة بأسفل الحرف الذى عليه الشدة على هذه الصورة (ـِّ) وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق

---

(١) بياض بالاصل

الحرف على هذه الصورة (ـّ) وربما جعل بعضهم في آخر علامة الشدة شظية بمقدار أحد أسنانها على هذه الصورة (ـّـ)وربما نقص مقـدار الشظية عن ذلك فى الثلث والتوقيعات فأن كان مع الشدة تنوين من نصب أو جر أو رفع جعل مع الشدة علامة ذلك التنوين * السادسة علامة الهمزة والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقطة الاعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحمرة سواء كانت صورة الهمزة واواً أو ياء أو ألفاً اذ حق الهمزة ان تلزم مكاناً واحداً من السطر لأنها حرف من حروف المعجم والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقة لقرب مخرج الهمزة من العين على هذه الصورة (أ) ثم ان كانت الهمزة مصورة بصورة حرف من الحروف فأن كانت ساكنة جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاه على هذه الصورة (لم يشأْ) وان كانت مضمومة جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها على هذه الصورة(أُ) وان كانت مكسورة جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها على هذه الصورة (إِ). وقد اختلف المتقدمون من النحويين في أي الطرفين من « اللام ألف » هو الهمزة : فحكي عن الخليل ان الاول منها هو الهمزة . والثاني هو اللام . قال أبو عمرو الداني: واليه ذهب عامة أهل النقط استدلالا بأن رسمها في الاصل لاماً مبسوطة هكذا (لـا) الا انه استثقل رسم ذلك كذلك في «اللام ألف» خاصة لاعتدال طرفيها لمشابهة كتابة الاعاجم فحسن رسمها بالتضفير فضم احد الطرفين الى الآخر . فأيهما ضم الى صاحبه كان الهمزة وخالف الاخفش فزعم ان الطرف الاول هو اللام والثاني ، هو الهمزة ، استشهاداً بأن ما تلفظ به أولا هو المرسوم أولا و بالعكس . قلت : والحق ان ذلك يختلف باختلاف تصوير « اللام ألف » على ما رتبه متأخرو الكتاب : ففي المصورة بهذه الصورة (لا) لأول هو الهمزة وفي هذه الصورة (لا) على العكس؛ وان كانت الهمزة غير مصورة بحرف كالهمزة فى « جزءْ وخبءْ » جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الاعراب من سكون وفتح وضم وكسر . فأن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين جعل مع الهمزة علامة التنوين من نصبتين أو رفعتين او خفضتين على ما مر في غير الهمزة * السابعة علامة الصلة في ألفات الوصل . والمتقدمون رسموا لها جرة بالحمرة في سائر أحوالها وجعلوا محلها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل فأن وليها فتحة كما في قوله

تعالى « ينفقون الذى » جعلت الصلة عند المتقدمين جرة حمراء على رأس الألف على هــذه الصورة (آ) ؛ وان وليها كسرة كما في قوله تعالى «رب العالمين » جعلت جرة حمراء تحت الالف على هذه الصورة (اِ) وان وليها ضمة كما في قوله تعالى (نسـتعين اهدنا) جعلت جرة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) فأن لحق شيء من الحركات التنوين جعلت الصلة أبدا تحت الالف . والمتأخرون رسموا لذلك صادا لطيفة اشارة الى الوصـل وجعلوها بأعلى الحرف أبدا ولم يراعوا في ذلك الحركات اكتفاء باللفظ على هذه الصورة (آ)

الفصل الخامس في الهجاء

ويقال فيه التهجي ، وهو مما يضطر اليه الكاتب غاية الاضطرار . والمقصود هنا المصطلح العام وهو ما تقع به الكتابة في عامة الامور دون مصطلح الرسم وهو ما جرى عليه عرف كتابة المصاحف والمصطلح العروضي وهو ما اصطلح عليه العروضيون في تقطيع الشعر .
واعلم ان الاصل فى هذا المصطلح الذى نحن بصدد ذكره مطابقة المنطوق المفهوم وقد يزيدون فى وزن الكلمة ماليس في وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه و بين المشبه له وينقصون من الكلمة ماهو في وزنها استخفافا واستغناء بما أبقى عما انتقص اذا كان فيه دليل على ماحذف . ثم المرجع فيه الى حالتين :

الحالة الاولى حالة افراد اللفظ

ويختلف الحال فيه باعتبار بقاء أصله ، وتغيره بالزيادة والنقص والبدل . فاما الباقي على أصله في ذوات الحروف وعددها فيعتمد فيه أمور : أحدها اعتبار المنطوق به من الحروف عند الادغام دون المدغم منها ، فيكتب «امّحى » من المحو بغير نون وان كان انمحى على وزن انفعل لوقوع الادغام من كلمة واحدة ، بخلاف ما اذا كان من كلمتين نحو «من مالٍ » فيكتب بنون فى «من» منفصلة من ميم «مال» وان كانت النون الساكنة تدغم في الميم
الثاني -- اثبات النون عند الاخفاء والانقلاب فيكتب لفظ «خنق» ولفظ «أنت»

وما اشبهها بنون وان كانت النون مخفاة فى القاف من «خنق» . وفى التاء من «أنت» وكذلك فى حالة التركيب نحو« من كافر» ويكتب عنبر وما اشبهها بنون أيضا وان كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميما : وكذلك فى حالة التركيب نحو« من بعد »

الثالث ما يسقط فى الدرج لالتقاء الساكنين، فيكتب « اضربوا القوم» و« يغزو الرجل » بواو، وكذلك كل ما فيه حرف قد حذف لساكن يليه، لأنه لولا التقاء الساكنين لبقيت هذه الواو لفظا .

الرابع اعتبار حالة الوقف آخر الكلمة، فتكتب « انا » بالألف بعد النون وان كانت فى وصل الكلام لاشباع في الفتحة، لأن الوقف عليه بألف؛ ومن أجل ذلك كتبت « لكنا هو الله ربى » بألف فى « لكنا » من حيث ان أصله « لكن انا » * ويكتب المنون المنصوب مثل « زيدًا وعمرًا » من قولك ، ضربت زيدًا وعمرًا، بالألف لأنه يوقف عليه بالألف، بخلاف المنون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين واسكان الآخر على الصحيح * وتكتب اذن المنونة بالألف على رأى المازني، لأن الوقف عليها بالألف لضعفها ' والمبرد والأكثرون على كتابتها بالنون، وصححه ابن عصفور، لان كل نون وقف عليها بالألف تكون بالألف وفصل الفراء فقال: ان ألغيت كتبت بالألف، وان اعملت كتبت بالنون اتموتها * ويكتب « لنسفعًا » بالألف لأن الوقف عليها بالألف * ويكتب، اضربًا زيدًا ولا تضربًا عمروًا، بالألف عند الأكثر ، وذهب بعضهم الى كتابتها بالنون، وبه جزم ابو حيان * ويكتب كل اسم في آخره ياء، نحو قاضى وغازى وداعى وجارى وسارى ومشترى ومهتدى ومستدعى ومفترى، فى حالتى الرفع والجر بغير ياء' فيكتب : جاء قاض ومررت بقاض . وكذا في الباقيات ' وفي حالة النصب بالياء مع زيادة الألف كما فى قولك رأيت قاضيًا وغازيًا وداعيًا ، وما أشبه ذلك؛ وان كان جمعًا ، فأن كان غير منصرف كتب فى حالة الرفع والجر بغير ياء على ما تقدم ، فتكتب فى الرفع : هؤلاء جوار وغواش وسوار ودواع ، وفى الجر : مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ ، بغير ياء فى الحالتين ويكتب في النصب بالياء من غير ألف بعدها' فيكتب: رأيت جوارى وسوارى ودواعى ونحوها ، فأذا دخلت الالف واللام فى جميع هذه الأسماء أثبتت فيها

الياء سواء المنصرف وغير المنصرف:فتكتب هذا الداعي والغازى والقاضي والمشترى، وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعي، بالياء فى الجميع . قال ابن قتيبة : قد يجوز حذفها ،وليس يستعمل الا فى كتابة المصحف ؛ وكذلك اذا أضفت، كتبته بالياء ، نحو مررت بقاضي زيد وداعى أخيك وغازى القوم،وما أشبه ذلك؛ كل ذلك اعتمادا على حالة الوقف .قال ابن قتيبة:فأن كانت الياء مثقلة لم يحذفها نحو بخاتيّ وامانيّ وماأشبهها * وتكتب « ره » أمرا بالرؤية ،و« لم يره » نفيا للرؤية، و« قه » أمرا بالوقاية،و « لم يقه » نفيا لذلك ،وما أشبهه ، بالهاء وان كانت الهاء تسقط منه حالة الدرج ؛لأن الوقف عليها بالهاء؛ وكذلك قولهم « مه انت ؟وحتى مه؟ » لأن الوقف على« ما » الاستفهامية بعد حذف الفها بالهاء ، فتكتب بالهاء ؛بخلاف ما اذا وقعت « ما »المحذوف الفها بعد الجار نحو حتام، والى م، وعلام، فأنه لا تلحقها الهاء لشدة الاتصال*وتكتب تاء التأنيث فى نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة ، بالهاء،لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح؛ وبعضهم يقف عليها بالتاء،وهي لغة قليلة فتكتب بالتاء، وقد وقع فى رسم المصحف مواضع من ذلك نحو « افبنعمت الله يكفرون».قال ابن قتيبة:«وهيهات» يوقف عليها بالهاء والتاء، والاجماع على كتابتها بالتاء

ثم اللفظ المفرد ان كان اسما لحرف من حروف الهجاء فان كان اسما قاصرا على الحرف لم يسم به غيره وقصد اسم ذلك الحرف لامسماه كتب الملفوظ به نحو «جيم» اذا سئل كتابته فيكتب جيم و ياء وميم؛ وان قصد مسماه لااسمه وجب الاقتصار فى الكتابة على اول حرف من حروف الكلمة فيكتب بصورة ذلك الحرف ؛فأن سمى به غيره كما اذا سمى رجل (بقاف) أو (بياسين) فللكاتب فيه مذهبان : أحدهما ان يكتبه على صورة الحرف هكذا « ق، و يس»والثانى ان يكتب الملفوظ به هكذا (قاف، و ياسين) وهو اختيار ابن الحاجب .وان كان اللفظ المفرد اسما لغير حرف من حروف المعجم فأن كان له معنى كزيد كتب على هذه الصورة (زيد) وان كان له أ كثر من معنى واحد كتب بحسب القرينة كما اذا قيل له ا كتب (شعرًا) فان دلت القرينة على ان المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرًا) والا فيكتب ما ينطبق عليه اسم الشعر اذ هو معنى الشعر

وأما ما تغير عن أصله فأما ان يتغير بالزيادة أو بالنقص او بالبدل :

﴿ فالزيادة ﴾ تكون بثلاثة أحرف :

الأول ، الالف . وتزاد بعد الميم فى مئة فتكتب على هذه الصورة (مائة)، واختلف فى زيادتها فيها في حالة التثنية فقيل لاتزاد ، والراجح الزيادة؛ أما فى حالة الجمع فقد اتفقوا علي منع الزيادة فكتبوا « مئين ومئات » بغير ألف بعد الميم. قال ابوحيان: وقد رأيت بخط بعض النحاة « مأة » على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء قال وكثيرا ما أ كتب انا « مئة » كما تكتب « فئة » * وتزاد أيضا بعد واو الجمع المتطرفة فى آخر الكلمة اذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضربوا ، واضربوا وما أشبههما، فتكتب بألف بعد الواو بخلاف مااذا لم تقع الالف طرفا فى آخر الكلمة نحو ضربوهم ، وكالوهم ، ووزنوهم، فأنه لاتلحق بها الالف ، فلو اتصلت واو الجمع بفعل مضارع نحو لن يضربوا ، ولن يذهبوا ، فمذهب الاخفش لحوق الالف وذهب بعض البصريين الى عدم لحوقها . ولو اتصلت باسم نحو ضاربوهم، وضاربو زيد ، فمذهب البصريين عدم اللحوق ، ورجحه ابوحيان؛ ومذهب الكوفيين اللحوق فيكتبون «ضاربوا زيد » و«هموا» بالالف بعد الواو * وتزاد عند الفراء فى « يدعوا و يغزوا » في المفرد حالة الرفع خاصة تشبها بواو الجمع . وفصل الكسائى في حالة النصب فقال :ان لم يتصل بضمير نحو «لن يدعوك » كتب بغير ألف فرقا بين الحالين ، وأطلق ابن قتيبة النقل عن بعض كتاب زمانه أنها لاتلحق فى مثل ذلك * وتزاد شذوذا بعد الواو المبدلة من الالف فى الربا فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبيها على ان الأصل أن تكتب بألف . وقد زيدت فى مواضع من المصحف كما في قوله تعالى « ان امرؤا هلك » وقوله « ولأوضعوا خلالكم » فلايقاس عليه

الثانى — الواو . فتزاد في « عمرو » بعد الراء اذا كان علما فى حالتى الرفع والجر نحو جاءنى عمرو ، ومررت بعمرو . أما في حالة النصب فلاتزاد ويكتب «عمرا» بالالف، وكذلك لاتزاد في المحكي بالام كالعمر ، والمضاف كعمره، والواقع قافية شعر كقول الشاعر

انما أنت في سليم كواو الحقت فى الهجاء ظلما بعمر

وفي معنى ذلك « عمر » ، واحد عمور الاسنان ، وهو اللحم الذى يليها ، وما هو بمعنى

المصدر مثل قولهم لعمر الله، فلاتلحق الواو في شيء منها * وتزاد في أولئك بين الالف واللام. قال أبوحيان : وبحمل التأنيث في «أولات» على التذكير في « أولى » * وتزاد في (أُوَخيّ) تصغير (أخى) بين الالف والخاء على رأى بعض أهل الخط فرقا بينه و بين (أخى) المكبر . قال ابو حيان : وأكثر أهل الخط لايزيدونها

الثالث الياء : المثناة تحت – وقد زيدت فى مواضع من المصحف فكتبوا قوله تعالى (بنيناها بأييد) بياءين بين الالف والدال ، وقوله « من نبائ المرسلين » بياء بعد الالف، وقوله « من ملائه، ومن ملائهم » قبل الهاء فيهما. قال أبو حيان : وهذا مما يجب الانقياد اليه فى المصحف اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم . أما فى غير المصحف فتكتب « بأيد » بياء واحدة ، وتكتب « من نبأ ، وملأه، وملأهم» بغير ياء . وكذلك اذا اضيفت الى الضمير نحو: كلأه وخطأه . وذهب بعضهم الى انها تكتب على مايناسب حركتها ياء سواء اضيفت نحو « من كلائه »أولم تضف نحو « من الكلاى » قال بعضهم : والأقيس ان تكتب باء مع الضمير المتصل نحو « من خطئه » لانها صارت معه كالمتوسطة وتكتب الفًا اذا تطرفت نحو « من خطأ »

﴿ واما النقص ﴾ فهو اما غير مختص بحرف من الحروف، أو مختص بحرف. فأن كان غير مختص وهو المدغم فيكتب كل مشدد من كلمة واحدة حرفا واحدا نحوشدّ، ومدّ ، وادّكر، واقشعرّ، ومفرّ وما أشبه ذلك سواء كان المدغم إدغام مثل نحو « ردّ » أو متقارب نحو « اضطجع » وأجروا نحو « قنتّ » مجرى ما هو من كلمة واحدة وان كان من كلمتين لشدة اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين . قال ابن الحاجب : وكذلك نحو ممّ وعمّ * وان كان الادغام مختصا بحرف من الحروف فذلك في خمسة أحرف :

الاول الألف – اذا دخلت عليها لام الجر فتكتب للقوم، وللغلام، وللناس، وما أشبه ذلك بلامين متواليين من غير ألف بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجرفأنها لاتحذف، فتكتب: بالقوم وبالغلام، وبالناس، بألف بين الباء واللام، فأن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ولم تتصل الكلمة بلام الجر وبائه لم تحذف شيئا فتكتب (الالتفات، والالتباس) بلامين ولامين، وكذلك اذا وصلتها بلام الجر أو بائه

فتكتب(بالتفات)و(لالتباس الامر)

وتحذف بعد اللام الثانية من اسم (الله) تعالى ، وبعد الميم من (الرحمن) اذا دخلت عليها الألف واللام فتكتب (الله) بلامين بعدهما هاء . وان كانت المدة على اللام الثانية توجب ألفا بعدها ، وتكتب (الرحمن) بنون بعد الميم وان كانت المدة على الميم توجب أِلفا بعدها لأنه لا التباس في هذين الاسمين مع كثرة الاستعمال؛ ولو تجردا عن الألف واللام كتبا بالالف كما قالوا (لاه أبوك) يريدون (لله أبوك)، فحذفوا حرف الجر والألف واللام وكتبوه بالألف، وكقولك (رحمان الدنيا والآخرة) فتكتب بالألف

وتحذف بعد اللام من السلام في (عبدالسلام) وفي (السلام عليكم) . وتحذف بعد اللام من (ملائكة) وبعد الميم من (سماوات)، أما الألف الثانية منه وهي التى بعد الواو فأنها لا تحذف . قال ابو حيان : وقد كتب في المصحف بحذف الألفين جميعا، فيجب اتباع ذلك فيه خاصة

وتحذف بعد اللام فى (أولائك) ، وبعد الذال فى (ذلك) . فلو تجرد (أولى) و(ذا) عن حرف الخطاب وهو (الكاف) كتبا بالألف . وتحذف بعد (هاء التنبيه) اذا اتصلت بـ (ذا) اتى الأشارة وكانت خالية من (كاف) الخطاب في آخر الكلمة فتكتب « هذا ، وهذه ، وهذان، وهؤلاء » بغير ألف ؛ فأن اتصلت باسم الاشارة (الكاف) نحو (ذاك) امتنع الحذف فتكتب (هذاك) ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . اما « تا » في الاشارة للمذكر، و (تي) في الاشارة للمؤنث؛ فالألف لا تحذف معهما اذا اتصلت بهما هاء التنبيه فتكتب « هاتا ، وهاتى . وهاتان » ، وذكر ابو حيان عن احمد بن يحيى انها تحذف من «هاأنتم ، وهاأنا ، وهاأنت» أيضاً فتكتب الجميع بألف واحدة ، ثم قال : وهو القياس ، وكان الأصل ان يكتب بألفين . قال ابن قتيبة : ويكتب (ايها الرجل ، وأيها الأمير) بالألف وإن كان قد كتب فى القرآن بالألف وغيرها . والذى أشار اليه أنه كتب بغير ألف في ثلاثة مواضع : في النور ، آية (المؤمنون)، وفي الزخرف آية (الساحر)، وفي الرحمن آية (الثقلان)

وتحذف من « ثمانية وثماني » مع ثبوت الياء فيهما فتكتب « ثمنية رجال، وثمنية عشر رجلا ' وثمنى نساء » بخلاف ما اذا حذفت الياء منها فتكتب « ثمان عشرة، وعندي من النساء ثمان » فمثل قول الشاعر

ولقد شربت ثمنيا وثمنيا   وثمان عشرة واثنتين وأربعا

تكتب الاولين بغير ألف والثالثة بالالف' . واختلف في (ثمانين) فذهب ذاهبون الى اثبات الألف فيها بعد الميم ، وذهب آخرون الى حذفها . وفي « ثمانون » في حالة الرفع الخلاف أيضاً * وتحذف بعد اللام من « ثلاث » سواء كانت منفردة نحو عندي ثلث من البسط ، أو مضافة نحو ثلث نساء ، أو مركبة نحو ثلث عشرة امرأة ، أو معطوفة نحو ثلث وثلثون جارية . وفي حكمها « ثلاثة » بالتاء فتكتب بغير الف في جميع الصور . وكذلك تحذف من « الثلاثاء » اسم اليوم وتحذف أيضاً من « ثلاثين » بالياء و « ثلاثون » بالواو . اما « ثلاث » المعدول كما في قوله تعالى (مثنى وثلاث) فقال ابو حيان لم أقف علي نقل ، واختار أن يكتب بالالف . على ان ابن قاسم نقل عن «المقنع» في الرسم الحذف * وتحذف من « يا » التي للنداء اذا اتصلت بهمزة نحو « يا احمد ، يا ابراهيم ، يا أبا بكر ، يا أبانا » فتكتب « ياحمد ، يابراهيم ... » وهكذا في الباقيات . وقد اختلفوا : هل المحذوف همزة الوصل' أم ألف «يا»؟ فالاظهر عند أبي حيان ان المحذوف هو ألف « يا » لا صورة الهمزة : وقال احمد بن يحيى المحذوف صورة الهمزة لا ألف (يا)   فأن كانت الهمزة المتصلة (بيا) كهمزة آدم امتنع الحذف وكتبت بألفين على هذه الصورة : (يا آدم)' اما اذا لم يكن بعد (يا) همزة البتة' نحو « يا زيد ويا جعفر » فالذي يستعمله الكتاب فيه اثبات الالف في (يا) وجوز احمد بن يحيى كتابته بغير الف

وتحذف من « الحارث » اذا كان علما ودخلت عليه الالف واللام فتكتب « الحرث »' بخلاف ما اذا عرى عن الالف واللام فأنه تثبت فيه الالف لئلا يلتبس « بحرب » بالموحدة

وتحذف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف اذا لم يحذف منها شئ سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية كمالك ، وصالح ، وخالد ، أو من اللغة

العجمية كابراهيم، واسماعيل ، واسحاق، وهارون . فتكتب ملك ، وصلح ، وابرهيم واسمعيل، وهكذا فى الباقيات بخلاف ما إذا لم يكثر استعماله كخاتم ، وجابر ، وحامد، وسالم ، وطالوت، وجالوت، وهاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون فأنه يكتب فى جميعها بالألف . قال ابو حيان : وذكر بعض مشايخنا ان اثباتها في نحو صالح ، وخالد ، ومالك ، جيد . ونقل عن احمد بن يحيى أنه يجوز فيه الوجهان ، وعليه ينطبق كلام ابن قتيبة . وأما اذا كان العلم الذى كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو هالة ، واوس(١) ، وألف(١) ، ولام، فأنه لاتحذف الفه ؛ وكذلك اذا حذف منه شئ غير الألف نحو اسرايل ، وداود ، فأنهم حذفوا من اسرايل صورة الهمزة . ومن داود الواو ، فامتنع حذف الألف لتلا يتوالى الحذف . ويلتحق بذلك فى الاثبات مالو خيف بالحذف التباسه كعامر وعباس؛ فلا تحذف الألف، لأنه لو كتب بغير ألف لالتبس عامر بعمر ، وعباس بعبس

وتحذف استحسانا مما كثر استعماله ممافى آخره الالف والنون نحو شعبان، وعثمان، وما اشبههما. فيكتبان « شعبن، وعثمن » ، قال ابو حيان ، إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران. قال ، والاثبات فى نحو شعبان حسن . قال ابن قتيبة ، فأما شيطان، ودهقان فأثبات الالف فيهما حسن ، قال ، وكان القياس اذا دخلت عليهما الالف واللام ان يكتبا بغير ألف ، الا أن الكتاب مجتمعون على ترك القياس فى ذلك

وتحذف من كل جمع على وزن « مفاعل » او « مفاعيل » حيث لم يحصل بالحذف لبس بين الواحد والجمع مثل خوتم، ودونق (فى خواتم، ودوانق) فى وزن مفاعل، ومحريب، وتمثيل ، وشيطين، ودهقين (فى محاريب، وتماثيل ، وشياطين، ودهاقين) فى وزن مفاعيل . بخلاف ما اذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد مثل « مساكين » فأنه يكتب بالالف لئلا يلتبس بالواحد ؛ على انه قد كتب فى المصحف بغير ألف للقراءة فيه بالافراد . فلو كان الحذف يؤدى الى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد نحو « ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد ، ودراهم معدودة » حذفت منه الالف ، لأنه لا يلتبس حينئذ، بخلاف « عندى دراهم » ونحوه فأنه لو حذفت منه الالف لالتبس بدرهم المفرد

(١) كذا بالاصل

وتحذف الألف الاولى مما فيه ألفان مما جمع بالالف والتاء المزيدتين نحو :صالحات وعابدات ، وقانتات ،وذاكرات : وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين ،والقانتين ،وان لم تكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث. واختار بعضهم أنه ان كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات ، والصالحات ، حذفت ألف الجمع وأبقيت الاخرى؛ وان كان ليس فيه ألف أخرى كالمسلمات ، اختير اثبات الالف. وثبت في المصحف الحذف فيهما جميعا فكتب « سموت ، ومسلمت» ونحو ذلك

وتحذف أيضا فى جمع المذكر السالم فى الصفات المستعملة كثيرا كالشاكرين ، والصادقين ،والخاسرين ،والكافرين، والظالمين، الا ان يخاف اللبس فيما جمع بالالف والتاء ،مثل «طالحات» فيمتنع الحذف: لأنه لو حذف لالتبس « بطلحات» جمع طلحة. وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون نحو حاذرين ، وفارهين ، وفارحين ، فأنه لو حذفت الالف لا لتبس بحذرين ، وفرهين ، وفرحين . وان كان مضاعفا مثل شابّات،والعادّون، فانه لايجوز فيه حذف الالف . وتثبت فيما ألفه همزة كالخائنين، على انها قد كتبت فى بعض المصاحف بحذفها . قال ابن قتيبة :ولا يجوز الحذف فيما كان من ذوات الياء والواو ، نحو «هم القاصون ، والرامون ، والساعون »

وتحذف احدى الالفين مما اجتمع فيه ألفان مثل آدم ،وآزر ، وآمن ،وآمنين ، وآتين ، وآنفا، وشنآن، بألفين لئلا يلتبس بفعل الواحد المفرد . وذهب قوم الى الاقتصار في التثنية أيضا على الف واحدة .

وتحذف احدى الالفات مما اجتمع فيه ثلاث الفات مثل « براأات »جمع براءة، و« مساأات » جمع مساءة ، فتكتب براآت، ومساآت ، بألفين فقط : لأنهم لوحذفوا اثنين أخلوا بالكلمة

وتحذف من اول الكلمة في الاستفهام في اسم ، او فعل ، نحو : الله أذن لكم السحر ، ألذكرين حرم ام الانثيين ؟ ، أصطفي البنات على البنين؛ الرجل فى الدار أم زيد ؟ ألآن (وقد حصحص الحق) ، ؟ فتكتب بألف واحدة . وذهب بعضهم الى أنها تكتب بألفين ، . قال ابن الحاجب :وجاز فى نحو « أأرجل؟ » الامران . ورسمت فى المصحف بألف واحدة ، نحو « ألذاكرين ؟ »

وتحذف من «ما» الاستفهامية عند دخول حرف الجر عليها ، نحو « عم تسأل ؟ وفيم تفكر ؟ » فتكتب بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين « ما » الموصولة . وحكي الكوفيون ثبوتها

وتحذف اذا تصورت بها الهمزة في مواضع : فتحذف بعد الباء من البسملة لكثرة الاستعمال ، وتثبت في باسم الله مفردا ، وفي باسم ربك ؛ وجوز الفراء في قوله تعالى « بسم الله مجراها ومرساها » الحذف والاثبات . فأن أضيفت الى « الرحمن ، والقاهر » ونحوهما من اسماء الله تعالى ، حذفت عند الكسائى خلافا للفراء

وتحذف فى « ابن » مما وقع فيه « ابن » مفردا صفة بين علمين غير مفصول فتكتب : جاء فلان بن فلان ، بغير ألف سواء كان العلمان اسمين نحو : احمد بن عمر ، أو كنيتين نحو : أبو بكر بن أبى عبد الله ، أو لقبين نحو : هذا بتة بن بطة ، أو اسم وكنية نحو : هذا زيد بن أبى قحافة ، أو لقب واسم نحو : هذا أنف الناقة بن زيد ، أو كنية ولقب نحو : هذا أبو الحارث بن بتة ، أو لقب وكنية نحو : هذا بدر الدين بن أبى بكر . ولا تحذف فيما عدا ذلك ، فلو قلت : هذا زيد ابنك ، أو ابن أخيك ، أو ابن عمك ، ونحو ذلك مما ليس بين علمين أثبتّ الألف في « ابن » . وكذلك إذا كان خبرا نحو قولك : أظن زيدا ابن عمرو ، وكان بكر ابن خالد ، وان زيدا ابن عمرو ، فتثبت الالف فى الجميع . ولو ثنيت الابن ألحقت فيه الالف صفة كان أو خبرا فتكتب : قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا ، وأظن عبد الله وزيدا ابني محمد فعلا ذلك ، بالالف . وكذا اذا كتبت « ابنا » بغير اسم ، نحو : جاء ابن عبد الله فتثبت فيه الالف . وحكم « الابنة » مؤنثا حكم « الابن » فى جميع ما ذكر على المشهور تقول : جاءت هند بنة قيس

﴿ الثانى — اللام ﴾ فتحذف من « الذى » و « الذين » في الجمع ، فيكتبان بلام واحدة بخلاف « اللذين » في التثنية ، فأنها تثبت فرقا بينه وبين الجمع وتحذف من « التى » ومن تثنيتها وهي « اللتان » وجمعها وهي « اللاتى »

وتحذف من « الليل ، والليلة » على أجود الوجهين * وتحذف من « اللطيف » فيكتب بلام واحدة بخلاف « اللهو ، واللعب ، واللعبة ، واللاعبين ، واللغو ، واللؤلؤ ،

واللات ، واللمم ' واللهب ،واللوامة » فأنها لاتحذف منها . قال ابن قتيبة: وكل اسم أوله لام أدخلت عليه لام التعريف كتبته بلامين نحو : اللهم ،واللبن، واللجام،واللحم، وما أشبه ذلك

﴿ الثالث ' النون ﴾ — فتحذف من «عن» اذا وصلت بـ « مَن » أو « ما » فتكتب: عمن ، وعما ، وعمّ ، على ما سيأتى* وتحذف من « مِن » الجارة اذا وصلت بـ « مَن » أو « ما » فتكتب ممن ، ومما * وتحذف من « إن » اذا وصلت بـ «لم » فتكتب «إلّم» * وتحذف من « أن » المفتوحة إذا وصلت بـ « لا » فتكتب : ألاّ

﴿ الرابع ، الواو ﴾ ـ فتحذف لأمن اللبس مثل ما كتبوا من قوله: يدع الداعي، ويمح الله الباطل ' بغير واو فى يدعو ويمحو، لأنه يمتنع فى الحالتين ان يكون الفاعل جماعة ؛ بخلاف : لاتضربوا الرجل ' فانه لو حذف لالتبس الجمع بالواحد * وتحذف مما توالى فيه « واوان » في كلمة واحدة مثل داود ، وطاوس، ونحوهما؛ فتكتب الجميع بواو واحدة . وكتب بعضهم طاووس ، ونحوه بواوين على الاصل، قال ابو حيان : والقياس الاقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المثلين ؛ واستثني ابن عصفور من ذلك مالا يؤدى الى اللبس نحو قوول ، وصوول على وزن فعول ' فقال :يكتب بواوين لأنه يلتبس بـ « قول وصول. واختاره أحمد بن يحيى * وتحذف مما توالى فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة مثل ليسوّوا ، و ينوون ، بواوين فقط ، وتكتب : لوّوا ، واحتووا ، بواوين لأنه لو حذفت احداهما لا لتبس الجمع بالمفرد

﴿ الخامس ، الياء ﴾ - وتحذف للجزم كما في قوله «لم يقض» *وتحذف فى مراعاة الفواصل نحو قوله تعالى « والليل اذا يسر » حذفت الياء من « يسر » لمراعاة ماقبله من قوله « والفجر » * وتحذف لأمن اللبس فتكتب « قارئين » جمع قارئ بياء واحدة فرقا بينه و بين « قارئين » تثنية قارئ ' فانها تكتب بياءين

﴿ مايغير بالبدل ﴾

وأما مايغير بالبدل فالحروف التى يدخلها البدل ثلاثة احرف هى الألف، والواو، والياء (فالالف) أكثرها تعاقبا ويختلف الحال فى ذلك :فأن كانت الكلمة اسما وكانت

الالف فيه رابعة فصاعداً نحو المعزى ، والمستدعى ، وحبلى ، وملهى ، وما أشبه ذلك
كتبت الالف فيها ياء . ولا تبدل بياء فيما قبلها فيه « ياء » نحو : الدنيا ، والعليا ،
ورؤيا ، وسقيا ونحو ذلك ، فتكتب بالالف فى آخرها كراهة اجتماع يا ءين ، الا انه يغتفر
ذلك فى نحو يحيى ، وربّى ، علمين ، للفرق بين يحيى علما و بينه فعلا ، و بين ربى علما
و بينه وصفا ؛ فان كان مهموزا نحو مستقرئا ومستنبئا ، أو قبل آخره ياء نحو خطايا ،
وزوايا ، والحوايا ، والحيا وما أشبهه كتبت بألف . وتنوب الياء عن الالف أيضا من
الاسم اذا كانت الالف فيه ثالثة وكانت مبدلة عن ياء نحو فتى ، ورحى وما أشبه ذلك
فتكتب بالياء ؛ فان كان منقلبا عن واو نحو عصا ورجا ، الجانب البئر ، كتب بالالف .
وطريق التفريق بين ماهو منقلب عن ياء وما هو منقلب عن واو التثنية ، فتقول في الاول :
فتيان ورحيان ؛ ومن ثم كتبت « متى » بالياء لأنها لو سمى بها وثنيت لقيل «متيان» ؛
وتقول في الثانى : عصوان ورجوان ، تبين انه من ذوات الواو ؛ فان اشكل شيء من
ذلك فلم يعلم هل هو من ذوات الياء أو من ذوات الواو نحو «خسا» بالخاء المعجمة
كتب بالالف لأنها الأصل . ومنهم من يكتب الباب كله بالالف على الاصل . قال
ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها الى المؤنث ، فما كان فى المؤنث بالياء نحو العمى
والظمى ، كتب بالياء لأنك تقول عمياء وظمياء ؛ وما كان المؤنث فيه بالواو كالعشا
فى العين ، والقنافى الانف كتب بالف ، لانك تقول : عشواء ، وقنواء . قال ، وكل
جمع ليس بين جمعه ومفرده فى الهجاء الا الهاء نحو الحصى والقطا والنوى فما كان
جمعه بالواو كتب بالالف وما كان جمعه بالياء كتب بالياء * وتكتب « لدى » بالياء
لانقلابها ياء في «لديك» . اما « كلا » فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب
بالالف ، لان ألفها منقلبة عن واو ، ومن قال انها بالياء كتبها بالياء ، وقياس كلتا عند
البصريين ان تكتب بالياء ، وشذ كتابتها بالالف . قال ابن قتيبة : والذى استحسنه
ان تكتب كلا وكلتا في حال الرفع بالالف ، وفى حالتى الجر والنصب بالياء . وتكتب
« تترى » مع التنوين وعدمه بالياء خلافا لبعضهم . ولو اتصل الاسم الذى يكتب
بالياء بضمير متصل نحو رحاك ، وقفاك ، فقيل يكتب بالياء كحال انفصاله فيكتب
« رحيك ، وقفيك » ؛ وقيل بالالف . فأن كانت الالف فى الاسم ثانية نحو « ما »

و «ذا» اذا كانا اسمين، كتبت بالالف؛ وان كانت الكلمة فعلا فأن كانت الالف رابعة فصاعدا نحو أعطى، واستعلى، وشبههما كتبت بالياء الا ان يكون مهموزا نحو أخطأ، وانبأ فأنه يكتب بالالف؛ وإن كانت الالف ثالثة رددته الى نفسك فان ظهرت فيه الواو نحو غدا، ودعا، وغزا كتبته بالالف لانك تقول فيه غدوت، ودعوت، وغزوت؛ وشذ «زكي» فكتب بالياء وان كان من ذوات الواو لما فيه من معنى الامالة. وان ظهرت فيه الياء كتب بالياء نحو قضى، ومشى، وسعى: لانك تقول فيه: قضيت، ومشيت، وسعيت. على انه يجوز كتابته بالالف أيضا. فلو اتصل بالفعل ضمير متصل نحو رماه، وجزاه، ورعاه، فقيل يكتب بالياء على هذه الصورة «رميه، وجزيه، ورعيه» والصحيح كتابته بالالف. قال ابن قتيبه: وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم ينظر الى أصله، فيكتب: أغزى فلان فلانا، وادنى فلان فلانا بالياء وان كان من: غزوت، ودنوت؛ لانك تقول: أغزيت، وأدنيت. وان كانت الكلمة حرفا في آخره ألف كتب ألفا على صورة لفظه نحو «ما، ولا، وألا» وما أشبهها؛ واستثنوا من ذلك «بلى، والى، وعلى، وحتى» فكتبوها بالياء. فلو وليت «ما» الاستفهامية «حتى، أو الى، أو على» كتبن بالالف، فتكتب: حتام، والام، وعلام لشدة اتصالها. قال ابن الحاجب: فان وصلت في حتام وأختيها الهاء الدائرة فلك ان تكتبها بالالف، فتكتب: حتامه، والامه، وعلامه؛ ولك ان تكتبها بالياء: حتىمه، والىمه، وعلىمه

واعلم انه قد يكتب بالياء ما هو من ذوات الالف للمجاورة كما في قوله تعالى «والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى» فقلى من ذوات الياء لأنها من قليت فكتبت بالياء، وسجى من ذوات الواو لأنها من سجوت فكتبت بالياء لمجاورة «قلى»، والضحى من ذوات الواو أيضا لأنها من ضحوت فكتبت بالياء لمجاورة المجاور

ثم اعلم ان الواو قد نابت عن الألف في مواضع من رسم المصحف، وهي: الصلوة، والزكوة، والحيوة، والنجوة، ومشكوة، ومنوة، فكتبت بالواو بدل الالف، ومنهم من كتبها كذلك في غير المصحف أيضا؛ ومنهم من كتبها بالالف وهو القياس عند ابى حيان. أما نظائر ذلك مما ليس في القرآن كالقناة، والقطاة، والفلاة ونحوها

فانما تكتب بالالف . فان اتصل شيء مما أبدلت ألفه بضمير ، نحو : صلاتهم، وزكاتهم ، وحياتك ، ونجاته ، ومشكاته ، ورباه ، كتبت بالالف دون الياء

الحالة الثانيــة — حالة التركيب

(وما يترتب على ذلك من الفصل والوصل)

واعلم ان الاصل فصل الكلمة من الكلمة ؛ لان كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الاخرى . ويستثنى من ذلك مواضع : فتوصل فيما اذا كانت الكلمتان لشيء واحد وذلك في صور : إحداها — ان تكون الكلمتان قد تركبتا تركيب مزج مثل بعلبك ، فتوصل الثانية بالاولى لتدل على اتحاد مدلول اللفظين ، بخلاف ما اذا تركبتا تركيب اسناد نحو زيد قائم ، أو تركيب اضافة نحو غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، فأنه يكتب مفصولا لا توصل فيه كلمة بأخرى * الثانية : ان تكون احدى الكلمتين لا يبتدأ بها في اللفظ نحو الضمائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث ، والتثنية والجمع في لغـة « أكلوني البراغيث » فيكون متصلا وان كان من كلمتين * الثالثة : أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها نحو باء الجر ، وفاء العطف ، ولام التوكيد فتكتب متصلة وان كانت في الحقيقة كلمتين

وتوصل « من » الجارّة وهي المكسورة ، في مواضع : أحدها -- توصل بعد حذف النون بـ « من » المفتوحـة الميم مطلقا سواء كانت موصولة نحو : أخذت الدراهم ممن أخـذت منه ، أو موصوفة كما في المثال المذكور فأنها فيه تحتمل المعنيين جميعـا ، أو استفهامية نحو : ممن أنت ؟ ، أو شرطيـة نحو: ممن تأخذ درهما آخذ منه . وقال ابن عصفور : ان كانت « مَن » استفهامية ، كتبت مفصولة * الثاني توصل بعد حذف النون بـ « ما » اذا كانت موصولة ، نحو : عجبت مما عجبت منه ، أو استفهامية نحو : مم هـذا الثوب ؟ ، أو زائدة كما في قوله تعـالى « مما خطيآتهم أغرقوا » أما اذا كانت شرطية نحو: من ما تأخذ آخذ ، أو موصوفة نحو : أكلت من ما أكلت منه ، فأن القياس

فصلها، وصححه أبو حيان، وقال ابن عصفور : اذا أتت « ما » استفهامية كتبت « من » معها . قال ابو حيان : وقضيته انها لا تكتب متصلة الا في حالة الاستفهام، بخلاف ماعداها

وتوصل « عن » بما بعدها بعد حذف النون في موضعين : أحدهما — توصل بـ « من » الموصولة غالبا نحو : رويت عمن رويت عنه ؛ وجوزوا فصلها مع ثبوت النون في عن . أما « مَن » غير الموصولة فالقياس فصلها فتكتب في الاستفهام : عن من تسأل؟، وفي الشرط: عن من ترض أرض عنه . وزعم ابن قتيبه ان « عن من » تكتب موصولة بكل حال سواء الموصولة وغيرها * الثاني — توصل بـ « ما » الاستفهامية كما في قوله تعالى (عم يتساءلون ؟) وتحذف الالف بحسب ما تقدم في الكلام على الحذف

وتوصل (مع) بـ (ما) اذا كانت زائدة ، وتقطع اذا كانت موصولة كما قال ابن قتيبة

وتوصل (في) في موضعين : احدهما توصل بـ (من) الاستفهامية دائما نحو قولك : فيمن تفكر ؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من (عن) و(من) اذ لا ادغام هنا * الثاني — توصل بـ (ما) اذا كانت موصولة في الغالب نحو : فكرت فيما فكرت فيه ؛ ولا تسقط الياء على مامر . وجوزوا فصلها في هذه الحالة فتكتب كلٌّ من « في ، وما » على انفرادها . وكذلك توصل اذا كانت استفهامية نحو قوله تعالى « فيم أنت من ذكراها » ولا تحذف الياء كما تقدم . اما « مع » اذا اتصلت بـ « ما » أو بـ « من » فانها تكتب منفصلة ، قاله ابن قتيبة . قال بعضهم : وكأن الفرق قلة الاستعمال .

وتوصل الحروف النواصب للأسم الروافع للجزاء اذا دخلت على « ما » الزائدة نحو : انما ، وكانما، وليتما : فتكتب ان ،وكأن، وليت ، متصلات بـ « ما » نحو :انما قلت كذا ، فكأنما وجهه قمر ، وليتما هذا الشيءُ لي ،ونحو ذلك . فأن كانت « ما » موصولة كتبت مفصولة نحو : انّ ماقلت الحق ،وكأن ماحدثت صحيح،وليت مالك لي على أنه قد جاء في القرآن كثير من ذلك متصلا .

وتوصل قلّ بـ (ما) اذا دخلت عليها نحو : قلما أتيتك مائة مرة

وتوصل « ان »الشرطية بـ (ما) اذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو : وإما

تخافن من قوم خيانة. وتوصل (ان) الشرطية بـ(لا) إذا دخلت عليها بعد حذف النون أيضا نحو: إلاّ تنصروه فقد نصره الله، إلاّ تفعلوه تكن فتنة فى الارض

وتوصل (أين) بـ(ما) نحو: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا. فان كانت (ما) موصولة فصلت نحو: اين ما اشتريت، يريد أين الذى اشتريت؟

أما متى فلم يصلوها بـ(ما) بل كتبوها منفصلة عنها اذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما في حتام، فتكتب متام فيتعذر ادراكها

وتوصل (حيث) أيضا بـ(ما) نحو: وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره. قال ابن قتيبة: وكتبها بعضهم مفصولة، وهو خطأ

وتوصل (كل) بما المصدرية اذا دخلت عليها نحو: كلما جئتنى أحسنت اليك. فأن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو: كل ما تفعل حسن. وقال ابن قتيبة: كلّ من، مقطوعة على كل حال

وتوصل (هل) بـ«لا» بعد حذف احدى اللامين فتكتب على هذه الصورة: هلاّ فعلت. وتقطعها من (بل) فتكتب: بل لا تفعل

وتوصل «بين» بما الزائدة نحو: بينما أنا جالس، و بينما أنا أمشى

وتوصل (أى) بما، اذا كانت ما زائدة كما فى قوله تعالى: أيما الاجلين قضيت وكما تقول: ايما الرجلين لقيت فأكرم. وان كانت ما موصولة فأنها نقطع عنها فتكتب: أىّ ما تراه أوفق لك، أىّ ماعندك أفضل، مفصولة

ويوصل يوم، وحين بـ(إذ) فتكتب: يومئذ، وحينئذ. قيل وتكتب: حالتئذ كذلك موصولة

وتوصل (لإن) و «لألاّ» فتكتب: لئن، ولئلا، وقد تقدم أنها تكتب حينئذ بالياء لا بالالف

وتوصل (أن) المفتوحة بلا، اذا دخلت عليها على اقوال بعد حذف النون: فتكتب (ألاّ): وتفصل منها وتثبت النون على الثاني فتكتب أن لا؛ ويفرق بين ان تكون مخففة من الثقيلة فتكتب مفصولة نحو: علمت ان لا يقوم زيد، وعلمت از لا ضرر عندك، والتقدير انه لا يقوم زيد وأنه لا ضرر عندك، و بين ان تكون ناصبة الفعل فتكتب

موصولة مع حذف النون نحو يعجبنى ألاّ تقوم ، على رأي الأخفش وابن قتيبه وابن السيد ؛ ويفرق بين ان تدغم بغنة فتكتب منفصلة أو بغيرغنة فينوى الاتصال وتحذف النون خطا وهو رأي الخليل . وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف

وتوصل نِعمَ ، بما ، للادغام . وحكى ابن قتيبة فيها الفصل والوصل . وقد وصلت بئس بما في بعض المواضع من المصحف نحو : بئسما اشتروا به انفسهم .

ووصلت إن بلم مع حذف النون فى قوله تعالى : فإلّم يستجيبوا لكم ؛ ووصلت أن بلن في قوله تعالى : ألّن نجعل لكم موعدا ؛ ووصلت أن بـ(مَن) في قوله : أمّن هو قانت . ووصلت كي بلا فى مواضع من المصحف منها : لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

﴿ الفصل السادس ﴾

(فى بيان ما يكتب بالظاء مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد وقد بنيته على حروف المعجم ليقرب تناوله)

مما يكتب بالظاء : أظله الشيء اذا غشيه ؛ وبهظه الامر اذا أتعبه ؛ والتقريظ ، وهو المدح ؛ والتلمظ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل ؛ والجوّاظ وهوالجافى المتكبر ، وقيل الأكول ؛ والجحوظ وهو نتوّ العين وندورها ، وبالاشتقاق منه سمى ابو عثمان الجاحظ ؛ والحفيظة وهي الموجدة ؛ والحظ وهو الغنى والنصيب ، ومنه قوله تعالى انه لذو حظ عظيم ، وقوله : للذكر مثل حظ الانثيين . والحظوة وهى الرفعة . والحظروهو المنع ، ومنه قوله تعالى : وما كان عطاء ربك محظورا ، وقوله كهشيم المحتظر . وفي معناه الحظير ، وهوالمحوط من قصب ونحوه ؛ والحنظل ، وهوالنبات المعروف ؛ والشظية ، وهي القطعة من الشيء ؛ والشظاظ ، وهي عيدان لطاف يجمع بها العدلان ؛ والشظف ، وهوخشونة العيش ؛ والشواظ ، وهولهب النار ، ومنه قوله تعالى : يرسل عليكما شواظ من نار ؛ والشيظم ، وهو الفرس الطويل الظهر ؛ والظن بمعنى التخمين ؛ والظنة ، وهى التهمة ، ومنه قوله تعالى: وما هو على الغيب بظنين ، على قراءة من قرأها بالظاء ، وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ، ومنه قوله تعالى : فظلوا فيه يعرجون ، وقوله : فظلتم تفكهون ، وقوله :

وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا ؛ والظل خلاف الحر حيثما وقع ، وما اشتق منه . والظلم خلاف العدل، ومايتفرع منه. والظلم وهو ماء الاسنان ، والظليم .وهو ذكر النعام . والظبى واحدالظباء ، والظبية الانثى منه. والظبة ،حد السيف ؛ والظرف الوعاء؛ والظراب وهى الهضاب ؛ والظلع وهو الغمز فى الشئ ومنه: ناقة ظالع، والظعن. ومنه قوله تعالى: يوم ظعنكم، والظعينة.والظلف وهو للبقر والغنم كالحافر للخيل. والظلف وهونزاهة النفس . والظفر واحد الاظفار . والظفر وهو النصر .والظمأ وهو العطش .والظهر وهو العضو المعروف. والظهير وهو المعين ومنه قوله تعالى : ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . والظهيرة وهي وسط النهار ؛والظئر وهي المرضعة ؛ والعظم وهو معروف ؛ والعظمة وهي الكبرياء ، وما تصرف منها. والعظل وهو الشدة.ومنه تعاظل الجراد والكلاب في الفساد والغيظ بمعنى الحنق ، وماتفرع منه . والغلظوما تصرف منه . والفظاظة وهي القسوة . ومنه قوله تعالى : ولو كنت فظا غليظ القلب . والفظيع وهو الشنيع . وفاظ الرجل اذا مات ، ومنه فاظت نفسه اذا قصد أنها مانت ؛ والقيظ وهو صميم الحر وكل ماتصرف منه . والقرظ وهو ثمر شجرالسنطالذى يدبغ به ؛ والكظم وهو كتمان الحزن، ومنه قوله تعالى والكاظمين الغيظ ؛ والكظ شدةالحرب ؛ وكاظمة اسم مكان بالبحرين ؛ ولظى اسم جهنم ، ومنه قوله تعالى : كلاانهالظى ؛ واللظوهواللزوم، ومنه : ألظوا بياذا الجلال والاكرام ، أي التزمواهذا الاسم فى الدعاء ،واللحظ وهو النظر بمؤخر العين ؛واللمظ وهو بياض الجحفلة السفلى من الفرس ، يقال : فرس ألمظ ؛ والنظم وما تصرف منه . والنظر بالعين وما تصرف منه؛ والنظير وهو المثل ؛ والنظافة وهى خلاف القذارة . والوظيف وهو مافوق الرسغ من الدابة. والوظيفة وأصلها الطعام الراتب ثم استعملت فيما هو أعم ، واليقظةوهى خلاف النوم وما تصرف منها قلت: ووراء ذلك ألفاظ غريبة من هذا الباب تركت لقلة استعمالها

اما ما يشتبه بالظاء مما يكتب بالضاد فمنه : الضلال، خلاف الهدى، وماتصرف منه وان كان أظله بمعنى غشيه بالظاء. والحض بمعنى الحث، ومنه قوله تعالى : ولا يحض على طعام المسكين، ومافي معناه. والحضور الذى هوخلاف الغيبة. والضن بمعني البخل، ومنه قوله تعالى: وما هو على الغيب بضنين ، على قراءة من قرأها بالضاد. والضراب

بمعنى ضراب الفحل ؛ والمضاربة فى المال ونحو ذلك ، والضرير بمعنى الأعمى ، والضلع أحد الاضلاع ؛ وضفر الشعر وما تصرف منه ، والضهر وهو صخرة في الجبل تخالف لونه ، والعضل بمعنى المنع ، ومنه قوله تعالى : فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، وأعضل الامر اذا صعب ، ومنه الداء العضال وهو الذى عسر برؤه ، وغاض الماء اذا غار في الارض ، ومنه قوله تعالى : وغيض الماء ، وقوله : وما تغيض الارحام ، والغيضة وهي منبت الشجر فى الماء ، وانفضاض الجمع ومنه قوله تعالى : لانفضوا من حولك ، وقوله : حتى ينفضوا ، وفض الكتاب وهو فك ختمه ، ومنه افتضاض البكر وهو ازالة بكارتها ، والفيض بمعنى السيلان ، ومنه فاض الماء والدمع ، ومنه قولهم فاضت نفسه اذا قصد بها سالت ، والقيض وهو القشرة العليا من البيض ، وقيض الله له كذا أى أتاحه ، ومنه قوله تعالى : نقيض له شيطانا فهوله قرين ، والقرض بمعنى القطع ، ومنه قرض المال والقراض فيه ، كأنه يقطع له من ماله قطعة ، والنضارة بمعنى البهجة والنعيم ، ومنه قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة ، ومنه اشتقاق بنى النضير ، والنضار وهو الذهب ، والنضر بمعناه

المقالة الثانية

(فيما يحتاج اليه من معرفة احوال الارض وجهاتها ورياحها و بحارها . ويحتاج الكاتب الى ذلك في معرفه الممالك والطرق الموصلة اليها . وفيها ثلاثة أبواب)

الباب الاول

(فى شكل الارض والبحر المحيط بها وجهاتهـا والرياح التى تهب منها والبحار المنبثة فى ارجائها. وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول

(فى ذكر شكل الارض وما ينخرط فى سلك ذلك)

اما شكل الارض فقد تقرر فى علم الهيئة ان الارض كرية الشكل ، وقيل مسطحة ، وقيل كالترس ، وقيل كالطبل والراجح الأول. وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها الا ما اقتضت الحكمة الالهية كشفه من اعلاها لوقوع العمارة فيه . وقد شبهوها

ببيضـة ملقاة في وسط طشت مملوء ماء قد ظهر أعـلاها والماء محيط بباقيها وهو البحر المحيط الذى هو أحد العناصر الأربعة

واما جهاتها فلها أربع جهات : الاولى المشرق ، وهي التى تشرق الشمس منها ، ويقال لها الشرق أيضا .وتسمى الريح التي تهب منها الشرقية نسبة الى الشرق، وتسمى أيضا القبول لمقابلة مستقبل المشرق لها، وتسمي الصبا أيضا * الثانية المغرب وهي التى تغرب فيها الشمس، ويقال لها الغرب أيضا. وتسـمى الريح التي تهب منها الغربيـة نسبة الى الغرب، وتسمى أيضا الدبور لاستدبار مستقبل المشرق لها * الثالثة الشمال ، بفتح الشين ، وهي التى على شمال مستقبل الشرق . وتسمي الريح التي تهب منها شمالا باسم الجهة ، وشمألا بالهمز؛ وأهل مصر يسمونها البحرية . قال ابو جعفر النحاس : وسميت بذلك لأنها يسار بها فى البحر كيف كان * الرابعة الجنوب ، بفتح الجيم ، وهي التي عن يمين مستقبل الشرق كأنها سميت بذلك لكونها على الجانب الذى لم تسم له جهة اذ لم يبق من جهات الارض الا الجانب الأيمن . وتسمى الريح التى تهب منها الجنوب باسم الجهـة ، وأهل مصر يسمون هذه الريح المريسية لهبوبها من جهة بلاد المريس وهي بلاد النوبة

ثم كرة الارض يقسمها خط متوهم فى وسطها بنصـفين : نصف جنوبى، ونصف شمالى. وهذا الخط يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول السنة؛ ويقاطعه خط آخر متوهم يقسمها بنصفين : نصف شرقي، ونصف غربى. ويسمى هذا الخط «خط نصف النهار» لمسامتة الشمس له فى نصف النهار، وتصير الارض حينئذ مقسومة الى أربعة ارباع. وكل خط من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة ، والدرجة ستون دقيقة . والذى حققه القدماء كبطليموس تقدير الدرجة بست وستين ميلا وثلثي ميل : وقدره ابن الشاطر فى تاريخه بمسير يومين، وبخمس بُرُد، وبعشرين فرسخا، وبستين ميلا، وبمائتى الف ذراع — كل ذلك على سبيل التقريب. قلت : وهى كما بين الفسطاط ودمياط من الديار المصرية فأن بينهما فى العرض درجة

واعلم ان النصف الجنوبي من الارض لاعمارة فيه الا فيما قارب خط الاسـتواء فى بعض بلاد الزنج والحبشة وما والى ذلك، بل أكثره مغمور بالماء . وأكثر المعمور

انما هو فى النصف الشمالى . وأقاصى الشمال أيضا لاعمارة فيها لاستيلاء البرد عليها ثم غالب العمارة واقع في أوساط النصف الثانى

الفصل الثاني

(فى البحر المحيط والبحار المنبثة فى ارجاء الارض)

البحر المحيط

اما البحر المحيط فأنه يسمى من الجانب الغربى بحر اوقيانوس، وفيه الجزائر الخالدات الواقعات فيه . وباقي الامتداد من بحر اوقيانوس المذكور من سواحل بلاد المغرب الاقصى الى جهة الجنوب حتى يجاوز صحراء لمتونة وهي برارى البربر بين طرف بلاد المغرب من الجنوب و بين طرف بلاد السودان من الشمال: ثم يمتد جنوبا على أراضي خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء في الجنوب عنه، ثم يعطف على جهة الشرق وراء جبال القمر التى منها ينابيع نيل مصر فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الارض، ثم يمتد شرقا على أراضي خراب وراء بلاد الزنج، ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند ثم يأخذ مشرقا حتى يسامت نهاية الارض الشرقية المكشوفة وهناك بلاد الصين ، ثم ينعطف في شرقي الصين الى جهة الشمال، ثم يمتد شمالا على شرقي بلاد الصين حتي يجاوز بلاد الصين و يسامت سد يأجوج ومأجوج، ثم ينعطف ويستدير علي أراضي غير معلومة الاحوال ويمتد مغربا و يصير فى جهة الشمال عن الارض و يسامت بلاد الروس ويتجاوزها ، ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير على الارض و يصير فى جهة الغرب منها ويمتد على سواحل امم مختلفة من الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غربيها، ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية الى مسامتة البلاد التى بين رومية و بين الأندلس حتى يتجاوز الاندلس و يسامت سبتة من بر العدوة من حيث وقع الابتداء. قال الشريف الادريسى : والبحر المحيط من جهة الجنوب غليظ لا يعيش فيه حيوان ولا تسير فيه سفينة

البحار المنبثة فى الارض

وأما البحار المنبثة فى أرجائها فأشهرها بحران :

﴿ البحر الاول ﴾ الخارج من البحر المحيط الغربي و يعرف ببحر الروم ، ويقال له البحر الرومي لسكني امم الروم عليه، وربما قيل فيه البحر الشامي لوقوع بلاد الشام عليه من شرقيه ومخرجه من البحر المحيط الغربي المعروف ببحر أوقيانوس بين جزيرة الاندلس وبر العدوة من بلاد الغرب الاقصى . و يسمى هناك بحر الزقاق ، وربما قيل « زقاق سبتة » لمجاورته لها، وهو هناك فى غاية الضيق . قال الادريسى : والثابت في الكتب القديمة ان سعته عشرة اميال، ولكنه اتسع بعد ذلك . قال ابن سعيد : وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا . قال فى الروض المعطار : و يقال انه كان عليه قنطرة مبنيه بالحجر غطاها الماء . ويمتد من بحر الزقاق هذا على سواحل الغرب فيمر على طنجة، ثم يعطف جنوبا وشرقا الى مدينة سلا، ثم يمتد شرقا وشمالا الى سبتة، ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة فاس قاعدة الغرب الاقصى على بعد، ثم يمتد الى حدود مدينة تلمسان قاعدة الغرب الاوسط، ثم يأخذ شرقا بشمال الى الجزائر فرضة بجاية ويمر حتى يسامت بجاية من الغرب الاوسط ، ثم يمتد حتى يجاوز مرسى الخرز الذى به مغاص المرجان شرقي قسنطينة آخر مملكة بجاية الى أول حدود افريقية، ويمر في سمت الشرق حتى يقابل تونس قاعدة افريقية من شمالها، ويدخل منه جون الى تونس، ثم يمتد نحو تسعين ميلا شرقا نصبا، ثم يعطف جنوبا ويصير له دخلة كبيرة فى الجنوب وفي فم هـذه الدخلة جزيرة قوصرة مقابل جزيرة صقلية، ثم يمتد فى الجنوب الى قرب سوسة، ثم يشرق الى سوسة المذكورة، ثم يأخذ شرقا بجنوب الى المهدية، ثم يمر شرقا بجنوب حتى يجاوز صفاقس، ويمتد حتى يجاوز جزيرة جربة، ثم يعطف شمالا حتى يبلغ مدينة طرابلس وهى آخر مدن افريقية، ثم يمتد شرقا حتى يجاوز حدود افريقية، ثم يمتد شمالا على سواحل برقة الى طلميثا، ثم ينعطف شمالا ويكون للبر في البحر دخلة الى رأس أوثان وهو جبل داخل فى البحر، ثم يشرق الى رأس تبنى وهو جبل فى البحر قبالة رأس أوثان من الشرق، ثم ينعطف الى الجنوب ويمتد حتى يسامت عقبة برقة حد الديار المصرية من أفريقية ، ثم يمتد على سواحل مصر ويمر شرقا وجنوبا الى مدينة الأسكندرية ، ثم يأخذ شرقا الى قرية اسمها رشيد عند مصب فرقة النيل الغربية، ويمتد كذلك الى مدينة دمياط عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ شرقا الى الطينة، ثم الى الفرما، ثم الى العريش

ثم الى رفح عند حد الديار المصرية من الشام على نحو مرحلة من غزة . ومن هنا ينقطع تشريقه ، ثم ينعطف ويأخذ شمالا على سواحل الشام فيمتد الى غزة ، ثم الى عسقلان ، ثم الى يافا مينا الرملة ، ثم الى قيسارية الشام من حد فلسطين ، ثم الى عثليث من عمل صفد ، ثم الى عكا ، ثم الى صور من عملها ، ثم الى بيروت من عمل دمشق ، ثم الى جبيل وهي مدينة قديمة خراب ، ثم الى مدينة طرابلس ، ثم الى انطرطوس من عملها ، ثم الى السويدية مينا انطاكية من عمل حلب ، ثم يأخذ البحر غربا بشمال الى سواحل بلاد الارمن فيمر الى رصص ، ثم الى باب سكندرية حيث در بند بلاد الروم ، ثم الى باناس ، ثم الى المصيصة ، ثم الى أدنه ، ثم الى طرسوس ، ثم يمتد شمالا بغرب حتى يجاوز حدود بلاد الارمن و يمتد على سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد التركمان فيمر الى الكرك ، بضم الكاف الاولى وسكون الراء المهملة ، وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين بيد صاحب قبرس الآن ؛ ثم يمتد شمالا الى العلايا ، ويقابلها من البر الآخر مدينة دمياط تقريبا ؛ ثم الى انطاكية ، ثم الى بلاط ، ثم الى طنفزلو ، ثم الى اياس لوق ، ثم الى مغنيسيا ثم الى أبزو وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق وربما نسب فم الخليج اليها فيقال فم أبزو ، ويقابلها من البر الآخر غربي مدينة الاسكندرية فما بينها و بين برقة ثم يجاوز الخليج المذكور و يمتد غربا بجنوب على سواحل الروم والفرنجة فيمر على بلاد « المرا » وهي مملكة أولها من الشرق الخليج القسطنطيني كانت فى الايام الناصرية ابن قلاوون مشتركة بين القسطنطينية والكيتلان ، ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد الملفجوط وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ويقابلها من البر الثاني شرقى برقة ، ثم يمتد فى الغرب الى بلاد الباسليسة وهى امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمائة فعرفت بها ويقابلها من البر الآخر اوساط برقة و بآخر هذه المملكة من جهة الغرب جون البنادقة وهو خليج يخرج من بحر الروم المذكور نحو سبعمائة ميل ويمتد غربا بشمال حتى يصير طرفه غربي رومية وعلى طرفه مدينة البندقية ، ثم يجاوز الجون المذكور الى مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر طليمتا فرضة برقة ، ثم يمتد فى الغرب الى بلاد قلفريه من مملكة بوليه و يقابلها من البر الآخر بلاد طرابلس من افريقية ، ثم يمتد الى ساحل رومية ويقابلها من البر الآخر شرقي تونس قاعدة افريقية ، ثم يقطع

تغريبه ويأخذ جنوبا الى بلاد التسقان وهم جنس من الفرنج ينبت الزعفران ببلادهم ويقابلها من البر الآخرمدينة تونس، ثم يمتدفي الجنوب الى بلاد بيزةوهى بلدةعلى الركن الشمالى من جزيرة الاندلس اليها ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزانى ويقابلهامن البر الآخر مرسى الخرز من عمل بجاية ثم يمتد الى بلاد جنوه ثم يأخذ غربا الى جبل ألبرن الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة، ثم ينقطع تغريبه ويعطف شرقا ويدخل الركن الشرقى من الاندلس فيه ويمتدفى الشرق ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتد على سواحل الاندلس فيمر الى برشلونه ثم الي طرطوشه ويقابلهامن البر الآخرمدينة بجاية، ثم يمتد بين الغرب والجنوب الى بلنسية، ثم يعطف غربا الى دانية، ثم يمتد غربا بجنوب الى مالقة، ثم الى الجزيرة الخضراء ويقابلها من البر الآخر ساحل سبتة وطنجة من بلاد الغرب الاقصى حيث وقع الابتداء

يقال ان طول هذا البحر من البحر المحيط الى سواحل الشام الف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا وغاية عرضه في بعض الأماكن ستمائة ميل

قلت : وفيه جزائر كبيرة يأتى الكلام عليها عند مكاتبة ملوكها في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

ويتصل بالبحر الرومى المقدم ذكره بحر نيطش، بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر، وهو المعروف في زماننا ببحر القرم لوقوع بلاد القرم على ساحله الشمالى، وربما عرف بالبحر الارمنى لوقوع بعض بلاد ارمنية على ساحله الجنوبى. وربما قيل فيه البحر الاسود ويتركب عليه من آخره بحر مانيطش بزيادة لفظ « ما » فى أوله وهو المعروف في زماننا ببحر الأزق لوقوع بلاد الأزق على ساحله الشرقى. وليس وراءه بحر يتصل به وهو يصب فى بحر نيطش المقدم ذكره، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم ولذلك تسرع المراكب في سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطئ في سيرها من بحر الروم الى القرم لاستقبالها جريان الماء . وأول بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم من شمالى بحر الروم الخليج القسطنطينى وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الانسان صاحبه من البر الآخر ويمتد شمالا على سواحل

بلاد الروم من البر الشرقي منه الى قلعة االجرون وهي قلعة خراب تقابل القسطنطينية ويمتد شمالا بميلة يسيرة الى الشرق الى مدينة كزلي، ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة كنزو وهي آخر مدن القسطنطينية على هذا الساحل، ثم يمتد الى مدينة كينولي، ثم يأخذ بين الشمال والغرب ويكون للبر دخلة في البحر الى جهة الغرب على طرفها فرضة سنوب من سواحل الروم؛ ثم يأخذ في الاتساع الى مدينة سامسون من سواحل الروم أيضاً ؛ثم يمتد مشرقا الى مدينة طرابزون وهي فرضة الروم بهذا الساحل؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى مدينة سحوم، و بينها و بين بلاد الكرج يوم واحد و يقال انها من بلادهم ؛ ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة انخاس . ثم يتضايق البحر مغربا و يضيق من البر الآخر حتى يتقارب البران ويصير الماء بينهما مثل الخليج وهو مصب بحر مانيطش في بحر نيطش؛ وعلى ساحل هذا الخليج مدينة الطامان من سواحل الروم، وهي حد بلاد الروم من بلاد مماكة بركة التي قاعدتها مدينة السراى؛ ثم يأخذ البحر في الاتساع شرقا وشمالا وغربا و يصير كالبركة و يمتد على سواحل بلاد الأزق، ومنها ينتهي تشريقه؛ ثم يعطف الى الشمال ويأخذ الى مدينة الازق ؛ ثم يستدير من الازق حتى يصير الى الغرب وينتهي الى الخليج الذي بين بحر نيطش و بحر مانيطش المقدم ذكره، وهناك مدينة الكرش من بلاد الأزق مقابل مدينة الطامان المقدمة الذكر من البر الآخر : ثم يمر جنوبا ويمتد على سواحل القرم الى مدينة ألكفا، فرضة القرم ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المقدمة الذكر ؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة صوداف وهي فرضة ببلاد القرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المقدمة الذكر ؛ ثم يأخذ في الانضمام جنوبا و يعطف شرقا حيث يكون للبر دخلة في البحر ويمتد على سواحل بلاد البلغار الى مدينة « صارى كومان » من بلاد البلغار ويقابلها من البر الآخر مدينة سنوب المقدمة الذكر: ثم يأخذ في الاتساع غربا بجنوب ويمتد الى مدينة « أق قجا كرمان » من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على سواحل بلاد القسطنطينية الى بلدة تسمى « صقجى » عند مصب نهر طنا ، وهو نهر بقدر مجموع دجلة والفرات ؛ ثم يتضايق ويأخذ جنوبا و يتقارب البران ويمتد كذلك الى مقابل مدينة كزلى المقدمة الذكر ؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة القسطنطينية قاعدة ملك الروم ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون الخراب

المقدمة الذكر؛ ثم يمتد حتى يقع في بحر الروم حيث وقع الابتداء

﴿ البحر الثاني ﴾

(الخارج من البحر المحيط الشرقي الى جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصي بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الاستواء ويمتد غربا بشمال على سواحل بلاد الصين الجنوبية ثم على المفاوز التي بين الصين والهند حتى ينتهى الى جبال قامرون الفاصلة بين الصين والهند، ويمتد علي سواحل بلاد الهند من الجنوب ويمر على سفالة الهند وهي سوفاره ويمتد حتى ينتهى الي آخر الهند؛ ثم يمتد على مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر حتى ينتهى الى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر الى جهة الشمال، ويجاوزه الى بلاد اليمن ويمتد من شماليها على سواحل اليمن من جنوبيه الى عدن فرضة اليمن؛ ثم يمر شمالا بغرب حتى ينتهي الي باب المندب، وهو فرضة بين جبلين هي أول بحر القلزم؛ ويخرج منه ويمتد غربا بشمال الى اثنى عشر ميلا؛ ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية الي علاقة فرضة مدينة زبيد؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة «حلى» المعروفة بحلى ابن يعقوب من أطراف اليمن من جهة الحجاز: ثم يمتد شمالا على ساحل الحجاز الى جدة' فرضة مكة المشرفة؛ ثم يمتد الى الجحفة 'ميقات الاحرام لاهل مصر؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى ساحل ينبع؛ ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز مدين، ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب أيلة تحت العقبة؛ ثم يعطف جنوبا حتي يجاوزها الى مكان يعرف برأس أبي محمد ويكون للبر دخلة فى البحر فى جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا الى فرضة الطور وهى مكان حط واقلاع لمراكب الديار المصرية وما يصل اليها من اليمن وغيره ويمر في الشمال الى فرضة السويس وهي مكان حط واقلاع للديار المصرية أيضا وعندها ينتهي بر العرب ببحر القلزم ويبتدى بر العجم. وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم المقدم ذكره ثم يعطف الى الجنوب على سواحل الديار المصرية ويمتد موزايا لصعيدها حتى ينتهي الى مدينة القلزم وهي مدينة خراب وتقابلها أيلة من بر الحجاز، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بشرق حتى يسامت فرضة الطور المقدم ذكرها وتصير فرضة الطور بين أيلة والقلزم غربى دخلة البر المقدم ذكرها، ثم يمتد كذلك حتى ينتهى الى القصير فرضة قوص ثم يتسع البحر في جهتي الجنوب والشرق

حتى يكون اتساعه تسعين ميلا ' وتسمى تلك القطعة المتسعة بركه الغرندل ' وهي التى اغرق الله تعالى فيها فرعون : ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة الى الغرب الى عيذاب فرضة قوص ايضا ، و يقابلها من بر الحجازجدة فرضة مكة المكرمة : ثم يمتد في سمت الجنوب على سواحل السودان حتى يصير عند سواكن من بلاد البجاية ثم يمتد كذلك حتى يحيط بجزيرة دهلك وأهلها حبشة مسلمون ، ويقابلها من بر اليمن حلى المقدم ذكرها، ثم يمتد الى رأس جبل المندب المقدم ذكره وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر، ويقال انه مقدار رميتي سهم ، ومن هناك ترى جبال عدن في وقت الصحو؛ ثم يتجاوز باب المندب و يأخذ شرقا بجنوب و يتسع قليلا حتى يمر بمدينة زيلع من بلاد الحبشة المسلمين ' و يقابلها عدن من براليمن ' وهي عن عدن في الغرب بميلة الى الجنوب؛ ثم يمر الى مدينة مقدشو ؛ ثم يمتد كذلك حتى ينتهي الى خليج بربرا الخارج من بحر الهند في جانبه الجنوبي ' ويتجاوزه ويمتد على سواحل بلاد الزنج الى آخرها ثم يمتد الى سواحل بلاد الواق واق ثم على أماكن مجهولة حتى ينتهي الى مبدئه من البحر المحيط الشرقي

واعلم ان هذا البحر يسمى فى كل مكان باسم ما يسامته من البلاد أو باسم بعض البلاد التى هي عليه فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين ، وفيما يقابل بلاد الهند وما جاورها الى بلاد اليمن بحر الهند ، وفيما دون باب المندب الى غايته فى الشمال والغرب بحر القلزم، نسبة الى مدينة القلزم المقدمة الذكر. قال في تقويم البلدان : وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقى الى القلزم الفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب

ويخرج من بحر الهند من شماليه بحر فارس ، اضافة الى بلاد فارس لتركبها على جانبه الشمال، ويمتد شمالا بغرب غربى مفازة السند الفاصلة بينه وبين الهند على ما تقدم ذكره ' ثم على أرض مكران من نواحى الهند . ويخرج منه من آخر مكران جون يمتد شرقا بجنوب على ساحل مكران والسند حتى يصير السند غربيه؛ ثم ينعطف آخره على سواحل بلاد كرمان من شماليها حتى يعود الى بحر فارس، فيمتد شمالا الى مدينة هرمز وينتهى الى آخر كرمان، فيخرج منه جون يمتد على ساحل كرمان من شماليها، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصل ببحر فارس

ويمتد شمالا ثم يعطف غربا الى حصن ابن عمارة من بلاد فارس وقيل من كرمان؛ ثم يمتد مغربا في جبال متقطعة ومفاوز الى مدينة سيراف؛ ويمتد كذلك الى سيف البحر، من سواحل فارس؛ ثم يمتد الى جنابه من بلاد فارس؛ ثم الى شينيز منها وقيل من الأهواز ؛ثم يمتد الى مدينة بهروبان من سواحل خوزستان، وقيل من فارس؛ وهي فرضة أرّجان وما والاها؛ ثم يمتد غربا بميلة يسيرة نحو الشمال الى مدينة عبادان' من أواخر بلاد العراق من الشرق على القرب من البصرة عند مصب دجلة في هذا البحر؛ ثم ينعطف ويمتد جنوبا الى كاظمة وهي جون على سواحل البحرين على مسيرة يومين من البصرة؛ ثم يمتد الى القطيف من البحرين؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة عمان فرضة البحرين، واليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج؛ ثم يمر حتى يتصل ببلاد الشحر من اليمن' واليها ينسب العنبر الشحرى؛ ثم يمتد على سواحل مهرة من شرقي بلاد اليمن حتى ينتهي الى مبدئه من بحر الهند . قال ابن الأثير في عجائب المخلوقات : وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ وأربعون فرسخًا وعمقه ثمانون باعا . وبهذا البحر عدة جزائر . وفيه مغاصات اللؤلؤ الجيد، ومنها يصير الى البحرين فيجلب الى الحجاز وغيره

ويخرج من بحر الهند أيضا من جنوبيه الخليج البربرى' وهو بحر ينبعث منه فى جنوبى جبل المندب المقدم ذكره' ويمتد في جنوبى بلاد الحبشة، ويأخذ غربا حتى ينتهى الى مدينة بربرا وهي قاعدة الزغاوة من السودان، واليها ينسب هذا البحر . قال فى تقويم البلدان : وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة ميل . قال الأدريسى : وموجه كالجبال الشواهق ولكنه لا ينكسر . قال : وانما يركب فيه الى مدينة قنبلو ويقال قنبلة . قال الأدريسي وأهلها مسلمون

الفصل الثالث

(في الاقاليم السبعة الحقيقية)

قد قسم الحكماء المعمور الى سبعة أقاليم ممتدة من المشرق الى المغرب . وقد اختلفوا في ترتيبها بحسب الغرض ' فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاستواء وآخر السابع منتهي العمارة فى الشمال . وهو ست وستون درجة من خط الاستواء . قال فى تقويم

البلدان والذى عليه المحققون ان ابتداء الاقليم الأول حيث العرض اثنتا عشرة درجة وثلثا درجة، وما وراء ذلك الى خط الاستواء خارج عن الاقليم الاول في جهة الجنوب. وآخر الاقليم السابع حيث العرض خمسون درجة وثلث درجة، وما وراء ذلك الى نهاية العمران فى الشمال خارج عن الاقليم السابع الى الشمال، فيكون من العمران ما لم يدخل فى الاقاليم السبعة . وعليه وقع الترتيب فى هذا الكتاب

الاقليم الاول منها سعته سبع درجات وثلثا درجة وثمن درجة . الثانى سعته سبع درجات وثلاث دقائق . الثالث سعته ست درجات وثمن درجة . الرابع سعته خمس درج وسبع عشرة دقيقة. الخامس سعته أربع درجات وربع وثمن وعشر درجة. السادس سعته ثلاث درجات ونصف وثمن وخمس درجة . السابع سعته ثلاث درجات وثمان دقائق

الباب الثانى — من المقالة الثانية

فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها وما ينخرط فى سلكها من بلاد الثغور والعواصم المعروفة الآن ببلاد الأرمن وأطراف الجزيرة الفراتية مما يضاف للاعمال الحلبية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها وفيه فصول

الفصل الاول

(فى مملكة الديار المصرية)

وهي مصر ، نطق به القرآن الكريم في غير موضع، ويقال له الديار المصرية. وقد اختلف في سبب تسميتها بمصر فقيل سميت باسم مصر بن نقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عرباب بن آدم عليه السلام، وهو أول من عمرها قبل الطوفان. وقال الجاحظ انها سميت مصر لمصير الناس اليها. قال ويجوز ان تكون سميت مصر لكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب ، اذ المصر فى اللغة اسم للحد . وكيفما كان فهو اسم غير مصروف سواء كان عربيا أو اعجميا لاجتماع العلمية والتانيث

وموقع الديار المصرية بجملتها في الأقليم الثانى والأقليم الثالث من الأقاليم السبعة ويذكر في مسالك الابصار ان آخر الثانى دهروط من البهنسائية جنوبيها الى

آخر حدها من الجنوب من الأقليم الثانى، وما هو عن شمالها الى آخر حدها من الشمال من الاقليم الثالث

وقد اختلف للصنفون في المسالك والممالك فى تحديدها . فالجمهور على أن حدها الشمالى وهو المعبر عنه عند أهل الديار المصرية بالبحرى يبتدئ ما بين الزعقة ورفح عند حدها من الشام حيث الشجرتين . قال فى التعريف: وانما هو موضع الشجرة التي تعلق فيها العوام الخرق وتقول هذه مفاتيح الرمل، حيث الكثب المجنبة عن البحر الشامي قريب الزعقة، قال، فأما الاشجار المعروفة الآن بالخروبة وهي المعروفة قديما بالعش فانها وان عظمت محدثة من زمان من حدود الاقاليم، وليست فى موضع ماذكروه؛ ثم يمتد هذا الحد على البحر الرومي مغربا الى رفح، ثم الى العريش أخذا على الجفار الى الفرما، الى الطينة، الى دمياط، الى ساحل رشيد، الى الاسكندرية، وهي آخر العمارة بهذا الحد ، ثم الى اللينونة، الى العميدين ، الى برقة ، الى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وافريقيـة * وحدها الغربى يبتـدئ من ساحل البحر الرومى حيث العقبة المذكورة ويمتد جنوبا وأرض افريقيـة غربيه على ظاهر الفيوم والواحات من الديار المصرية من غربيها حتى يقع على حدود النوبة على ثمان مراحـل من اسوان، ووقع في التعريف فى حدود النوبة صـحراء الحبشة* وحـدها الجنوبى وهو الذى يعبر عنه أهل الديار المصرية بالقبلي يبتدئ من آخر هذا الحد من حدود النوبة ويمتد شرقا حتى ينتهى لبحر القلزم* وحـدها الشرقي يبتدئ من آخر هذا الحد ويمتـد شمالا وبحر القلزم شرقيه الى عيذاب ، الى القصير، الى مدينة القلزم ، الى السويس ، ثم يأخـذ شرقا عن بركة الغرندل التى أغرق فيها فرعون من بحر القلزم الى تيه نبى اسرائيل ، ثم يعطف شمالا ويمر على أطراف الشـام حتى ينحط على مابين الزعقة ورفح بساحل البحر الرومي حيث وقع الابتداء . وعلى هذا النحو جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تقويم البلدان وخالفه القضاعي في خططه فى بعض ذلك ، فجعل ابتداء الحد الشمالى من العريش ، وليس فيه بعد عن رفح ؛ وجعل الحد الجنوبي يقطع بحر القلزم وينتهى الى ساحل الحجاز بالحوراء أحد منازل طريق حجاج مصر . والحد الشرقى يمتد على ساحل البحر الشرقى الى مدين ، الى أيلة ، الى تيه بنى اسرائيل ، الى العريش . فأدخل بحر القلزم من هذا الحور الى

نهايته الشمالية وما على ساحله من بر الحجاز مما يسامت العريش كأيلة ونحوها في حدود الديار المصرية

﴿ النيل ﴾

وبها النيل وهو النهر العظيم الذى لا نظير له فى الوجود. وقد ذكر بطليموس انه ينحدر من جبل القمر، اما بفتح القاف والميم على ماهو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم على ماضبطه ابن سعيد، و يسير الى جهة الشمال حتى يصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تسمى بحيرة « كورى » ويخرج منها شمالا ويمر على زغاوة من بلاد السودان، ويمتد حتى يأتى علي النوبة ويجاوز مدينتها دنقلة؛ ثم يمر حتى ينحدر من الجنادل ويمتد شمالا حتى يجاوز أسوان، ويمضى حتى يمر على الفسطاط من غربيه و يتجاوزه الى قرية على شاطئة تسمى شطنوف فيفترق منها شطرين، ويمر الغربى منهما الى بليدة تسمى رشيدا و يصب في البحر الرومى؛ ويمر الشرقي منهما حتى يفترق بفرقتين عند قرية تسمى المنصورة ويمر الغربى منهما الى مدينة دمياط عن غربيها ويصب فى بحر الروم أيضا، ويمر الشرقي منهما الى اشموم طناح و يصب فى بحيرة هناك شرقي دمياط تسمى بحيرة تنيس، وبحيرة دمياط المتصلة بالبحر؛ وتصير دمياط بين هاتين القريتين

﴿ جبال مصر ﴾

ويكتنف الديار المصرية جبلان من شرقيها وغربيها :

﴿ فأما الشرقي منهما ﴾ فيمتد بين النيل وبحر القلزم حتى يجاوز الفسطاط وينعطف ويأخذ مشرقا حتى يأتى على آخر بحر القلزم من الشمال يرتفع فى موضع وينخفض فى آخر. وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قوص معدن الزمرد الذى ليس فى الدنيا الا فيه. وعلى القرب منه مقطع الرخام الملون من السماقي، والزرزورى، والذبابى، والابيض وغيرها من الالوان التى لا تساوى قيمة ولا تسامى حسنا. وتسمى القلعة المطلة منه على الفسطاط «الجبل المقطم» وتسمى القلعة المطلة منه على القاهرة « الجبل الاحمر »، ويقال لها « اليحاميم ». وفي شرقيه على بحر القلزم طور سينا الذى كلم الله موسى عليه وهو جبل مرتفع للغاية داخل فى البحر

﴿ وأما الغربى منهما ﴾ فيبتدئ من الجنادل أيضا ويمر فى الشمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والواحات ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والفيوم حتى ينتهى الى مقابل الفسطاط مقابل الهرمين العظيمين، ثم ينعطف ويأخذ غربا بشمال فيما بين بلاد ريف الوجه البحرى والبرية حتى يجاوز بركة النطرون ويمضي الى قريب من الاسكندرية ويتصل به من جنوب الواحات جبل اللازورد ، قيل أن به معدن اللازورد

﴿ قواعد مصر ﴾

واعلم أن للديار المصرية قواعد قديمة وحديثة وهى على ثلاثة اضرب:

﴿ الضرب الاول ما قبل الطوفان ﴾ — وهي مدينة آمسوس قال ابراهيم بن وصيف شاه: وهى مدينة بناها نقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عزباب بن آدم عليه السلام حين عمر مصر لابتداء أمرها قبل الطوفان . بناها شمالى الاسكندرية وقد غطى البحر الرومي مكانها

﴿ الضرب الثانى — قواعدها بعد الطوفان ﴾ وهي أربع قواعد :

(الاولى — مدينة منف) — قال في تقويم البلدان بكسر الميم وسكون النون وفاء في الآخر . وهى أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان غربى النيل ، بناها مصر ابن بيصر بن حام بن نوح المقدم ذكره . قال فى الروض المعطار : وأصلها بالسريانية « مافه » ومعناها ثلاثون . وذلك أنه حين بناها كان فى ثلاثين رجلا من قومه فسماها بعددهم . قال ابن الانبارى : وهى على اثنى عشر ميلا من الفسطاط ، يعنى من جنوبيه . وقال فى تقويم البلدان : ولما فتح عمرو بن العاص مصر خربها وبنى الفسطاط من البر الشرقي بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . وبها آثار قديمة من الصخور المنحوتة المصورة ، وبها اصنام كبار طول كل صنم منها نحو عشرين ذراعا . وقد ذكر القضاعي فى خططه ان قبر مصر بانيها ، فيما يقابلها بالجبل الغربى على القرب من الهرم المدرج . قلت : ووهم المقر الشهابى فضل الله فى كتابه «التعريف» فجعل منف هذه هي مدينة منوف التى بالوجه البحرى الآتى ذكرها ، وانه كان بها فرعون موسى

(الثانية ، مدينة الاسكندرية) — وهى مدينة عظيمة على ساحل بحر الروم، بناها الاسكندر بن فيلبس اليونانى حين ملك مصر ، وكان بها منارة عظيمة ، قال فى تقويم البلدان : طولها مائة وثمانون ذراعا ؛ وذكر المسعودى أن طولها اربعمائة ذراع. وكان بالمنارة مرآة من الحديد الصينى يرى فيها المراكب على بعد، فاحتال النصارى فى أول الاسلام حتى كسروها، وقد هدم الآن جميعها . وبها عمود السوارى قائم الى الآن ، طوله نحو ثلاثة وأربعين ذراعا

(الثالثة ، مدينة عين شمس) — وهى خراب شمالى المطرية بها آثار عظيمة . قال المؤيد صاحب حماة : ويقال انها كانت مدينة لفرعون. وذكر ابن وصيف شاه ان الريان ، فرعون يوسف عليه السلام ، نزلها ؛ وان الملوك قبله كانت تنزل بمنف. وفيها وجد أحمد بن طولون الكنز الذى بنى به جامعه المعروف به بين مصر والقاهرة

(الرابعة قصر الشمع) الذى هو داخل الفسطاط ، بناه جوس الفارسى أحد نواب الفرس بالديار المصرية بعد غلبة بخت نصر عليها ، قال القضاعي ، ولم يكمله وانما أكمله الروم بعد ذلك. وكأنه سمى قصر الشمع لايقاد الشمع فيه تعظيما لشأن النار على معتقد الفرس من دين المجوسية. قلت: ويقال ان الفتح الاسلامي وقع والمقوقس مقيم بالاسكندرية اربعة اشهر من السنة ، و بقصر الشمع أربعة أشهر ، وبمنف اربعة أشهر

﴿ الضرب الثالث قواعدها فى الاسلام ﴾ — وهي أربعة قواعد :

(القاعدة الاولى الفسطاط) بضم الفاء وسكون السين وفتح الطاء المهملة وألف وطاء ثانية. وهى مدينة على ضفة النيل حول قصر الشمع المقدم ذكره . بناها عمرو ابن العاص عند الفتح واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقال ابن قتيبه : ان كل مدينة تسمى فسطاطا ، ولذلك سميت مصر الفسطاط . وقال الزمخشرى : الفسطاط اسم لضرب من الابنية فى القدر دون السرادق . والذى عليه الجمهور انها سميت بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص من حيث انها اختطت حول فسطاطه، وهي خيمته الى كانت مضروبة له ، واسمها القديم « أليون » قال ابن الأثير ، بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناه تحت وسكون الواو ونون فى الآخر . قال القضاعى وهو اسمها بلغة الروم والسودان. وموقعها فى الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قلت : ومن نظر الى

خطط الكندى والقضاعى والشريف وابن المتوج علم ما كان عليه الفسطاط من العمارة .
ولقد ذكر ابن المتوج عن بعضهم أنه عد الاسطال النحاس المؤبدة فى البكر والرباع لاستقاء الماء فى الطاقات المطلة على النيل فى وقت فكانت ستة عشر ألف سطل ، والكلام فى أمره يطول

واعلم ان عمرو بن العاص لابتداء الامر نزل بداره على القرب من الجامع العتيق ؛ ولم يزل كل أمير ينزل بداره التى يسكنها الى ان ولى عبد العزيز بن مروان مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مروان ، فبنى دارا عظيمة للأمارة وزخرفها ونمقها ونزل بها بنوه من بعده الى ان صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وهرب من بني العباس الى مصر فنزل بها ؛ فلما أرهقه القوم أحرقها . فلما صارت الخلافة الى بنى العباس وولى امارة مصر على بن صالح بن على الهاشمى في خلافة السفاح أول خلفائهم ابتنى بها دارًا للأمارة ونزلها، وصارت منزلا للامراء بعده الى أن ولى أحمد بن طولون فتحول عن الفسطاط على ماسيأتى ذكره

(القاعدة الثانية منازل ابن طولون) على القرب من جامعه، وذلك ان احمد بن طولون لما ولى مصر بنى قصرا بين المشهد النفيسي ومكان قلعة الجبل الآن ونزله في سنة ٢٥٦ وكانت له عدة أبواب بعضها عند المشهد النفيسي و بعضها عند جامعه ، بعد ان نزل بدار على بن صالح بالفسطاط . واقتطع كل أحد قطعة ابتني بها دارًا فكان يقال قطيعة هارون (بن خمارويه)، وقطيعة السودان، وقطيعة الفراشين ، وغيرذلك فعرف المكان بالقطائع وتزايدت العمارة حتى اتصلت بالفسطاط الى ان خرب ذلك محمد بن سليمان الكاتب حين قدومه بالعساكر من قبل المستكفي بالله في سنة ٢٩٢ . ونزل محمد بن سليمان المذكور دار بدر الحفيفي (غلام احمد بن طولون) بالفسطاط واستقرت هذه الدار منزلة لأمراء مصر بعده الى ان غلب الخلفاء الفاطميون على مصر وابتنوا القاهرة

(القاعدة الثالثة القاهرة) — فاعلة من القهر ، ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة الى المعز الذى بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا وهي المدينة العظمى التى ليس لها نظير فى الآفاق ولم يسمع بمثلها في مصر من الامصار .
وبناها جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبى تميم معد، بن المنصور ابى الظاهر اسماعيل

ابن القائم أبي القاسم ، محمد بن المهدى بالله عبيد الله الفاطمى فى سنة **٣٥٨** وقيل **٣٥٩** حين وجهه الى الديار المصرية من المغرب ففتحها واقتلعها من ايدى الاخشيدية . وقد حكي ابن عبد الظاهر ان المعز لما خرج لتشييع قائده جوهر قال للمشايخ الذين معه : والله لو خرج جوهر وحده الى مصر لأخذها وليدخلنها بلا روية من غير قتال ، وليبنين مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا . وكانت دار الملك بها بقصر اختطه جوهر بوسطها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٥٨ حال نزوله . ومكانه الآن بالمدرسة الصالحية بين القصرين الى رحبة الأيدمرى طولا ، ومن السبع خُوَخ الى رحبة باب العيد عرضا ؛ وكان له تسعة أبواب بعضها أصلى وبعضها مستحدث قد ذكرناها في الاصل . ولما اختط جوهر القصر اختطت كل طائفة خطة وبنوا بها فعرفت بهم كحارة زويلة وحارة الروم وغيرها ، وقد ذكرت خططها فى الأصل . وكان بها باب زويلة هو القوس الموجود الآن على القرب من المسجد المعروف بسام بن نوح . وكان باب الفتوح هو القوس الموجود الآن علي رأس حارة بهاء الدين . وباب النصر يقابله من الجانب الآخر . وكان سور القاهرة من لبن ، وبعضه الى الآن موجود بقرب من سوق الغنم . فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية ابتنى السور الحجر الدائر عليها وعلى القلعة . قال في التعريف : وهي اليوم أمّ الممالك وحاضرة البلاد ، ثم قال ، وهى في وقتنا دار الخلافة . ولم يزل منزل خلفاء الفاطميين بقصرهم بالقاهرة الى حين انقراض دولتهم . وكان الوزير ينزل بدار الوزارة التي ابتناها بدر الجمالى مكان الخانقاه الركنية بيبرس الآن

(القاعدة الرابعة القلعة) المعروفة بقلعة الجبل تحرزا من القلعة التى كانت بالصناعة المعروفة بالروضة . وقلعة الجبل هذه هي الآن مقر السلطان ودار ملكه ، بناها بهاء الدين قراقوش للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط وما يليه من القرافة متصلة بعمارة القاهرة والقرافة . وهي على نشز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم يرتفع فى موضع وينخفض فى آخر وكان موضعها قبل ذلك مساجد من بناء الفاطميين منها مسجد ردينى الذى هو بين آدر (١)

(١) آدر ، جمع دار على القلب ، ومثله أدؤر على البدل ، والأصل أدور

حريم السلطان . على أن السلطان صلاح الدين لم يسكنها ، بل لما استولى على قصر الفاطميين بعد موت العاضد آخر خلفائهم سكن بالقصر ، انتقل اليه من دار الوزارة . ويقال ان ابنه العزيز سكنها فى حياة أبيه ثم انتقل الى دار الوزارة . وذكر فى مسالك الأبصار انه لما ملك أخوه العادل ابو بكر بعده سكنها . وذكر القاضى محيى الدين عبد الظاهر ان أول من سكنها الكامل محمد بن العادل ابى بكر حين استنابه أبوه على الديار المصرية . ولما سكنها احتفل بأمرها واهتم بالعمارة وعمر بها ابراجا منها البرج الأحمر وغيره وصارت مسكنًا للسلاطين بعده الى الآن . ولما ملك المنصور قلاوون عمر بها برجا عظيما على باب السر الكبير وبنى عليه مشترفات حسنة في أواخر سنة ٦٨٢ وسكنها فى صفر سنة ٦٨٣ فلما ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون عمر بها جامع الخطبة والايوان الذى يجلس فيه السلطان ايام المواكب والقصر الذى يجلس فيه فى عامة الأيام وبنى الاشرف شعبان بن حسين في جانبه مقعدًا بارزًا على الاصطبلات السلطانية جاء في نهاية الحسن والبهجة وكملت بعمارة هذه الاماكن معانيها واستحقها بكمالها على بانيها . وقد ذكرنا فى الأصل من محاسنها أنها وإن كانت على قمة جبل فالماء العذب يحمل اليها من النيل بالسواقى والقـالات حتى ينتهي الى الآدر السلطانيـة ... إذا علم ذلك فللديار المصرية وجهان :

الوجه الاول القبلى

وهو المعبر عنه بالصعيد لصعوده من أسافل الارض الى أعاليها. قال فى التعريف: وهو أجل الوجهين قدرا وأطولها مدى وأكبرهما حدا ، ثم قال ، وهو صعيدان: صعيد أعلى ، وصعيد أدنى . فالأدنى كل ما سفل من الاشمونين الى القاهرة ، والأعلى كل ما علا الأشمونين الى أسوان ؛ وغالب زرعه ورفعه وجلب قوته وحلب ضرعه غربى النيل ، وما يوجد شرقي النيل فهو تابع لا متبوع الا فى بلاد قوص فأن جل العمارة وموضع الحرث والزرع عن شرقى النيل . ويشتمل على عشرة أعمال

﴿ العمل الأول — الجيزية ﴾ وهو أقربها الى الفسطاط والقاهرة ومقر ولايته مدينة الجيزة وهى مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل الفسطاط . قال فى الروض المعطار : اختطها عمرو بن العاص ؛ وكلام القضاعى يوافقه . ويقال ان بها قبر كعب

الأحبار . وبعض هذا العمل آخذ فى الجنوب عن الجيزة معـدود فى الوجه القبلى ، وبعضه آخذ في الشمال عنها معدود فى الوجه البحرى الا أنه غلب عليها غيره

﴿ العمل الثانى — الأطفيحية ﴾ ــ وهو شرقى النيل فى جنوب الفسطاط مصاقب لبركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة اطفيح ، وربما قلبت الطاء فيـه تاء فقيل اتفيح ؛ وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقي وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عن اطفيح جنوبا وشمالا

﴿ العمل الثالث — البهنساوية ﴾ ــ وهو مما يلى عمل الجيزة من الجهة الجنوبية ؛ ومقر ولايته مدينة البهنسا ، وهي مدينة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربى من النيل تحت الجبل الغربي بطوق المزدرع مركبة على ضفة بحر الفيوم

﴿ العمل الرابع — عمل الاشمونين ﴾ ــ وهو مصاقب لعمل البهنساوية من جنوبيه وهو عمل واسع كثير الزرع واسع الفضاء . ومقر ولايته مدينة الاشمونين ، وهي مدينة لطيفة بالبر الغربى من النيـل بنيت عوض المدينـة القديمة المسماة بالاشمونين المقدم ذكرها فى قواعد الديار المصرية القديمة . ويدخل في هذا العمل عمل « طحا » منضما اليه

﴿ العمل الخامس — المنفلوطية ﴾ ــ وهو مصاقب لعمل الاشمونين من جنوبيه ، وهو من أخص خاص السلطان الجارى في ديوان وزارته . ومقر ولايته مدينة منفلوط ، وهي مدينة لطيفة فى البر الغربى عن النيل بالقرب من شطه

﴿ العمل السادس — الاسيوطية ﴾ — وهو مصاقب لعمل منفلوط من جنوبيه ، وهو عمل جليل . ومقر ولايته مدينة أسيوط ، قال السمعاني ، بضم الالف وسكون السين ؛ وهذا هو الجارى على الألسنة . والذى في دواوين الديار المصرية : سيوط ، بضم السين من غير ألف فى أولها ؛ وعليه جرى ابن الساعاتى في شعر له فقال

لله يوم في سيوط وليلة   عمر الزمان بمثلها لا يغلط

وهي مدينة حسنة رائقة المنظر ذات أسواق وحمامات بالبر الغربي من النيل

﴿ العمل السابع — الاخميمية ﴾ — وهو مصاقب لعمل اسيوط من جنوبيه ، وهو عمل ليس بالكبير ؛ وبلاده اكثرها بالبر الغربى عن النيل. وقاعدته مدينة اخميم ، وهي مدينة لطيفة بالبر الشرقي عن النيل على مرحلتين من اسيوط وبها كانت البرابى

العظام المضروب بها المثل فى اقطار الارض· وليس لها ولاية الآن بل واليها مضاف الى قوص

﴿ العمل الثامن ـ القوصية ﴾ ـ وهو مصاقب لعمل اخميم من جنو بيه؛ وهو عمل متسع في البر الشرقى والغربى· وهو بلاد التمر، ومنها يجلب الى سائر بلاد الديار المصرية· وقاعدته مدينة قوص، وهي مدينة جليلة فى البر الشرقي عن النيل ذات ديار فائقة ورباع انيقة ومدارس وأربطة وحمامات، يسكنها العلماء والتجار وذوو الاموال، وبها البساتين والحدائق، الا انها شديدة الحر كثيرة العقارب و« سوامّ أبرص »· ومن أحاسن بلادها بالبر الغربى : غرب قمولا ، واسنا ، وأرمنت ، وأدفو· قال فى التعريف: ووالى قوص أعظم ولاة مصر وأجلهم (ووالى اسوان من قبله). قلت: وقد آل أمرها الى ان صار لها والٍ مستقل بنفسه دون والى قوص وربما جعل بها كاشف. ويقابل اسوان من عمل قوص فى الشرقى عنها عيذاب، بفتح العين المهملة والذال المعجمة. قال فى التعريف : وهى قرية حاضرة البحر؛ وكان لها وال من قبل والى قوص أيضا لا يزال مقيما فيها من لدن زمن الفاطميين وإلى حين انقطاع ورود التجار من البحر اليها. قال فى تقويم البلدان : والأشبه انها داخلة فى حدود مصر لوقوع الولاية عليها منها و بعضهم يجعلها من بلاد التجار و بعضهم من بلاد الحبشة

﴿ العمل التاسع ـ الفيوم ﴾ ـ وهو مصاقب لجنوبي الجيزية وشمالى البهنساوية من الغرب، و بينه و بينهما منقطع رمل نحو مرحلة. ومقر ولايته الفيوم. قال فى العزيزى : وبين الفسطاط و بينها ٢٨ ميلا. والفيوم من أعظم أعمال الديار المصرية وأحسنها، كثير العمارة والبساتين، غزير الفواكه، وله نهر ينبع من عيون فيه يجرى صيفا وشتاء يسقى مزارعه و بساتينه مقسما عليها بقصبات معلومة. ويدخل اليه ماء النيل من مدة من فوهته على القرب من ذروة سرنام بالأشمونين ويصب فى بركة عظيمة شمالى الفيوم ويقال انه (الفيوم) كان متصل مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعل فيه ٣٦٠ قرية لتمير كل قرية منها بلدَ مصر عند المحل يوما من السنة

﴿ العمل العاشر ـ ألواح ﴾ ـ قال فى اللباب؛ بفتح الهمزة وسكون اللام؛ وقال في المشترك: واح، بغير ألف ولام؛ ويجمع على واحات. وهو مصاقب لجنوبى البهنساوية

والمنفلوطية والسيوطية ، و بينه و بينها الجبل الغربي عن النيل ومسيرته ثلاثة مراحل فما دونها يزيد في موضع وينقص فى آخر . قال فيمسالك الابصار : وهي بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة . قال فى تقويم البلدان : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها وهي بينها كالجزيرة بين رمال ومفاوز. قال البكرى:وهي اقليم مستقل غير مفتقر الى ماسواه . قال فى الروض المعطار : وهى آخر بلاد الاسلام ، و بينها و بين بلاد النوبة ست مراحل ، قال ، وفي هذه الارض أرجية وعيون حامضة الطعوم ، ولكل نوع منها منفعة وخاصية. وبها العيون الجارية والبساتين والثمار . قال في المشترك ، وهى ثلاث كور : واح الاولى ، وواح الوسطى ، وواح القصوى . والاولى ما يقابل البهنساوية ، و يعبر عنها بالواح الخاص ؛ والوسطى تقابل شمالى السيوطية ، وتعرف بالواح الداخلة ، وبهامدن مشهورة منها المسلمون ، والهنداد ، والقلمون ، والقصير ؛ والقصوى تلو الواح الوسطى ، وتعرف بالخارجة . قال فى التعريف: وهى جارية فى اقطاع امراء مصر وهم يولون عليها من قبلهم . ومغلها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله اسوة بقية ديار مصر لوقوعه منقطعا في البلاد النائية والقفار النازحة .قال في مسالك الابصار: ولا تعد فى الولايات ولا الاعمال ولايحكم عليها من قبل السلطان

الوجه الثانى البحرى

سمى « الوجه البحرى » أخذا من تسميتهم الريح التي تهب من الشمال :البحرية. وهو كل ما سفل عن القاهرة الى البحر الرومي . وهو أرطب الوجهين وأقلهما حرا وأكثرهما فاكهة . و يشتمل على تسعة أعمال :

﴿ العمل الاول ـ الضواحى ﴾ ـ جمع ضاحية ، وهي في أصل اللغة البارزة للشمس ، كأنها سميت بذلك لبروز قراها للشمس؛ وهى ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى . وولايتها مضافة الى ولاية القاهرة داخلة في حكمها ، فليس لها مقر ولاية تخصها

﴿ العمل الثانى ـ القليوبية ﴾ ـ وهو عمل جليل حسن القرى كثير البساتين غزير الفواكه . ومقر الولاية به مدينة قليوب ، وهى من القاهرة على دون نصف مرحلة .

لت : ومن بلاده بلدتنا قلقشندة ، قال ابن خلكان ، بفتح القاف ، وسكون اللام ، وفتح

القاف الثانية والشين المعجمة ، وسكون النون ،وفتح الدال المهملة ،وهاء في الآخر ؛ وهكذا هي موجودة فى دواوين الديار المصرية . ووقع في كلام القضاعي و ياقوت بالراء ،بدل اللام ؛ وهو الجارى على الألسنة. قال ابن خلكان : وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، واليها ينسب الليث بن سعد الامام الكبير . قال ابن يونس في تاريخه : انه ولد بها ؛ ثم قال ، وأهل بيته يذكرون ان أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وقد ذكر القضاعى فى خططه انه كان له بها دار ، وكان يلى امارة مصر يومئذ ابن عمه عبد الملك ابن رفاعة ، فهدم تلك الدار عنادا له ، فعمرها : فهدمها ؛ فلما كان فى الثالثة بينما الليث نائم واذا بهاتف يهتف به: « قم يا ليث ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فأصبح ابن رفاعة وقد أصابه فالج ، فأوصى الى الليث و بقى ثلاثا ومات

﴿ العمل الثالث ــ الشرقية ﴾ ــ وهو مصاقب للضواحي من شماليها مما يلي المقطم ، والقليوبية من جهة الشمال وجهة الشرق ؛ وهو من أعظم الاعمال وأوسعها . وآخر العمران فيه من جهة الشمال الصالحية ، وما وراء ذلك منقطع رمال . ومقر ولايته مدينة بلبيس ، قال فى تقويم البلدان ، بكسر الباء الموحدة . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق ، وعليها مرور أهل الدرب الشامى . وفي آخر هذا العمل من الشرق قطيا ، بألف في الآخر كما قال فى التعريف : ومسالك الابصار ، وفى تقويم البلدان ابدال الالف فى آخره هاء ؛ وهى قرية بالرمل المعروف بالجفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومى . قال فى التعريف :وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر

﴿ العمل الرابع ــ الدقهلية ، والمرتاحية ﴾ ــ وهو مصاقب لعمل الشرقية من شماليه وأواخره تنتهى الى السباخ والى بحيرة تنيس المتصلة بالطينة بطريق الشام .ومقر ولايته مدينة أشموم ، بضم الهمزة وميم في الآخر كما ضبطه فى تقويم البلدان ونقله عن خط ياقوت : والذى فى اللباب إبدال الميم فى آخرها نونا ،وهو الجارى على الالسنة ؛ ويقال لها اشموم الرمان . قلت : وفى آخر هذا العمل من الشمال مدينة دمياط ، بكسر الدال المهملة ، ووقع في الروض المعطار اعجامها . وهي مدينة جليلة عند مصب الفرقة الشرقية

من النيل فى بحر الروم ذات جوامع وأسواق وحمامات . وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل ، أحد خلفاء بنى العباس ، فلما سلطت عليها الفرنج وملكتها مرة بعد مرة خرب المسلمون أسوارها فى سنة ٦٤٨ خوفا من استيلائهم عليها. وهى على ذلك الى الآن . قال فى التعريف: وهى أحد الثغور والضالة المنشودة بعد طول الدهور

﴿ العمل الخامس ـ المنوفية ﴾ ـ وأوله من الجنوب القرية المعروفة بشطنوف على أول الفرقة الغربية من النيل مقابل شرقى الجيزة . ومقر ولايته مدينة منوف ، وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت تسمى بهذا الاسم ، وآثارها باقية الى الآن . وقد تقدم فى الكلام على منف من قواعد مصر القديمة ان المقر الشهابى بن فضل الله وهم فيها ، فجعل منوف هذه منف تلك ، وأن فرعون موسى كان بها. ومن مضافاتها عمل جزيرة بنى نصر ، وحاضرته مدينة أبيار ، قال فى الروض المعطار ، بفتح الهمزة

﴿ العمل السادس ـ الغربية ﴾ ـ وهو مصاقب للمنوفية من جهة الشمال ، ويمتد الى البحر الملح بين مصبى النيل الا ما هو من عمل المزاحميتين على فرقة النيل الغربية من الشرق . ومقر ولايته مدينة المحلة . قال فى المشترك : وتعرف بمحلة الدقلا ، بفتح الدال والقاف ؛ وتسمى الآن بالمحلة الكبرى . قلت : ووهم المقر الشهابى ابن فضل الله فى التعريف فسماها محلة المرحوم ، وانما محلة المرحوم قرية من قراها . وهو عمل عظيم القدر جليل الخطر به البلاد الحسنة والقرى الزاهية والبساتين الرائقة . وفى آخره مما يلى بحر الروم ثغر البرلس

﴿ العمل السابع ـ البحيرة ﴾ ـ وهو مصاقب لعمل الجيزية المتقدم ذكره من شماليه . ومقر ولايته مدينة دمنهور ، وتعرف بدمنهور الوحش ، وهى مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات ، وهى على نحو مرحلة من الاسكندرية بين الشرق والجنوب. ويدخل فى هذا العمل حوف رمسيس والكفور الشاسعة . قال فى التعريف : وهذه البلاد تشتمل على برمقفر وطوائف من العرب وبها بركة النطرون . قلت : وبآخر هذا العمل من الغرب والشمال مدينة الاسكندرية المقدم ذكرها فى القواعد القديمة ومن مضافات هذا العمل عمل المزاحميتين ، وهو ما جاور خليج الاسكندرية من جهة الشمال الى البحر الرومي

وبعضه بالبر الشرقى من الفرقة الغربية من النيل · وقاعدته مدينة فوّة ' قال فى تقويم البلدان ، بضم الفاء وتشديد الواو · وهي مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربيه ذات بساتين وأشجار ومنظر رائق

﴿ العمل الثامن ـ برقة ﴾ ـ قال فى تقويم البلدان ، والفاصل بينها وبين افريقية العقبة · وهي أرض متسعة الأرجاء مديدة الفضاء ، وهي من أزكى الاراضي دوابًا وأمراها مرعى · قال في مسالك الأبصار : أخبرني بعض من رآها انها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وماهى عليه ' وأنها لو عمرت وتأهلت بالزراع كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشام ، قال ' وبها الماشية والسائمة الكثيرة من الأبل والغنم والخيل ' ثم قال ، ولها المدن المبنية والقصور العلية والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة · قال في الروض المعطار : وبها النخل والزيتون والتوت الكثير وبعض شجر التين ' قال ، وكان بها فواكه وأعناب فذهبت باستيلاء العرب عليها · قال ابن سعيد : وكان سريرها في القديم مدينة طبرق ؛ وذكر فى الروض المعطار أن قاعدتها كانت مدينة انطابلس · قال فى مسالك الأبصار : ومن مدنها سوت ، وطليمثا ' ولبدة . قلت : وقد كان في الزمن القديم تولى بها وال وقاض من صاحب الديار المصرية ، كتب له تقليد بذلك . أما الآن فقد استولت عليها العرب وصارت لا يؤخذ منها إلا زكاة الواصل من أغنامهم الى الاسكندرية وما في معناها

﴿ العمل التاسع ـ ساحل بحر القلزم ﴾ ـ على ما كان عليه الحال فى الزمن القديم . وبه كورتان :

الاولى ماهو من بر الديار المصرية وهو كورة القلزم والطور. فأما القلزم فهى مدينة قديمة على ساحل بحر القلزم ، وبها عرف البحر المذكور ' وعلى القرب منها اغرق فرعون ببركة الغرندل . وأما الطور فهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام · قال الأزهرى : سمى بطور اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وعنده فرضة مصر ببحر القلزم المذكور

الثانية ما هو من بر الحجاز وهو كورة أيلة ، وهى مدينة صغيرة من جزيرة العرب بالبر الغربى من بحر القلزم على طريق حجاج مصر ' وهى مدينه اليهود الذين جعل الله

منهم القردة والخنازير، قال، وهي فى زماننا برج، وبها وال من مصر وكان بها قاعة في البحر وأبطلت، ونقل الوالى البرج بالساحل؛ وكان بها فى القديم زرع يسير والآن لا مزدرع فيها . قلت: وقد أبطل الوالى منها أيضاً . وقد ذكر القضاعي أن بلاد مصر تمتد بهذا الساحل الى الحوراء

قاعدة (١)

(ترتيب الديار المصرية وحال سلطانها وأمرائها ووظائفها)

اعلم ان أصل ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد وترتيب الخلفاء الفاطميين بمصر ثم ترتيب الدولة الأيوبية . وقد ذكرنا ترتيبها فى الاصل . وقد انتقى ملوك الدولة التركية من مجموع ترتيب أولئك أحسنه وأبهجه حتى صارت أحسن الممالك ترتيبا وأبهجها منظرا وأجملها هيئة . ويتعلق الغرض من ذلك (باثني عشر مقصداً)

المقصد الاول — فى رسوم الملك وآلاته

وهى أنواع كثيرة بعضها عام في الملوك أو أكثرهم، وبعضها خاص بهذه المملكة: أحدها سرير الملك — وهو من رسوم الملك القديم . وأول من اتخذه فى الاسلام

---

(١) هذه القاعدة مترجمة بالقاعدة الرابعة من المقالة الثالثة في ترتيب مملكة الديار المصرية وقد وردت في النسخة الموجودة بدار الكتب الخديوية بعد فراغ القول في المملكة المصرية ومضافاتها من الشام والحجاز مقسمة الى ثلاثة فصول الاول فى ترتيب الديار المصرية، الثانى فى ترتيب الديار الشامية والثالث فى ترتيب الديار الحجازية ويظهر ان المؤلف أراد ان يتبع كل ديار بترتيبها الخاص عقب الكلام عليها فأتى بما يختص بمصر من تلك القاعدة فى هذا المحل وذكر في ترجمته انه مقسم الى فصول ولم يترجم غير فصل واحد قال انه يشتمل على خمسة مقاصد ولكنه بعد ان استوفى خمسة المقاصد اردفها بسادس وسابع ثم اضطرب فأورد مقاصد أخرى ترجم أولها بالثالث، ثم السابع ثم الثامن ثم التاسع الى الخ وذلك في النسختين جميعا ولم يكن هذا الاضطراب ناشئا عن سقوط شئ من الموضوع ولكن عن سهو في تأصيل الفصول وتفصيل مقاصدها لهذا رأينا ان نجعلها كلها مقاصد ونوالى بين اعدادها بالترتيب فكانت ١٢ مقصدا

معاوية بن ابى سفيان في خلافته حين بدن ، ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه ، وكانت أسرة خلفاء بنى العباس يبلغ علوها نحو سبعة أذرع ، والذى يجلس عليه السلطان فى يوم مهم كقدوم رسول ونحوه من رخام وعلوه ثلاثة أذرع . وهو في سائر الأيام يجلس بدار العدل على كرسى من خشب مغشى بالحرير إذا جلس عليه تكاد رجلاه تمسان الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه الى حيث يجلس

الثانى المقصورة لصلاة الجمعة — وأول من اتخذها فى الاسلام معاوية ، وقيل عثمان . والمقصورة التى يصلى فيها سلطان الديار المصرية مقصورة من حديد مشبك محكم الصنعة يصلى فيها هو ومن معه من أخصاء خاصكيته

الثالث — الدعاء للسلطان بعد الخليفة على المنابر فى آخر الخطبة الثانية . وأول من دعى له مع الخليفة على المنبر عضد الدولة ابن بويه في خلافة الطائع

الرابع — نقش اسم السلطان على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب . وهو منقول عن خلفاء الدولتين ، بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة ، وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر

الخامس الغاشية — وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصوغة من الذهب تحمل بين يدى السلطان في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها ، يحملها بعض المهاترة بين يديه و يلفتها يمينا وشمالا

السادس المظلة — و يعبر عنها بالجتر ، بجيم مكسورة بين الجيم والشين المعجمة . وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب . على أعلاها طائر من فضة مطلاة بالذهب ، تحمل على رأسه فى العيدين ، وتكون مع راكب فرس ، وحاملها من أكبر الأمراء

السابع الرقبة — وهي رقبة من أطلس أصفر مزركش بالذهب بحيث لا يرى الحرير أصلا ، تجعل على رقبة الفرس فى الميادين من تحت أذنى الفرس الى نهاية عرفه

الثامن الجفتة — وهما اثنان من أوجاقية اسطبل السلطان قريبان فى السن عليهما قباوان أصفران من حرير مطرزان من زركش ، على رأسيهما قبعان من زركش وتحتهما فرسان أشهبان برقبتين وعدة نظير مركوب السلطان كأنهما معدان لأن يركبهما ، يركبان أمامه فى أوقات مخصوصة كالركوب في الميادين ونحوه

التاسع الاعلام ـ وهي راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب تسمى العصابة ، وراية ثانية في رأسها خصلة من شعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق

العاشر الطبلخاناه ـ وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر مختلف الأصوات على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب . وهي رسم قديم للملك

الحادى عشر الخيام فى الاسفار ـ ولهذا السلطان من ذلك العدد الكثير من القطن الشامي والجوخ المختلف الألوان مما يدهش حسنه العقول . قلت : وللملك آلات أخرى من آلات الملك سوى ما تقدم نذكرها في أماكنها

« المقصد الثانى »

(حواصل السلطان المعبر عنها بالبيوت)

وذلك انهم يضيفون كل واحد منها الى لفظ « خاناه » ومعنى خاناه البيت . وهى ثمانية بيوت :

الاول ، الشراب خاناه ـ ومعناه « بيت الشراب » . ويشتمل على الاشربة المعدة لخاص السلطان والمشروب الخاص من السكر والأقسما وغير ذلك . وبها الأوانى النفيسة من الصينى اللازوردى وغيره ، وبها مهتار متسلم لحواصلها يسمى مهتار الشراب خاناه

الثانى ، الطشت خاناه ـ ومعناه « بيت الطشت » . والطشت هو الذى يغسل فيه القماش أو اليد وغيرها ؛ وهو آلة من نحاس ، وأصلها فى اللغة بالسين المهملة فاستعملوها بالشين المعجمة . وبها ملبوس السلطان من الكلوتات والأقبية وسائر الثياب والسيف والخف والسرموزه وما يجلس عليه من المقاعد وما يلحق بذلك من المخاد وغيرها . ولها مهتار كبير يسمى مهتار الطشت خاناه

الثالث ، الفراش خاناه ـ ومعناه « بيت الفراش » ويشتمل على أنواع البسط والخيام . ولها مهتار متسلم لحاصلها يسمى مهتار الفراش خاناه

الرابع ، السلاح خاناه ـ ومعناها « بيت السلاح » وربما قيل « الزردخاناه » ومعناها « بيت الزردر » لما اشتملت عليه من أنواع الزرد . وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسي والنشاب والرماح والدروع والخوذ وغير ذلك . وبها غلمان وفراشون بسبب خدمة القماش وافتقاده

الخامس ، الركاب خاناه - ومعناه « بيت الركاب » ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش وعبي المراكيب والعبي الاصطبليات وغير ذلك من عدد الخيل . وفيها من نفائس العدد مايحير العقل و يدهش النظر

السادس ، الحوائج خاناه — ومعناه « بيت الحوائج » وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، بل هي جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطاني في الدور السلطانية ورواتب الامراء والمماليك السلطانية وأرباب الوظائف من المتعممين وغيرهم . ولها مباشرون منفردون بها

السابع ، المطبخ — وهو الذي تطبخ فيه الاطبخة السلطانية في الغداء والعشاء ؛ للطارئ في الليل والنهار، والاسمطة التي تمد بالايوان في أيام المواكب . ويحمل اليه اللحم وسائر الاحتياجات من الحوائج خاناه المقدمة الذكر

الثامن ، الطبلخاناه — ومعناه « بيت الطبل » وتشتمل على الطبول والابواق وتوابعها من الآلات . ولها متسلم من المهاترة يسمى مهتار الطبلخاناه

﴿ المقصد الثالث ﴾

في ذكر مراتب ارباب السيوف لهذه المملكة على سبيل الاجمال . وهي على ست طبقات :

الأولى ، امراء المئين — وهم مقدمو الالوف ، وعدة مضافات كل منهم مائة فارس . قال في مسالك الابصار : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ، وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الامراء . وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الامراء على تفاوت درجاتهم والذي كان عليه الحال في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فما حولها ان يكون بالديار المصرية اربعة وعشرون مقدما ، ثم تغير الحال بعد ذلك بالنقص .

الثانية ، أمراء الطبلخاناه — وإمرة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا ؛ قال في مسالك الابصار ، وقد يزيد بعضهم على ذلك الى سبعين فارسا ، بل قد ذكر فى التعريف في أواخر المكاتبات أن يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال فى مسالك الابصار : ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين . وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدة أمرائها ، بل تزيد وتنقص

الثالثة ، أمراء العشرات — وإمرة كل منهم عشرة فرسان ، قال في مسالك الابصار ، وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعد الا فى امراء العشرات . وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدة امرائها ، بل تزيد وتنقص

الرابعة ، امراء الخمسات — وهى أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية . وأكثر ما يقع ذلك فى أولاد المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم وهم في الحقيقة كأكابر الاجناد

الخامسة ، المماليك السلطانية — وهم أعظم الاجناد شأنا وأرفعهم قدرا وأشدهم الى السلطان قربا وأوفرهم اقطاعا ؛ ومنهم تؤمر الامراء رتبة بعد رتبة

السادسة ، أجناد الحلقة — وهم عدد جم وخلق كثير وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم . قال في مسالك الابصار : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم فليس له عليهم الا اذا خرجت العسكر كانت مواقفهم معه وترتيبهم فى مواقفهم اليه . قلت : ومن الاجناد طائفة أخرى يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس . وأول من رتبهم وسماهم هذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب

﴿ المقصد الرابع ﴾

فى أرباب الوظائف من الامراء وهم خمسة وعشرون أميرا

الأول ، النائب الكافل — وهو النائب بحضرة السلطان . قال في التعريف : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ، وسائر النواب لا يعلم الواحد منهم الا على ما يتعلق بنيابته ، قال ، وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التميز . قال في مسالك

لا بصار: وجميع نواب الممالك تكاتبه فيما يكاتب فيه السلطان، ويعين بعض ارباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر وقلّ ان لا يجاب فيمن يعينه، قال، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان . قلت: وهذه النيابة كانت تبطل تارة وتستمر أخرى ولها الآن مدة طويلة من الدولة الظاهرية برقوق والى الآن معطلة . قال في التعريف: أما نائب الغيبة وهو الذى يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لأخماد الثوائر وخلاص الحقوق، وحكمه في رسم الكتابة اليه رسم مثله من الامراء

الثانى، الاتابك ـ وأصله باللغة التركية أطابك، ومعناه «أمير أب»، والمراد «أبو الامراء» وهو أكبر الامراء المقدمين بعد النائب الكافل بل لا يكون غالبا الا مع عدم الكافل . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه: وأول من لقب بذلك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض اليه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ فلقب بألقاب منها هذا

الثالث، رأس نوبة ـ وهو الحاكم على المماليك السلطانية . وقد جرت العادة ان يكونوا اربعة امراء: واحد مقدم الف، وثلاثة طبلخاناه

الرابع، أمير مجلس ـ وهو من جملة امراء الالوف وممن يتحدث على الاطباء والكحالين ومن في معناهم ولا يكون الا واحدا فقط

الخامس، أمير سلاح ـ وهو الذى يحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة، ولا يكون الا واحدا من مقدمي الالوف؛ وهو الحاكم على «السلاح دارية» من المماليك السلطانية، والمتحدث في السلاح خاناه

السادس، اميراخور ـ وهو المتحدث على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال. وعادته أن يكون مقدم ألف ويكون ساكنا باصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه، ويتبعهم جماعة من أمراء العشرات والأجناد

السابع، الدوادار ـ قال في مسالك الابصار: وهو الذى يبلغ الرسائل وعامة الأمور عن السلطان، ويقدم القصص اليه، ويشاوره على من يحضر الى الباب الشريف، وعليه تقديم البريد هو وأمين جاندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب، ويحمل الرسالة عن السلطان مما يكتب . وقد كانت هذه الوظيفة في الدولة

الناصرية محمد بن قلاوون بها جماعة ليس فيهم مقدم ألف بل طبلخاناه عشرات وأجناد وبقي الأمر على ذلك الى الدولة الناصرية حسن، فاستقر فيها طغيتمر النجمي مقدم ألف، ثم صار الغالب أن يكون أكثرهم مقدم ألف وربما كان طبلخاناه

الثامن، الحاجب ـ وهو من أركان الملك القديمة من الدولة الايوبية فما بعدها. قال في مسالك الابصار: وهو ينصف بين الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة السلطان وتارة بمراجعة النائب ' واليه تقديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند وما ناسب ذلك، ثم الذى جرت عليه العادة خمس حجاب. وربما نقص الحال عن ذلك وربما زاد. قال في مسالك الابصار: وعند فقد النائب يكون هو المشار اليه من الباب الشريف والقائم مقام النائب فى كثير من الامور

التاسع، امير جاندار ـ وهو الذى يستأذن على دخول الامراء للخدمة ويدخل أمامهم الى الايوان ' ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر. وهو كالمستلم الباب، وله به البرد دارية والطوائف الركابية والخازندارية، واذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله كان على يده، وهو المتسلم الزردخاناه التى هي أرفع قدرا في الاعتقالات من السجن المطلق، وهو الذى يطوف بالزفة حول السلطان في سفره صباحا ومساء. وقد جرت العادة ان يكون فيها أميران: مقدم الف وطبلخاناه

العاشر، استادار (استاذ دار) ـ قال فى مسالك الابصار: وهو المتحدث فى بيوت السلطان كلها من المطبخ والشراب خاناه، والحاشية والغلمان، وهو الذى يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره. وله حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى ونحوها للمماليك وغيرهم. وقد جرت العادة ان يكونوا أربعة: واحد مقدم ألف ' وثلاثة طبلخاناه. وربما نقصوا عن ذلك

الحادى عشر، الجاشنكير ـــ وهو المتحدث فى أمر السماط مع الاستادار والعادة ان يكون مقدم الف، ودونه من هو دون ذلك من امراء وأجناد

الثاني عشر، الخازندار ـ وهو المتحدث فى خزائن الاموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك. وكانت عادتها طبلخاناه، ثم استقرت لمقدم ألف

الثالث عشر، شادّ الشرابخاناه ـ وهو المتحدث في أمور الشراب خاناه السلطانية

وما عمل اليها من السكر والفواكه والحلوى وغير ذلك ممايشتمل عليه . وهو تارة يكون مقدم الف ، وتارة طبلخاناه

الرابع عشر ، استادار الصحبة ـ وهوالمتحدث فى المطبخ السلطاني، وله الاشراف على مايطبخ فيه من الاطعمة مع المشي أمام الطعام الى حين مد السماط والوقوف بذيل السماط مع مقدم المماليك . والعادة ان يكون أمير عشرة

الخامس عشر مقدم المماليك – وهو المتحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم والعادة ان يكون طبلخاناه وله نائب أمير عشرة

السادس عشر ، زمام الدور السلطانية ـ ولا يكون إلا من أكبر الخدام وعادته ان يكون أمير طبلخاناه .وله نائب أمير عشرة

السابع عشر، نقيب الجيوش ـ قال فى مسالك الأبصار : وهو الذى يحلى الجند فى عرضهم ومعه يمشى النقباء واذا طلب السلطان أو النائب أو الحاجب أميرا أو غيره أحضره ، وهو كأحد الحجاب الصغار ، وله التطليب فى الخزانة في التوكيب والسفر

الثامن عشر ، المهمندار ـ وهي الذى يتلقي الرسل الواردين وأمراء العربان وغيرهم ممن يرد على الابواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها

التاسع عشر، شادّ الدواوين ـ وهو رفيق الوزير في استخلاص الاموال وما فى معنى ذلك ، وعادته أمير عشرة

العشرون ، امير طبر ـ وهو الذى يحمل الطبر فى المواكب هو وجماعته حول السلطان . وعادته إمرة عشرة

الحادى والعشرون ، أمير علم ـ وهو المتحدث على الطبلخاناه السلطانية وأهلها متصرفا فى أمرها . وعادته امرة عشرة

الثانى والعشرون ، أمير شكار ـ وهو المتحدث فى الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود السلطانية . وعادته إمرة عشرة

الثالث والعشرون، حارس الطير ـ وهو المتحدث على حراسة الطير الذي هو بصدد أن يصيده السلطان من الكراكى وغيرها فى الاماكن التى ينزل بها الطير من المزارع وغيرها وعادته امرة عشرة

الرابع والعشرون ، شادّ العمائر ـ وهو المتحدث فى العمائر السلطانية مما يختار السلطان احداثه أو تجديده من القصور والمنازل والاسوار وغيرها . وعادته امرة عشرة

الخامس والعشرون ، الوالى ـ وهو المعبر عنه فى الدول القديمة بصاحب الشرطة والمستقر بالحضرة واليان : احدهما والى القاهرة وضواحيها و يتحدث فى السرقات وغيرها وعادته امرة طبلخانة * الثاني والى مصر ، وهو يحكم فى مصر وقد أضيف اليها الآن القرافة . وعادته امرة عشرة . قلت : ووراء ذلك واليان آخران الا انهما لا يتحدثان في دم ولا سرقة : احدهما والى القلعة وهو الذى يتحدث على باب القلعة الكبير الذى منه طلوع عامة العسكر ونزولهم فى الفتح والغلق ونحو ذلك ، وعادته امرة طبلخاناة * والثاني والى باب القلعة وله التحدث على الباب المذكور وأهله كما لوالى القلعة التحدث على الباب الكبير وعادته امرة عشرة

(المقصد الخامس)

(فى الوظائف الدينية وهي عشرة وظائف)

الاولى قضاء القضاة ـ وموضوعها أن صاحبها يتحدث في الاحكام الشرعية والفصل بين الخصوم ونصب النواب فيما يعسر عليه استيعابه بالنظر . وهي أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا . واعلم ان الديار المصرية فيما تقدم من الزمان من حين الفتح الاسلامي والى أثناء الدولة الظاهرية بيبرس كانت قاصرة على قاض واحد من أى مذهب كان من المذاهب الاربعة . ثم استقر الحال فى الدولة الظاهرية بيبرس على ان يكونوا اربعة قضاة من كل مذهب قاض ويكون لكل من الاربعة التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب بالوجهين القبلى والبحرى . ثم استقر في الدولة المنصورية قلاوون على ان قاضي القضاة الشافعى يستقل بتولية النواب بالوجهين القبلى والبحرى دون غيره من قضاة سائر المذاهب

الثانية قضاء العسكر ـ وموضوعها أن صاحبها يحضر دار العدل ويسافر مع السلطان اذا سافر . وبها ثلاثة نفر : شافعى ، وحنفي ، ومالكي ؛ وليس للحنابلة معهم حظ

الثالثة افتاء دار العدل ـ وموضوعها على نحو ما تقدم فى قضاء العسكر . وبها أربعة ،

من كل مذهب واحد

الرابعة ، وكالة بيت المال — وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته من أراض ودور وغير ذلك والمعاقدة على ذلك وما يجرى هذا المجرى . قال في مسالك الابصار: ولا يليها الا اهل العلم والديانة ، قال ومجلسه بدار العدل تارة يكون دونه المحتسب وتارة فوقه بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه

الخامسة ، الحسبة ـ وموضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع والاخذ على يد الخارج عن الصلاح فى معيشته وصناعته . وبالحضرة محتسبان : أحدهما بالقاهرة وهو أعظمهما قدرا وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الاسكندرية فأن لها محتسباً يخصها . والثانى بالفسطاط ورتبته منحطة عن الأول وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكماله .والذى يجلس منهما بدار العدل هو محتسب القاهرة فقط

السادسة، نقابة الاشراف ـ وموضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفحص عن أنسابهم والتحدث فى أوقافهم والأخذ على يد المتعدى منهم ونحو ذلك . وكانت في الزمن المتقدم فى الدولة العباسية هذه النقابة تقع على نقابة الطالبيين

السابعة ، نظر البيمارستان — والمراد به البيمارستان المنصورى ، انشاء المنصور قلاوون بخط بين القصرين . وهو من أجل الوظائف لاسيما في الزمن المتقدم . وعادة النظر فيه يكون من أرباب السيوف لأكابر الامراء المقدمين ، ومن المتعممين للوزير ونحوه ؛ ثم انحطت رتبته عن ذلك . . . قلت : أما الوظائف العالية كالخطابات والتداريس ومشيخة شيوخ الخانقاه الناصرية من الخوانق ونحوها فأنها لاتحصى كثرة' ولكن لاتصدر الولاية عن السلطان فيها الا فى القايل

الثامنة ، نظر الاحباس — وكان موضوعها فى الاصل التحدث فى الأوقاف، ثم صار موضوعها الآن ، التحدث على رزق تفرد من الاراضى السلطانية للخطابات وإمامة المساجد والبر والصدقة وما في معني ذلك . وهي تارة يتحدث عليها السلطان وتارة النائب الكافل وتارة الدوادار وتارة غير هؤلاء

التاسعة، مشيخة الشيوخ ـ والمراد هنا مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس .وشيخها

اكبر مشائخ الصوفية والخوانق من حين استحدثت . ثم كانت قبل ذلك تطلق على مشيخة الخانقاه الصلاحية المسماة سعيد السعداء

العاشرة ، نظر الاوقاف ــ وموضوعها التحدث على أوقاف الحرمين وما فى معناها . وغالب الاوقات المتحدث فيها قاضي القضاة الشافعية ، وربما فوض التحدث فيها فى بعض الاحيان الى بعض الامراء

المقصد السادس

في الوظائف الديوانية . وهى كثيرة لا يسع استيفاؤها، وبها خمسة عشر وظيفة :

الاولى ، الوزارة ــ قال في مسالك الابصار : وربهاثانى السلطان لو أنصف وعرف حقه. لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بهامكانهاحتى صار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف مجال ولا تمتد يده في الولاية والعزل لتطلع السلطان الى الاحاطة بجزئيات الاحوال ، قال ، وقد صار يليها أناس من أرباب السيوف والاقلام بأرزاق بحسب الاتفاق وقطيعتها أشهر من أن تذكر. ثم للوزارة اتباع كثيرة أجلها نظر الدواوين ، واستيفاء الصحبة ، واستيفاء الدولة ، : فأما نظر الدواوين وهو المعبر عنه بنظر الدولة فصاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يتحدث فيه و يشاركه فى الكتابة في كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وان كان الوزير صاحب سيف كان ناظر الدولة هو المتحدث فى أمر الحسبانات وما يتعلق بها ، والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ . وأما استيفاء الصحبة فهى وظيفة جليلة . قال فى مسالك الابصار : وصاحبها يتكلم في جميع المملكة بمصر والشام ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان تارة بما يعمل فى البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدامات كبار فى صغار الاعمال ومن هذا وما يجرى مجراه . قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الاموال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل من دواوين الاموال فرع تحته واليه يرجع حسابه . وأما استيفاء الدولة فصاحبها يتحدث فى أموال الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الاموال ووجوه مصارفها ، ويكون فيها مستوفيان فأكثر

الثانية ، كتابة السر ــ قال في مسالك الابصار : وموضوعها قراءة الكتب الواردة

على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها وتصريف المراسيم ورودا وصدورا والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها فيما كان يوقع عليه قلم الوزارة إلى أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقصاد وأخذ علامة السلطان على مناشير الاقطاعات والمراسيم التي تكتب من ديوان استيفاء الخاص وغيره . ولكاتب السر أتباع من كتاب الدست وكتاب الدرج وغيرهم ممن قد تقدم ذكره في الكلام على ديوان الانشاء فى مقدمة الكتاب

الثالثة ، نظر الخاص ـ وهى وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان . قال في مسالك الابصار : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، بل كان قد صار اليه فى زمن تعطيل الوزارة تدبير جملة الامور وتعيين المباشرين ، قال ، وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان

الرابعة ، نظر الجيش ـ وموضوعها التحدث فى أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه وهى وظيفة جليلة رفيعة المقدار وديوانها أول ديوان وضع فى الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة عشرين من الهجرة ولناظر الجيش أتباع أجلهم صاحب ديوان الجيش وعادته إذا كان نائب كافل أن يكون عنده ملازما لبابه

الخامسة ، نظر الخزانة ـ قال فى مسالك الابصار : وكانت الخزانة أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة فلما استحدثت وظيفة الخاص صغر أمر الخزانة وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه ، لانه لم يكن بها الآن إلا خلع تخلع منها او ما يحضر عليها و يصرف أولا فأولا ، قال ، وفى الغالب يكون ناظرها من القضاة او من يلتحق بهم . قال : وقد صارت العمدة الآن على خزانة ديوان الخاص . ولناظر الخاص اتباع من الكتاب كغيرها من الدواوين

السادسة ، نظر البيوت والحاشية ـ وهو نظر جليل . وكل ما يتحدث فيه الاستادار يشاركه في التحدث فيه

السابعة ، نظر بيت المال ـ وموضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف

. فيه تارة قبضا وتارة صرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا. قال في مسالك :الابصار ولا يليها الا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة

الثامنة، نظر الاصطبلات السلطانية -- وموضوعها التحدث في انواع الحيوان الحاصلة من الخيل والبغال وغيرها مما يتعلق بذلك وضبط عدتها وعليقها وما لها من الاستعمالات والاطلاقات وكل ما يبتاع لها أو يباع منها وأرزاق المستخدمين فيها ونحو ذلك

التاسعة، نظر دار الضيافة والاسواق - وموضوعها التحدث فى امر ما يتحصل من أسواق الرقيق والخيل ونحوهما وصرف ذلك في كلفة من يرد الى الأبواب السلطانية من رسل الملوك ونحوهم وصرف مرتبات مقررة لاناس فى كل شهر. والتحدث فيها راجع الى الدوادار وللوزير المشاركة معه في المتحصل فى شيء مخصوص

العاشرة، نظر خزائن السلاح - وموضوعها التحدث على ما يستعمل من السلاح. وعادته ان يجمع ما يتحصل من كل سنة ويجهز فى يوم معين ويحمل على رءوس الحمالين الى خزائن السلاح بالقلعة فيخلع عليه وعلى رفقته من المباشرين

الحادية عشرة، نظر الاملاك الخاصة بالسلطان من ضياع ورباع وغير ذلك

الثانية عشرة، نظر البهار والكارمي - هكذا هو موجود فى الدواوين، قالوا، ولا معنى له في اللغة؛ ويقال ان أصله الكانمي، بالنون نسبة الى الكانم فرقة من السودان على ما سيأتى بيانه في المكاتبات ان شاء الله تعالى. وذلك أن طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر شأنهم المتجر فى البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم، وهو صفة لمحذوف، والتقدير والمتجر الكارمي. وموضوعها التحدث على واصل التجار من هذه الاصناف وهي وظيفة جليلة تارة تضاف الى الوزارة وتارة تفرد عنها

الثالثة عشرة، نظر الاهراء - وهي شونة الغلال السلطانية التي يتحدث عليها الوزير وموضوعها التحدث فيما يصل اليها من النواحي من الغلال وفيما يصرف منها على الاصطبلات السلطانية والمناخات وغيرها

الرابعة عشرة، نظر المواريث الحشرية -- وموضوعها التحدث على ديوان المواريث ممن يموت ولا وارث له أو له وارث لا يستغرق ميراثه، مع التحدث في أطلاقات جميع

الموتى من المسلمين وغيرهم

الخامسة عشرة ، نظر المرتجعات ـ وموضوعها التحدث على ما يرتجع ممن يموت من من الامراء ونحو ذلك . وقد رفضت هـذه الوظيفـة وتركت وتعطلت ولا تبها فى الغالب، وصار أمر المرتجعات موقوفاً على من توفى المرتجع، وهو الذى يفصل فى المحا كمات الديوانية ويقضى فى الاقطاعات ونحوها

السادسة عشرة ، نظر الجهات ـ وموضوعها التحـدث في امر جهات الوزارة من متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال ونحو ذلك . . . قلت : ووراء هـذه الوظائف وظائف صغار لاحاجة الى استيفائها

﴿ المقصد السابع ﴾

فى هيئة السلطان مما هو مأخوذ عن مسالك الابصار . وله سبع هيئات

﴿الهيئة الاولى﴾ هيئته فى جلوسه بدار العدل لخلاص الحقوق وازالة المظالم ـ قال في مسالك الابصار: عادة هذا السلطان اذا كان في القلعة فى غير شهر رمضان ان يجلس بكرة يوم الاثنين بأيوانه الكبير المسمى بدار العدل على الكرسي الذى هو موضوع تحت سرير الملك ويجلس على يمنته قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ، ثم وكيل بيت المال ، ثم الناظر فى الحسبة : ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة حلقة دائرة . وان كان الوزير من ارباب الاقلام كان بينه وبين كاتب السر ، وان كان من أرباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية ارباب الوظائف ، ويقف من وراء السلطان مماليك صغار عن يمينه و يساره من السلاح دارية والجمدارية والخاصكية . و يجلس على بعد قدر خمسة عشر ذراعاً من يمنته و يسرته ذوو السن من أكابر المئين وهم امراء المشورة ، وخلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادرية لاحضار قصص ارباب الضرورات واحضار الشاكين وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه الى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر الجيش . ويأمر فى البقية بما يرى . قلت : وقد استقر الحال على ان يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الاربعة وهما الشافعى ثم المالكي وعن يساره قاضيان وهما الحنفي ثم الحنبلى

ويلى القاضي المالكى من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة : الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ، ويليهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب، و يليهم وكيل بيت المال اذا علا قدره على المحتسب بعلم أو رياسة، ثم المحتسب و يصيرون صفاً واحداً عن يمين السلطان مستدبرين جدار الأيوان مستقبلين بابه والقاضيان الحنفي والحنبلى كذلك من الجانب الايسر، والوزيران كان من أرباب الاقـلام الى جانب الكرسى من الجانب الايسر بانحراف، وكاتب السر يليه وتستدير الحلقة حتى يصير الجالس بها مستدبراً باب الايوان على ما تقدمت الاشارة اليه فى مسالك الابصار . فأذا انقضى المجلس خرج أرباب الاقلام جملة ويمد السماط فى الايوان وتجلس الامراء والمماليك السلطانية على السماط على قدر مراتبهم علي التعاقب . قال فى مسالك الابصار : وذلك في يوم الخميس فى مثل هذه الهيئة إلا أن السلطان لا يتصدى فيه لسماع القصص ولا يحضر أحد من القضاة وناظر الجيش والموقعين الا إن عرضت حاجة لأحد منهم وان كان جلوسه لقدوم رسل من احد الملوك كان جلوسه على السرير الذى هو تخت الملك وربما جلس عليه عند أخـذ البيعة بالسلطنة ونحو ذلك من المهمات

﴿ الهيئة الثانية — هيئته فى بقية الايام ﴾ عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الايام أن يخرج من قصوره الجوانية الى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ثم تارة يجلس على تخت الملك الذى بصدره وتارة يجلس على الارض وتقف الامراء حوله كما فى الجلوس فى الأيوان خلا أمراء المشورة والقرناء فأنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس الا من دعت الحاجة الى حضوره . ثم يقوم فى الثالثة من النهـار فيدخل الى قصوره الجوانية بمصالح ملكه ويعبر عليه بها خاصته من ارباب الوظائف كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش في الاشغال المتعلقة به علي ما تدعو الحاجة اليه

﴿ الهيئة الثالثة ـ هيئته فى صلاة الجمعة والعيدين ﴾ أما صلاة الجمعة فأن عادته أن يخرج الى الجامع ومعه خاصة أمرائه ويدخل من أقرب أبواب الجامع الى القصر فيصلى فى مقصورة الجامع عن يمين المحراب ويصلى عنده أكابر خاصته و يجىء بقية الامراء خاصتهم وعامتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها وشمالها على مراتبهم . فاذا فرغ من الصلاة دخل الى دور حريمه وذهب الامراء كل واحد الى مكانه

وأما صلاة العيدين فعادته ان يركب من باب قصره وينزل من منفذه الى الاصطبل الى الميدان الملاصق له وقد ضرب له فيه دهليز على اكمل ما يكون من الهيئات ويحضر فيه خطيب جامع القلعة الى الميدان فيصلى فيه العيد ويخطب، فاذا فرغ من سماع الخطبة ركب فرساً بكنبوش ورقبة من زركش وخرج من باب الميدان والامراء والمماليك يمشون حوله والعصائب السلطانية على رأسه والغاشية محمولة أمامه والجنز محمول على رأسه مع أحد أكابر الامراء المقدمين وهو راكب فرساً الى جانبه والأوجاقيان الجمتة راكبان امامه وخلفه الجنائب وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه والطبردارية امامه مشاة بأيديهم الاطبار ويطلع من باب الاصطبل الى الأيوان الكبير الذى يجلس فيه في يومي الاثنين والخميس ويمد السماط ويخلع على حامل الجنز وأمير السلاح والاستادار والجاشنكير وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كنواب استادار وصغار الجاشنكير وناظر البيوت ونحوهم

﴿ الهيئة الرابعة — هيئة الركوب للعب الكرة بالميدان الأكبر ﴾ عادته ان يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية فى كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الاصطبل وهو راكب على الهيئة المذكورة فى العيد ما عدا الجنز فأنه لا يحمل على رأسه وتحمل الغاشية أمامه فى أول الطريق وآخره ويصير الى الميدان فينزل فى قصوره وينزل الامراء منازلهم على قدر طبقاتهم في جوانب الميدان ثم يركب للعب الكرة الى أذان العصر ويرمي الجوكان قصدا فمن بادر فنزل لمناولته خلع عليه عند الطلوع فركب على الهيئة التى كان عليها فى أول النهار ويطلع الى قصره بالقلعة ويخلع على اكابر الامراء الخلع النفيسة من الأقبية المفرّج واكثر ما يكون ذلك في الموكب الثالث وفى الثاني دونه ... قلت : وقد ترك هذا الركوب من أثناء سلطنة الظاهر برقوق الثانية واستمر الحال على ذلك الى الآن وفات بذلك أبهة عظيمة من أبهات الملك

﴿ الهيئة الخامسة — هيئة الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل ﴾ تارة يكون الذى يتصدى لكسر الخليج هو السلطان نفسه وتارة بعض أكابر أمرائه كالنائب ونحوه فأن كان هو الذى يتصدى لذلك فلم تجر العادة ان يركب فيه بمظلة ولا رقبة فرس ولا غاشية ولا مافي معنى ذلك بل يقتصر على السناجق والطبردارية والجاويشية ونحوها.

ويركب من القلعة عند طلوع أمين المقياس بالوفاء فيدخله من بابه ويجلس فيه فيمد هناك سماط يأكل منه من معه من الامراء وغيرهم ثم يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويخلق به المقياس على العادة وتكون قد زينت حراقة السلطان الكبرى المعروفة بالذهبية وحراقته الصغرى وحراريق الامراء باحسن الزينة، وينصب الستر على شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط فيؤتى بحراقة السلطان الصغرى الى الشباك الذى عليه الستر فينزل فيها السلطان منه وتسير حراقته الى جهة فم الخليج وحوله حراقته الذهبية وحراريق الامراء وما لا يحصى من مراكب المتفرجين حتى يصل الى السد فيكسره ويركب من هناك وينصرف الى قصره

﴿الهيئة السادسة — هيئته فى أسفاره﴾ جرت عادته اذا اراد سفرا أن يركب في عدة كبيرة من أمرائه الأكابر والأصاغر وخواص مماليكه . ولا يركب فى السير برقبة ولا عصائب ولا يتبعه جنائب ويقصد فى الغالب تأخير النزول الى الليل فأذا دخل الليل حملت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل فأذا قارب مخيمه تلقى الشموع المركبة في الشمعدانات المكفتة ويصيح الجاويشية بين يديه ويترجل الناس كافة الاحملة السلاح والأوجاقية وراءه ويمشى الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز الاول من مخيمه فينزل ويدخل الى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق الذى يبيت فيه وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور خركاه من خشب وفى صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للمبيت فيه وينصب بأزاء الشقة حمام بقدور من رصاص وحوض على هيئة حمام المدن . فأذا نام طافت به المماليك دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز فى كل ليلة مرتين عند نومه وعند استيقاظه من النوم ومعها امير من أكابر الأمراء وحوله الفوانيس والمشاعل ويبيت على باب الدهليز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم . فأذا دخل الى مدينة ركب على هيئة ركوبه فى صلاة العيد بالمظلة والرقبة والغاشية ويكون فى حال السير جمهور مماليكه معهم مقدم المماليك والاستادار وأمامهم الجنائب والهجن ويكون صحبته في السفر كل من يحتاج اليهم من الاطباء والكحالين وأنواع الادوية والاشربة وما يجرى مجرى ذلك لمن يعرض له مرض في الطريق

﴿الهيئة السابعة .. هيئته فى نومه﴾ جرت العادة ان يبيت عنده خواص مماليكه

من الامراء وأرباب الوظائف من الجدارية وغيرهم يسهرون عليه بالنوبة مقسمة بينهم مقادير معلومة بمناكيب الرمل كلما انقضت مدة قوم ايقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم ويتعاني كل منهم مايشاغله عن النوم فقوم يقرؤن في المصاحف وقوم يلعبون بالشطرنج (وآخرون يتلاهون) بالأكل وغير ذلك

﴿ المقصد الثامن ﴾

﴿ في عادته في اجراء الارزاق وهي على سبعة أنواع ﴾

﴿النوع الاول — الاقطاعات﴾— اعلم ان الاقطاعات فى هذه المملكة تجرى على الامراء والجند. وعامة اقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيف شاء وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل. ويختلف الحال فيها باختلاف حال أربابها . فأما الامراء بالديار المصرية فقد ذكر في مسالك الابصار أن أكابر الامراء يبلغ اقطاع الواحد منهم ٢٠٠,٠٠٠ دينار جيشية وربما زاد على ذلك ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة الى ٨٠,٠٠٠ دينار ويبلغ اقطاع الواحد من امراء الطبلخانات ٣٠,٠٠٠ دينار فأكثر وينقص الى ٢٣,٠٠٠ دينار. ويبلغ اقطاع الواحد من امراء العشرات ٩٠٠٠ دينار الى مادون ذلك. ويبلغ اقطاع الواحد من مقدمى الحلقة ١,٥٠٠ دينار . ولجميع الامراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم والتوابل والخبز والعليق والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشمع وكذلك المماليك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصياتهم بالسلطان . قال في مسالك الابصار : واذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنانير وخبز ولحم الى أن يتأهل للاقطاع فى جملة الحلقة ثم منهم من ينقل الى امرة العشرة والطبلخاناه على حسب الحظوظ والارزاق

واما اقطاعات الشام فقد قال فى مسالك الابصار انها لاتتقارب بل تكون بقدر الثلثين فى جميع ما تقدم خلا اكابر الامراء المقدمين بالديار المصرية فليس فى الشام من يبلغ شأوهم الا نائب الشام فانه يقاربهم فى ذلك — قلت : والدنانير الجيشية الموزعة على الاقطاعات بمصر والشام يتفاوت متحصلها بحسب العمارة والخراب فربما

كان متحصل القليل منها بقدر أضعاف الكثير

﴿ النوع الثاني — رزق أرباب الاقلام ﴾ وهو مبلغ يصرف لهم مشاهرة . قال في مسالك الابصار : وأكبرهم كالوزير له في الشهر ٢٥٠ دينارا جيشية ومن الرواتب والغلة ماإذا بسط وثمن كان مثل ذلك ثم دون ذلك ودون دونه ولأعيانهم الرواتب الجارية من اللحم والخبز والعليق والشمع والسكر والكسوة ونحو ذلك الى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والاراضي المؤبدة وما يجرى مجراها يتوارثه الخلف عن السلف مما لايوجد مثله بمملكة من الممالك

﴿ النوع الثالث — الخلع والتشاريف ﴾ وكان المعنى بالخلع ان السلطان يخلع من ملبوسه فيلبسه غيره ومعنى التشاريف ظاهر، والمراد ان السلطان يشرف من يلبسه بما يلبسه . قال في مسالك الابصار : ولصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى كاد ذلك ينهك المملكة ويودى بمتحصلاتها عن آخرها ، قال ، وغالب هذا مما قرره سلطاننا ، يعني الناصر محمد بن قلاوون، ولقب أتعب من يجئ بعده من كثرة الاحسان. وهي على ثلاثة أصناف : تشاريف أرباب السيوف ، وتشاريف الوزراء والكتاب، وتشاريف القضاة والعلماء .فأما تشاريف أرباب السيوف فعلى طبقات :

الأولى ، وهي أعلاها — المختص بالامراء المقدمين من النواب وغيرهم . وهي فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش مفرى بسنجاب بدائر سحف من ظاهره مع غشاء قندس، وتحته قباء اطلس أصفر وكلوته زركش بكلاليب ذهب وشاش رفيع موصول بطرفين من حرير أبيض مرقومين بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ومنطقة، ذهب مركبة على حاشية حرير تشد في وسطه . ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب: فأعلاها ان يعمل من عمدها بوا كيروسطاو مرصعة بالبلخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة، ثم ما كان ببيكارية واحدة من غير ترصيع، فأن كان التشريف لتقليد ولاية مفخمة زيد سيفا محلى بذهب وفرسا مسرجا ملجما بكنبوش زركش وربما زيد أكابر النواب كنائب الشام تركيبة زركش على العباء الفوقاني وشاش حرير سكندرى مموج بالذهب و يعرف ذلك بالمتمر. وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة من بقايا الملوك الأيوبية ويكون عوض كنبوشه زناري أطلس أحمر . ودون ذلك من التشاريف

اقبية طرد وحش من عمل الاسكندرية ومصر والشام مجوخ جاخات مكتوبة بألقاب السلطان وجاخات صور وحوش او طيور صغار النقش وجاخات ملونة ممومجة بقصب مذهب يفصل بين جاخاته نقوش يركب على القباء طراز زركش مسنجب مقندس كما تقدم وتحته قباء طرح سكندرى مفرج وكاونه زركش بكلاليب وشاش كما تقدم وحياصة ذهب تارة تكون بيبكارية وتارة بغير بيكارية . وهذه التشار يف لأصاغر أمراء المئين ومن يلتحق بهم . ودون ذلك كنجى نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما سنجاب مقندس كما تقدم الا أن الحياصه والشاش لا يكونان بأطراف رقم بل بأطراف مجوخة أخضر وأصفر مذهب بغير بيكارية . ودون ذلك محرم لونه واحد والبقية على ما تقدم خلا الكلوتة والكلاليب . ودون ذلك كنجي بلون واحد بسنجاب مقندس والبقية على ما تقدم وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكاران يكونان خاليين منه بالجلة و يكون بغير حياصة . ودون ذلك محرم بقندس وتحته قباء يكون بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق وغير ذلك من الألوان وسنجاب وقندس . وتحته قباء نقش إما أزرق أو أخضر أو شاش ابيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره ثم مادون هذا من هذا النوع ولا بد من تنقيص قباء

ثم تشاريف أخرى في أوقات مخصوصة تكون اقبية من الحرير والكنجى أو نحوه

وأما تشاريف الوزارة والكتاب فأجل تشاريفهم كنجى أبيض مطرز برقم حرير ساذج وسنجاب وقندس والقندس مبطن بسنجاب وتملأ الاكمام به وتحته كنجى أخضر وبقيار كتان من عمل دمياط مرقوم وطرحة ودون ذلك عدم تبطين القندس بالسنجاب واخلاء الاكمام منه، ودون ذلك ترك الطرحة، ودون ذلك ان يكون التحتانى محرما، ودون ذلك أن يكون الفوقانى من نوع الكنجى لكنه غير أبيض وتحته تحتانى طرح أو ما يجرى مجرى ذلك ودون ذلك أنواع أخرى ولأجلائهم كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص تشاريف أخرى من جباب من الحرير الكنجي السكندرى الخاص بطراز من الزركش المزهر بالريش الازرق بغير طرحات

وأما تشاريف القضاة والعلماء فمن الصوف الابيض بغير طراز بطرحة . وأجلها أن يكون الفوقانى أبيض وتحته أخضر وما دون ذلك على ما تقدم

واعلم أن للتشاريف أماكن يقع اللبس فيها . منها اذا ولى أمير أو صاحب منصب وظيفة فيلبس تشريفا يناسب تلك الولاية . ومنها عيد الفطر يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف من الامراء وأرباب الاقلام كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم كل منهم بما يناسبه . قال في مسالك الابصار : ومن عادة السلطان ان يعد لكل عيد خلعة على انها للمبوسه من نسبة خلع اكابر المئين فلم يلبسها ولكن يختص بها بعض امراء المئين يخلعها عليه . ومنها الميادين : يخلع فيها على اكابر الامراء كل ميدان يختص بأمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب . ومنها دورة المحمل في شوال : يخلع فيه على أرباب الوظائف كناظر الكسوة ومباشريها كالقاضى والناظر والمحتسب والشاهد والمقدمين ومن في معناهم

﴿ النوع الرابع — الخيل ﴾ قال في مسالك الابصار : وقد جرت عادة صاحب مصر ان ينعم علي أمرائه بالخيول مرتين فى كل سنة . أما المرة الاولى فعند خروجه الى مرابط خيوله على الفرط في أواخر ربيعها ينعم على الاخصاء من امرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمة بكنابيش من زركش ، وخيول امراء الطبلخاناه عريا من غير قماش . وأما المرة الثانية فعند لعب الكرة بالميدان الكبير وتكون خيول امراء المئين والطبلخاناه مسرجة ملجمة بفضة يسيرة بلا كنابيش وكذلك يرسل الى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه وليس لأمراء العشرات فى ذلك حظ الا ما يتفقدهم به على سبيل الأنعام ، قال ، ولخاصة المقربين من الامراء المقدمين والطبلخاناه زيادات فى ذلك بحيث يصل بعضهم الى مائة فرس فى كل سنة وله أوقات اخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه . وربما اعطى بعض مقدمي الحلقة وكل من مات له فرس من مماليكه دفع اليه عوضه . وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من أكابر الامراء عند الخروج الى الصيد ونحوه ولخيول الامراء في كل سنة اطلاقات اراض بالاعمال الجيزية ازرع القرط لخيولهم من غير خراج وللمماليك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم وما يدفع اليهم من ذلك يكون بدلا من العليق الراتب من الشعير فى غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله لمدة ثلاثة اشهر

﴿ النوع الخامس — الكسوة ﴾ قدجرت عادته ان ينعم على مماليكه وخواص اهل المناصب من أرباب الاقلام في كل سنة بكسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف على قدر مراتبهم وانه اذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الامراء المقدمين يفرق فى كل موكب ميدان على أميرين بالنوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ماتقع نوبته في ذلك، قال في مسالك الابصار ، أما امراء الشام فلاحظ لهم من الانعام في أكثر من قباء واحد يلبس فى وقت الشتاء الا من تعرض لقصد السلطان فأنه ينعم عليه بما تقتضيه حالته

﴿ النوع السادس — الانعام والادرار ﴾ وليس له قدر معين بل هو بحسب مزية المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في مسالك الابصار : ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات كالعقارات الضخمة التي ربما انفق على بعضها فوق مائة الف دينار ، وكساوى القماش المنوع ، وفى أسفارهم فى وقت خروجهم الى الصيد العلوفات والاموال الجمة . واذا خرج الى العيد أنعم على أكابر الامراء المقدمين سنا وقدرا كل واحد منهم بألف مثقال من الذهب . ولكل من يرد عليه أو يهاجر اليه من مملكة أخرى انواع الأدرارات والارزاق والانعام الذى لا يبلغه أهل البلاد وكذلك التجار الذين يجلبون المماليك والبضائع ويبيعونها عليه لهم الرواتب الدائمة والمسامحات والاطلاقات ولكل من باع عليه ولو رأسا واحدا من الرقيق خلعة مكملة بحسب حالته خارجا عن الثمن والانعام . وكذلك جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد العرب لهم من ذلك الحظ الوافر وربما أعطى عن الفرس الواحد نظير ثمنه عشر مرات أو أكثر خارجا عن الخلع والرواتب والمسامحات التى تكتب لهم . وكذلك البازدارية بالجوارح ومن يجرى مجراهم لهم عوائد فى كل سنة عند الاصطياد جارية لا تنقطع

﴿ النوع السابع — المأكول والمشروب ﴾ أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالايوان الكبير أيام المواكب اذا خرجت القضاة وسائر أرباب الاقلام من الخدمة مد السماط بالايوان الكبير من أوله الى آخره بأنواع الاطعمة الفاخرة ويجلس السلطان على رأس الخوان والامراء يمنة ويسرة على قدر مراتبهم فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون ويجلس من دونهم طائفة فطائفة ثم يرفع الخوان . وأما بقية الايام فيمد

الخوان بالقصر فى طرفي النهار لعامة الامراء خلا البرانيين فانه لايحضر منهم الا القليل النادر ففى أول النهار يمد سماط لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سماط ثان بعده قد يأكل منه وقد لا يأكل ، ثم سماط ثالث بعده يسمى الطارئ ومنه مأكول السلطان وفى أخريات النهار يمد سماطان الأول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعي بطارئ حضر والا فيحسب مايؤمر به وفي كل هذه الاسمطة يسقى بعدها المشروب من الاقسما السكرية عقب الأكل وأما في الليل فيبيت بالقرب من مبيته اطباق من أنواع المآكل المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل اصحاب النوب بالأكل والشرب عن النوم . قال في مسالك الابصار : ولكل ذى إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحلوى فى شهر رمضان والاضحية فى عيد الاضحى على مقادير رتبهم

﴿ المقصد التاسع ﴾

فى انهاء الاخبار الى السلطان وهو على ثلاثة أنواع :

الأول ، أخبار الملوك الواردة عليه مكاتباتهم ـ جرت العادة أنه اذا وصل رسول من ملك من الملوك الى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان يعرفه بوفوده و يستأذنه فى أشخاصه اليه فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فأن كان مرسله ذا مكانة عظيمة من الملوك كأحد القانات من ملوك الشرق خرج بعض أكابر الامراء كالنائب وصاحب الحجاب ونحوهما للقائه وأنزل بقصور السلطان بالميدان الكبير الذى يلعب فيه بالكرة وهو أعلي منازل الرسل. وان كان دون ذلك تلقاه المهمندار واستأذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو بعض الاماكن على قدر رتبته ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بأيوانه ويحضر أعيان المملكة الذين شأنهم الحضور من أرباب السيوف والاقلام ويحضر ذلك الرسول وصحبته الكتاب الوارد معه فيقبل الارض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه الرسول ثم يدفعه الى السلطان فيفضه ويدفعه الى كاتب السر فيقرؤه على السلطان ويأمر فيه بما يراه

الثاني ، الاخبار التى ترد عليه من جهة نوابه ـ عادة هذا السلطان ان يطالعه نوابه فى مملكته بكل ما تجدد عندهم من مهمات الامور أو ما قاربها ونؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الانشاء بما يراه في ذلك او يبتدئهم هو بما يقتضيه رأيه وينفذ

على البرد أو اجنحة الحمام الرسائلى وقدجرت العادة أنه اذا ورد بريد من بلد من بلاد المملكة او عاد المجهز من الابواب الشريفة بجواب أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل الارض ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفضه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمرفيه بأمره . وأما بطائق الحمام فأنه اذا وقع طائر من الحمام الرسائلى ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادار فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ثم يحملها الى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرؤها كما تقدم

الثالث ، أخبار حاضرته — جرت العادة ان والى الشرطة بالحضرة يستعلم متجددات ولايته فى كل يوم من نوابه ثم يكتب مطالعة جامعة بذلك تحمل الى السلطان صبيحة كل يوم فيقف السلطان عليها. قال في مسالك الابصار : أما ما يقع للناس في أحوال أنفسهم فلا

(المقصد العاشر)

(فى هيئة الامراء بالديار المصرية وترتيب امرتهم)

واعلم أن كل أمير من أمراء المئين والطبلخاناه سلطان مختصر في غالب أحواله : فلكل منهم استادار ورأس نوبة ودوادار وأمير مجلس وجمدارية وأميراخور واستادار صحبة ومشرف وبيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناه والفراش خاناه والركاب خاناه والزردخاناه والمطبخ والطبلخاناه . أما الحوائج خاناه فأنها مختصة بالسلطان . ولكل بيت من هذه البيوت مهتار متسلم لحاصله وتحت يده رجال وغلمان لكل منهم وظيفة مختصة وكذلك لكل منهم الحواصل من اصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال . قال في مسالك الابصار : ومن رسم الامراء ان يركب الامير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مسرج ملجم وربما ركب الامير من أكابرهم بجنيبين فى الحاضرة كان أو فى البر ويكون لكل منهم طلب يشتمل على أكثر مماليكه وللطبلخاناه قدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب على جمل آخر وقد يكون على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وامام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدى مماليك راكبة على الخيل والهجن وركابة من العرب على هجن وامامهم الهجن والبخاتى مجنوبة، للطبلخاناه قطار واحد وهو أربعة وركوب الهجان، وللألف قطاران وربما زاد بعضهم . وعدد

الجنائب في كثرتها وقلتها الى رأي الامير وسعة نفسه وتلك الجنائب منها ملجم ومسرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير. ومن عادة امراء العسكر بالحضرة السلطانية انهم يركبون في يوم الاثنين والخميس في الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل ان كان، وإلا فعلى حاجب الحجاب، ويسيرون تحت القلعة مرات، ثم يقفون بسوق الخيل، ثم يطلعون الى الخدمة على ما تقدم؛ فإذا انقضت الخدمة يخرج النائب ويذهب الى دار النيابة فيجلس بها ويمد عنده السماط كما يمد عند السلطان ويأكل عليه الامراء، ثم يجلس في شباك النيابة ويحكم بين الناس ويأخذ القصص ويكتب عليها وعلى المناشير وما يجرى مجراها

(المقصد الحادي عشر)

في ولاية الامور بالوجهين القبلي والبحرى، وهي على اربع طبقات:

﴿الطبقة الاولى، النيابات﴾ وهي ثلاثة الاولى: نيابة السلطان بثغر الاسكندرية المحروس. وهي نيابة مستحدثة، استحدثت في سنة ٧٦٧ بعد طروق الفرنج الاسكندرية، وكانت قبل ذلك ولاية طبلخاناه ونائبها من الامراء المقدمين في رتبة نائب طرابلس وحماه. وبها كرسي السلطان مرصع مغشي بالحرير الاصفر يوضع عليه نمجاه ويمد السماط تحته في أيام المواكب بعد نزول النائب من ركوبه في الموكب، وبها حاجب أمير عشرة وحاجب جندى وأجناد حلقة مائتا فارس يعرفون بأجناد المائتين، وبها قاضي قضاة مالكي وقاض حنفي مستحدث وربما كان بها قاض شافعي والمالكي بها أكبر الكل وهو المتحدث في أموال الايتام والأوقاف، وبها موقع يعبر عنه فيها بكاتب السر، وناظر يتحدث في في الأموال الديوانية من جهة الخاص ومعه مستوف وكتاب وشهود، وبها محتسب، وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل ولا وكيل بيت مال بل نائب عن وكيل بيت المال بالقاهرة، ويركز بها الامراء من المقدمين والطبلخاناه في غير زمن امتناع سير المراكب الحربية في البحر لشدة الريح. وبها وال للبر يسمى الحاجب غير والى المدينة، وليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيها ولا محتسبها (بل حكمهم قاصر على المدينة)

الثانية، نيابة الوجه البحرى — وهي مما استحدث في الدولة الظاهرية برقوق وكان بها قبل ذلك كاشف يسمى « والى الولاة بالوجه البحرى » ومقر ولايتها مدينة دمنهور الوحش. ونائبها من الأمراء المقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكر بغزة من البلاد

الشامية، وهو يحكم على الوجه البحرى خلا الاسكندرية، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها . وليست على قاعدة النيابات فى ترتيب حجاب ولا ركوب مواكب، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس نائبها تشريف النواب وكتابة التقليد وكتابة الكتب اليه بما يكتب به الى النواب

الثالثة ، نيابة الوجه القبلى — وهي مما استحدث فى الدولة الظاهرية برقوق أيضاً وكان بها قبل ذلك كاشف طبلخاناه يسمى « والى الولاة » كما في الوجه البحرى، ومقر ولايتها مدينة اسيوط من الوجه القبلى . ونائبها يحكم علي جميع الوجه القبلى . وهو فى الترتيب والرتبة على ما تقدم من نيابة الوجه البحرى، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها

﴿ الطبقة الثانية ، الكشاف ﴾ — قد تقدم انه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بكل منهما كاشف يسمى والى الولاة . أما الآن فان بالوجه البحرى خاصة كاشفا من امراء الطبلخاناه على العادة المتقدمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى . وربما جعل للفيوم كاشف بمفرده، وربما أضيف اليه البهنساوية وربما أضيف اليه (الجيزية) أيضاً

﴿ الطبقة الثالثة ، الولاة بالوجهين القبلى والبحرى ﴾ ومراتبهم لا تخرج عن مرتبتين: المرتبة الاولى ، الولاة من أمراء الطبلخاناه — وهى سبع ولايات بالوجهين البحرى والقبلي على ما استقر عليه الحال ، وكل من ولاتها يكتب اليه فى خلاص الحقوق وغيرها . فأما الوجه البحرى ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة وهي : ولاية الشرقية، ومقر واليها مدينة بلبيس ؛ وولاية المنوفية ، ومقر واليها مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر واليها مدينة المحلة ، وهي أعلى رتبة ؛ وولاية البحيرة ، ومقر واليها مدينة دمنهور الا انها قد عطلت باستقرارها نيابة . وقد تقدم ان الاسكندرية قبل ان تستقر نيابة كانت ولاية طبلخاناه ، * وأما الوجه القبلى ففيه ثلاث ولايات من هذه المرتبة وهي: ولاية البهنساوية ، ومقر ولايتها مدينة البهنسا ؛ وولاية الاشمونين، ومقر ولايتها مدينة الاشمونين . وولاية قوص ، ومقر ولايتها مدينة قوص وهي أعظم ولايات الديار المصرية قدرا حتى ان واليها كان يركب فى المواكب بالشبابة — قلت : وقد استحدثت ولاية اسوان وكانت قبل ذلك تحت امر والى قوص، ثم هي تارة تستقر وتارة تبطل

وتارة تكون كشفا * المرتبة الثانية، الولاة من الامراء العشرات — وهي سبع ولايات بالوجهين. فأما الوجه البحرى ففيه ثلاث ولايات من هذه الرتبة، وهي : ولاية الدقهلية والمرتاحية، ومقر ولايتها اشموم الرمان، وولاية دمياط، وليس لها عمل، وولاية قطيا وكانت قبل ذلك طبلخاناه وليس لها عمل أيضاً وانما هي للمطالعة بالصادر والوارد كما تقدمت الاشارة اليه * وأما الوجه القبلي ففيه اربع ولايات من هذه المرتبة ، وهي: ولاية الجيزة وكانت قبل ذلك طبلخاناه؛ وولاية اطفيح ، ولم تزل إمرة عشرة وولاية منفلوط وهي الآن امرة عشرين ؛ وقد كان بعيذاب في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما والاها وال أمير عشرة يولى من قبل السلطان ويراجع والى قوص فى الامور المهمة جريا على ما كان عليه الامراء اولا في زمن الخلفاء الفاطميين وقد بطل ذلك الآن

﴿ الطبقة الرابعة ، أمراء العربان بنواحى الديار المصرية ﴾ — قد ذكرنا فى الاصل أصول أنساب العرب ونباثاتهم واقتصرنا في « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » المؤلف للمقر الاشرف الناصرى البارزى والد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب على ذكر الموجودين منهم الآن . والمقصود هنا ذكر أمراء العربان بالوجهين البحرى والقبلي . فأما الوجه البحرى فقد ذكر الحمدانى ان الامرة فيه كانت في خمسة أعمال: الاول الشرقية ، قال الحمدانى ، والامرة فيها فى قبيلتين ثعلبة وجذام . وقد ذكرنا فى الاصل من كانت فيه الامرة من كل من القبيلتين ـ قلت : وقد آل أمرها في زماننا فى ثعلبة فى بنى علوية وفى جذام في بقر ثم صارت الى بنيه * الثانى المنوفية ـ والامرة فيه لأولاد نصير الدين وهم مستمررن الى الآن ولكن قد صارت امرتهم الى معنى مشيخة العرب * الثالث الغربية ، والامرة فيه فى أولاد يوسف من الخزاعلة من سنبس من طيء ومقرتهم سخا من الغربية وهي باقية فيهم الى الآن إلا أنها في معنى مشيخة العرب أيضاً * الرابع البحيرة وقد ذكر فى التعريف ان الامرة فيه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون كانت لخالد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم . قال في مسالك الابصار : وكانا سيدين جليلين ذوى كرم وأمن بلاد ـ قلت : والامرة الآن فى المقادمة من بني فايد بن مقدم * الخامس برقة . وقد ذكر فى التعريف أنه لم يبق الى زمنه من أمراء برقة الا جعفر بن عمر وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ومخاشنة وليان

والجيوش فى كل وقت تمد اليه وقل أن تظفر منه بطائل أو رجعت منه بمغنم ، ثم قال ، وآخر أمره أنه ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطـان لائذاً بالعفو ووصل ولم يسبق به خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذن له المستأذن عليه وهو في جملة الوقوف بالباب فأكرم اتم الكرامة وشرف بأجل التشاريف وأقام مدة فى قرى الاحسان واحسان القرى وأهله لا يعلمون ماجرى ولا أين يمم ولا الى أي جهـة لجأ حتى أتتهم وافدات البشائر منه فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك الينا ؟ قال : خشيت أن يقولوا بفتك بك السلطان فأتثبط فاستحسن قوله وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد الى أهله فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو — قلت : وقد آلت الامرة فى برقة الى عمر بن عريف وهو رجل دين ، وكان أبوه عريف ذا دين متين ، رأيته بالاسكندرية بعد الثمانين والسبعمائة وآثار الخير ظاهرة عليه

وأما الوجه القبلى فقد ذكر الحمداني أن الامرة فيه كانت فى ثلاثة أعمال : الاول عمل البهنسا ، قال ، وكانت الامرة فيه في بيتين : أحدهما بيت أولاد زُعازع من بنى جديدى من بنى بلار من لواتة من قيس عيلان أو من البربر على خلاف فيهم . قال الحمـدانى ، وهم أشهر من فى الصعيد * الثانى اولاد قريش ، قال الحمدانى ، وهم أمراء بنى زيد ومساكنهم نويرة دلاص ، قال ، وكان قريش عبداً صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك — قلت : وبقـايا بنى زعازع موجودون هناك والامرة فيهم الى الآن الا أنها صارت فى معنى مشيخة العرب * الثانى عمل الاشمونين ، وقد ذكر الحمـدانى ان الامرة كانت فيه فى بنى ثعلب من السـلاطة وهم أولاد بنى جحيش من الحيادرة من ولد اسماعيل بن جعفر الصـادق من عقب الحسين السبط ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ، وكانت منازلهم بذروة سربام وغلب عليهـا الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بذروة الشريف من يومئـذ ، واستولى عليها وعلى بلاد الصعيد فى أواخر الدولة الايوبية فلما ملك المعز أيبك التركمانى الديار المصرية جهز له جيوشاً فلم يظفر منه بطائل ، وبقى الى دولة الظاهر بيبرس فنصب له حبائل الحيل وصاده بها وشنقه بالاسكندرية * الثالث عمل قوص ، وقد ذكر الحمدانى أن الامرة فيه فى بيتين من بلى من قضاعة ، من الفحطانية ، أحدهما بيت بنى شاد ، وهم بنو

شادى ، وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بنى شادى ، وربما قيل انهم من بنى امية بن عبد شمس من قريش ؛ والثانى بيت بنى العجيل ، بن الذب منهم أيضاً ، وهم المعروفون بالعجالة وكانوا معهم هناك . واعلم ان المقر الشهابى بن فضل الله قد ذكر فى التعريف أن الامرة فى الوجه القبلى كانت فى زمانه لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقرته ولا قبيلته . وذكر أن الامرة فيما فوق اسوان كانت في قبيلة يقال لهم الحدارية فى سمرة بن مالك وهو ذو عدد جم وشوكة منكية يغزو الحبشة وأمم السودان ويأتي بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وفضل مأثور وفد على السلطان فأكرم مثواه وعقد له لواء شرف بالتشريف وقلد وكتب الى ولاة الوجه القبلى عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزو معه متى أراد وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد وتقليد بأمرة عربان القبلة مما يلى قوص الى حيث تصل غايته وترتكز رايته قلت : وقد كانت الامرة آلت فى طها وما حولها من الاسيوطية الى ابي بكر بن الأحدب وبقيت فى بنيه الى قريب وامراؤهم تكاتب عن الابواب السلطانية . أما الآن فمذ وجهت هوارة من البربر وجهها الى الوجه القبلى مدت رواقها على الصعيد بأسره واستقرت آخرا في بيتين أحدهما : أولاد (عمر محمد) وإخوته ومنازلهم بمنشاة اخميم وما والاها من الاعمال القوصية ، والثاني بنو غريب بدهروط من البهنساوية وما أضيف اليها ، وكل من أمراء البيتين يكاتب عن الابواب السلطانية

﴿ المقصد الثاني عشر[1] ﴾

فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية الى أهل المملكة على ما استقر عليه الحال وهى على ضربين :

---

(١) هذا المقصد ترجم في الاصل بالفصل السادس ، وهو كذلك في القاعدة التى بسط فيها القول على ترتيب الممالك بما فيها الشام والحجاز . ولما جرده المصنف منها ليضعه بعد القول في الديار المصرية مباشرة نقله بترجمته الأصلية وتقسيمه الي قسمين وتقسيم اولهما الي أربعة مقاصد ولكنه لم يبسط منه في هذا الموضع الا المقصد الاول لاختصاصه بالديار المصرية . وترك سائر تقاسيمه ليذكرها في محالها . فرأينا أن نقتصر من تسميته و تقاسيمه على ما رأيت حتى لا يحصل تشويش

﴿ الضرب الاول ﴾

المكاتبات المشتركة . وهي مايشترك فيه الاثنان فأكثر من نواب السلطنة فمن دونهم، وهي على مااستقر عليه عشر مراتب

المرتبة الاولى : « أعز الله تعالى انصار المقر » وهي أعلاها فى حق المكتوب اليه والرسم فيها على ماذكره فى التثقيف: « اعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى المولوي الأميرى الكبيري العالمى العادلى المؤيدي الزعيمى العونى الغياثى المثاغرى المرابطي الممهدى المشيدى الظهيرى العابدي الناسكي الأتابكى الكفيلى الفلاني معز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين أتابك العساكر ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والصدر، مثل ان يقال): ولازال عزه مؤبدا وعزمه مؤيدا وسعده على مر الجديدين مجددا . أصدرناها الى المقر الكريم تهدى اليه من السلام أتمه ومن الثناء أعمه ، وتبدى لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يجمل به الممالك بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى »

قلت : وفى معنى النائب الكافل أتابك العساكر فتكتب اليه: « أعز الله تعالى انصار المقر الكريم » . ويقال فى تعريفه : « أتابك العساكر المنصورة »

المرتبة الثانية : « اعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم » ــ والرسم فيها: « اعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم العالى الأميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العونى الغياثي المثاغري المرابطى الممهدى المشيدى الظهيرى الكافلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : . . . ولازالت عزائمه مؤيدة وأيام سعده مؤبدة وأوامره السعيدة مسددة . صدرت هذه المكاتبة الى الجناب الكريم تهدى اليه سلاما طيبا وثناء مطنبا وتوضح لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجناب الكريم أن يتقدم أمره الكريم بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

قلت : والذى فى التعريف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » بأبدال نصرة بأنصار وكانت هي إذ ذاك أعلى المكاتبات الصادرة عن السلطان الى أهل المملكة

المرتبة الثالثة : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب » ـ والرسم فيها على ما فى التثقيف:
« ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى الأميرى الكبيري العالمى العادلى المؤيدي العونى الزعيمى الممهدي المشيدي الظهيري الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين ... (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل أن يقال) : ... ولا زال قدره عالياً ومدحه متوالياً وجيد الدهر بمحاسنه حالياً . صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالى تهدي اليه سلاما يروق وثناء يشوق وتوضح لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجناب العالى أن يتقدم أمره العالى بكذا وكذا ويحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بالملائك بمنه وكرمه »

المرتبة الرابعة : «أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى» ــ والرسم فيها على ما في التثقيف :
« أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى الأميري الكبيري العالمى العادلى المؤيدي الأوحدي النصيري العونى الهمامى المقدمى الظهيري الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد المملكة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ... (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : ... ولا زال قدره رفيعاً وعزه منيعاً وقطره مريعاً . صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالى تهدي اليه سلاما طيباً وثناء صيباً وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للجناب العالى ان يتقدم أمره العالى بكيت وكيت فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة الخامسة : « أدام الله تعالى نعمة المجلس» ــ والرسم فيها على ما فى التثقيف :
« أدام الله تعالى نعمة المجلس الأميري الكبيري العالمى المجاهدي المؤيدي العوني الأوحدى النصيرى العالمى المقدمى الظهيري الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ... (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : ... ولا زال عالياً قدره نافذا أمره جاريا على الالسنة حمده وشكره . صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى تهدي اليه سلاما وثناء بساما وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا . ومرسومنا للمجلس العالي ان يتقدم أمره المبارك بكذا وكذا فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السادسة: «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى» ــ والرسم فيها على ما فى التثقيف:
« صدرت هذه المكاتبة الي المجلس العالي الأميري الكبيري العضدي الذخري

النصيري الأوحدي العوني المقدمي الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر ذخر الدولة كهف الملة ظهير الملوك والسلاطين ... »(ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : « ... أدام الله سعادته وأجزل بره وإفادته . موضحة لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للمجلس العالي ان يتقدم بكذا فيحيط بذلك علماً . والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السابعة : « صدرت ، والسامي » . ويعبر عنها بالسامي بالياء، والرسم فيها: « صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي الاميري الأجلي الكبيري العضدي الذخري النصيري الأوحدي الفلاني مجد الاسلام بهاء الأنام شرف الأمراء زين المجاهدين عضد الملوك والسلاطين ... (ثم الدعاء والصدر مثل ان يقال): ... أدام الله سعادته وأجزل من الخير إرادته تتضمن اعلامه كذا وكذا »

المرتبة الثامنة : « هذه المكاتبة الى المجلس السامي » ويعبر عنها بالسامي بغير ياء، والرسم فيها على ما في التثقيف : « هذه المكاتبة الى المجلس السامي الامير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الأوحد المرتضى فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام فخر الأمراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ... (ثم الدعاء مثل :) ... أدام الله إقباله وسدد في المصالح احتياله تعلمه كيت وكيت . ومرسومنا للمجلس ان يتقدم بكذا وكذا فيعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »

المرتبة التاسعة : « يعلم مجلس الأمير » والرسم فيها : « يعلم مجلس الأمير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ... (ثم الدعاء مثل :) ... أدام الله سعده وأنجح قصده وشان ضده أن الأمر كيت وكيت . ومرسومنا لمجلس الأمير ان يتقدم بكذا وكذا فيعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »[١]

الضرب الثاني

المكاتبات المختصة . وهي ما يختص بصورة المكاتبة فيه الواحد فقط إما باعتبار زيادة أو نقص او تغيير أو غير ذلك . ويشترك فيها أرباب السيوف والاقلام. وسيأتي ذكر كل مكاتبة منها في موضعها ان شاء الله تعالى . واعلم ان لمملكة تشتمل على

---

(١) هذه تسع مراتب ولم يتعرض للعاشرة في الاصل

ثلاثة أقاليم لكل منها من يكاتب عن الابواب السلطانية (وكلا منا الآن على)
اقليم الديار المصرية . والمكاتبون فيها على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ أوباب السيوف ، وهم ستة أصناف

﴿ الصنف الاول ﴾ ولاة العهد بالسلطنة — ورسم المكاتبة الى ولى العهد بها على ما ذكره في التثقيف :

« أعز الله تعالى أنصار المقام العالى الملكى العلمى العادلى . أصدرناها الى المقام العالي تهدي اليه من السلام كذا ومن الثناء كذا وتطلع علمه الشريف على كذا » ثم قال : والعلامة « اخوه » سواء كان أخا أو غير أخ ، و « ولده » ان كان ولدا ، ولم يذكر تعريفه . والظاهر انه يكتب له : « ولى العهد بالسلطنة الشريفة » قال فى التثقيف : ولعل هذه المكاتبة نظير ما كتب الى الملك الصالح على بن المنصور قلاوون فأنه كان ولى عهد أبيه المذكور ، ثم قال ، ورأيت أمثلة كثيرة صدرت عنه بخلاص الحقوق وعلامته عليها : « على بن قلاوون »

﴿ الصنف الثانى ﴾ ، نواب السلطنة الشريفة بها — وهم أربعة :

الاول النائب الكافل ، وهو نائب السلطنة بالحضرة . وقد تقدم ذكره في الكلام على أرباب الوظائف بالديار المصرية . قال في التثقيف : وقلّ أن يكاتب الا اذا كان السلطان مسافرا في غزاة أو مسرحة للصيد . ورسم المكاتبة اليه على ما استقر عليه الحال فيما أورده في التثقيف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » بالالقاب المتقدمة في المرتبة الاولى . والعلامة اليه « أخوه » . وتعريفه : « كافل الممالك الاسلامية أعلاها الله تعالى » . قلت وقد ذكر في التعريف أن المكاتبة اليه : « أعز الله تعالى أنصار المقر » وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لما كتب بذلك الى نائب الشام في ولاية بيدمر الخوارزمي وكافل المملكة يومئذ الامير منجك فلزم أن يكتب له مثله لئلا يكون نائب الشام أميرا على كافل السلطنة . قال في التعريف : وقد رأيت بعض الكتاب يكتب فى ألقابه بعد الامير « الآمرى » ، قال ، والكاتب المذكور كاتب صالح فى المعرفة وليس بحجة . وكتابته « الآمرى » ليس بشئ وانما حمله عليه كثرة الملق . وقد نقل فى التعريف أيضا عن هذا الكاتب أنه كتب فى تعريفه

نائب السلطنة « وكافل الممالك الشريفة الاسلامية » ، ثم قال ، وهو مقبول منه ولكن الذى أراه أن يجمع ذكر النيابة والكفالة فى تقليده فيقال أن يقلد نيابة السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة الاسلامية ، أو ما هذا معناه نحو : وكفالة الممالك الشريفة مصرا وشاما وسائر البلاد الشامية أو الممالك الاسلامية ونحو ذلك . فأما فى تعريف الكتب فقد جرت عادة نواب الشام ان تقتصر فى كتبها اليه على « كافل الممالك الاسلامية المحروسة » ، قال ، ولعمرى فى ذلك مقنع؛ فأن فى الاقتصار عليها ما هو اكبر فخامة . وعليه عمل اكثر الكتاب بديوان مصر أيضا . ويؤيده أنهم يقتصرون فيما يكتب بأشارته على هذا التعريف فاعلم ذلك

﴿ تنبيه ﴾ قال في التعريف : اما نائب الغيبة وهو الذى يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لاخماد الثوائر وخلاص الحقوق وحكمه فى رسم المكاتبة اليه رسم مثله من الامراء

الثانى ، نائب الاسكندرية — وقد تقدم أن نيابتها استحدثت فى الدولة الاشرفية شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٧ عند طروق العدو المخذول من الفرنج لهـا . ورسم المكاتبة اليه « ضاعف الله نعمة الجناب العالى » على ما تقدم فى المرتبة الثالثة إلا أنه لا يقال فى ألقابه « الكافلى » والعلامة الشريفة اليه « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة، بثغر الاسكندرية المحروس » . واعلم ان بالاسكندرية حاجبا يكاتب عن الابواب السلطانية . قال في التثقيف : ورسم المكاتبة اليه « المجلس السامي » ان كان طبلخاناه ، و« يعلم مجلس الامير » ان كان أمير عشرة ، والعلامة الاسم بكل حال ، وتعريفه : « الحاجب بثغر الاسكندرية المحروس »

الثالث ، نائب الوجه القبلى بمدينة أسيوط — قد تقدم أنها نيابة استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق فى سنة ٧٨٠ ورسم المكاتبة اليه « أدام الله نعمة الجناب » قلت: وكانت المكاتبة قبل ذلك « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب » وهو الذى أورده فى التثقيف

الرابع ، النائب بالوجه البحرى بمدينة دمنهور الوحش — وقد تقدم أن نيابته استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق أيضا بعد حدوث نيابة الوجه القبلى ورسم المكاتبة اليه : « أدام الله نعمة الجناب » كنائب الوجه القبلى ، والعلامة له « والده »،

وتعريفه« نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحرى » . قلت : ولم يتعرض له فى التثقيف وكأنه حدث بعد تأليفه

﴿ الصنف الثالث - الكشاف ﴾ وهم كاشفا الفيوم والبهنساوية وكاشف الوجه البحرى، وكل منهم امير طبلخاناه ورسم المكاتبة اليهما « صدرت »، والعلامة الاسم الشريف ، وتعريف كل منهما : « الكاشف بالمكان الفلانى »

﴿ الصنف الرابع -- الولاة بالوجهين القبلى والبحرى ﴾ وهم ثلاثة عشر نفرا منهم ستة طبلخاناه : ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى قوص، ووالى الاشمونين، ووالى البهنسا، وثلاثة بالوجه البحرى وهم والى الغربية، ووالى المنوفية، ووالى الشرقية : وسبعة عشرات : ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى الجيزة وكان قبل ذلك طبلخاناة ، ووالى اطفيح ، ووالى منفلوط وكان قبل ذلك طبلخاناه وهو اليوم امير عشرين ؛ وأربعة بالوجه البحرى وهم والى قليوب ، ووالى اشموم الرمان، ووالى دمياط ، ووالى قطيا ورسم المكاتبة الى كل من الطبلخاناه منهم « السامي » بغير ياء ، وإلى العشرات «مجلس الامير » ، والعلامة للجميع الاسم الشريف ، وتعريف كل منهم «والى مكان كذا » كوالى قوص ووالى الغربية ونحو ذلك

﴿ الصنف الخامس ﴾ كشاف الجسور والمتوجهون لتحضير البلاد وقبض الغلال. قال في التثقيف : فمن كان منهم طبلخاناه فرسم المكاتبة اليه « السامى» بالياء ، ومن كان عشرة فرسم المكاتبة اليه « السامى » بغير ياء ، والعلامة للجميع الاسم الشريف قال ، ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها ولا الأقليم الذى هو به

﴿الصنف السادس﴾ باقى الامراء بالديار المصرية — وقد ذكر فى التعريف أنهم ان كانوا مقدمي ألوف فلكبارهم أسوة كبار النواب بالممالك الشامية كالشام وحلب ، ولاوسطهم اسوة أوسطهم كحماه وطرابلس وصفد ، ولاصغرهم أسوة أصغرهم كغزة وحمص ، قال ، فاعلم ذلك وقس عليه ؛ ثم قال ،والذى نقوله: لكبار المقدمين بالابواب السلطانية « الجناب الكريم » ، ثم « الجناب العالى » ، ثم « المجلس العالى » . قلت وهذا على ما كان عليه الامر فى زمانه أما على ما استقر عليه الحال آخرا فانه يكتب لكبارهم « المقر الكريم » كما يكتب للأتابك ، والا « فالجناب الكريم » ثم « الجناب العالى»

ثم « المجلس العالى » وان كانوا طبلخاناه فقد ذكر أن منهم من يكتب له « المجلس العالى » كمن يكون معينا للتقدمة وله عدة ثمانين فارسا أو سبعين فارسا أو نحو ذلك ، وكالمقربين من الخاصكية ؛ او من له عراقة نسب كبقايا الملوك وأرباب الوظائف الجليلة كحاجب كبير أو أستادار جليل أو مدبر دولة يصرح له بالوزارة ، أو دوادار متصرف ، قال ، وهؤلاء وان كتب اليهم بـ « المجلس العالى » فأنه يكتب بغير افتتاح بالدعاء . والكتابة لهم بـ « العالى » على وجه الغرض لا الاستحقاق ، والا فأجل رسم مكاتبة امراء الطبلخاناه « السامي » بالياء والجمهور « السامي » بغير ياء . فان كانوا أمراء عشرات فذكر أن لكل منهم « مجلس الامير » وقال ، ان زيد قدر أحد بسبب مّا كتب له « المجلس السامي » بغير الياء . وان كانوا من مقدمي الجند فقد ذكر أن لهم أسوة أمراء العشرات فى المكاتبة ، ثم قال : أما الجند فـ « الامير الاجل » وأما جند الامراء فـ « الطواشى » قلت : وكأنه يريد ما اذا كتب بسببهم مكاتبة أو كتب لاحدهم توقيع ونحو ذلك والا فالجند لا يكاتب احد منهم عن الأبواب السلطانية

﴿ الصنف السابع العربان بالديار المصرية ﴾ وهم عرب البحيرة وعرب الشرقية وعرب الوجه القبلى وعرب الجيزة وعرب برقة فعرب البحيرة قد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة عن التعريف ان الامرة في زمانه كانت فيهم فى محمد بن ابى سليمان وفائد بن مقدم وقال ان رسم المكاتبة الى كل منهما « هـذه المكاتبة الى المجلس السامي الاميرى » ، والعلامة « اخوه » قلت : والامارة الآن فيهم فى أولاد التركية من المقادمة من عقب مقدم المذكور آنفا ورسم المكاتبة الى أميرهم « هذه المكاتبة » أيضاً * وعرب الشرقية ، قد ذكر فى التعريف انه كان فى زمانه منهم نجم بن هحل شيخ عايد ، وذكر انه دون محمد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم أميرى عرب البحيرة المقدم ذكرهما ثم قال ، ورسم المكاتبة اليه « المجلس السـامى الأمير » ـ « قلت : ثم صارت إمرة العـايد في الدولة الظـاهرية برقوق الى محمد بن عيسى وهي الآن بيد سعاد بن محمد بن عيسى . ورسم المكاتبة اليه « هذه المكاتبة أيضا » . وكانت إمرة جذام فى الدولة الاشرفية شعبان بن حسين في الامير بقر ، وهي الآن بيد (١) بن أحمد

(١) بياض بالاصل

ابن بقر ، ورسم المكاتبة اليه مثله ؛ وكانت امرة ثعلبة في احمد بن حسن السلطاني ، ثم تنقلت بعده ، وهي الآن في بني علوية بن ثعلبة ＊ وعرب الوجه القبلي قد ذكر في التعريف أنه كان منهم في زمانه اثنان : احدهما ناصر الدين بن عمر بن فضل ، والثاني سمرة بن مالك وانه كان ذو عدد جم وشوكة منكية يغزو الحبشة وأمم السودان ويأتي بالنهاب و بالسبايا . وذكر ان رسم المكاتبة الى كل منهما « هذه المكاتبة الى المجلس السامي » . قلت : ثم صارت الأمرة في الايام الظاهرية برقوق الى أبي بكر بن الاحدب وكان يكتب اليه « هذه المكاتبة » ، وهي الآن في هوارة في بيتين أحدهما : بنو عمر بالصعيد الأعلى بمنشاة اخميم وما والاها . والثاني بنو غريب بدهروط وما حولها من البهنساوية ورسم المكاتبة الى كل منهما « هذه المكاتبة » أيضاً ＊ وعرب برقة ، فقد ذكر في التعريف انه لم يكن في زمانه من يكاتب منهم الا جعفر ابن عمر ولم يذكر رسم مكاتبته . قلت : وإمرتها الآن في عمر بن عريف ورسم المكاتبة اليه « هذه المكاتبة »

﴿ الضرب الثاني ، أرباب الاقلام ﴾ وهو صنفان :

الصنف الاول ، أرباب الوظائف الدينية من حملة الاقلام — لم يذكر في التثقيف مكاتبة صدرت عن الأبواب السلطانية لأحد من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية سوى ما كوتب به قاضي القضاة تاج الدين الاخنائي المالكي حين حج في سنة ٧٦٧ في الدولة الناصرية حسن جوابا عما ورد منه ، وذكر انه كتب له الدعاء و « المجلس العالي » ، والعلامة الاسم ، ثم قال ، أما قاضي القضاة عز الدين بن جماعة فأنه كان يحج ويجاور كثيرا ولكن لم أره كتب له قط ، قال ، وأنا شاك في أمره. قلت : رأيت في « ايقاظ المتغفل » لابن متوج أنه كتب اليه وهو مجاور بمكة « اعز الله تعالى أحكام المجلس العالي » ولم يتعرض للعلامة ، والظاهر أنها « أخوه » ، وان يكون تعريفه « قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية »

الصنف الثاني ، أرباب الوظائف الديوانية من الوزراء ومن في معناهم ـ والمكتوب اليهم من هذا النمط ثلاثة نفر : الاول الوزير ، وقد ذكر في التعريف انه لم تزل مكاتبة أجلاء الوزراء « بالمجلس العالي » ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية « الجناب العالي » .

قلت : ولم يتعرض في التثقيف لمكاتبة الى الوزير إلا انه ذكر في الكلام على ألقابه في آخر الكتاب ان الدعاء له « ضاعف الله » وحينئذ فتكون مكاتبته : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي الصاحبي الكبيرى العالمى العادلي الاوحدي الاكملي القوامي النظامي الاثيري البليغى المنفذى المسددى المتصرفي الممهدى العوني المدبري المشيري الوزيري الفلاني صلاح الاسلام والمسلمين شرف الوزراء في العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء اوحد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجح معتمد المصالح عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين » ... والعلامة « أخوه » وتعريفه « مدبر الممالك الشريفة الاسلامية المحروسة »

الثاني — كاتب السر اذا تخلف عن الركاب السلطانى لعارض . ورسم المكاتبة اليه على ما ورد فى التثقيف : « ادام الله تعالي نعمة المجلس العالي القاضوي الكبيري العالمى العادلي العلامي الافضلى الاكملى البليغى المسددي المنفذي المسيدي العوني اليميني السفيري الاصيلى العريقى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين قدوة العلماء العاملين جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب يمين المملكة لسان السلطنة والسلاطين ولي امير المؤمنين... والعلامة « أخوه »، وتعريفه «صاحب دواوين الممالك الشريفة الاسلامية »

الثالث — ناظر الخاص . ورسم المكاتبة اليه كما قاله فى التعريف: « المجلس العالي القاضوي الكبيرى العالي الفاضلى الاوحدي الاكملى الرئيسي البليغى البارعي القوامى النظامي الماجدي الاثيرى المنفذي المسددي المتصرفي الفلاني جمال الاسلام قوام المصالح نظام المناجح جلال الاكابر قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الملة صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين » قلت : أما ناظر الجيش فأنه لم يتعرض فى التثقيف للكتابة إليه فأن قدر كتابة اليه كتب له على نظير ناظر الخاص المقدم الذكر وزيد فى ألقابه ما يختص بناظر الجيش المقدم مثل « مرتب الجيوش » ونحو ذلك

الصنف الثالث — الخوندات السلطانية من زوجات السلطان وأقاربه اذا دعت الحال الى ذلك لسفر أو نحوه . وقد ذكر في التثقيف منهن جماعة كتب اليهن فيما تقدم ونحن نذكر مكاتبتهن لينسج على منوالها :

الاولى — ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوج أبى بكر بن أرغون ،

كتب اليها عن والدها وهي مع زوجها المذكور بحلب ورسم المكاتبة اليها :
«الذي يحيط به علم الحرمة الشريفة العالية المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء شرف الخواتين سليلة الملوك والسلاطين ضاعف الله تعالى جلالها . . . والعلامة « والدها » وتعريفها : « الدار السيفية بحلب » ، والكتابة تكون بأسطر متقاربة كالملطف

الثانية — طغاى زوجة السلطان الملك الناصر المتقدم ذكره المعروفة بأم أنوك ، كتب لها عنه لما توجهت الى الحجاز الشريف :« ضاعف الله تعالي جلال الحرمة الشريفة العالية المعظمة المحجبة المصونة الكبرى خوندخاتون جلال النساء في العالمين سيدة الخواتين قرينة الملوك والسلاطين... » والعلامة « الاسم » وتعريفها « والدة المقر الكريم الولدى السيفى أنوك » والاسطر متضايقة على ما تقدم

الثالثة — اخت السلطان الملك الناصر حسن زوج الامير طافر ، كتب لها عن أخيها المشار اليه لما كانت بالحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالي جلال الجهة الشريفة العالية الكريمة المحجبة المصونة الكبري الخاتون جلال النساء في العالمين جميلة المحجبات جليلة المصونات كريمة الملوك والسلاطين ... » والعلامة « أخوها »

الرابعة — الحاجة الست حدق ، كتب لها عن الناصر حسن وهي بالحجاز الشريف : «ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالية الكبيرية المحجبية المصونية الحاجية الوالدية جلال النساء في العالمين بركة الدولة والدة الملوك والسلاطين...» ثم الدعاء ، والعلامة الاسم ، وتعريفها « الحاجه ست حدق »

الخامسة — والدة الاشرف شعبان بن حسين ، كتب لها عن ولدها المشار اليه حين سفرها الى الحجاز الشريف فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف او قلم التوقيعات : « ضاعف الله تعالي جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبري المعظمة المحجبة جليلة المصونات والدة الملوك والسلاطين ... » ، ثم الدعاء

الفصل الثانى

(في الممالك الشامية — وهي الشام وملحقاته)

﴿ الشام ﴾ بهمزة مقصورة وميم في الآخر ، قال في تهذيب الاسماء ، ويجوز فيه

فتح الشين والمد على ضعف وان كان مشهورا . قال الجوهرى : ويجوز فيه التذكير والتأنيث ، قال النووى ، والمشهور التذكير. وموقع جميع بلاده فى الأقليم الثالث والاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . وقد اختلف فى تسميته شاما : فقيل تشاؤم بنى كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام اليه حين قسم نوح الارض بين بنيه ، ومن ثم قيل للشام أرض كنعان ؛ وقيل بل سمى بسام بن نوح اذ يقال أنه أول من نزله ، واسمه بالسريانية شام بشين معجمة فقلبتها العرب سينًا مهملة ؛ وقيل لان أرضه مختلفة الالوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شاما لذلك كما يسمى الخال فى وجه الانسان شامة ؛ وقيل لأنه عن شمال الكعبة ، والشام لغة فى الشمال. واختلف أيضا في تحديده فذكر فى التعريف ان حده من القبلة الى البر المقفر تيه بنى اسرائيل وبر الحجاز والسماوة الى مرمى الفرات بالعراق ، قال ، وهذه الحاد كلها من جزيرة العرب ؛ وحده من الشرق طرف السماوة والفرات ، وحده من الشمال البحر الرومى ، وحده من الغرب حد مصر المتقدم الذكر . وذكر فى تقويم البلدان أن حده من الجنوب من أول رفح فى أول الجفار بين مصر والشام الى حدود تيه بنى إسرائيل الى ما بين الشوبك وأيلة الى البلقاء ؛ وحده من الشرق من البلقاء الى مشاريق صرخد ، الى نابلس ؛ وحده من الشمال من نابلس مع الفرات الى قلعة نجمة ، الى البيره ، الى شميساط ، الى حصن منصور ، الى بهسنا ، الى مرعش ، الى بلاد سيس ، الى طرسوس ، الى بحر الروم ؛ وحده من الغرب من طرسوس أخذا على ساحل البحر الرومى الى رفح المتقدمة الذكر . فخالف التعريف في بعض الحد الشمالى وأدخل بلاد الارمن المتصلة بآخر بلاد حلب من الشمال فى حدود الشام . على أنه قد صرح بذلك في التعريف فقال بعد ان أفرد الفتوحات الجاهانية التى هي أول بلاد الارمن من جهة حلب بالذكر : وأتيت بها هنا اذ لم يكن لها تعلق بمملكة تذكر فيها وليست من الشامات في شئ وانما هي من بلاد الارمن المسماة قديما ببلاد العواصم والثغور . على ان ما ذكره فى التعريف وتقويم البلدان من التحديد لا يخلو من تساهل . قال التيفاشى : وطوله أكثر من شهر . وقال ابن حوقل : وطوله من ملطية الى رفح ٢٥ مرحلة ، ومن ملطية الى منبج اربع مراحل ، ومن منبج الى حلب مرحلتان ، ومن حلب الى حمص خمس مراحل ، ومن حمص الى دمشق خمس مراحل

ومن دمشق الى طبرية اربع مراحل ، ومن طبرية الى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة الى رفح مرحلتان . قال : وأعرض ما فيه طرفاه . أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد، بين الاردن ودمشق وحمص، يزيد على اكثر من ثلاثة أيام

(أجناد الشام)

واعلم ان المتقدمين قد قسموا نواحي الشام الى خمسة أجناد، جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة فى آخره كما ضبطه الجوهرى وغيره

الاول — جند فلسطين ، بكسر الفاء وفتح اللام ؛ وهى بلدة كانت قديما . فنسبت الكورة اليها . قال الزجاجي : وسميت بفلسان بن كلثوم من ولد فلان بن نوح عليه السلام .

قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رفح الى حد اللجون، قال، وعرضه من يافا الى أريحا نحو يومين أما زغر وديار قوم لوط والجبال والشراة فمضمومة اليها وهي منها فى العمل الى حد أيلة ، قال ابن حوقل وهي أرخى بلاد الشام

الثاني جند الأردن — قال فى اللباب ، بضم الالف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وتشديد النون فى آخرها ، قال ، وهي بلدة من بلاد الغور من الشام وبها نهر كبير يقال له نهر الأردن وقد نسبت الكورة كما نسب النهر اليها . قال ابن حوقل : وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وزغر الى بيسا والى طبرية يسمى الغور لأنه بين جبلين وسائر بلاد الشام مرتفعة عليه ، قال ، وبعضها من الاردن و بعضها من فلسطين

الثالث جند دمشق ، والرابع جند حمص ، والخامس جند قنسرين بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين، وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب كان ينزلها الجند فى ابتداء الاسلام ثم ضعفت بحلب وخربت وصارت قرية . قال الزجاجي : وسميت برجل من قيس يقال له (ميسرة نزلها فمر به رجل فقال له ما أشبه هذا الموضع بقوسيرين فبنى منه اسم للمكان فقيل قنسرين) . قال ابن الاعرابى : واختلف في إعرابها فقيل تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها فى الرفع بالواو وفى النصب والجر بالياء فتقول: هذه قنسرون، ورأيت قنسرين، ومررت بقنسرين ؛ وقيل تعربها بالياء بكل حال فتقول : هذه قنسرين،

ورأيت قنسرين ومررت بقنسرين . ولا تصرفها قال ابن الاثير: وكل جند منها عرضه من ناحية الفرات الى ناحية فلسطين، وطوله من الشرق الى البحر

اذا علم ذلك فقد حكاه في التعريف على وجه آخر . فقال : للناس في الشام اقوال، منهم من لا يجعله الاشاما واحدا، ومنهم من يجعله شامات: فيجعلون بلاد فلسطين والارض المقدسة الى حد الأردن شاماً، ويقولون الشام الاعلى؛ ويجعلون دمشق وبلادها من الاردن الى الجبال المعروفة بالطوال شاماً، ويقع على قرية النبك وما هو على خطها: ويجعلون سوريا وهي حمص وبلادها الى رحبة مالك بن طوق شاما ويجعلون حماه وشيزر من مضافاتها ، وثم من يجعل منها حماه دون شيزر، ويجعل قنسرين وبلادها وحلب مما يدخل في هذا الحد الى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور وهي بلاد سيس . فأما عكا وطرابلس وكل ماهو على ساحل البحر فكلما قابل شيء منه شيئا من الشامات حسب منه . اما ما عليه الحال الآن فأن بالشام ست قواعد بكل قاعدة ، منها نائب سلطنة

القاعدة الاولى دمشق

بكسر الدال المهملة وفتح الميم ، وتسمى أيضاً جلق ، بكسر الجيم وتشديد اللام المفتوحة ، وجيرون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت . وقد اختلف في بانيها فقيل بناها نوح عليه السلام لما نزل من السفينة بعد ان بنى حراف، وقيل بناها جيرون بن سعيد بن عاد وبه سميت بجيرون ، وقيل بناها جيرون وأخوه بريد ابنا سعيد بن لقمان بن عاد وبهما يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها ، وقيل بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه السلام الذى وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار وكان اسمه دمشق فسميت به، وفي كتاب فضائل الفرس لأبي عبيد أنه بناها سوراسب ملك الفرس، وقيل بناها ذو القرنين عند فراغه من سد يأجوج ومأجوج و وكل بعمارتها غلاما له اسمه دمشقش فسميت به وعربت دمشق، وقيل غير ذلك . وهي مدينة حسنة الترتيب جليلة الابنية ذات حواضر فسيحة وبها من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والربائط والزوايا والاسواق ما لا يرى في غيرها، وغوطتها أحد مستنزهات الدنيا، وفي جانبها الغربي قلعتها وهي قلعة حسنة مرجلة على الارض تحيط بها وبالمدينة جميعها أسوار عالية يدور بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة واذا دعت الضرورة اليه أطلق على جميع الخندق

المحيط بالمدينة فيعمها؛ وفى الميدان القبلى منها القصر الابلق، وهو قصر عظيم مبنى بالحجر الأسود والاصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب، بناه الظاهر بيبرس البندقدارى فى سلطنته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الابلق بقلعة الجبل بمصر؛ وبجانبها الشمالى مدينة مستقلة بنفسها تسمى الصالحية، ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة يسكنها كثير من الامراء والجند، تشرف على دمشق وغوطتها، ولكل من دمشق والصالحية البساتين الانيقة والمستنزهات الفائقة. ومسقي دمشق من نهر يسمى بَرَدا، بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين، ينقسم الى سبعة أنهر، اربعة منها غربيه وهي نهر داريا ونهر المزّه ونهر القنوات ونهر باناس؛ واثنان شرقيه وهما نهر يزيد ونهر تورا، ونهر بردا ممتد بينهما فنهر باناس ونهر القنوات حاكمان على المدينة مسلطان على ديارها. وبها جامع بنى أمية بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان لا نظير له في الدنيا، يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صندوق كل صندوق فيه ثمانية وعشرون الف دينار، وربما قيل إنه أنفق فيه خراج الشام سنة، وأنه اجتمع فى ترخيمه اثنا عشر الف مرخم

قلت: ولم تزل دمشق زاهية البنيان تامة الاركان الى أن طرقها تمرلنك فى سنة ٨٠٣ فحرق جميع داخل السور ولم يبق عامرا الاظاهرها. ثم أعيد بعض بناء ما أحرق على القرب من الجامع، وباقى ذلك باق على الخراب وذكر في التعريف أن ولايتها من العريش حد مصر الى آخر سلمية مما هو شرق بشمال، والى الرحبة مما هو شرق بجنوب. قال، وقد أضيف اليها في زمن سلطاننا بلاد جعبر وحقها أن تكون مع حلب. وحينئذ تكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المقدم ذكره، وما يليه، وما يلى ما يليه، وبعض الشام الادنى، وليس يخرج عنها من ذلك الا حماة، وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال ويكون فى نيابة نائبها نيابة غزة ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضى الحق أن يكون فى نيابة حلب. ويشتمل على بر وأربع صفقات

﴿فأما برها﴾ فالمراد به ضواحيها، وحده من القبلة قرية الحيارة المجاورة للكسوة وما هو على سمتها طولا، ومن الشرق الجبال الطوال الى النبك (وما على سمتها) من القرى آخذا على عسال وما حولها من القرى الى الزبدانى، ومن الغرب ما هو من الزبدانى الى قرى القيران المسامتة للحيارة المقدم ذكرها، قال، ويدخل فى ذلك مرج دمشق وغوطتها

(وأما صفقاتها) فأربع صفقات

﴿ الصفقة الاولى الساحلية والجبلية ﴾

وهذه الصفقة هي الغربية عن دمشق . قال فى مسالك الابصار : وهي عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلا ووعرا . قال في التعريف :وهذه الصفقة هي الشام الاعلى ينقص منه ماهو من نهر الاردن الى أول حدود قاقون . وهذه الصفقة لها ناحيتان:

﴿ الناحية الاولى الساحلية ﴾—وهي التى بساحل بحر الروم وتشتمل على أربعة أعمال:

الاول ، عمل غزة — وهي على طرف الرمل بين مصر والشام آخذة بين البر والبحر ، مبنية على نشز عال على نحو ميل من البحر الرومي ، ذات جوامع ومساجد ومدارس وزوايا وبيمارستان ، صحيحة الهواء . وشرب أهلها من الآبار ، وبها أمكنة يجتمع فيها المطر إلا انه يستثقل في الشرب فيعدل عنه الى الآبار لخفة مائها ، وبساحلها البساتين الكثيرة. وأجل فاكهتها العنب والتين وبها بعض نخيل وبرها ممتد الى تيه بنى اسرائيل من قبليها وهو موضع زرع وماشية

الثانى ، عمل الرملة — وهى مدينة من جند الاردن بناها سليمان بن عبد الملك ابن مروان فى خلافة أبيه عبد الملك . قال فى الروض المعطار : وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها . وقال فى مسالك الابصار : سميت باسم امرأة تسمى رملة وجدها سليمان هناك حين نزل يريد بناءها فأكرمته . قال في العزيزى : وهى قصبة فلسطين ، وهى فى سهل من الارض ، و بينها وبين القدس مسيرة يوم . وكان عبد الملك قد أجرى اليها قناة ضعيفة للشرب منها . وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر . وميناها على البحر الرومى يافا ، وهى مدينة صغيرة بالساحل فى الغرب عن الرملة و بينهما ستة أميال

الثالث ، عمل لُدّ وهى واقعة شرقا بشمال عن الرملة ، وهى مدينة قديمة كانت قصبة فلسطين في الزمن الاول ؛ فلما بنيت الرملة تحول الناس اليها وتركوا لُدّ . وقد ثبت فى الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها

الرابع ، عمل قاقون — وهى مدينة لطيفة غير مسوّرة بها جامع وحمام وقاعة لطيفة

وشربها من ماء الآبار وبينها وبين لد مسيرة يوم

﴿ الناحية الثانية -- من هذه الصفقة ﴾ الجبلية . وبها ثلاثة أعمال :

الاول ، عمل القدس — وهو لفظ غلب على مدينة بيت المقـدس ، وهو المسجد الاقصى ؛ وأصل التقديس التطهير ، والمراد المطهر من الادناس . وهي مدينة من جند فلسطين مبنية على جبل مستدير ، وعرة المسالك . وشرب أهلهـا من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الاقصى ، ومن عين تجرى اليهـا عن بعد ، ومن عين تعرف بعين سلوان ليس ماؤها بالكثير . وكان بها آثار قلعة قديمة خربت فجـددها الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٦ وليس بها حصانة

الثانى ، عمل بلد الخليل عليه السلام واسمها « بيت حبرون » باضافة بيت ، واحد البيوت ، الى حبرون ، قال فى تقويم البلدان ، بحاء مفتوحة وباء موحدة سا كنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو سا كنة ونون ؛ وفى كلام صاحب الروض المعطار ما يدل على ابدال الحاء جيما والباء الموحدة بمثناه تحت فأنه ذكرها فى حرف الجيم (جيرون) . وهي بلدة من جند فلسطين ، وبها قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسائهم

الثالث ، عمل نابلس — وهي مدينة من جند الاردن . قال فى مسالك الابصار : وهي مدينة يحتاج اليها ولا تحتاج الى غيرها ، وبها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام ، وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد الا بها ؛ وبهـا الجبل الذى يحجون اليه ، وهو طور نابلس

﴿ الصفقة الثانية — القبلية ﴾

سميت بذلك لأنها قبلى دمشق . قال فى مسالك الابصار : وتشتمل على بلاد حوران والغور وما مع ذلك . قال فى التعريف : وحدها من القبلة جبال الغور القبلية المجاورة لمرج بني عامر ، ومن الشرق البرية ، ومن الشمال حد ولاية دمشق القبلى ، ومن الغرب الاغوار الى بلاد الشقيف ؛ قال ، والاغوار كلها داخلة فى هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك . وتشتمل هذه الصفقه على عشرة أعمال :

الاول ، عمل بيسـان — وهي مدينة من جند الاردن علي الجانب الغربي منـه

ذات بساتين وأشجار وأعين ، وبها عين تشق المدينة وهي مدينة الغور ، قال في مسالك الابصار ، وبها قليعة من بناء الفرنج

الثاني ، عمل بانياس — وهي مدينة من جند دمشق على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة الى الجنوب ، وهي في لحف جبل الثلج ؛ وبها قلعة الصبيبة ، بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة . قال في التعريف ، وهي من أجل القلاع وامنعها . وكان لها نائب مفرد يولى من جهة نائب دمشق ، أما الآن فقد أضيفت الى والى بيسان المقدم ذكرها

الثالث ، عمل الشعرا — وهي عن بانياس شرق بجنوب، وطول هذا العمل ما بين بانياس الى جبل الثلج . قال في التعريف : والولاية بها تارة تكون بقرية بيت حان، بالحاء المهملة ، وتارة تكون بقرية القنيطرة ، تصغير قنطرة

الرابع ، عمل نوى — وهي بلدة صغيرة في جهة الغرب الى الجنوب عن دمشق على نحو مرحلة منها ، واليها ينسب الشيخ محيي الدين النووى الشافعى ، وهي عن يمين عمل الشقراء المقدم ذكره شرق بجنوب

الخامس ، عمل أدرعات — قال في الروض المعطار : ويجوز فيه الصرف وعدمه ، قال ، والتاء (كذا) في الحالتين مكسورة. وقال الخليل : من كسر الالف لم يصرف ، وهذا صريح في جواز كسر الالف. في أولها قال: ويقال لها يدرعات ، بياء مثناة تحت بدل الالف. وهي مدينة من أعمال دمشق بينها وبين الصنمين ١٨ ميلا . قال في التعريف : وبها ولاية الحاكم على مجموع الصفقه

السادس ، عمل عجلون — وهى قلعة من عمل الأردن مبنية على جبل يعرف بجبل عوف يشرف على الغور . وهى محدثة البناء ، بناها أسامة بن منقد أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سلطنة العادل أبى بكر بن أيوب في سنة ٥٨٠ قال في مسالك الابصار : وكان مكانها راهب اسمه عجلون فسميت به . قال فى التعريف ، وهى حصن جليل على صغره ذو حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة الباعونة وهى على شوط فرس من عجلون . قال في مسالك الابصار : وكان مكانها دير به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به . وهما شرقي بيسان المقدم ذكرها

السابع ، عمل البلقا — قال فى تقويم البلدان : وهي إحدى كور الشراة ؛ وهى عن اريحا في جهة الشرق على مرحلة . قال في الروض المعطار : وسميت بالبلقا بن سوريه من بنى عبيد بن لوط ، وهو الذي عمرها . ومدينة هذا العمل حسبان؛ وهى بلدة صغيرة . ولها واد وأشجار وأرحية وبساتين وزروع . قال فى مسالك الابصار : ومن هذا العمل الصلت ، وهى بلدة لطيفة من جند الاردن في جبل الغور الشرقى فى جنوب عجلون على مرحلة منها وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب قلت : ومقتضى كلامه فى التعريف ان يكون الصلت عملا مستقلا بذاته ،وهو مارأيته فى التذكرة الآمدية نقلا عن ابن الفارقى أحد كتاب الانشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، بل أخبرنى بعض كتاب الانشاء بها أن المستقر الآن الصلت فقط والبلقا مضافة اليها وعليه يدل كلام التثقيف فأنه قال : وممن يكتب اليه من الولاة بالممالك الشامية ، ولعله فى الأيام الشهيدية يعنى ابن قلاوون ؛ والى الصلت والبلقا

الثامن ، عمل صرخد — وهي بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم؛ وليس بها ماء سوى مايجتمع من ماء المطر فى الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق الا البرية، ومنها يسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق يصل المسافرون منها الى بغداد في نحو عشرة أيام . قال فى التعريف :وبها قلعة، وكان بها ملك من المماليك المعظمية فهدمتها عساكر هولاكو ثم جددها الظاهر بيبرس . قال في التعريف : وقد يجعل بها من ينحط عن رتبة السلطنة أو نيابة معظمة . قلت : وممن وليها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة وقبل ولايته نيابة حماة

التاسع ، عمل بصرى ، بضم الباء الموحدة ، ووقع فى تقويم البلدان ضبطه بفتح أوله — وهى مدينة بحوران من أعمال دمشق ، قال ابن سعيد ، وهى على أربع مراحل من دمشق ؛ وفي شرقيها صرخد على نحو ١٦ ميلا . قال في مسالك الابصار : وهى مدينة حوران السفلى ؛ بل حوران كلها ، بل الصفقة جميعها ؛ وكلامه في التعريف يوافقه. وهي مدينة أزلية ولها قلعة متينة البناء .قال فى التعريف، وكانت دار ملك لبعض بنى أيوب؛ وبها وجد النبى صلى الله عليه وسلم بحيرة الراهب عند سفره للشام تاجرا لخديجة . وقبر بحيرة بها مشهور

العاشر، عمل زُرَع — وهى بلدة من حوران لهاعمل مستقل . قال فى التعريف: وقد يتصل عمل بصرى بأدرعات لوقوع زرع متشاملة

﴿ الصفقة الثالثة ـ الشمالية ﴾

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق . قال في مسالك الابصار : وهى ساحلية وجبلية. قال فى التعريف: وحدهامن القبلة حد ولاية دمشق الشمالى و بعض الغربى ؛ وحدها من الشرق قرية جوسية التى بين القرية المعروفة بالقصب من عمل حمص و بين القرية المعروفة باللفيكة من عمل بعلبك ؛ وحدها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمد نهر العاصى بطرابلس وكل ماتشامل عن جبل لبنان الى البحر؛ وحدها من الغرب ماهو على سمت البحر منحدرا عن صور الى حد ولاية بر دمشق القبلي والغربى. وتشتمل هذه الصفقة على خمسة اعمال

الاول، عمل بعلبك — قال فى تقويم البلدان بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف ، والجارى على الالسنة فتح العين واسكان اللام — وهي مدينة من أعمال دمشق شمالى دمشق جليلة البناء نبيهة الشأن قديمة البنيان ، يقال أنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في مسالك الابصار : وهي مختصرة من دمشق في كمال محاسنها ، بها المساجد والمدارس والربط والخوانق والزوايا والبيمارستان والاسواق الحسنة ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق. وكانت دار ملك ومن عشها درج نجم الدين أيوب والد الملوك الايوبية: ولها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه، وهى مرجلة على وجه الارض كقلعة دمشق، قال في التعريف : انما بنيت قلعة دمشق على مثالها وهيهات لا تعد من أمثالها ، وأين قلعة دمشق منها وحجارتها تلك الجبال الثوابت وأعمدتها تلك الصخور النوابت

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه   ان السماء نظير الماء في الزرق

ثم قال : وبهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الايوبية آثار ملوكية جليلة و يستدير بها وبالمدينة سور عظيم، ويحف بذلك غوطة أنيقة ذات بساتين مشتبكة الاشجار بها الثمار الفائقة والفواكه المختلفة، ويدخلها نهر من عين من خارجها و ينقسم في بيوتها

وجهاتها ، وبخارجها جبل لبنان المعروف بمش الاولياء

الثاني عمل البقاع البعلبكي ، والثالث عمل البقاع العزيزي بوصف البقاع بالعزيزي نسبة الى العزيز، وكأن المراد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. قال في التعريف : ومقر الولاية به كرك نوح عليه السلام ، قال ، وبهاتين الولايتين الآن انفصال عن بعلبك وهما مجموعتان لوالى جليل مفرد بذاته

الرابع ، عمل بيروت وهي مدينة بساحل دمشق على ضفة البحر الرومي ، عليها سوران من حجارة ، وفيها جبل به معدن حديد ، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها ١٢ ميلا فى التكسير تتصل بلبنان المقدم ذكره . قال فى تقويم البلدان: وشرب أهلها من قناة تجرى اليها وقال فى مسالك الابصار (شرب اهلها من الآبار)

الخامس ، عمل صيدا — وهي مدينة بساحل البحر الرومى ذات حصن حصين قال ابن القطامى ، وسميت بصيدون بن صدقا بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في الروض المعطار: سميت بامرأة . وشرب أهلها من ماء يجرى من قناة . قال فى العزيزى وبينها و بين دمشق ٦٠ ميلا . قال في مسالك الابصار : وكورتها كثيرة الاشجار غزيرة الانهار وهي ولاية جليلة واسعة العمل ممتدة القرى تشتمل على نيف وستمائة ضيعة

﴿ الصفقة الرابعة الشرقية ﴾

سميت بذلك لانها شرقى دمشق . قال في التعريف : وحدها من القبلة قرية القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها أخذا على النبك ، الى القريتين : وحدها من الشرق السماوة الى الفرات ، وينتهى الى سلمية ، الى الرستن؛ وحدها من الغرب نهر الارنط ، وهو العاصى ، وتشتمل على ستة أعمال :

الاول ، عمل حمص — قال فى الروض المعطار : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لأن هذا اسم أعجمى . وسميت برجل من العماليق اسمه حمص ، وهو الذى بناها ، قال الزجاجي ، هو حمص بن المهر بن حاف بن مكنف ، وقيل برجل من عاملة هو أول من نزلها . واسمها القديم سوريا وبه كانت تسميها الروم . وهي مدينة جليلة

مبنية في وطأة من الارض ممتدة على القرب من النهر العاصى ، ومنه شرب أهلها،ولها منه ماء مرفوع يجرى الى دار النيابة و بعض مواضعها . قال فى العزيزى: وليس ببلاد الشام أصح من هوائها . وبوسطها بحيرة صافية الماء . قال ابن حوقل: وليس بها عقارب ولا حيات . قال فى التعريف : وكانت دار ملك للبيت الاسدى، يعنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قال ، ولم يزل لملكها في الدولة الأيوبية سطوة تخاف و بأس يخشى وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قال فى الروض المعطار : ويقال ان بقراط الحكيم منها

الثانى ، عمل مصياف — وهى بلدة جليلة ولها قلعة حصينة فى لحف جبل اللكام الشرقي عن حماة وطرابلس فى جهة الشمال عن بارين على مسافة فرسخ وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم وبها أنهر صغار من أعين ؛ وبها البساتين والاشجار وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها فى أعمال طرابلس فكانت أولا مضافة الى طرابلس ثم افردت عنها وأضيفت الى دمشق وكانت نيابتها إمرة طبلخاناه

الثالث ، عمل قارا — هكذا مكتوب في التعريف وغيره وهو الجارى على الألسنة، ورأيتها مكتوبة في تقويم البلدان بهاء في الآخر بدل الألف الاخيرة . وهي قرية كبيرة قبلى حمص بينها و بين دمشق على منتصف الطريق تنزلها قوافل السفارة وغالب اهلها نصارى ، و بينها و بين حمص مرحلة ونصف ، و بينها و بين دمشق مرحلتان

الرابع ، عمل سلمية — وهى بلدة من عمل حمص قال ، احمد الكاتب ، بناها عبدالله بن صالح بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب واسكن بها ولده . وهى بلدة على طرف البادية نزهة حصينة كثيرة المياه والشجر مياهها من قنى ، قال فى الروض المعطار ، و بينها و بين حمص مرحلة

الخامس ، عمل تدمر — قال السمعانى ، بفتح أولها ، والجارى على الألسنة ضم أولها . قال فى التعريف : وهي بين القريتين والرحبة، ثم هي معدودة من جزيرة العرب . قال المؤيد صاحب حماة : وهى من أعمال حمص من شرقيها ، وغالب أرضها سباخ ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أزلية من الاعمدة والصخور ، ولها سور وقلعة . قال فى الروض المعطار : وهي في الأصل مدينة قديمة بنتها الجن لسليمان عليه السلام ولها

حصون لا ترام ، وسميت بتدمر بنت حسان بن أذنية وفيها قبرهاوانما سكنهاسليمان عليه السلام بعدها قال في العزيزى : وبينها و بين دمشق ٥٩ ميلا ، و بينها و بين الرحبةمائة ميل وميلان. قال فى تقويم البلدان ، وهى من حماة على ثلاث مراحل

السادس ، عمل الرحبة — وهى مدينة على الفرات بين الرقة وعانةعدهافى تقويم البلدان من ديار بكر من الجزيرة الفراتية ، وتعرف برحبـة مالك بن طوق . وهو قائد من قواد هارون الرشيد قيل انه أول من عمرها فنسبت اليـه . قال في تقويم البلدان وقد خربت الرحبة المذكورة وصارت قرية وبها آثار المدينة من المآذن الشواهق وغيرها، واستحدث شيركوه بن محمد بن شادى صاحب حمص من جنوبيها الرحبةالجديدةعلى نحو فرسخ من الفرات، وهي بلدة صغيرة ، وهى قلعةعلى تل تراب . وشرب اهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات، وهى اليوم محط القوافل من الفرات والشام ، قال ، وهى أحد الثغور الاسلامية فى زماننا ، قال فى التعريف ، وبها قلعة نيابة وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين

ومما يجب التنبيه عليه أمران : أحدهما قد تقدم نقلا عن التعريف ان مما أضيف الى الشام فى دولة الناصر محمد بن قلاوون بلاد جعبر، وأن حقها ان تكون مع حلب . قلت : وقد أضيفت بعد ذلك الى حلب، وهي مستمرة على ذلك الى زماننا، وسيأتى ذكر ذلك في الكلام على أعمال حلب ان شاء الله تعالى * الثانى ذكر فى التعريف انه كان قد استقر بتدمر والسخنة والقريتين نواب واستقر الحال على أن مكاتبة كل منهم ان كان مقدم الف نظير النائب بالرحبة يعنى « صدرت » و « العالى » ، وان كان طبلخاناه فالاسم ، و « السامي » بالياء

القاعدة الثانية ، حلب

وهى مدينة عظيمة، أم الاقاليم ، ذات بلاد وأغوار وأنجاد ، وبها معظم قلاع الشام وحصونه وثغوره وموقعها وموقع جميع أعمالها فى الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . واختلف في سبب تسميتها بحلب على قولين حكاهما في الروض المعطار: أحدهما انه كان مكان قلعتها ربوة وكان ابراهيم عليه السلام يأوى اليها ويحلب غنمه ويتصدق بلبنها فسميت

بذلك * الثاني انها سميت برجل من العماليق اسمه حلب. قال الزجاجي: وهو حلب ابن المهر من ولد حاف بن مكنف . قال في مسالك الابصار : وهي من قواعد الشام القديمة، وهي في وطأة حمراء على مدرج طريق العراق مبنية بالحجر الأصفر الذي ليس له نظير؛ وتعرف بحلب الشهباء، وبها المساكن الفائقة والمنازل الأنيقة والاسواق الواسعة والحمامات البهجة؛ ذات مساجد وجوامع ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك . قال في مسالك الأبصار ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قويق وهو نهرها القديم ، والثاني يعرف بنهر الساجور ، ويجرى الى داخلها فرع ماء يتشعب في دورها ومساكنها لكنه لا يبل صداها ولا يشفي غلتها ، وشرب أهلها من صهاريج من ماء المطر ، ويدخل اليها الثلج من بلادها وليس لأهلها اليه كبير التفات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم؛ و بها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب اليها، و بظاهرها المروج الفيح والبر الممتد حاضرة وبادية، و بها عسكر كثيف وأمم من طوائف العرب والأكراد والتركمان قال في اللباب : وكان الجند في ابتداء الاسلام ينزلون قنسرين التي ينسب اليها جند قنسرين على ما تقدم ولم يكن لحلب معها ذكر ، قال ابن سعيد ، ثم ضعفت بقوة حلب عليها وصارت الآن قرية صغيرة . ونائبها من أكابر الامراء ومقدمي الألوف من الدولة الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن ؛ وهي ثانية دمشق في الرتبة ، وبوسطها قلعة جليلة بعيدة المنازل مبنية علي تل مرتفع يقال ان به الربوة التي كان يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغنمه، وهناك مشهد يعرف بمشهد ابراهيم يقصده الناس للتبرك. قال في الروض المعطار : ومن فضائل هذه القلعة ان بها ماء نابعا لا يخاف فيها الظمأ ، وعليها سوران دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه ، وهي معروفة بالحصانة والحسن. ثم لحلب أعمال متسعة ، قال في مسالك الأبصار ، وهي اوسع الشام ، بلادها متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق - قلت : وقد اتسعت أعمالها عما كانت عليه إذ ذاك اتساعاً كبيرا على ماسيأتي ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى . قال في التعريف : ويحدها من القبلة المعرة وما وقع على سمتها الى الدمنة الخراب والسلسلة الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحياز والقرية المعروفة بقبة ملاعب ؛ ويحدها من الشرق البر حيث يحد برّد آخذا على جبل الثلج ونهر الحلاب على أطراف بالس

الى الفرات دائرة بحدها ، قال ، وبهذا التقسيم تكون بلاد جعبر داخلة في حدودها؛ ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسني وبلاد الارمن مما وراء نهرجاهان؛ ويحدها من الغرب ما أخذ من بلاد الارمن على البحر الشامي. ثم أعمالها على ثلاثة أقسام :

﴿ القسم الأول ﴾

ماهو داخل في البلاد الشامية ، وهي سبعة وعشرون عملا

الاول عمل برّها — وهو ضواحيها المنسوبة اليها كما تقدم في دمشق

الثاني عمل بهسني — وهي قلعة شمالي حلب على أربع مراحل منها قال في تقويم البلدان: وهي قلعة مرتفعة حصينة لا ترام حصانة ، وبها بساتين ونهر صغير وأسواق ورستاق متسع ، ثم قال ، وهي بلدة واسعة كثيرة الخير والخصب ، وهي في الغرب والشمال عن عينتاب و بينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها و بين سيواس نحو ستة أيام . قال في التعريف : وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل جمره في الحروب وبها عسكر من التركمان والأكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ، قال ، ولنائبها مكانة جليلة وان كان لا يلتحق بنائب البيره

الثالث عمل قلعة المسلمين ، المسماة قديماً بقلعة الروم ، وهي قلعة من جند قنسرين في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، في جهة الغرب الشمالي عن حلب على نحو خمس مراحل منها والفرات بذيلها ؛ وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك ، ولها ربض وبساتين : ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب في الفرات . قال في التعريف : وكان بها خليفة الأرمن ولا يزال بها طاغوت الكفر فقصدها الأشرف خليل بن المنصور قلاوون فنزل عليها ولم يزل بها حتى فتحها وسماها قلعة المسلمين ، قال ، وهي من جلائل القلاع

الرابع عمل عينتاب — وهي مدينة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو مرحلتين منها، وفي الجنوب عن قلعة الروم على نحو ثلاث مراحل. وهي مدينة حسنة واسعة الارجاء كثيرة المياه والبساتين ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين وبها قلعة حصينة منقوبة في الصخر

الخامس عمل الراوندان — وهي قلعة من جند قنسرين فى الغرب والشمال عن حلب على نحو مرحلتين منها، وهي مبنية على جبل أبيض مرتفع ذات أعين و بساتين وفواكه ووادٍ حسن، ونهر عفرين يمر من تحتها، وهي في الشمال عن حارم

السادس عمل كختا، وربما قيل الكختا بالألف واللام — قال فى تقويم البلدان: وهي قلعة في أقاصى الشام من جهة الشمال بشرق عن حلب، وهي قلعة عالية البناء لاترام حصانة. و بها نهر وبساتين، وكركر منها فى جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور فى زمن التتار

(السابع عمل كركر(١) — وهي قلعة في شمالى حلب على خمس مراحل، وفي غرب الكختا على مسيرة يوم. وهي شاهقة يرى الفرات منها كالجدول الصغير، وهو منها في جهة الشرق)

الثامن عمل الدَّرْبَساك — شمالى حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع منها. وهى قلعة حصينة ذات أعين و بساتين، و بها من شرقيها مروج متسعة حسنة المنظر كثيرة العشب ويمر بها نهر يعرف بالنهر الأسود

التاسع عمل بغراس، قال السمعانى، بفتح أولها وسين مهملة فى الآخر. وهى قلعة من جند قنسرين شمالى حلب على أربع مراحل منها، وهي ذات أعين وبساتين وأشجار، وهي فى جهة الجنوب عن الدربساك وبينهما بعض مرحلة، وهي عن حارم في جهة الشرق وبينهما نحو مرحلتين، و بينها و بين كل من انطاكية وسكندرونة اثناعشر ميلا قال فى التعريف: وكانت ثغر الاسلام فى نحر الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية قال، وبها رُصص وهي عضو من أعضائها. ورصص المذكورة بلدة على ساحل البحر الرومى

العاشر عمل القصير — قال فى مسالك الأبصار: وهي قلعة غربى حلب على نحو أربع مراحل منها، قال فى التعريف، وهى لأنطاكية

الحادى عشر عمل الشغر و بكاس، بضم الشين المعجمة فى الأولى وفتح الباء الموحدة فى الثانية — وهما قلعتان من جند قنسرين مبنيتان على جبل مستطيل ويحتهما نهر يجرى، و بهما بساتين وأشجار وفواكه ولهما رستاق، قال فى تقويم البلدان:

---

(١) سقط ذكر هذا العمل من المختصر فاخصناه من الأصل

وهما فى الجنوب عن انطاكية و بينهما الجبال

الثاني عشر ،عمل شيزر ـ وهى مدينة من جند حمص غربي حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وهى مدينة ذات أشجار و بساتين وفواكه وأكثرها الرمان . قال في العزيزى : وبينها و بين حماة تسعة أميال ، وبينها و بين حمص ٣٣ ميلا ،وبينها و بين انطاكية ٣٦ ميلا

الثالث عشر ، عمل حجر شغلان ، بضم الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة ـ وهى قلعة شمالى حلب على نحو ثلاث مراحل منها قال فى مسالك الابصار : وهى بالقرب من بغراس فى جهة الشمال على مسافة قريبة جداً

الرابع عشر ، عمل أبى قبيس —وهي قلعة حصينة غربى حلب مما يلى الساحل علي نحو ثلاث مراحل قصيرة منها كما أخبرنى بعض أهل تلك البلاد

الخامس عشر عمل حارم — وهى قلعة حصينة في جهة الغرب عن حلب على نحو مرحلتين منها ذات أشجار وبساتين ، وبها نهر صغير كثير الماء وبجوارها بحيرة عظيمة يقال لها بحيرة حارم ، واليها يضاف العمق فيقال عمق حارم

السادس عشر عمل كفر طاب ـ وهي بلدة صغيرة من جند حمص علي ثلاث مراحل منها . وهي على الطريق بين المعرة وشيزر. قال فى العزيزى : وبينها و بين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا

السابع عشر عمل فامية ، بفاء فى أولها . قال فى المشترك : ويقال لها أفامية بهمزة في أولها يعنى مفتوحة . وهى مدينة من أعمال شيزر غربى حلب على نحو أربع مراحل منها ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المغلوب (كذا في المختصر وفى الأصل : المقلوب)

الثامن عشر عمل سرمين — وهي مدينة في الغرب عن حلب على نحو يوم وليس عليها سور . وشرب أهلها من الماء المجتمع في الصهاريج من المطر . وعملها متسع . وتسمى هذه الجهة الغربيات

التاسع عشر عمل الجبول وهي بلدة شرقى حلب على نحو مرحلة منها وهي بالقرب من الفرات، قال في تقويم البلدان : ومنها ينقل الثلج الى سائر بلاد حلب

العشرون عمل جبل سمعان — وهي فى جهة الشمال عن حلب على ساعة منها

الحادى والعشرون عمل عَزاز ، والجارى على الألسنة اعزاز، وعليه جرى ابن سعيد . وهي بلدة شمالى حلب بميلة الى الغرب على نحو مرحلة منها

الثانى والعشر عمل تل باشر — وهي حصن شمالى حلب على مرحلة (في لاصل : مرحلتين) منها بالقرب من عينتاب . قال ابن سعيد وهي ذات مياه وبساتين

الثالث والعشرون عمل مَنبج — وهي بلدة من جند قنسرين شرقى حلب علي نحو مرحلة (في الاصل مرحلتين) منها . قال ابن سعيد بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسماها منبه فعربت منبج . وكان بها بيت نار للفرس . وهى كثيرة القنى السارحة والبساتين ، وأكثر شجرها التوت ، وحريرها من أحسن الحرير . وأكثرها الآن خراب

الرابع والعشرون عمل تيزين — وهي بلدة صغيرة غربى حلب على نحو مرحلة منها

الخامس والعشرون — عمل الباب وبُزاعا — وهما بلدتان متقاربتان من جند قنسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية . أما الباب فبلدة صغيرة لها البساتين الكثيرة والنزه . قال فى تقويم البلدان : وبظاهرها قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه . وأما بزاعا فضيعة من مضافاتها

السادس والعشرون عمل دركوش — وهي بلدة على النهر العاصى غربي حلب على نحو ثلاث مراحل منها، وأكثر غراسها العنب، وبها قلعة عاصية استولى هولاكو على قلاع الشام ماعداها فأنه لم يصل اليها

السابع والعشرون عمل أنطاكية بفتح الهمزة وياءها مشددة، وخالف في الروض المعطار فذكر أنها مخففة . وهى مدينة عظيمة قديمة على ساحل بحر الروم بناها بطليموس الثانى من ملوك اليونان ، وقيل بناها ملك يقال له انطاكين فعرفت به . ولها سور عظيم من صخر ليس له نظير فى الدنيا مساحة دوره اثنا عشر ميلا ، قال في الروض المعطار ، وعدد شرافاته ٢٢ الفا (في الاصل ٢٤ ألفا) وعدد ابراجه ١٣٦ برجا . قال في تقويم البلدان : وهى قاعدة العواصم . قال في العزيزى : وهي على منتصف الطريق بين حلب والمعرة ويمر بظاهرها العاصى والنهر الاسود مجموعين وتجرى مياههما فى دورها . وقد قيل أنها المذكورة في سورة « يس » بقوله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى »

وان ذلك الرجل هو حبيب النجار ، وقبره مشهور بها يزار . وميناها السو يدية المقدم ذكرها فى ساحل البحر الرومي

﴿ القسم الثاني ﴾

من الاعمال الحلبية ما أضيف اليها من البلاد المعروفة الآن ببلاد الأرمن مما اقتلع منهم من بلاد الاسلام بعد ان غلبوا عليه من بلاد سيس وما والاها مما كان قديما يسمى بالثغور لثاغرة العدو. وقد حدد فى التعريف هذه البلاد بجملتها فقال: وحدها من القبلة وانحراف الجنوب بغراس وما يليها ؛ وحدها من الشرق جبال الدر بندات؛ وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان ؛ وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية الى العلايا وانطاكية . وتشتمل على ثمانية أعمال:

الاول عمل آياس — وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر وهى فرضة ما حولها من البلاد، و بينها وبين بغراس المقدم ذكرها مرحلتان . قال فى التعريف : وكان أمرها قد جعل الى نائب الشام ثم جعل الى نائب حلب ، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية لمجاورتها نهر جاهان وهو نهر جيحان. وكانت استعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فى سنة ٧٨٣ (فى الاصل ٧٣٨) ولذلك قال فى التعريف : والعهد بفتحها قريب

الثانى عمل طرسوس . قال فى اللباب ، بفتح الراء -- وهي مدينة مسورة من بلاد الارمن على ساحل بحر الروم شمالا بغرب عن حلب ، قال في الروض المعطار ، بناها الرشيد في سنة ١٧٠ وأكملها فى سنة ١٧٢ قال ابن حوقل : وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين. وبها دفن المأمون بن الرشيد. وكانت استعادتها من الأرمن فى الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون — قلت : ولم تزل سجنا لمن ينفيه السلطان الى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

الثالث عمل أذنه — وهي مدينة من بلاد الأرمن ، قال احمد بن يعقوب الكاتب فى كتابه المسالك والممالك : وهى من بناء الرشيد . قال ابن حوقل : وهى مدينة حصينة عامرة وبينها وبين طرسوس ١٨ ميلا

الرابع عمل سِرفندَكار ، قال فى تقويم البلدان، وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سروندكار ؛ قلت : والموجود فى الدساتير الآن إسفندكار ، بهمزة فى الأول وسقوط الراء الأولى — وهي قلعة من بلاد الأرمن ، قال فى تقويم البلدان: وهى قلعة حصينة في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر . وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي في الشرق عن تل حمدون على أربعة أميال

الخامس عمل سيس — ووقع في كلام الصاحب كمال الدين بن العديم ان اسمها سيسة ، باثبات هاء فى آخرها ، وكلامه فى العزيزى يوافقه. بناها بعض خدام الرشيد وهو الذى سماها . وهي قاعدة بلاد الأرمن جميعها وبها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار ، وهي على جبل مستطيل . قال ابن سعيد: وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال فى العزيزى: وبينها وبين المصيصة ٢٤ ميلا . وكانت استعادتها من الأرمن فى الدولة الاشرفية شعبان ابن حسين على يد قشتمر المنصورى نائب حلب يومئذ

السادس عمل ملطية — وهي مدينة من بلاد الروم شمالى حلب قبلة الى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال فى الروض المعطار : وكانت قديمة فخربها الروم ، فبناها ابو جعفر المنصور سنة ١٨٧ (وفي الاصل ١٨٩) وجعل عليها سورا محكما قال ابن سعيد: وهي قاعدة الثغور ، وعدها ابن حوقل من بلاد الشام وقال أنها على مرحلة من قرى بلاد الروم، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية . وهي بلدة مسورة فى بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بعد ، ذات أنهار وأشجار وفواكه ، وبها نهر صغير يمر بسورها ويدخلها منه قنى تجرى فى دروبها ، وهى شديدة البرد . وبينها وبين كل من سيس وسيواس نحو ثلاث مراحل . وهي فى الغرب عن كختا وبينهما نحو مرحلتين . قال فى تقويم البلدان : وكان فتحها سنة ٧١٥

السابع عمل درنده — وهي مدينة في جهة الغرب عن ملطية على نحو مرحلة ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجرى وبينها وبين حلب نحو عشرة أيام

الثامن عمل دِبْرَكى ، وقد يقال دوركي بأبدال الياء واوا — وهى مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب على نحو عشرة مراحل منها ذات بساتين وأشجار و بينها وبين حلب ١٢ يوما

التاسع عمل الأبلستين — وهي مدينة عظيمة بالقرب من ملطية في الجهة الغربية على نحو مرحلتين منها، وبينها وبين حلب نحو ثمانية أيام فأكثر، وبها بساتين وأنهار وعيون تجرى

واعلم ان بهذه البلاد ثمانية قلاع صغار ذكر في التثقيف بعضها : أحداها قلعة باري كروك، وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس على نحو نصف مرحلة. قال في التثقيف : واستجدت سنة ٧٦٠ * الثانية قلعة كاورا ، وهي قلعة في الشمال عن آياس على نحو ساعة . قال في التثقيف استجدت سنة ٧٦٩ * الثالثة قلعة كولاك ، وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة منها يسكنها طائفة من التركمان * الرابعة قلعة كرزال . وهي قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كولاك المتقدمة الذكر * الخامسة قلعة ابن حمدون ، وهي قلعة على تل عال على القرب من جيحان الى جهة الجنوب على نصف مرحلة كانت في الزمن القديم حصينة حسنة البناء لها سور مانع ور بض وبساتين ونهر يجرى ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة، وبينها وبين سيس نحو مرحلتين ثم خربها المسلمون، ثم استجدت بعد ذلك * السادسة القلعة الهارونية ، وربما قيل الهارونيتان. قال في التعريف: وهما حصنان بناهما هارون الرشيد ، وقال في المشترك : الهارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالثغور في طرف جبل اللكام * السابعة قلعة نجمة ، بفتح النون وسكون الميم، وهي قلعة على القرب من الفرات شاهقة كان يقال لها أولا حصن منبج ثم صارت تعرف بقلعة نجمة وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي ، وفي التعريف ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون * الثامنة قلعة لؤلؤة وهي شمالي كولاك

﴿ القسم الثالث ﴾

من الاعمال الحلبية ما أضيف اليها من بلاد الجزيرة الفراتية وهي ثلاثة أعمال

الاول عمل البيرة - وهي قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفرات، وفي الشرق عن قلعة الروم المقدم ذكرها على نحو مرحلة من الفرات وقد عدها في تقويم البلدان من

جند قنسرين من أعمال الشام ذات ارتفاع وحصانة. قال ابن سعيد: وهي على صخرة قال في التعريف: ولها منعة وعسكر. قال في تقويم البلدان: ولها سوق وعمل

الثانى عمل قلعة جعبر وهى قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالى عن الفرات أيضاً. قال القاضى جمال الدين بن واصل: وكانت هذه القلعة تعرف بالدوسرية نسبة الى دوسر عبد النعمان بن المنذر وهو الذى بناها لما جعله النعمان على افواه الشام، ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيرى في أيام الملوك السلجوقية فعرفت به. قال صاحب حماة: وهي فى زماننا خراب ليس فيها ديار، وذلك فى أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثم عمرت بعد ذلك فى آخر الدولة المذكورة او بعدها بقليل، وقد أشار الى ذلك فى التعريف حين تعرض لذكرها فى آخر مضافات الشام فقال: وهي مجددة البنيان مستجدة الآن لانها جددت منذ سنوات بعد أن طال عليها الأبد وأخنى عليها الذى أخنى على لبد. وكان قد ذكر قبل ذلك فى الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة الى دمشق ثم قال وحقها ان تكون مع حلب؛ وقد اضيفت بعد ذلك الى حلب و بقى الحال فيها على ذلك الى الآن

الثالث عمل الرُّها — وهي مدينة من ديار مضر فى البر الشرقي فى الشمال عن الفرات. قال فى العزيزى: وهي مدينة عظيمة رومية فيها آثار عجيبة. قال فى الروض المعطار: وهى ذات عيون كثيرة تجري منها الأنهار، وبها البساتين والاشجار الكثيرة، وعليها سور من حجارة، قال، وليس في بلاد الجزيرة أحسن متنزها منها ولا أكثر فواكه والفرات منها في ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفى ناحية الشمال على مسيرة يوم. قلت: وأكثر أعمال حلب كانت قد غلب عليها التركمان والاكراد من بعد وقعة تمرلنك واستبدوا بامرها وملكوا قلاعها الى أن توجه اليها السلطان الملك المؤيد شيخ، سلطان العصر فى سنة ٨٢٠ فاقتلعها عن آخرها وانتزعها بجملتها واستضافها الى المملكة واستناب فيها من أمراء الدولة وأجنادها

القاعدة الثالثة

من قواعد البلاد الشامية حماة. وقد ذكرها فى مسالك الابصار: بعد دمشق

وهو أليق بها لقربها، ولكنه قد ذكرها في التعريف بعد حلب لكونها دونها فى رتبة النيابة . وهى مدينة قديمة لها ذكر في التوراة ، على ضفة النهر العاصى . وهى وأعمالها واقعة فى الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة بين حمص وقنسرين . قال فى الروض المعطار : وبينها و بين حمص ٤٠ ميلا وهى مدينة مكينة البناء ، ولها سور جليل، وبها القصور الملوكية والدور الانيقة والجوامع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والاسواق التى لا تعدم نوعا من الانواع ، ودور ملوكها وشرافاتها مطلة على العاصى ، وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة ، وغالب مبانيها العلية وآثار الخير والبر الباقية فيها من فواضل نعم الدولة الايوبية ؛ وبها نواعير مركبة على العاصى تدور بجريان الماء وترفع الماء الى الدور السلطانية ودور الامراء والاكابر والبساتين ، وفي بساتينها الغراس الفائق والثمار الغريبة . ولم تزل علية القدر رفيعة المحل الى ان كانت الدولة الاتابكية زنكى فزادت فخامتها وعظم شأنها . فلما آلت الى ملوك بني أيوب مصروها بالابنية العظيمة والقصور الفائقة والمساكن الفاخرة وتأمير الامراء وتجنيد الاجناد فيها، وعظموا أسواقها وزادوا فى غراسها وجلبوا اليها من أرباب الصنائع كل من فاق فى فنه الى ان كملت محاسنها وصارت معدودة فى أمهات البلاد وأحاسن الممالك وهي فى غاية رفاهية العيش ، واضمحلت حمص بعد النباهة في جانبها ؛ وحولها مروج فيح ممتدة تكثر فيها مصائد الطير والوحش . قال فى مسالك الابصار : وليس في الممالك الشامية بعد دمشق لها نظير ولا يدانيها فى لطف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد — قلت : وقد زادت نباهة وعلوا ورفعة بانتساب المقر الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب وذويه اليها حتى جاوزت كيوان وعلت قيمة على الثريا . وقد نظمت قصيدة داليه في مدح المقر الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب افتتحتها بالتنويه بذكر حماة وتعظيم شأنها و نباهة ذكرها :

الا حبذا وادى حماة وأهله	ورعيا لمغناها على القرب والبعد
ولا يبرح الوسمي يروى عهادها	سجالا وسحب الجود تأتى على عهد
ولا زال رياها يضوع لنا شذا	ولا برحت للشكر أهلا وللحمد
لقد أبرزت بالبارزى مفاخرا	أنافت على الجوزاء في الطالع السعد
وجادت لدار الملك برعب كتبه	فعززها والسيف ما سل من غمد

ويردي طغاة البغي وقع خطابه فترجع بالارجاف مفلولة الحد
له سمر أقلام قنا الخط دونها عواملها تزرى على الصارم الهندى
لعاب الافاعي دون فعل لعابها على أنه يشفي العليل لدى الورد
إذا ماسواد النقس حل بطرسه بصبح بيان طابق الضد بالضد
فتلك برود قد تناسق وشيها وتلك لآلى الفضل تنظم في عقد
وتلك جنان بالعوارف أثمرت وتلك رياض زهرها وافر الرفد
وتلك ظباة تتقى فتكاتها ووقع كلام دونه صولة الاسد
الى رأيه تلقى الملوك زمامها وتفرده بالامر في الحل والعقد
وتعتد رأيا منه نجحا لقصدها فتحمي عن الاعراض بالجوهر الفرد
فلا برحت علياه يروى حديثها فيسندها الأبنا عن الأب والجد
ولا زال فى الدنيا حليف مسرة سعيدا وفي أخراه فى جنة الخلد

ثم لحماة أعمال قد جلت على أطافيها واستغنت عن اتساع الارجاء ببديع حسنها ورفيع مكانتها . وقد حدها فى التعريف فقال : حدها من القبلة مدينة الرستن وما سامتها آخذا على سلمية الى ما استقل عن قبة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حد المعرة من الغرب ؛ وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة . وتشتمل على ثلاثة أعمال :

الاول عمل برّها ، وهو ظاهرها وما حولها كما تقدم فى حلب ودمشق * الثانى عمل بارين وهى بلدة في الغرب عن حماة بميلة يسيرة الى الجنوب على مرحلة منها * الثالث عمل المعرة ، وتعرف بمعرة النعمان، قال البلادرى ، إضافة الى النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى . قال في العزيزى وهي مدينة جايلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب ، وشرب أهلها من الآبار . ويقال ان بها قبر شيث بن آدم ويوشع بن نون، وعلى القرب منها قبر عمر بن عبد العزيز . قال السمعانى : والنسبة اليها معرنمى — قلت : وهذا على مذهب من يرى أن المنسوب الى المركب من مضاف ومضاف اليه ينسب اليهما جميعاً كما ينسب الى عبد شمس عبشمى ، وعبد قيس عبقسى ، ونحو ذلك ؛ والمعروف فى النسبة اليها معرى نسبة الى المضاف فقط

﴿ القاعدة الرابعة ﴾

من قواعد البلاد الشامية أطرابلس ، قال فى تقويم البلدان بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين و باء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة ؛ قال فى اللباب قد تسقط الالف منها فرقا بينها و بين أطرابلس التى فى الغرب ؛ وانكر ياقوت فى المشترك سقوطها، وعاب المتنبي على حذفها منها فى بعض شعره . قال في الروض المعطار : ومعنى اطرابلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حمص واقعة هي وسائر أعمالها في الاقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وكانت في الاصل من بناء الروم ، وكان الفرنج قد استولوا عليها وأقامت بأيديهم ١٨٤ سنة فلما افتتحها المسلمون في سنة ٦٨٨ فى الدولة المنصورية قلاوون خربوها وبنوا عوضها مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها وهي الموجودة الآن. وهي مدينة ممصرة كثيرة الزحام ذات مساجد وجوامع ومدارس وزوايا و بيمارستان وأسواق جليلة وحمامات حسان . وجميع بنائها بالحجر والكلس مبيضا ظاهرا و باطنا، وغوطتها محيطة بها، ويحيط بغوطتها مزدرعاتها، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقها يتخزن الماء في مواضع من أعالى بيوتها التى لا يرقي اليها إلا بالدرج العلية ، ودمنتها تنسب الى الوخامة وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج ومواش . ولها مينا جليلة تهوى اليها وفود البحر الرومى وترسى بها مراكبهم وتباع بها بضائعهم . وهى بلدة متجر وزرع كثيرة الفوائد ، ولها أعمال متسعة . وقد حدها فى التعريف فقال : حدها من القبلة جبل لبنان ممتدا على ما يليه من مرج الاسد (فى التعريف : الاسل) حيث يمتد النهر العاصى؛ وحدها من الشمال قلاع الدعوة ؛ وحدها من الغرب البحر الرومي . وتشتمل على ثمانية عشر عملا ما بين كبار وصغار :

الاول عمل حصن الاكراد – وهي قلعة حصينة من جند حمص مقابلة حمص من غربيها علي الجبل المتصل بجبل لبنان على نحو مرحلة من حمص . قال في التعريف : وهي حصن جميل وقلعة شماء لا تبعد منها السماء وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس «الثانى عمل حصن عكا – وهي قائمة علي مرحلة من طرابلس فى جهة

الشرق بوسط جبل لبنان في واد والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجرى اليها من ذيل لبنان ولها ربض ليس بالكبير * الثالث عمل بلاطنس — وهي قلعة في جهة الشمال عن طرابلس على نحو مرحلتين، وفى الغرب من مصياف على نحو مرحلة * الرابع عمل صهيون وهى قلعة من جند قنسرين ذات حصانة ومنعة مبنية على صخر أصم في ذيل جبل يظهر من اللاذقية، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الامطار * الخامس، عمل اللاذقية — وهي مدينة من سواحل الشام وعدها فى العزيزى من أعمال حمص، ثم قال، وهى مدينة جليلة بل هى أجل مدينة بالساحل متسعة ذات عمارة ولها ميناحسنة * السادس، عمل المرقب — وهى قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومى حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر. ولم يتعرض لذكرها في التعريف ولا فى مسالك الابصار * السابع عمل الرصافة — وهى احدى قلاع الدعوة التي كانت بيد الاسماعيلية المعروفين الآن بالفداوية، وهم يسمون أنفسهم اصحاب الدعوة الهادية. وهي قلعة بالقرب من مصياف، وهي غير رصافة هشام التى على الجانب الغربى من الفرات * الثامن عمل الخوابى وهى من قلاع الدعوة أيضا واقعة فى جهة الشمال من طرابلس على نحو مرحلتين منها * التاسع عمل القدموس — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من الخوابي المقدمة الذكر * العاشر عمل الكهف — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من القدموس على نحو ساعة منها على نشز من جبل مرتفع عال على بعد * الحادى عشر عمل المينقة وهى قلعة من قلاع الدعوة على جبل مرتفع بالقرب من الكهف على نحو ساعة * الثانى عشر عمل العليقة — وهى قلعة من قلاع الدعوة على الجبل المقدم ذكره على نحو ساعة من المينقة المتقدمة الذكر * الثالث عشر عمل أنطرسوس — وهى بلدة بالساحل . قال فى تقويم البلدان : وهى ثغر لأهل حمص فتحها المسلمون وخربوا أسوارها، قال، وهي الآن آهلة * الرابع عشر عمل « جبة المنيظرة » وهى بلدة صغيرة * الخامس عشر عمل الظنيين وهى كورة بين مصياف وفاميه * السادس عشر عمل بشريه، ويقال : بشراى بأبدال الهاء ياء مثناة تحت * السابع عشر عمل جبلة — وهى بلدة صغيرة بساحل البحر الرومى ، قال في العزيزي ، ولها أعمال واسعة . وبينها وبين اللاذقية ١٢ ميلا، وبينها وبين انطاكية ٤٨ ميلا، وبها مقام ابراهيم بن أدهم *

الثامن عشر عمل أنفة ـ وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلة

القاعدة الخامسة صفد

من قواعد البلاد الشامية صفد ، قال فى تقويم البلدان، بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة من فوق في آخرها ، ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس ان مكان التاء دالا مهملة . وقال السمعانى فى تاريخ صفد: سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدموية منهم، وأصل الصفت في لغتهم العطية ؛ ثم قال : ويجوز ان تكون سميت بذلك أخذا من الصفد، وهو القيد، لأن ساكنها يمتنع من الحركة للطلوع والنزول لارتفاع مكانها كما يمتنع المصفد بالقيد من الحركة السريعة . وهي مدينة من جند الأردن واقعة هي وأعمالها فى الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في تقويم البلدان وهي بلدة متوسطة بين الكبر والصغر. وذكر العثمانى أنه كان مكانها أولا قرية فلما ملكتها الفرنج بنت مكانها هذا الحصن في سنه ٤٩٥ . وقلعتها من الحصون المنيعة تشرف على بحيرة طبرية وتحف بها جبال وأودية. قال الواسطى بنتها الفرنج سنه ٤٩٥ . قال فى مسالك الأبصار: وهى جديرة بالتعظيم فقل ان يوجد لها شبيه ولا يعلم لها نظير، وربضها منتشر العمارة على ثلاثة أجبل . وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادى لقلة الماء بها وسوء بناء حماماتها. وبساتينها تحتها في الوادى الى جهة بحيرة طبرية. وكل ما يوجد فى دمشق يوجد فيها إما من بلادها وإما مجلوب من دمشق اليها. ولها نواح وأعمال تخصها . قال في التعريف : وحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية: ومن الشرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف و بين حولة بانياس ؛ وحدها من الشمال نهر ليطا؛ ومن الغرب البحر . وقد ذكر لها في التعريف ستة أعمال. وذكر لها في مسالك الأبصار اثنى عشر عملا : الأول عمل برّها وهو ظاهرها كما فى دمشق وحلب وغيرها من القواعد السابقة * الثانى عمل الناصرة وهي بليدة صغيرة من جند الأردن ، قال فى الروض المعطار، على ثلاثة عشر ميلا من طبرية ، قال ، ويقال ان المسيح عليه السلام ولد بها وأهل القدس ينكرون ذلك والمعروف ان أمه حين عادت به من مصر وعمره سنة نزلت به هذه القرية وهي اليوم منبع الطائفة النصيرية * الثالث عمل طبرية ـ وهي

مدينة من جند الاردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فعرفت به، ثم عربت طبرية ؛ والنسبة اليها طبرانى للفرق بينها و بين طبرستان حيث النسبة اليها طبرى. وهي في الغور في سفح جبل على ضفة بحيرتها. قال فى مسالك الابصار : ومن عملها قدس، وكان معها قديما السواد و بيسان بجبل عاملة ثم خرجا عنها * (الرابع عمل تبنين وهونين — قال فى مسالك الابصار : وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة) وجعل العثمانى فى تاريخ صفد هونين من عمل الشقيف. وأهل هذا العمل شيعة رافضة * الخامس عمل عثليث — وهي كورة بين قاقون وعكا فيها قرى متسعة، قال العثمانى، وفى آخر هذا العمل بلاد قاقون وهو آخر الاعمال الصفدية * السادس عمل عكا - وهي مدينة قديمة من سواحل الشام ، قال العثمانى ، بناها عبد الملك بن مروان (ثم غلب عليها الفرنج ، ثم انتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب) ثم استعادتها الفرنج ثم انتزعها منهم المنصور قلاوون وخربها فى سنه ٦٩٠ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صفد، فلما خربت أقيمت صفد مقامها. وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام * السابع عمل صور وهى مدينة قديمة بساحل دمشق وكانت من أحسن الحصون فلما استعادها المسلمون في سنة ٦٩٠ مع عكا خربوها كي لا تصير حصنا للعدو . وهي خراب الى الآن .ويقال انها أقدم بلد بالساحل وان عامة حكماء اليونان منها . قال فى العزيزى: و بينها و بين عكا اثنا عشر ميلا قال في التعريف: و بصور كنيسة يقصدها ملوك البحر عند تمليكهم فيملكون ملوكهم بها اعتقادا أن تمليكهم لا يصح الا فيها، وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة؛ ومع ذلك يأتونها مباغتة فيقضون اربهم منها ثم ينصرفون . وأهل هذا العمل الآن رافضة * الثامن عمل الشاغور — وهى كورة بين عكا وصفد والناصرة بها قرى متسعة. وجعلها العثمانى شاغورين:أحدهما شاغور النعبة وهي جبل به قرى عامرة. والثانى شاغور غرابة وفيه عدة قرى وبه كان مقام أولاد يعقوب عليه السلام التاسع عمل الاقليم— وهي كورة بين دمشق والشغرا والخربة بها قرى متسعة. قال العثمانى وغالب أهل هذه البلاد حاكمية دهرية دروز ينكرون الشرائع و يعتقدون التناسخ ولا يرون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ولا بعثا ولا نشورا، و يستبيحون الميتة ولحم الخنزير ونكاح المحارم ولا يغتسلون من الجنابة، و يستحلون المسكر ولا يتنزهون عن

النجاسة * العاشر عمل الشقيف ، و يعرف بشقيف أرنون ، بفتح الهمزة وسكون الراء وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر . قال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف الشقيف اليه ، و يعرف أيضاً بالشقيف الكبير، وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة في الصخر و بعضه له سور؛ وهو في غاية الحصانة . قال العثماني وهو أكبر اعمال صفد وأطيبها وأهله رفضة * الحادى عشر عمل جينين ـ وهي بلدة قديمة متسعة مركبة على كتف واد لطيف به نهر ماء يجرى؛ وهي في الشمال عن قاقون على نحو مرحلة من رأس مرج ابن عامر ؛ و بها مقام دحية الكلبي الصحابي رضى الله عنه * الثاني عشر عمل اللجون ـ قال في مسالك الابصار : وكان معها السواد و بيسان وخرجا عنها. ومما يذكر فيها حيفا وهي خراب على الساحل، وقلعة كوكب وهي التي يقول فيها العماد الاصفهاني: راسية راسخة، شماء شامخة ؛ وقلعة الطور وهي قلعة على جبل الطور الذى هناك بناها العادل بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها

القاعدة السادسة الكرك

من قواعد البلاد الشامية الكرك ، بفتح الكاف والراء المهملة وكاف ثانية في الآخر ، وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها منه . قال في تقويم البلدان وهي من البلقا وهماً وهي وأعمالها من الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة قال في مسالك الابصار : وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا يتديره رهبان ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى اليهم من يجاورهم من النصارى فقامت به الاسواق ودارت لهم فيه معايش وأوت اليه الفرنج فأداروا أسواره وصارت مدينة عظيمة؛ ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعاقل وأحصنها. و بقي الفرنج مستولون عليه حتى فتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد أخيه العادل ابي بكر . قال في التعريف : وكانوا قد عملوا به مراكب ونقلوها الى بحر القلزم لقصد الحجاز الشريف لأمور سولتها لهم أنفسهم فأوقع الله بهم بالغرائم الصلاحية والهمم العادلية فقبض عليهم وحملوا الى منى فنحروا بها على جمرة العقبة حيث تنحر البدن ؛ واستمرت بأيدى المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الاسلام حرزاً ولاموالهم كنزا. ولم تزل الملوك في الزمن المتقدم يستخلفون به أولادهم و يعدونه

لمخاوفهم. وهو بلدخصب، وتحته بواديه بساتين كثيرةوفواكه مفضلة وحمام. ثم لها نواح واعمال . قال في التعريف :وحدها من القبلة عقبة الصوان:ومن الشرق بلاد البلقا ،ومن الشمال بحيرة سدوم ، ومن الغرب تيه بني اسرائيل . وتشتمل على أربعة أعمال:

الأول عمل برها ، وهو ظاهرها كما تقدم فى غيرها من القواعدالمتقدمة * الثانى عمل الشوبك — قال في تقويم البلدان : وهي من جبل الشراة وموقعهاوموقع أعمالها في الأقليم الثالثمن الأقاليم السبعة. وهي بلدة صغيرة داخلة في البر أكثرمن الكرك ذات عيون وجداول تجرى و بساتين وأشجار وفواكه مختلفة . قال فى العزيزى : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل أبيض مرتفع مطل على الغور من شرقيه . قال في تقويم البلدان : وينبع من تحت قلعتها عينان تجريان الى البلدومنها يشرب أهلها و بساتينها * الثالث عمل زُغَر -- وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية بنتها زغر بنت لوط عليه السلام فسميت بها * الرابع عمل مُعان — وهي مدينة صغيرة بناها معان بن لوط عليه السلام فسميت به . قال ابن حوقل : كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال في تقويم البلدان : و بينها و بين الشوبك مرحلة . قال في مسالك الابصار : وقدخربت هي وعملها ولم يبق بها أحد

الفصل الثالث

فيما أضيف الى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من بلاد الحجاز وما صاقبها . وتشتمل هذه المملكة من الحجاز على ثلاث قواعد

﴿ القاعدة الاولى مكة ﴾

وهى بفتح الميم وتشديد الكاف المفتوحة وهاء فى الآخر كما نطق به القرآن فى قوله تعالى « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة » سميت بذلك لقلة مائها أخذا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه ، اذا امتصه ؛ ويقال فيها أيضاً « بكة » بأبدال الميم باء ، وبه نطق القرآن الكريم فى قوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » أخذا من البك ، وهو الدق ، لأنها تبك اعناق الجبابرة اذا بغوا فيها . وقيل هى بالميم الحرم ، و بالباء المسجد ؛ وقيل هي بالباء موضع الطواف

وقد ذكر العلماء لها ستة عشر اسما ذكرتها مع بيان مآخذها فى الاصل . وهى من جملة الحجاز ؛ وقيل من تهامة ، ورجحه فى تقويم البلدان . وموقها هى وأعمالها فى الاقليم الثانى من الأقاليم السبعة . وهى مدينة في بطن واد والجبال محتفة بها : فأبو قبيس مشرف عليها من شرقيها ؛ وأجياد، بفتح الهمزة مشرف عليها من غربيها ؛ والكعبة ، البيت الحرام ، بوسطها . قال في الروض المعطار : وسعتها من الشمال الى الجنوب نحو ميلين ، ومن أسفل أجياد الى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك والحرم مطيف بها من جميع جهاتها وجوانبها ، ومقاديره تتفاوت فى القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده اعلام منصوبة . قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان بن أد خوفا من الاندراس والتغير . ومن حدوده المشهورة الحديبية والجعرانة . قال ابن حوقل : وليس بمكة الحرم شجر يثمر إلا شجر البادية . وقد ذكرنا فى الاصل أن البيت بنى سبع مرات أولها بناء الملائكة ، والثانى بناء ابراهيم عليه السلام ، وآخرها بناء الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وهو الموجود الآن وارتفاعه ٢٥ ذراعا ؛ وبينه وبين الركن الأسود والركن الشامى ٢٤ ذراعا، وبين الركن الشامي والركن الغربى وهو جانب الحجر ٢١ ذراعا وبين الركن اليمانى وركن الحجر الاسود ٢٠ ذراعا أنقص من مقابله بذراع ثم لمكة قرى ومخاليف وأكثرها جبال. وأوديتها معمورة مسكونة ذات عيون جارية وحدائق محدقة والمشهور منها عشرة أماكن :

الاول جدة — وهى فرضة مكة على بحر القلزم وهى بالغرب عن مكة بميلة الى الشمال ؛ قال فى تقويم البلدان ،على مرحلتين : وقال الادريسى : بينهما ٤٠ ميلا * الثانى بطن نخل ، ويقال فيه وادى نخلة . والجارى على ألسنتهم نخل باسقاط وادى . قال الجوهرى : وبه كانت القرى التى هى طواغيت قريش . وهى الآن بيد هذيل وهى قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . وغالب فواكه مكة وقطانيها وتمورها منها ، ومنها يصب الماء الى بطن مر * الثالث بطن مر — وهى واد فى الشمال عن مكة على مرحلة منها يمر به حجاج مصر والشام ، وبه عيون ومياه تجرى ونخيل كثيرة والمزدرع متصل من وادى نخلة اليها وفواكهها وبقولها تحمل الى مكة * الرابع الهدة — وهى واد على الغرب من بطن مر على مرحلة ونصف من مكة ، وهى بيد بني جابر *

الخامس عسفان — وهى واد معروف على طريق حجاج مصر على ثلاث مراحل من مكة ، بها عيون وحدائق ؛ والماء ينصب اليها من الهدة * السادس البزرة — وهى واد بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة ، وهى بيد بنى سلوان و بنى معبد * السابع خليص — وهو واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة * الثامن وادى كلبة — وهو واد بالقرب من خليص وكان بيد سليم وقد خرب بعد الثمانين وسبعمائة * التاسع الطائف — وهو بلد شرقي بطن نخل بينه و بين مكة ، قيل سميت بذلك لأنها في طوفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطاف بها الأرض حتى أرست بهذا الموضع واسمها القديم « وج » سميت برجل من العمالقة اسمه « وج »، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطا مطيفا بها فسميت الطائف . وهى بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيره مع رطوبة الهواء لانها شديدة البرد حتي انه ربما جمد الماء بها * العاشر مرّ الظهران — وهو موضع بينه و بين مكة نحو ١٦ ميلا . وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلحه مع قريش: وكان به ضياع كثيرة ، وهي الآن خراب . قال في الروض المعطار : وبه حصن كبير كان يسكنه شكر بن الحسن ، يعنى أمير مكة

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)

والمدينة اسم غلب عليها ، وبه نطق القرآن الكريم فى قوله تعالى « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل » ؛ واسمها القديم يثرب ، وبه نطق القرآن فى قوله تعالى « ياأهل يثرب لامقام لكم » قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره: وحديث النهى عن تسميتها بذلك ضعيف . قال الزجاجي وسميت بذلك لان أول من سكنها يثرب بن قانيه بن مهائيل بن ارم بن عسل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . وسماها الله تعالى « الدار » بقوله « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » . وسماها النبى صلى الله عليه وسلم « طيبة » و « طابة » ولها أسماء أخرى غير ذلك ذكرناها فى الاصل . قال فى تقويم البلدان : وهي من الحجاز ، وقيل من نجد ؛

وموقعها قريب من الاقليم الثانى من الاقاليم السبعة . وقد ذكر صاحب « المناء الدائم » ان أول من بناها تبع الاول حين اعلمه من معه من الكهنة ان بها مظهر نبي يظهر في آخر الزمان اسمه « محمد » فبناها وأسكن بها جماعة من العلماء، وكتب كتابا الى النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فيه ايمانه به قبل ظهوره وأودعه عند كبير تلك العلماء فتناقله عقبه واحدا بعد واحد حتى هاجر النبي صلي اللهعليهوسلم الى المدينة فلقيه الذى صار اليه الكتاب بين مكة والمدينة ودفع الكتاب اليهصلى اللهعليهوسلم . وقيل في بنائها غير ذلك . وهي مدينة متوسطة في مستومن الارض ، وكان عليهاسور فى القديم وبخارجها خندق وهو الذى حفره النبىصلي اللهعليهوسلم يوم الاحزاب . وفي سنة ٢٣٠ (وفى الاصل ٢٣٦) بنى عليها اسحاق بن محمد الجعدى سورا منيعاً وهو باق عليها الى الآن ولها أربعة أبواب : باب فى الشرق ، وباب في الغرب ، وباب بين الشمالى والغرب ، وباب يخرج منه الى أحد . وبظاهرها عيون جارية وحدائق زاهية وبوسطها المسجد وبه الحجرة الشريفة وبوسطها قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما معه فيه دائر عليه مقصورة مرتفعة الى نحو السقف عليها ستر من حرير وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التى أخبر النبى صلي اللهعليه وسلم أنها روضة من رياض الجنة . ثم للمدينة حمى ومخاليف

أما حماها فهو الذى حماه النبى صلي الله عليه وسلم وحرمه' قال في الروض المعطار : وهو اثنى عشر ميلا. وخارج بابها الشرقي البقيع، بالباء الموحدة، وهو مدفن أكثر أمواتها وبه قبر ابراهيم ابن النبىصلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن على والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم وقبر الامام مالك بن أنس رحمه الله

واما مخاليفها فالمشهور منها ثمانيةمخاليف : الاول قباء بالمد والقصر، والمد أشهر. قال فى الروض المعطار : ومن العرب من يذكره فيصرفه، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت ببئر كانت هناك اسمها قبا . وهى قرية غربى المدينةعلى ميلين منها، وبها مسجد التقوى الذى أنزل الله فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » ومصلى النبى صلي الله عليه وسلم بها مشهور * الثانى خيبر - وهى بلدة بالقرب من المدينةفى جهة الشمال والشرق على نحو ست مراحل؛ وقيل أربع' والخيبر فى لغة

اليهود الحصن . وهي ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى قال فى تقويم البلدان : وهى بلد بنى عنزة من اليهود . قال الادريسى وكانت فى صدر الاسلام دارًا لبنى قريظة والنضير وبها كان السموءل بن عاديا الشاعر المشهور * الثالث فدك — وهي بلدة على يومين من المدينة . قال الزجاجي سميت بفدك بن حام ، وهو أول من نزلها . وبها حصن يقال له الشموخ على القرب من خيبر * الرابع الصفرا — وهي واد على ست مراحل من المدينة كثير المياه والحدائق والمزارع ، وعيونه يصب فضلها الى ينبع ؛ وهي بيد بنى حسن الشرفاء * الخامس وَدَّان — وهو واد به قرى خراب لا تحصى كثرة * السادس الفرع — وهو واد في جنوبى المدينة على أربعة أميال منها يشتمل على عدة قرى آهلة وماؤه يصب فى رابغ حيث يحرم حجاج مصر ومنها طريق المشاة من مكة الى المدينة . قال فى الروض المعطار : ويقال انها أول قرية مارت اسماعيل التمر بمكة . وهي الآن بيد بنى حرب* (السابع الجار — وهي فرضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها . قال ابن حوقل : و بينها و بين الجحفة ثلاث مراحل) * الثامن وادى القرى — قال في الروض المعطار: وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب وهم الغالبون عليها . وهو الآن خراب ليس به أحد قلت : و بالغ الادريسى فى نزهة المشتاق فعد من مخاليفها تيماء ، ودومة الجندل ، ومدين وقد عد فى تقويم البلدان تيماء من بادية الشام تقريبا، وقال في دومة الجندل انه موضع فاصل بين الشام والعراق ، وقد تقدم ذكر مدين فى الكلام على كور مصر

القاعدة الثالثة ينبع

قال فى تقويم البلدان : وهي من تهائم الحجاز تقريبا، وقد غلب ادخال الألف واللام عليها فيقال الينبع . قال في الروض المعطار : وهي على تسعة برد من المدينه ، ولها فرضة على بحر القلزم على مرحلة منها ، وبها العيون الجارية والحدائق النزهة وأنواع الخضراوات ، وبها حصن على رأس جبل . قال ابن حوقل: وبها وقف لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . وحضارتها وإمارتها مستحدثة. قال صاحب العبر : وكان بها من بني الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه بنو حراب ، و بنو

عيسى، وبنو علي و بنو أحمد، وبنوا ابراهيم.

قلت : وقد ذكرت في الأصل هنا من الممالك والمالك بالشرق والغرب والشمال والجنوب مالا يوجد في غيره من كتب هذا الفن . وأنا أذكر من ذلك كل مملكة او بلدة يكاتب ملكها أو القائم بها عن الابواب السلطانية بالديار المصرية مع ذكر احوال تلك المملكة في مواضعها من المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

ترتيب مملكة البلاد الشامية

تقدم أنها تشتمل على ست قواعد . ولاخفاء ان بكل قاعدة من تلك القواعد الست نيابة سلطنة تجرى فى الترتيب على نحو الديار المصرية والنائب بها قائم مقام السلطان فيها

النيابة الاولى

(نيابة دمشق وفيها مقصدان)

المقصد الاول في حاضرتها

أعلم ان نيابة دمشق هي أجل نيابات الممالك الشامية وأعلاها رتبة . ونائبها من اكابر مقدمي الالوف، وقد استقر في الالقاب نظير النائب الكافل بالديار المصرية ويعبر عنه في المكاتبات السلطانية بـ « كافل السلطنة الشريفة بالشام » ويكتب له تقليد من أجل التقاليد فى ديوان الانشاء . وهو قائم بدمشق مقام السلطان فى أكثر الأمور المتعلقة بنيابته ويكتب عنه التواقيع فى أكثر الوظائف بدمشق وأعمالها ، ويعبر عنها « بالكريمة » ، ويكتب عنه المربعات بتعيين اقطاعات الجند وتجهز الى الأبواب السلطانية فيشملها الخط الشريف السلطاني و يترتب حكم المربعات السلطانية المصرية والشامية على حكمها ، و يكتب على كل مايتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم السلطانية بالاعتماد . ولنائب السلطنة بها من الحاشية ، للسلطان من الدوادار، والخزندار والسلاح دار، وأمير جاندار، وأمير مجلس وغيرهم : وكذلك مهاترة البيوت وغيرهم من الغلمان . (ولقلعتها) نائب منفرد ليس لنائب دمشق عليه حكم : وولايته من الابواب السلطانية بمرسوم شريف من ديوان الانشاء . قال فى التثقيف : وكانت

عادة نائبها فى الايام المتقدمة مقدم الف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه وهي على ذلك الى الآن . ومن شأن نائبها انه يحفظ القلعة ولا يسلم مفتاحها الا لمن يتولاها مكانه أو لمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولنائبها اجناد بحرية ولا يركبون فى الغالب . وبدمشق الامراء من المقدمين والطبلخاناه ، والعشرات والخمسات ؛ وبها مقدمو الحلقة واجنادها ؛ وكان بها فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثلاثة حجاب : احدهم حاجب الحجاب ، وعادته ان يكون مقدم الف ، وهو فى الرتبة الثانية من النائب، ومن عادته الجلوس بدار العدل دون الوقوف ، واذا خرج النائب لمهم او غيره كان هو نائب الغيبة عنه ، واذا برز أمر السلطان بالقبض على نائب السلطنة كان ذلك اليه ويكون هو القائم بنيابة السلطنة بعده الى ان يقام نائب آخر ؛ والحاجبان الآخران طبلخانتان، اوطبلخاناه وعشرين، أو عشرة او غير ذلك، ثم صاروا بعد ذلك خمسة اوستة حجاب، ولم تجر العادة لكتابة مرسوم لاحد منهم بولايتها . وبها نقيب جيش ، وشاد دواوين ، ومهمندار، ووظائف أخرى كشاد المهمات ، وهو المتحدث فى الاحتياجات السلطانية؛ والخزندرية، وهي التحدث على الخلع والتشاريف وتقدمة البريد ، وغير ذلك من الوظائف . وبها والى شرطة يحكم داخل البلد . وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة وعادتها قضاة أربعة من كل مذهب قاض، وولايتهم من الابواب السلطانية . وبها قاضيا عسكر : شافعى وحنفي ، ووكالة بيت المال ، ونقابة الاشراف، ومشيخة الشيوخ وعادتها أن تكون لشيخ الخانقاه الشميصاتية . وبها من الوظائف الديوانية الوزارة وفى الغالب تنحط رتبة صاحبها فيعبر عنه بناظر المملكة، وولايته من الابواب السلطانية بكل حال ؛ وبها كتابة السر وهي الرتبة الثانية من كتابة السر بالديار المصرية ويعبر عن صاحبها « بصاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس» وولايته من الابواب السلطانية وبها كتاب الدست وكتاب الدرج كما فى الديار المصرية ؛ وبها نظر المهمات ونظر الخزانة ونظر خزائن السلاح ونظر البيوت ونظر الاسواق ونظر مراكز البريد ونظر الحوطات، وهو نحو استيفاء المرتجع الى غير ذلك . وبها من الوظائف الصناعية رآسة الطب ورآسة الكحالين ورآسة الجرائحية . وبها من وظائف الحكم على الملل المخالفة بطريرك النصارى اليعاقبة و بطريرك الملكية (كذا بالضوء، وفي الصبح الملكانيه، ولعلها اللاتينيه) ورئاسة اليهود القرايين والربانيين ورئاسة السامرة

واعلم ان ترتيب ولايتها يوافق ترتيب السلطنة بالديار المصرية فى بعض الامور ويخالفه في بعضها . وكانت عادة النائب بها فى يومى الاثنين والخميس ان يركب فى العسكر من الامراء ومقدمي الحلقة وأجنادها ويخرج الى سوق الخيل تحت القلعة يسير فيه كما يفعل النائب الكافل بالديار المصرية ، ثم صار الآن يركب الى قبة يلبغا قبلى دمشق والى نحو ذلك من جهاتها ، ثم يعود النائب فى موكبه الى تحت القلعة فيقف فى الموكب ساعة ، ثم يسير الى دار النيابة فأذا قرب منها ترجل العسكر على قدر مراتبهم ويبقى راكبا حتي ينتهي الى قاعة عظيمة معدة للجلوس في المواكب وبصدرها كرسي من خشب مغشى بالحرير الاطلس الاصفر وعليه سيف نمجاه مسند الى صدره ؛ فيجلس بصدر القاعة على مقعد لايشاركه فيه غيره وخلفه بشتميخ منصوب وراء ظهره والكرسي على شماله على نحو ثلاثة اذرع ، ويجلس قاضى القضاة الشافعى عن يمينه على نحو ثلاثة أذرع ، ويليه الحنفى ثم المالكي ثم الحنبلى ، ويليه قاضى العسكر الشافعي ، ويليه قاضي العسكر الحنفى ، ويليه مفتى دار العدل الشافعى ، ويليه مفتى دار العدل الحنفي ، صفا مساويا للنائب في صدر القاعة ؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا لمقعده الذى هو جالس عليه جاعلا يمينه الى جدار صدر القاعة وظهره الى جهة الكرسى بانحراف يسير لمواجهة النائب ؛ وكتاب الدست بالميسرة تحته على التدريج بحسب مراتبهم صفا ممتدا من كاتب السر الى جهة باب القاعة ؛ ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبلي ؛ ويجلس ناظر الجيش دونه وكاتب الدست بالميمنة تحت ناظر الجيش على الترتيب صفا آخر آخذا من الوزير الى جهة باب القاعة ، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين ؛ ويجلس أتابك العساكر من الامراء فى رأس الميمنة خلف الوزير على قدر رتبته ، وبقية الامراء المقدمين تحته على الترتيب ، وأمراء الطبلخاناه تحتهم كذلك حتى يصيروا صفا خلف الوزير ومن معه : ويجلس المقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه ؛ وتحتهم الطبلخاناه على الترتيب صفا آخر مقابلا لصف الميمنة بحيث يكون أوله خارجا عن يسار الكرسي ، ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع ، وبينه وبين الميسرة نحو عشرة أذرع ؛ وتقف طائفة من العشرات والخمساوات ومقدمى الحلقة بالميمنة صفا مستقبلا خلف

الاتابك والامراء الجلوس في صفه على ترتيب منازلهم ، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرسي صفا آخذا من خلف اول مقدمي الميسرة بانحراف فيه الى خلف ؛ ومن الميمنة من مقدمي الحلقة خلف الامراء الجالسين في الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب ، ويجلس حاجب الحجاب امام النائب في آخر صفي الموقعين الممتدين من جهة كاتب السر والوزير بميلة الى صف الميمنة ، ويقف بقية الحجاب خلفه ، ونقباء الجيش خلفهم . وتوخذ القصص فيتناولها نقباء الجيش ويوصلونها الى حاجب الحجاب فيتناولها ويتقدم فيوصلها الى كاتب السر فيفرقها على كتاب الدست ويبتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما في يده من القصص ويوقع عليها بما يرسم له به النائب ، ثم يقرأ الذي يليه ، ثم الذي يليه كما تقدم في الديار المصرية . فاذا انتهت القراءة قام القضاة ومن في صفهم وكاتب السر والوزير وناظر الجيش وسائر أرباب الاقلام فينصرفون ؛ فاذا انصرفوا مد السماط . ويجلس النائب على رأس السماط والامراء ومقدمو الحلقة على ترتيب منازلهم فيأكلون ، ثم يرفع السماط ويتحول النائب الى طرف الايوان فيجلس فيه ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتي المحاكمات فيفصلها ويقرأ عليه كاتب السر ما رفع في ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بوظيفته ، ثم يقوم وينصرف كاتب السر وناظر الجيش . . . قال في مسالك الابصار : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت - قلت : وهو يوم ركوب ليس فيه دار عدل ولا سماط (على انه ربما أهمل حضور دار العدل ومد السماط في يومي الاثنين والخميس أيضا كما في الديار المصرية)

﴿ المقصد الثاني ﴾

في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق وولاية الامور فيها على أربعة أنواع

(النوع الاول)

النيابات وهي على ثلاث طبقات .

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمي الالوف ، وبها نيابة واحدة من هذه الطبقة وهي نيابة غزة من الصفقة الغربية ولها حالان : أحدهما أن تكون نيابة فيكون حكم نائبها على الصفقة بجملتها من الساحل والجبل ، ويكون قضاتها وسائر ارباب وظائفها من

الابواب السلطانية وهو نادر لم يتفق في زماننا الا في الدولة الظاهرية برقوق في ولاية ابن باكيش برهة من الزمن * الثانى ان يكون تقدمة عسكر فيفرد بالساحلية خاصة وهو الغالب، وعليه الحال في زماننا. وبكل حال فنائبها أو مقدم العسكر بها مقدم ألف. وبها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدمو الحلقة وأجنادها. وليس بها مقدم الف غير النائب أو مقدم العسكر أيهما كان. ومن وظائف أرباب السيوف بها الحجوبية وحاجبها الكبير أمير طبلخاناه، ومن دونه عشرة؛ ومنها شد الدواوين، والمهمندارية، ونقابة النقباء القائمة مقام نقابة الجيوش، وولاية المدينة، وولاية البر وغير ذلك. وبها من الوظائف الدينية القضاء، وبها قاضيان: شافعي وهو نائب عن قاضى دمشق ان كانت غزة تقدمة عسكر والا فولايته من الابواب السلطانية، وحنفى وهو مستحدث الولاية وولايته من الابواب السلطانية؛ وبها المحتسب، ووكيل بيت المال ومن فى معناهم، وكلهم نواب لارباب الوظائف بدمشق كما فى القاضى الشافعي: وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل. وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج يقوم مع النائب مقام كاتب السر، وناظر جيش، وولايتهما من الابواب السلطانية

﴿الطبقة الثانية﴾ النيابات الطبلخاناة — وبها من هذه الوظيفة اربع نيابات: الاولى نيابة القدس من الصفقة المذكورة. واعلم انها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يوليها نائب الشام، ثم استقرت نيابة طبلخاناه فى سنة ٧٦٧ كما قاله فى التثقيف. وقد جرت العادة ان يضاف اليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام ويعبر عنهما بالحرمين وبذلك عبر في التعريف في الكلام على وصية الناظر عليهما. وبها من وظائف أرباب السيوف غير النيابة ولاية قلعة القدس، وعادتها جندى من قبل نائب الشام، وكذلك ولاية المدينة. وبها قاض شافعي ومحتسب وهما نائبان عن قاضى دمشق ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف نيابات عن أرباب الوظائف بدمشق * والثانية نيابة صرخد من الصفقة القبلية. قال فى التعريف: وقد يجعل فيها من ينحط عن رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة؛ وذكر نحوه فى مسالك الابصار — قلت. وممن وليها من هذه الرتبة العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة ثم انتقل منها الى نيابة حماة. واعلم أن بصرخد المذكورة قلعة لها وال خاص، قال فى التعريف، وهى من القلاع التي يستقل

نائب الشام بالتولية فيها * الثانية نيابة بعلبك من الصفقـة الشمالية — وقد كانت فى الأيام الناصرية بن قلاوون إمرة عشرة وهى الآن طبلخاناه و بكل فنائب الشـام يستقل بتوليتها وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال فى التعريف : ولهـا ولاية خاصة ، يعني ولاية المدينة * الرابعة ولاية حمص من الصفقة الشرقية (كانت فى الأيام الناصرية فما بعد تقدمة الف) قال فى التثقيف ثم استقرت طبلخاناه وهي على ذلك الى الآن

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ النيابات العشرات وفيها نيابتان : الاولى نيـابة عجلون من الصفقة القبلية . قال فى التثقيف : وهي وان كانت نيابة فأن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ولم تجر له عادة بالمكاتبة من الأبواب الشريفة؛ الثانية نيابة مصياف من الصفقة الشرقية ، وقد تقـدم أنها كانت من مضافات طرابلس ثم اسـتقرت من مضافات دمشق — قلت : وقد كتبت نيابتها فى الدولة الظاهرية برقوق لابن اتابك المجاهدين بأمرة عشرة وربما كانت طبلخاناه

﴿ النوع الثاني ﴾

(الكشف وولاية الولاة . وبها من هذا النوع كاشفان)

الاول كاشف الصفقة القبلية . قال في التعريف : ومقرته مدينة أذرعات ، وهو تارة يكون طبلخاناه فتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الابواب السلطانية . ثم هو ان كان مقدم ألف سمى كاشـف الكشاف ، وان كان طبلخاناه سمى والى الولاة وهو الغالب * الثاني كاشف الرملة، من الصفقة الغربية . وهو مما استجد فى الدولة الظاهرية برقوق، وعادته امرة طبلخاناه، وقد صار يكتب اليه من الابواب السلطانية في خـلاص الحقرق كما يكتب الى كاشف الوجـه البحرى بالديار المصرية، وكانت قبل ذلك ولاية صغيرة يليها جندى

﴿ النوع الثالث ﴾

(الولايات ، وهي على ثلاث طبقات)

﴿ الطبقة الاولى ﴾ من ولاياتها الطبلخاناه، وهي ثلاث ولايات :

الاولى ـ ولاية نابلس من الصفقة الغربية وقد تكون امرة عشرة و ربما كانت

امرة عشرين * الثانية ولاية بيروت من الصفقة الشمالية * الثالثة ولاية صيدا من الصفقة المذكورة . قال فى مسالك الابصار: وهي ولاية جليلة . ثم ربما كانت امرة عشرة

﴿ الطبقة الثانية ﴾ من ولاياتها العشرات ـ قد تقدم ان نابلس قد تكون امرة عشرة وقد تكون امرة عشرين، وان ولاية صيدا قد تكون امرة عشرة

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ من ولاياتها مقدمو الحلقة وأجنادها . وبها من هذه الطبقة ما هو الأكثر عددا وهي : ولاية الرملة وقد بطلت باستقرار الكاشف بها ، وولاية لدّ من الصفقة الغربية وقد أضيفت الى كاشف الرملة، وولاية قاقون منها وقد أضيفت الى كاشف الرملة ايضاً ، وولاية بلد الخليل عليه السلام منها وقد أضيفت الى القدس حين استقرت نيابة، وولاية بيسان من الصفقة القبلية ، وولاية بانياس منها وقد تكون إمرة عشرة، وولاية قلعة الصبيبة منها وقد أضيفت الى بانياس، وولاية الثغر امنها وكانت فى الزمن المتقدم مضافة الى بانياس ثم أفردت عنها ؛ وولاية حسبان والصلت منها وقد أخبرني بعض كتاب سر الشام أنهما إن جمعا لوال واحد كان طبلخاناه أوعشرة، وان أفرد كل منهما كان جنديا ، وولاية البقاع البعلبكي والبقاع العزيزى من الصفقة الشمالية قال فى التعريف : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال واحد جليل منفرد بذاته ثم اذا جمعا فتارة تكون لمقدم حلقة وتارة لجندى . وولاية قارا من الصفقة الشرقية ، وولاية سلمية منها ، وولاية تدمر منها

واعلم أن هذه الطبقات من النيابات والكشف والولايات قد تنتقل فى المراتب عما هى عليه بزيادة أو نقص وليست بمستلزمة الدوام

(النوع الرابع)

امراء العرب ومقدموهم . والداخلون فى نطاق اعمال دمشق من العرب المؤمر عليهم سبع قبائل :

(القبيلة الاولى) ــ آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية وهم بنو ربيعة ابن حازم بن على بن مفرج بن دغفل بن جراح . وقد سقنا نسبه فى الاصل فى المقالة الاولى الى طي . وفى بني جراح كانت الرئاسة فى الدولة الفاطمية قال فى التعريف: وهم

يزعمون انهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكي من العباسة بنت المهدي اخت الرشيد، قال في مسالك الابصار: ويقولون أنه كان يحضر مع الرشيد في مجالس خاصة وهي حاضرة فعقد له عليها ليحل له النظر اليها وشرط عليه أن لا يواقعها فواقعها على حين غفلة من الرشيد فحملت وأتت منه بولد هم من نسله. قال في التعريف: ولو اقتصروا على عدهم في طيء لكان أبذخ لشرفهم وأقوم لفخارهم اذ لا تعدل العرب بفارس. قلت: وقد ذكرت في الاصل نسبهم الى طيء ونسبهم الذي يزعمونه الى يحيى بن خالد متصلا ابنا عن أب الى منتهاه. قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الاتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طغتكين (كذا) السلجوقي صاحب دمشق وقدم على السلطان نور الدين محمود فأكرمه وشاد بذكره. قال: وكان له اربعة اولاد هم: فضل، ومراء، وثابت، ودغفل. ووقع في كلام المسيحي أنه كان له ولد اسمه بدر أيضا. قال في مسالك الأبصار: ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرقيعة يحلونهم فوق كيوان وينوعون لهم أجناس الاحسان والامرة منهم الآن في ثلاثة أبطن:

﴿البطن الاول آل فضل﴾ وهم بنو فضل بن ربيعة، وهم رأس الكل وأغلاهم رتبة وأرفعهم منزلة. وقد ذكر في مسالك الابصار انهم تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل عيسى، وآل فرج، وآل سميط، وآل مسلم، وآل علي. وذكر من المضاف اليهم ما لا يكاد يحصى كثرة. قال، وأسعد بيت منهم في وقتنا آل عيسى. وقد صاروا بيوتا: بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل وبيت حادث بن عيسى وأولاد حديثة بن عيسى. قال وآل عيسي هؤلاء في وقتنا ملوك البر فيما بعدوا وقرب وسادات الناس ولا يصلح الا عليهم العرب... في كلام يطول. وقال ان ديارهم من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبه آخذين يسارا الى البصرة. قال: ولهم مياه كثيرة ومناهل مورودة. أما الامرة عليهم فقد ذكر في مسالك الأبصار: أنه لم يصرح لأحد منهم بأمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر بن أيوب. والذى استقر عليه الحال من أمرهم ان يكون لهم أمير كبير يولى من الابواب السلطانية ويكتب له تقليد شريف بذلك ويلبس تشريفا أطلسين أسوة النواب ان كان حاضرا، ويجهز اليه ان كان غائبا. ويكون لكل طائفة منهم أمير كبير قائم مقام أمير عليهم وتصدر اليه المكاتبات من الابواب السلطانية

الا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم

البطن الثاني -- آل مرا، وهم بنو مرا بن ربيعة بن فضل المقدم ذكره . قال في التعريف ومنازلهم حوران . وقال في مسالك الابصار : ديارهم من بلاد الجندور والجولان الى الزرقا والضليل الى بصرى . وزاد في مسالك الابصار فذكر منازلهم بالبوبة . قال: وقد تشعب آل مرا أيضا شعبا كثيرة وهم آل احمد بن حجى وفيهم الأمرة، وآل مسخر، وآل تمى، وآل بقرة، وآل شما، مع خلق كثير تدخل في مضافاتهم . ثم قال: وآل مرا أبطال مناجيد ورجال صناديد وأقيال قل كونوا حجارة أو حديدا . وأما الأمرة عليهم فعلى ما تقدم في آل فضل من أنه يكون لهم أمير كبير حاكم على جمعهم ودونه أمراء على طوائفهم

البطن الثالث -- آل على، وهم بنو على بن حديثة بن غضبة بن فضل المقدم ذكره، فهم من جملة آل فضل . قال في مسالك الأبصار : وهم آل بيت عظيم الشأن مشهور السادات له أموال جمة ونعم ضخمة ومكانة في الدول علية . وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين أخوتهم آل فضل و بنى عمهم آل مرا ومنتهاهم الى الجوف والخبابنة الى السكة الى تيماء الى البرادع . قال في التعريف وانما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الأمرة الى عيسى بن مهنا و بقي جار الفرات في تلابيب التتار . وأما الأمرة عليهم فلم تزل فيهم من عهد جدهم محمد بن أبى بكر بن على بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة من الأيام المنصورية قلاوون حين أمسك مهنا بن عيسى و بقيت في ذويه الى الآن

﴿ القبيلة الثانية ﴾ -- جرم، من طىء ايضاً . وهم بنو جرم ، واسمه ثعلب وجرم اسم أمه عرف بها فجعلهم من جرم قضاعة قال في مسالك الأبصار : وهم ببلاد غزة والداروم مما يلى الساحل الى بلد الخليل عليه السلام . ولهم أفخاذ كثيرة ذكرناها في الاصل . وأما الأمرة عليهم فقد قال في التعريف ان الامرة على عرب غزة، يعنى جرماً المذكورين، في زمانه كانت لفضل بن حجى . والمعروف الآن ان جرما انما يكون لهم مقدم لا أمير وعليه جرى في التثقيف وذكر أن مقدمهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان على بن فضل

﴿ القبيلة الثالثة ﴾ -- ثعلبة، من طىء أيضاً -- وهم بنو ثعلبة بن سلامان: وثعلبة

بطنان هما درما وزريق ابنا عوف بن ثعلبة ، وقيل ابنا ثعلبة لصلبه؛ وقد ذكرنا جماعة من بطونهم في الأصل . قال الحمداني : وثعلبة الشام من درما الى عينتاب . قلت : ولم يجر في التعريف ولا في التثقيف لثعلبة ذكر لعدم من يكاتب منهم

﴿ القبيلة الرابعة ﴾ بنو مهدي . وقد ذكر في مسالك الأبصار أنهم من القحطانية من طريق جذام . وقد ذكر في التعريف في الكلام على مكاتبات عرب الشام ان بني مهدى من عذرة — قلت : و بينهما بون فأن جذاما ترجع الى عمرو بن سبا وعذرة من قضاعة وقضاعة ترجع الى حمير بن سبا . قال في التعريف : ومنازلهم البلقا . وزاد في مسالك الأبصار فذكر منازلهم بالبرية . وقد ذكرنا بطونهم فى الأصل. وأما الأمرة عليهم فقد ذكر في التعريف : أنها مقسومة في أربعة منهم لكل واحد منهم الربع وذكر نحوه في التثقيف وهي على ذلك الى الآن

﴿ القبيلة الخامسة ﴾ زُبيد ولم يتعرض في مسالك الأبصار لنسبهم وذكر الجوهرى أن زبيدًا اسم قبيلة (ولم يزد) والمعروف ان زبيدا من سعد العشيرة من مذحج من كهلان من القطحانية . قال في مسالك الأبصار : وهم فرق شتى . وذكر ان في الشام منهم فرقة بصرخد، وفرقة بغوطة دمشق وذكر في التعريف ان منهم زبيد المرج، وزبيد حوران، وزبيد الأحلاف . وذكر في التثقيف نحوه — قلت : واذا اعتبر المعتبر الجمع بين كلامى مسالك الأبصار والتثقيف ظن ان فرق زبيد بالشام خمس فرق : زبيد المرج، وزبيد الغوطة، وزبيد صرخد، وزبيد حوران . وليس كذلك بل زبيد الغوطة وزبيد المرج واحدة اذ المراد غوطة دمشق ومرجها وهما كالشيء الواحد؛ وزبيد صرخد هي زبيد حوران كما صرح به في موضع آخر من مسالك الأبصار اذ صرخد من جملة بلاد حوران . اما زبيد الأحلاف فديارهم بالقرب من الرحبة بجوار آل فضل

﴿ القبيلة السادسة بنو خالد ﴾ عرب حمص . قال الحمداني وهم يدعون النسب الى خالد بن الوليد رضى الله عنه؛ وقد أجمع أهل العلم بالنسب علي انقراض عقبه . قال في مسالك الابصار : ولعلهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فخارا أن يكونوا من قريش

﴿ القبيلة السابعة غزية ﴾ فقد عدهم في التعريف من جملة عرب الشام، وهم بطن من

هوازن من العدنانية. قال في العبر : ولم تزل لهم الصولة. قال الحمداني: وهم بطون وأفخاذ ولهم مشايخ منهم من وفد على السلاطين. وأشار في التعريف الى أن الغالب عليهم عدم الطاعة

النيابة الثانية

من نيابة السلطنة بالممالك الشامية نيابة حلب وفيها مقصدان

المقصد الاول في حاضرتها

وهي على ما تقدم من دمشق من انقسام عسكرها الى مقدمي الالوف والطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة وأجنادها واقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق من المقدار وربما زاد اقطاع الحلقة بها على اقطاع الحلقة بالديار المصرية . وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة ، وهي في الرتبة الثانية من دمشق : فهي أعلى النيابات بالممالك الشامية بعدها . ويعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بـ(كافل السلطنة الشريفة بحلب) كما يقال في دمشق. ويكتب عنه التواقيع الكريمة بأكثر الوظائف بها وبأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات الجيشية بتعيين الاقطاعات وتجهز الى الابواب السلطانية ليشملها الخط الشريف ويكمل مناشيرها كما تقدم في دمشق ويكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد. ولقلعتها نائب خاص بها لا يدخل تحت حكم نائب السلطنة كما تقدم في قلعة دمشق ، وولايته من الابواب السلطانية بمرسوم شريف ونائبها امير طبلخاناه، وفيها من الاجناد البحرية نحو اربعين نفسا لحراستها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره ، والحرس في الليل على نحو ما تقدم في قلعة دمشق ؛ وبها حاجب حجاب والعادة أن يكون مقدم ألف ، وهو ثاني رتبة نائب السلطنة بها ، والامر فيه على ما تقدم في دمشق ؛ وثلاثة حجاب أخر إما طبلخانات أو طبلخاناتان وعشرة أو ما في معنى ذلك ؛ وبها شاد الدواوين ، وهو أمير عشرة : ووالي المدينة ، وهو أمير عشرة ؛ وشاد مراكز البريد ، وتقدمة البريدية الى غير ذلك من الوظائف . وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الاربعة من كل مذهب قاض ؛ وقضاء العسكر ، وبه قاضيان : شافعي وحنفي ؛ وافتاء دار العدل ، وبها اثنان كذلك ووكالة بيت المال. وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية والحسبة وقد يوليها

النائب وقد تولى من الابواب السلطانية وبها من الوظائف الديوانيه الوزارة ويعبر عنها فى ديوان الانشاء بنظر المملكة؛ وكتابة السر، ويعبر عن متوليها فى ديوان الانشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحلب، ولا يسمح له « بصاحب ديوان لانشاء بحلب » كما فى دمشق؛ ونظر الجيش، والحكم فيه على ما تقدم فى دمشق. وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية بتواقيع شريفة . وبها من الوظائف الصناعية رئاسة الطب، ورئاسة الكحالين ورئاسة الجرائحية على ما تقدم في دمشق والديار المصرية

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم فى دمشق والديار المصرية . وعادة النائب بها أن يركب فى يومى الاثنين والخميس فى الموكب ويخرج من دار النيابة الى سوق الخيل، ويخرج من باب النيرب ويسير الى مكان يعرف بالميدان في جنوب المدينة، ثم يعود من حيث ذهب وقد وقف الامراء بسوق الخيل فى انتظاره فيقف ساعة لطيفة ثم يسير الى دار النيابة ومعه الأمراء من الحجاب وغيرهم ويترجل مماليكه ثم الامراء علي قدر مراتبهم، ويمر النائب راكبا حتى يأتى الى مقعد مرتفع على الارض به دكة صغيرة من خشب فى جانبه فيترجل على جانب المقعد ويجلس على تلك الدكة ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة معدة لجلوسه، فيجلس يسار النائب قاضي القضاة الشافعى ثم الحنفى ثم المالكي ثم الحنبلى، ثم قاضي العسكر الشافعى ثم الحنبلى، ثم مفتى دار العدل، الشافعي ثم الحنفى، ثم الوزير صفا مستقيما. ويجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه وعن يمينه ناظر الجيش ثم كتاب الدست على ترتيب منازلهم في مقابلة الصف الذى فيه قضاة القضاة ومن معهم. ويجلس باقى الموقعين بين الصفين مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصيرون كالحلقة المستديرة . ويقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب تحت المقعد، ونقباء الجيش خلفهم، والولاة خلف نقباء الجيش ويمد السماط(١) ويأكل الأمراء ومن فى معناهم ثم ترفع القصص فيتناولها النقباء ويتناولها صاحب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيفرقها على كتاب الدست ليقرؤها ويقرأ هو ما بقى معه ثم يقرؤن على الترتيب كما تقدم فى دمشق . فاذا انقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في معناهم

---

(١) قدم هنا مد السماط على قراءة القصص وهو خلاف ما في « الصبح »

﴿ المقصد الثانى ﴾

فيما هو خارج عن حاضرة حلب وهو على أربعة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

الولاة من أرباب السيوف، وهم على ثلاث طبقات :

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمي الالوف · وولاية جميعها من الابواب السلطانية وهي ثمان نيابات : الاولى نيابة قلعة المسلمين المعروفة فى القديم بقلعة الروم ، الثانيـة نيابة الابلستين ، الثالثـة نيابة بانياس، الرابعة نيابةطرسوس ، الخامسـة نيابة أدنة ، السادسة نيابة سيس وقدكانت استقرت نيابة حين فتحها ثم استقرت بعدذلك بمقدمة عسكر كغزة الا أن مقدم العسكر لا يكاتب فيخلاص الحقوق ، السابعة نيابة البيره ، الثامنة نيابة الرها فقد ذكر فى التثقيف أنها استقرت فى الدولة المنصورية سنة ٧٧٨ تقدمة ألف وكانت قبل ذلك طبلخاناه

﴿ الطبقة الثانيه ﴾ نيابة أمراء الطبخاناه - وهي سبع نيابات، وولايتهامن الابواب السلطانية : الاولى نيابة الكختا وربما كانت إمرة عشرة ، الثانية نيابة كركر وربمـا كانت امرة عشرة ، الثالثة نيابة بهسنى كما يقتضيه ايراد التثقيف في العشرات وربما كانت طبلخاناه وعليه ينطبق كلام التعريف حيث قال : ونائبها مكانة جليلة وان كان لا يلتحق بنائب البيرة وبكل حال فتوليتها من الابواب السلطانية بمرسوم شريف، الرابعة نيابة درنده قال في التثقيف : وربما كانت عشرة ، الخامسة نيابة قلعة جعبر ، السادسة نيابة الرها ، السابعة نيابة ملطية

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ نيابة امراء العشرات وهي تسع نيابات : الاولى نيابة عينتاب كما اوردها فى التثقيف وذكر انه رأى بخط ابن النشاى ما يقتضى انها كانت طبلخاناه وقد اخبرني بعض كتاب سر حلب انها استقرت تقدمة الف فى آخر الدولة الظاهرية برقوق واستقرت توليتها من الأبواب السلطانية · الثانية نيـابة الراوندان كما اوردها فى التثقيف · وقد أخبرنى بعض كتاب السر بحلب ان نائبهـا استقر أخيراً جنديا · الثالثة نيابة الدر بساك كما أوردها فى التثقيف وربما أضيفت الى نيابة بغراس · الرابعة

نيابة بغراس كما ذكره في التثقيف . الخامسة نيابة القصير كما قاله في التثقيف واخبرني بعض كتاب سر حلب انها الآن جندي . السادسة نيابة الشغر و بكاس فقد أوردها في التثقيف في جملة العشرات وان بها الآن جندي . السابعة نيابة شيزر وكانت إمرة عشرة فلما تسلطت عليها العربان بعد وقعة منطاس استقرت تقدمة ألف كما أخبرني بعض كتاب السر بحلب . الثامنة نيابة دبركي وربما كانت طبلخاناه . التاسعة نيابة سرفندكار كما قاله في التثقيف وذكر عن ابن النشاى انها كانت اولا طبلخاناه

﴿ الطبقة الرابعة ﴾ نيابة مقدمي الحلقة وأجنادها . وولاياتها من نائب حلب وهي نيابة قلعة مارس ، ونيابة كاورًا ، ونيابة كولاك ، ونيابة كرزال ، ونيابة كومى ، ونيابة تل حمدون ، ونيابة الهارونيتين ، ونيابة قلعة نجمه ، ونيابة حمص ، ونيابة لؤلؤة

(النوع الثاني)

ما هو خارج عن حاضرة حلب ، وغالبها اجناد يوليها نائب حلب الا في القليل النادر . والمشهور منها عشر ولايات وهي : ولاية برها كما في دمشق الا أن والي بر حلب هو والي الولاة وهو أمير طبلخاناه ، وولاية كفر طاب ، وولاية سرمين وربما كانت امرة عشرة ، وولاية الجبول ، وولاية جبل سمعان وواليها مقيم بمدينة حلب يحضر المواكب مع والي المدينة ووالي البر لقربه منها ، وولاية عزاز وربما كانت امرة عشرة ، وولاية تل باشر وكان لها والي بمفردها جندي ثم اضيفت الى عينتاب ، وولاية منبج وولاية تيزين ، وولاية الباب وبزعا ، وولاية دركوش ، وولاية انطاكية وربما كانت امرة عشرة

قلت : ووراء ذلك ولايات أخرى ببلاد الأرمن وما والاهالم يتحرر لي أمرها والظاهر أنها كلها أجناد

(النوع الثالث)

مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ، و بأعمالها من العرب قبيلتان

القبيلة الاولى — بنو كلاب . قال في مسالك الابصار : وهم عرب أطراف حلب والروم ، يتكلمون بالتركية ويركبون الاكاديش . وهم من أشد العرب بأساوأ كثرهم

ناسا ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلمتهم . ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . قال في مسالك الابصار : وكان سلطاننا لايزال ملتفتا الى تألفهم ، وآخر الامر أن أمنهم وأمر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليهم حفظ جعبر وماوالاها

القبيلة الثانية - آل بشار . قال فى مسالك الابصار : وديارهم الجزيرة و (الاحص) بلاد حلب ، قال ، وحالهم في عدم الانقياد لامير واحد حال بنى كلاب ولواجتمعوا لما أمن بأسهم على تفرق كلمتهم . و بسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل

﴿ النوع الرابع ﴾

ممن هو خارج حاضرة حلب التركمان . وهم طوائف كثيرة وقد عدهم فى التثقيف طوائف منهم البوزقيه ، وهم جماعة ابن ذى ، واللاحقيقة (١) وهم أولاد درمضان ، والامرية والاوشرية ، وتركمان حلب وهم الذكرية ' جماعة سالم الدلكري ' والخربندلية ' والاغاجرية ' والورسق وهم تركمان طرسوس ، والبانبدرية وهم من القنيعية . والبلولية ، وأولاد طسحون والبياضية — قلت : وبها طوائف من الاكراد أيضاً . وكان الكل قد خرجوا عن الطاعة من لدن واقعة تمرلنك الى أن شمر لها السلطان الملك المؤيد سلطان العصر ساعد العزم حتى انتزعها من أيديهم وأعادها الى المملكة فى سنة ٨٢٠ بعد أن تعذر على من تقدمه انتزاعها والله يؤيد بنصره من يشاء

النيابة الثالثة حماة

من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حماة . واعلم أنها كانت فى الزمن المتقدم بيد الملوك الايوبية يليها بعض ملوكهم من تحت يد صاحب الديار المصريه الى أن صارت فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون الى الملك المؤيد اسماعيل ابن الافضل على ثم الى ولده الافضل محمد . قال فى مسالك الابصار : وكان صاحبها يستقل فيها بأعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وسائر الوظائف بها ' ويكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يمضى أمرا كبيرا فى مثل اعطاء امرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر وهو لا يجيبه الا بأن « الرأى ماتراه » ومن هذا ومثله '

---

(١) بياض بالاصل . تقول ولم نقف لهذا النوع فى الصبح على ذكر لهذا نقلناه من نسخة الضوء على علاته

قال ، ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ولم يزل الامر على ذلك الى أن خلع الافضل (محمد) بن المؤيد من سلطنتها فى سلطنة المنصور أبي بكر ابن الناصر محمد بواسطة الامير قوصون فى سنة ٧٤١ واستقر الامر على ذلك الى الآن. ثم فيها مقصدان

﴿ المقصد الاول فى حاضرتها ﴾

واعلم أن نيابتها نيابة جليلة ، وهى فى الرتبة الثانية من حلب في الالقاب . ومن حيث انها كانت سلطنة قد مناها فى الذكر على طرابلس وغيرها من الممالك التى في رتبتها وان كانت طرابلس مقدمة فى الاطلاقات الكبار عليها . وليس بها أمير مقدم ألف ، وبها الطبلخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة . ونائبها من أكابر الامراء المقدمين . وبها الحجابة وبها حاجبان الكبير منهما طبلخاناه والثانى عشرة ، وبها المهمندارية ، وشد الدواوين ، ونقابة العساكر ، وامرة اخورية البريد ، وشد مراكز البريد ، وولاية المدينة وغيرها ؛ وجميعهم أجناد وليس فيهم أمير . وبها من أرباب الوظائف الدينية أربعة قضاة من المذاهب الاربعة ، من كل مذهب واحد وولايتهم من الابواب السلطانية ، وقاضى عسكر حنفى ؛ وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الباقية ، ولا أحد من مفتى دار العدل ؛ وبها وكيل لبيت المال وولايته من الابواب السلطانية ، وبها محتسب وولايته عن نائب السلطنة بها . وبها من أرباب الوظائف الديوانية كاتب السر ويعبر عنه فى ديوان الانشاء بالابواب السلطانية « بصاحب ديوان المكاتبات بحماة » وولايته من الابواب السلطانية وله أتباع من كتاب الدست وكتاب الدرج وولايتهم عن نائب السلطة ، وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها وولايته من الابواب السلطانية أيضاً

وترتيب الموكب بها هو أن نائب السلطنة يركب من دار النيابة في يومي الاثنين والخميس وصحبته العسكر من الامراء وأجناد الحلقة ويخرج الى خارج المدينة من قبليها ويسير فى الموكب حتى ينتهى الى ضيعة تسمى بقرين على القرب من المدينة ثم يعود فى موكبه حتي يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ساعة لطيفة ثم يدخل المدينة ويسير الى دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف

بباب العزة (فى الصبح العسرة) ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ولا يزال راكبا حتى يترجل بشباك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس معه داخل الشباك القضاة الاربعة : الشافعى عن يمينه، والحنفى يليه ؛ والمالكى عن يساره ، والحنبلى يليه ؛ ويجلس الامراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء وترفع القصص فيقرؤها كاتب السر عليه ويأمر فيها بما يراه ؛ ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة. ويدخل الى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والامراء فيفصل بقية أموره مايتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السماط فيأكلون وينصرفون

﴿ المقصد الثانى ﴾

(في ترتيب ماهو خارج عن حاضرتها)

واعلم انه ليس بأعمالها نيابات بل يقتصر فيها على ثلاث ولايات بثلاثة أعمال ولاتها أجناد ليس فيهم أمير ويوليهم النائب بها: الاولى نيابة برها كما في دمشق وحلب، الثانية ولاية بارين ، الثالثة ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تركمان تنسب اليها

النيابة الرابعة طرابلس

من نيابات المملكة الشامية نيابة طرابلس وهي فى رتبة نيابة حماة كما فى المكاتبات وان كانت تذكر قبل حماة فى المطلقات المكبرة كما تقدمت الاشارة اليه. وفيها مقصدان

(المقصد الاول)

فى ترتيب حاضرتها . وليس بها من الامراء المقدمين سوى النائب . وابتداء نيابتها من حين افتتحها المنصور قلاوون واقتلعها من أيدى الفرنج فى سنة ٦٨٨ بعد ان مضى عليها في أيدى الفرنج ١٨٤ سنة . وبها من الطبلخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة، وليس لها قاعة فيكون لها نائب، بل نائب السلطنة هو المتسلم لجميعها . وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية ، وبها ثلاث حجاب أكبرهم طبلخاناة، وهو حاجب الحجاب؛ والآخران كل منهما عشرة . وبها المهمندارية ، وشد الدواوين ،

وشد الخاص ، ونقابة النقباء ، وامرة أخورية البريد، وتقدمة البريدية ، وتقدمة التركمان، وولاية المدينة. وغير ذلك، وأربابها كلهم أجناد يوليهم نائب السلطنة بها . وبها من الوظائف الدينية قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ، ووكيل بيت المال وولايتهم من الابواب السلطانية ، وقاضيا عسكر : شافعي وحنفي، ومفتيادار عدل كذلك وكلهم يوليهم النائب بها . وبها من الوظائف الديوانية ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها ، وناظر الجيش، وصاحب ديوان المكاتبات القائم مقام كاتب السر بها؛ وولاية الثلاثة من الابواب السلطانية وبها كاتب دست وكاتب درج وولايتهما عن النائب بها

وترتيب الموكب بها أن النائب يركب في يومي الاثنين والخميس من دار النيابة ويخرج في موكبه من الامراء والاجناد حتى يأتي ساحل البحر ثم يعود الى دار النيابة ومعه جميع الامراء خلا الامير الكبير المقدم فانه يتوجه الى بيته . فاذا حضر النائب الى دار النيابة جلس في دار العدل ، وليس بها كرسي سلطنة، ويجلس القضاة: الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي والحنبلي عن يساره على الترتيب؛ وحاجب الحجاب أمامه على القرب منه ؛ ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكي . ويجلس كاتب السر أمامه على القرب من يساره ، وكتاب الدست خلفه . وترفع القصص فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها لحاجب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيقرؤها عليه . ثم ينفض المجلس ويمد السماط فيأكلون وينصرفون

(المقصد الثاني)

في ترتيب ماهو خارج عن حاضرتها ، وهو نوعان :

﴿ النوع الاول ﴾ النيابات — وهي احدى عشرة نيابة كل منها امرة عشرة : الاولى نيابة حصن الاكراد . الثانية نيابة حصن عكار . الثالثة نيابة صهيون . الرابعة نيابة اللاذقية . الخامسة نيابة الرصافة من قلاع الدعوة . السادسة نيابة الخوابي منها. السابعة نيابة القدموس منها . الثامنة نيابة الكهف منها. التاسعة نيابة المنيقة منها . العاشرة نيابة العليقة منها — قلت: وهذه النيابات الست الاخيرة وهي الرصافة والخوابي والقدموس والكهف والمنيقة والعليقة قد تقدم انها كانت سبعة وأنه خرج منها مصياف

وأضيفت الى دمشق . والمعروف فى المكاتبات الى نوابها انها امرة عشرة كما تقدم .
وقد أخبرني بعض أهل المملكة انها استقرت بعد ذلك إمرة أجناد

﴿ النوع الثاني ﴾ — الولايات بها . وهي ست ولايات ولاتها أجناد يوليهم نائب طرابلس ،وهي: ولاية انطرسوس ،وولاية جبة المبطرة ، وولاية الظنين ، وولاية بشرية وولاية جبله ، وولاية أنفة

النيابة الخامسة صفد

من نيابات الممالك الشامية نيابة صفد . وابتداء نيابتها من حين فتحها الظاهر بيبرس واقتلعها من أيدى الفرنج في سنه ٦٦٤ وحكمها في ترتيب النيابة والامراء وأرباب الوظائف على نحو من طرابلس وحماة . وليس بأعمالها نيابة صغيرة كما فى طرابلس وحلب، بل جميعها ولايات صغار يليها أجناد من قبل نائبها . وهى احدى عشرة ولاية : ولاية برها ، وولاية الناصرة ، وولاية طبرية ، وولاية تبنين وهونين ، وولاية عثليث ، وولاية عكا ، وولاية صور ، وولاية الشاغور ،وولاية الأقليم، وولاية الشقيف ، وولاية جينين

النيابة السادسة الكرك

من نيابات الممالك الشامية نيابة الكرك . وابتداء نيابتها من حين اقتلعها الظاهر بيبرس من الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٦٧١ . ونيابتها تقدمة ألف إلا أنه دون حماة وطرابلس وصفد . و يعبر عن كاتب سرها بكاتب الدرج . و بأعمالها من ولاة الأمور نوعان :

﴿ النوع الأول ﴾ الولاة . وبها أربع ولايات، وهي :ولاية برها،وولاية الشوبك، وولاية زعر ، وولاية معان

﴿ النوع الثانى ﴾ أمراء العرب . وعربها فيما ذكره فى مسالك الأبصار بنو عقبة من جذام . قال فى مسالك الأبصار: وكان آخر أمرائهم شطى بن عتبه (؟) وكان الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السماكين وألحقه بأمراء آل فضل وأقطعه الاقطاعات الجليلة وألبسه التشريف الكبير وأجزل له الحباء وعمر له ولأهله البيت والخباء . وممن

ينسب الى الكرك من العرب أيضاً بنو زهير عرب الشوبك، وآل عجبون، والقطوبون، والصوتيون (؟) وغيرهم

﴿ فصل [١] ﴾

في ترتيب نيابات الحجاز . وهي ثلاث نيابات :

﴿ النيابة الأولى مكة المشرفة ﴾

ويعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بـ « أمير مكة » دون لفظ النيابة . وامارتها الآن في بني عجلان من بني قتادة بن إدريس من بني الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهي مستقرة بأيديهم من زمن الناصر لدين الله العباسي الى الآن . واتباعه من عرب الحجاز من بني الحسن وغيرهم ومن عبيده وعتقائه وعتقاء ذويه . وربما كان فيهم المماليك من الترك ومن في معناهم . وله وزير وحاجب وقواد ؛ وهم في معنى الأمراء . وإمارته امارة اعرابية ليست على ترتيب سائر المملكة من عمل المواكب وما في معناها . وأكثر ميرة أهله من التجار الواصلين اليه بجدة من اليمن وغيره من العُشر . وهو قائم بحفظ مكة وأعمالها وحفظ المجاورين من التجار وغيرهم . وفي كل سنة يجهز اليه المحمل بكسوة البيت في أيام الموسم صحبة أمير الحج المترجه فيخرج للاقاته خارج(٢)   ويقلب خف يد البعير ويقبلها خدمة للسلطان صاحب الديار المصرية . ويكسى الكعبة بتلك الكسوة المجهزة اليها وينزع الكسوة القديمة العتيقة عنها ، فيأخذها حجبة الكعبة من بني شيبة ويقتسمونها ويأخذها الناس منهم للتبرك ويبرونهم كل أحد على قدر حاله – قلت : وقد ذكرت في الأصل

---

(١) هذا الفصل مترجم في الاصل بالفصل الثالث كسابقه. وهو الثالث من قاعدة ترتيب المملكة مصراً وشاماً وحجازاً ولما جرد منها لؤتى به عقيب قسم المملكة الخاص به كما أشرنا الى ذلك في حاشية سبقت (صفحة ٢٤١) نقل بترجمته . ومما ننبه عليه ان هذا الفصل ختام هذه المقالة وهو خاتمة الباب الثاني منها . على ان المؤلف ذكر في المقدمة انها ثلاثة أبواب ، وذكر ان الباب الثالث « في ترتيب المملكة » فتوزيع هذا الترتيب أخل بذلك التبويب   (٢) بياض بالاصل

ان الكعبة في الاسلام كسيت الثياب اليمنية ، والقباطى المصرية ، والحبر ، والانماط ، والحلل ، والديباج الابيض ، والديباج الأحمر ، والديباج الأخضر ، والديباج الاصفر ، والديباج الاسود ، والديباج الازرق

وأما مخاليفها وقراها فمعمورة بالعرب من بني الحسن وغيرهم . وفيهم من له عليه اتاوة يأخذها

﴿ النيابة الثانية المدينة الشريفة ﴾

وهي على نحو ما تقدم فى مكة المشرفة : فيعبر عن نائبها فى ديوان الانشاء بأمير المدينة . وهي الآن بيد بنى طاهر بن الحسن بن طاهر من بني الحسين السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وهي مستقرة بأيديهم من زمن المعز الفاطمي بانى القاهرة . وأميرها في الاتباع والجند والترتيب على نحو أمير مكة

واعلم ان كسوة الحجرة الشريفة النبوية ليست مما يجدد فى كل سنة كالكعبة لأنها ليست بارزة فى الشمس ، فلا تبلى بسرعة ، بل يطول زمنها ولا تجدد الا في كل سبع سنين ونحوها . وقد حكى بن النجار فى تاريخ المدينة ان أول من كسى الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز (فى الصبح وزير العاضد) الفاطمي :عمل لها ستارة من الدبيقى الابيض عليها المطرز والجامات المرقومة بالإبريسم الأحمر والاصفر مكتوب فيها سورة « يس » بأسرها . والخليفة العباسى يومئذ المستضىء بأمر الله . وكانت قبل ذلك مؤزورة بالرخام . ثم كساها المستضىء العباسى ستارة من الابريسم البنفسجى عليها الطرز والجامات البيض المرقومة ، وعلى دور جاماتها مرقوم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ؛ وعلى طرازها اسم الأمام المستضىء . فقلعت الأولى وجهزت الى مشهد أمير المؤمنين على بالكوفة وعلقت الثانية مكانها . واستقرت الكسوة بعد ذلك فى كل زمن على حسب مايراه مستعملها من الملوك ونحوهم . وأعمالها على نحو أعمال مكة ليس بها نائب ولا وال

﴿ النيابة الثالثة الينبع ﴾

ونيابتها على نحو ما تقدم من امارتى مكة والمدينة الا أنها دونهما في الرتبة . ويعبر

عن نائبها بديوان الانشاء فى الأبواب السلطانية بـ «بالنائب بالينبع» ولا يصرح له بالأمارة كما فى مكة والمدينة . وأميرها من بنى قتادة بن ادريس بن مطا عن المقدم ذكره في امرة مكة . وعملها علي ما تقدم من أعمال مكة والمدينة ليس به نيابة ولا ولاية وقد ذكر فى التعريف أمراء عرب الحجاز اجمالا فقال : وأما الحجاز فعربانه على قسمين : منهم أهل الدربين المصرى والشامي وليس فيهم من هو في عير ولا نفير ولا يحل في ذورة ولا غارب ' قال ، وأما أمراء السراة فشيوخ لام وخالد والمنيفق وعائذ الحجاز — قلت : وقد استوفيت القول عليهم وعلى غيرهم من عرب الحجاز فى كتابى «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان» ألفته للمقر الأشرف الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب و بالله التوفيق

المقالة الثالثة

فى أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرهما . وهو من أهم مايحتاج اليه الكاتب وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

فى الاسماء والكنى والالقاب والنعوت وما استقرت عليه الآن وفيه فصلان

الفصل الاول — فى الاسماء والكنى

﴿ اما الاسماء ﴾ فجمع اسم ، وهو عند النحاة مادل على مسمى دلالة اشارة؛ والمراد بالاسم هنا أحد أقسام العلم ، وهو ماليس بكنية ولا لقب . والمقصود من التسمية تمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف . واعلم ان الاسماء تردفي مواضع فى خلال المكاتبات والولايات

الاول ، المكاتبات — فيرد فيها اسم المكتوب عنه فيما اذا كانت المكاتبة بصورة : من فلان الى فلان ؛ وفى العلامة مثل ان يكتب المملوك «فلان» ونحو ذلك . ويرد فيها المكتوب اليه في ابتداء المكاتبات فيما اذا كان يكتب من فلان الى فلان كما تقدم ؛ وفي العنوان من الادني الى الأعلى كما يكتب فى عنوان بعض المكاتبات « مطالعة

المملوك فلان » ونحو ذلك ؛ ويرد فيها عند ذكر المكتوب بسببه فى طرة الكتاب مثل ان يقول : « بسبب فلان » اذا كان ممن يصرح باسمه، وفي أثناء الكتاب حيث يقال « ان فلانا عربى أو ذكر أو انثي » أو نحو ذلك

الثاني ، الولايات — فيرد اسم من تصدر عنه الولاية فى طرة الولاية مثل ان يقال فى العهد : « هذا ماعهد عبدالله ووليه فلان » ونحو ذلك ؛ ويرد اسم من تصدر اليه الولاية في الطرة حيث يقال : « هذا ماعهد فلان الى فلان »، وفي أثناء الولاية حيث يقال « ان يفوض الى فلان كذا وان يستقر فلان فى كذا » ونحو ذلك

﴿ وأما الكنى ﴾ فجمع كنية ، وهي أحد أقسام العَلَم أيضاً . والمراد بها ما صدّر بأب أو أم ، نحو أبي القاسم وأم كلثوم . وقد كان للعرب بالكنى أتم الاهتمام حتى انهم كنوا جماعة من الحيوان غير الآدميين بكنى مختلفة: فكنوا الأسد أبا الحارث، والثعلب أبا الحصين ، والديك أبا سليمان ، والضبع أم عامر ، والدجاجة أم حفصة ونحو ذلك ؛ بل أطلقوا الكنى على غير الحيوان حتى كنوا البحر أبا خالد. قال الشيخ محيي الدين النووى : وجواز التكنى أشهر من أن يذكر فيه شيئاً منقولا فدلائله يشترك فيها الخواص والعوام ، قال ، والأدب ان يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية، وكذلك ان كتب اليه رسالة أو روى عنه رواية فيقال: حدثنا الشيخ أو الأمام أبو فلان، وما أشبهه . وقد كان الأولون أكثر ما يعظمون بعضهم بعضاً في المخاطبات والمكاتبات بالكنى ويرون ذلك فى غاية التعظيم ونهاية الرفعة حتى فى الخلفاء والملوك فيقال : أبو فلان فلان ؛ و بالغوا فى ذلك حتى كنوا من اسمه في الأصل كنية، فقالوا في أبو بكر أبو المناقب اعتناء بشأن الكنية . وربما وقف الأمر في الزمن القديم في تكنية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكنيهم الخليفة به أما تكنية أهل الكفر والفسقة وأهل البدع فقد قال النووى انه إن كان لا يعرف الا بالكنية جاز تكنيه، قال تعالى « تبت يدا أبى لهب » واسمه عبد العزى ؛ وقد تكرر في الحديث ذكر أبي طالب بكنيته، واسمه عبد مناف ، قال ، وكذلك اذا خيف من ذكره باسمه فتنة. بخلاف ما اذا كان يعرف بغير الكنية ولم تخف فتنة فأنه لا يزاد على الاسم . فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل : « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم » فذكره باسمه ولم يكنه : قال ، وقد أمرنا بالأغلاظ عليهم فلا ينبغى لنا ان نكنيهم ولا نرفق بهم ولا نلين لهم قولا ولا نظهر لهم وداً ولا موالفة. قال النووى: فأن كان للرجل ولد يكنى به ذكرا كان أم أنثى ، فيجوز تكنية الرجل بأبى فلانة كما يجوز بأبى فلان، فقد تكنى بذلك جماعة من الصحابة والتابعين؛ وان كان له أولاد يكنى بأكبرهم . وقد اختلف فى جواز التكنى بأبى القاسم، فنص الشافعى على منعه، واختار النووى تخصيص المنع بحياته صلى الله عليه وسلم ، وخصه قوم بما اذا جمع بين الاسم والكنية بأن يسمى محمدا ويكنى أبا القاسم . وان لم يكن له ولد بأن لم يولد له أصلا جاز تكنيته ، وقد كنى أبو هريرة بهذه الكنية من غير ان يولد له . ثم الرجل قد يكون له كنية واحدة وقد يكون له كنيتان ؛ وقد كان لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ثلاث كنى : أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، وأبو ليلى ؛ والمرأة كالرجل في جميع ذلك.

اذا علمت ذلك فالكنية قد تقع في المكاتبات وقد تقع فى الولايات .

فأما المكاتبات فللتكنى فيها ثلاث حالات الاولى ،تكنى المكتوب عنه — قال محمد بن عمر المدائني : وأول من اكتنى فى كتبه الوليد بن عبد الملك.قال النووى فى اذكاره : والادب ان لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف الا بكنيته ، أو كانت الكنية أشهر من اسمه . وقال ابوجعفر النحاس : اذا كانت الكنية أشهر يكنى على نظيره و يسمى لمن فوقه ثم يلحق «المعروف أبا فلان،أو بأبى فلان» وتكنية المكتوب عنه تكون فى صدر الكتاب كما يكتب « من ابى فلان فلان الى فلان » أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغراء عن السلطان الى ملوك الكفر بعد سياقه ألقاب السلطان : « أبو فلان فلان » ، أو في العنوان كما كان يكتب فى المصطلح القديم : « من أبى فلان فلان الى فلان » * الثانية تكنية المكتوب اليه وبها كان الاعتناء فى الزمن المتقدم اذا كان المكتوب اليه من يستحق التعظيم وتكون امافى عنوان الكتاب كما يكتب « الى أبى فلان فلان » واما في صدر الكتاب كما كان يكتب « من فلان الى أبى فلان فلان » * الثالثة تكنية المكتوب بسببه وهي إما فى طرة الكتاب إذا قصد تعظيمه مثل ان يقال « بما قصده أبو فلان فلان » واما في أثناء الكتاب حيث يجرى ذكره

وأما الولايات فالكنية قد تكون فيها فى طرة الولاية مثل ان يقال «عهد شريف لأبى فلان فلان» أو «توقيع شريف بأن يفوض الى أبى فلان فلان» أو في اثناء الولاية حيث يجرى ذكره

﴿ الفصل الثانى ﴾

في الألقاب والنعوت وفيه تسعة مقاصد

﴿ المقصد الأول ﴾

فى أصول يعتمدها الكاتب فى ذلك

أما الألقاب فجمع لقب . وهو في اللغة النبز قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب وهو ما يخاطب به الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب اليه من كشفه وليس من باب الشتم والقذف * وأما النعوت فجمع نعت ، وأصله فى اللغة الوصف ، يقال: نعته ينعته نعتا إذا وصفه . قال في ذخائر الكتاب وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد فى اجلاله ونباهته بخلاف اللقب' قال، ولكن العامة استعملت اللقب فى موضع النعت الحسن وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله فى التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة فى النباهة والتكرمة . قلت :— والتحقيق ان اللقب والنعت يستعمل كل منهما فى المدح والذم جميعا . وقد عرفت النحاة اللقب أنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمؤدى الى المدح كأمير المؤمنين وزين العابدين ، والمؤدى الى الذم كأنف الناقة . وكذلك النعت يكون تارة صفة مدح وتارة صفة ذم . ولا شك أن مراد الكتاب باللقب والنعت ما أدى الى المدح خاصة

وقد اصطلح الكتاب على أن تسمى صفات المدح التى يوردونها في صدر المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد ألقابا ، وصفات المدح التى يوردونها بصورة التركيب كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والسلاطين ونحو ذلك نعوتا' ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذى سموه به إلا مجرد الاصطلاح وإلا فلا نزاع فى إطلاق اللقب والنعت عليهما باعتبارين (فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب' ومن حيث انها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت) قال النووى: والجائز من ذلك ما

أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره، بل ربما استحب كما صرح به النووى فى « الاذكار » للاطباق على استعماله قديماً وحديثاً ؛ والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الأنسان ولا يحب نسبته اليه ، قال النووى ، وهو حرام باتفاق سواء كان صفة له كالأعمش والأعرج ونحوهما أو صفة لأبيه كأبى الأعمى، أو لأمه كابن الصوراء أو نحو ذلك مما يكرهه قال تعالى « ولا تنابزوا بالألقاب » واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرف إلا به

واعلم ان القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على اشراف الناس وجلّتهم فى القديم والحديث، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بالخليل ، وموسى بالكليم، وعيسى بالمسيح ، ويونس بذى النون ، وكان النبي صلى الله عليه يلقب قبل البعثة بالأمين؛ وشهدت التواريخ بتلقيب جماعة من العرب في الجاهلية كذى يزن ، وذى المنار ، وذى رعين ، وغيرهم من تبابعة اليمن ؛ وكذلك وقعت القاب المدح على كثير من عظماء الاسلام من الصحابة والخلفاء والوزراء وغيرهم: فلقب أبو بكر رضى الله عنه بعتيق ، ثم لقب بالصديق ؛ ولقب عمر بالفاروق ، وعثمان بذى النورين، وعليّ بحيدرة وحمزة بأسد الله ، وخالد بن الوليد بسيف الله ، ومالك بن النبهان الأنصارى بذى السيفين ، وخزيمة بن ثابت الأنصارى بذى الشهادتين ، وجعفر بن أبى طالب بعد استشهاده بذى الجناحين ؛ ولقب ابراهيم بن محمد العباسي بالأمام ، ولقب محمد بن على أول خلفاء بنى العباس بالسفاح ، ثم لقب أخوه أبو جعفر بالمنصور ، ثم توالت ألقاب خلفائهم بعد ذلك الى الآن : وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر ، وخلفاء بنى أمية بالأندلس . وتلا الخلفاء فى الألقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعدها: فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بوزير آل محمد ، ولقب المهدى وزيره يعقوب بن داود بن طهمان الاخ فى الله ، ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره بذى الكفايتين ، وأخاه الحسن بن سهل بذى الرياستين ؛ ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد بن مخلد بذى الوزارتين إشارة الى وزارة المعتمد والموفق ؛ وكذلك وقع التلقيب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش فلقب أبو مسلم الخراسانى بأمير آل محمد، وقيل سيف آل محمد ؛ ولقب أبو الطيب طاهر بن محمد بذى اليمينين، ولقب

المعتصم حيدر بن كاووس بالأفشين من حيث انه اشروسني والأفشين لقب على ملك أشروسنه ، ولقب اسحاق بن كيداج ايام المعتمد بذى السيفين ، ولقب يونس ايام المقتدر بالمظفر ، ولقب سلامة اخو نجح أيام القاهر بالمؤتمن وابو بكر (بن محمد طغج الراضى بالله بالأخشيد والاخشيد لقب على الملك بفرغانة) ثم وقع التلقيب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفى بالله فلقب المكتفى الحسين بن قاسم بن عبد الله ولى الدولة ، وهو أول من لقب بالاضافة اليها : ولقب المقتدر بالله على بن الحسين المقدم ذكره عميد الدولة . ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر على ذلك فافتتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة فكان أول من لقب بذلك من الملوك بنو بوية الثلاثة فلقب أبو الحسن على بن بويه بعماد الدولة ، ولقب أخوه أبو على الحسن بركن الدولة ، ولقب اخوهما ابو الحسين احمد بمعز الدولة . ثم ولى عضد الدولة من بعدهم فاقترح ان يلقب بتاج الدولة فلم يجب اليه وعدل به الى عضد الدولة ، فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك اختار له ابو اسحاق الصابى صاحب ديوان الانشاء تاج الملة مضافا الى عضد الدولة فكان يقال « عضد الدولة وتاج الملة » ; ولقب ابو الحسن محمد بن حمدان المتقى لله ناصر الدولة ، ولقب اخوه ابو الحسن على بن حمدان بسيف الدولة . ثم افتتح التلقيب بالاضافة لى الدين أيام القادر بالله ، فكان أول من لقب بذلك أبو نصر بهاء الدولة (فزيد على بهاء الدولة) نظام الدين ، فكان يقال : بهاء الدولة ونظام الدين . قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقيب به وأفرط حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد وسائر من طلب وأراد وكره (كذا) حتى صار لقباً على الاصل — قلت : وكان أهل الديار المصرية يتقبلون ما ينتهى اليهم من أخبار الالقاب بالدولة العباسية ببغداد فلقب اول خلفائهم بها المعز لدين الله . وتوالت ألقاب الخلافة فيهم الى ان كان آخرهم العاضد لدين الله وتلقب وزراؤهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة فلقب ابن أبى كدينة وزير المنتصر ولى الدولة ، وتلقب ابن حيران كاتب الانشاء بها ولى الدولة أيضاً . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالى لقب أمير الجيوش ، ثم تلقب الوزراء بعده بنحو الافضل والمأمون ، ثم تلقب رضوان ابن وحشى بالملك الافضل بزيادة لفظ الملك . فاستقرت في وزرائهم الى ان كان آخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حين وزر للعاضد ثم استقل ذلك فغلب عليه

بعد سلطنته وداوم ذلك فيمن بعده من ملوك الديار المصرية الى الآن . وكان الكتاب فى أواخر الدولة الفاطمية قد تلقبوا بالفاضل والرشيد والعماد وما أشبه ذلك ثم دخلوا في عموم التلقيب بالاضافة الى الدين واختص التلقيب بالاضافة الى الدولة كولى الدولة وفخر الدولة ونحوهما بالكتاب من النصارى . والامر على ذلك الى الآن

﴿ المقصد الثانى ﴾

في بيان معانى ألقاب أرباب الوظائف . وهي على ثمانية أنواع :

(النوع الاول)

ألقاب أرباب السيوف ، وهي على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ الألقاب المفردة ، وهي عشرة ألقاب :

الاول الخليفة — وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمور الامة . وقد اختلف فى معناه ، فقيل انه فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعني مجروح وقتيل بمعنى مقتول ويكون المعنى أن يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى « اني جاعل فى الارض خليفة » على قول من قال ان آدم أول من عمر الارض وخلفه فيها بنوه ؛ وقيل فعيل بمعني فاعل ، ويكون المعنى ان يخلف من بعده ، وعليه حمل الآية عند من قال انه كان قبله فى الارض الجن ، وانه خلفهم فيها ، واختاره النحاس في صناعة الكتاب ، واقتصر عليه البغوى فى شرح السنة ، والماوردى في الاحكام السلطانية ، قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق بخليفة رسول الله . والهاء فيه ، قيل ، للتأنيث : وقيل للمبالغة كما في راوية وعلامة ونحوهما ؛ وربما حذفت فقيل : خليف وقد اجازوا ان يقال فى الخليفة خليفة رسول الله لانه خلفه في أمته ؛ قال الماوردى : واختلفوا هل يجوز ان يقال فيه خليفة الله . فجوزه بعضهم ، وانكره بعض . قال البغوى : ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل . وحكى فيه التذكير (على المعنى والتأنيث على اللفظ ويجمع) على خلفاء وخلائف . والنسبة اليه خليفى ، وقول العامة « درهم خليفتى » ونحوه خطأ . وممن وقع له ذلك المقر الشهابي بن فضل الله فى كتابه التعريف في الكلام على المكاتبة الى الخليفة — قلت : وقد بسطت القول على ذلك في الاصل في كتابى

« مآثر الانافة في معالم الخلافة » الذي ألفه للمستضد بالله ابي الفتح داود في كتابي «الغيوث الهوامع وشرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » في الفقه

الثاني ، الملك — وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة . وقد نطق القرآن بذلك في غير موضع كما في قوله تعالى « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » وقوله « وقال الملك ائتوني به » الى غير ذلك من الآيات . و يقال فيه ملك بكسر اللام ، وملك بأسكانها ، ومليك بزيادة ياء . قال الازهري : والملك مقصور من مالك او مليك ، ويجمع على ملوك وأملاك ؛ ويقال لموضعه المملكة

الثالث السلطان — وهو لقب خاص في العرف والعام بالملك . يقال ان اول من لقب به خالد بن برمك ، لقبه به الرشيد في وزارته له ، ثم انقطع التلقيب به الى ان تلقب به الملوك السلاجقة ومن والاهم . وأصله في اللغة الحجة . واختلف في اشتقاقه فقيل من السلاطة ، وهي القهر والغلبة ؛ وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض ؛ وقيل من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن ، لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق. وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع ، واحده سليط ، كقفيز وقفزان ، و بعير و بعران . وذكر في ذخيرة الكتاب أنه يكون واحدا ويكون جمعا . ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة

الرابع الأمير — وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك مما يوليه الأمام. وأصله في اللغة ذو الأمر ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ؛ سمى بذلك لامتثال قومه أمره . يقال : أمر فلان اذا صار أميرا ، والمصدر الأمرة والأمارة بالكسر فيهما ، والتأمير تولية الأمير

الخامس الحاجب — وهو في أصل الوضع عبارة عمن يأخذ الأذن على الأمام ونحوه . وهي وظيفة قديمة الوضع ، كانت لابتداء الخلافة ، وهي مستمرة الى زماننا وقد أضيف اليه في زماننا الكلام في فصل المظالم ونحوها

السادس صاحب الشرطة ، بضم الشين المعجمة ـ وهو المعبر عنه بالوالي في زماننا. واختلف في اشتقاقه فقيل من الشرط بفتح الشين والراء ، (وهو العلامة) لأنهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ وقيل من الشرط وهو زوال المال ، لأنهم يتحدثون في

أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص وغيرهم

السابع النائب — وهو لقب واقع على كل من ينوب عن السلطان في عامة أموره. أوغالبها ؛ ويطلق في العرف على كل نائب عن السلطان بحضرته أوخارجاعنهافي قرب أو بعد : الا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف في عرف ديوان الانشاء بالكافل فيقال : النائب الكافل ، أو كافل الممالك الاسلامية ؛ والنائب بدمشق يقال فيه كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وربما قيل نائب السلطنة الشريفة بالشام ؛ ومن دونه من اكابر النواب كنائب حلب وحماة ، ونائب طرابلس ، ونائب الكرك يقال فيه نائب السلطنة الشريفة بكذا ليس الا ؛ ويقال فيمن دونهم من النواب كنائب حمص ، ونائب الرحبة وغيرهما النائب بفلانة

الثامن الساقي — وهو لقب على الذى يتولى تقطيع اللحم على السماط ، وسقى المشروب بعده ونحو ذلك. وكأنه وضع اولا لسقي المشروب فقط ثم استحدث له بعد ذلك امورأخرى

التاسع المشرف — وهو الذى يتولى أمر المطبخ ويقف على مشارفة الاطبخة فى خدمة استدار الصحبة الآتى ذكره ، ومعناه ظاهر

العاشر الاوجاقى — وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ونحو ذلك ولم أقف على معناه

﴿ الضرب الثاني ﴾ الالقاب المركبة. وهي اما متمحضة التركيب من اللفظ العربى وهي ثمانية ألقاب :

الاول أمير المؤمنين — وهو لقب واقع على الخلفاء. وأول من لقب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه في اثناء خلافته وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق خليفة رسول الله. واختلف فى أول من دعاه بذلك فقال النحاس ابو وبرة حين بعثه خالدبن الوليد اليه يسأله عن حد الخمر ، وقال العسكرى فى الاوائل : اول من دعاه لبيدبن ربيعة وعدى بن هشام حين بعثهما اليه (١) العراق بأمره

الثاني ملك الامراء — وهو من الالقاب التى اصطلح عليها نواب السلطنة بالممالك

(١) بياض بالأصل

الشامية ومن في معناهم . وكأنه قام فيهم مقام الملك في التصرف والتنفيذ والأمراء في خدمته كخدمة السلطان ، فقيل ملك الامراء لذلك ؛ وأكثر مايخاطب به نواب السلطنة في الكاتبات الاخوانيات * الثالث رأس نوبة — وهو لقب على الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الامير وتنفيذ امره فيهم . ويقال لأكبرهم رأس نوبة النوب * الرابع أمير مجلس — وهو لقب على متولى أمر مجلس السلطان أو الامير في الترتيب وغيره. والاحسن ان يقال فيه أمير المجلس بالتعريف وتكون الالف واللام فيه للعهد الذهني والمراد مجلس سلطانه أو أميره * الخامس أمير سلاح — وهو لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان أو الامير. والسلاح آلة القتال. قال الجوهري: وهو مذكر ويجوز تأنيثه * السادس مقدم المماليك — وهو لقب على الذي يتولى امر مماليك السلطان أو الامير من الخدام الخصيان المعروفين الآن بالطواشية ومقامه فيهم على نحو من مقام رأس النوبة * السابع أمير علَم وهو لقب على الذي يتولى أمر الاعلام السلطانية أو الطبلخاناه وما يجرى مجراها. والعلم في اللغة يطلق على معان أحدها الراية، وهو المراد هنا * الثامن نقيب الجيش — وهو الذي يتكفل بأحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم. والنقيب في اللغة العريف الذي هو ضمين القوم ؛ والجيش العسكر، ويجمع على جيوش. وقد يعبر عنه في بعض الممالك الشامية بنقيب النقباء

واما المتمحصة التركيب من لفظ أعجمي فقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف على المضاف اليه ، والصفة على الموصوف على خلاف اللغة العربية . ولذلك حالتان

الحالة الأولى ان يضاف الى لفظ دار — وهي لفظة فارسية معناها ممسك، فاعل من الأمساك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربي بمعنى المحلة كدار السلطان أو الأمير وهى محلته التي يأوى اليها وهو خطأ. ثم المضاف الى لفظ دار من القاب وظائف أرباب السيوف تسعة ألقاب :

الاول الاستدار ، بكسر الهمزة — وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الامير وصرفه ويمتثل أوامره فيه . وهو مركب من لفظتين فارسيتين : الأولى استد، بهمزة مكسورة وسين ساكنة ومعناها الاخذ ، والثانية دار ومعناها الممسك كما تقدم ، والمراد المتولى للأخذ لانه الذي يتولى قبض المال كما تقدم . ويقال فيه أيضاً « ستدار »

بأسقاط الالف من أوله وكسر السين — قلت : والمتشدقون من الكتاب يضمون الهمزة في اوله ويلحقون فيه ألفا بعد التاء فيقولون « استاد دار » وربما قالوا استاذ الدار بأدخال الالف واللام على لفظ الدار ظنا منهم ان المراد بالدار المحلة كما تقدم ، وان أستاد بمعنى السيد أو الكبير . وممن وهم في ذلك المقر الشهابي ابن فضل الله فى كتابه التعريف في الكلام على الوصايا . على ان العامة تنطق به على أنه الصواب . فأن اختص بمتولى أمر المطبخ قيل فيه استدار الصحبة * الثانى الجوكاندار — وهو الذي يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة . وهو مركب من لفظين فارسيتين أيضاً : احداهما جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضاً ، والثانيــة دار ومعناها ممسك كما تقدم . والمراد ممسك الجوكان * الثالث الطَّبَرْدار — وهوالذي يحمل الطبر عند ركوب السلطان لحراسته . وهو مركب من لفظتين فارسيتين : احداهما طبر ومعناها الفأس ، والثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم * الرابع السنجقدار — وهو الذى يحمل السنجق خلف السلطان . وهو مركب من لفظين أحدهما تركي وهوالسنجق ومعناه الرمح وهو في لغتهم مصدر طعن فعبربه عن الرمح الذى يطعن به ، والثاني دار وقد تقدم ذكر معناه . فمعناه ممسك السنجق * الخامس البندقدار — وهو الذى يحمل جراوة البندق خلف السلطان او الامير وهو مركب من لفظين فارسين : أحــدهما بندق فأنه منقول عن البندق الذى يؤكل وقد ذكر ابو حنيفة في كتاب البيان انه فارسي على ان الجوهري قد أطلق ذكره في صحاحــه من غير تعرض لكونه معربا . فقال : والبندق الذى يرمي به . والثانى دار بمعنى ممسك ومعناه ممســك البندق * الســادس الجمدار — وهو الذى يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه . وأصــله جاما دار فحذفت الألف استثقالا : وهو مركب من لفظتين فارسيتين احداهما من اللغة التركية « جاما » ومعناها الثوب والثانية دار وهي ممسك فيكون المعنى ممسك الثوب * السابع البشمقدار — وهو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير . وهو مركب من لفظين أحدهما من اللغة التركية وهو بشمق ومعناه النعل ، والثاني دار ومعنــاه ممسك ، ويكون المعنى ممسك النعل . الثامن المهمندار — وهو المتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة والقيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما مهمان بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك : والمعني ممسك الضيف * التاسع الزمامدار — وهو المتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الخصيان — قلت : وأصله زنان دار بالنون ، فيكون مركباً من لفظين فارسيين ، أحدهما

زنان» ومعناه النساء ، والثانى دار ومعناه ممسك كما تقدم؛ ويكون المراد ممسك النساء نقلبوا النونين ميمين فعبروا عنه بالزمام دار كما تقدم ظناً أن الدار على معناها ، وأن الزمام يعني القائد أخذاً من زمام البعير الذي يقاد به

(الحالة الثانية) ان يضاف الي غير لفظ دار . وفيها لقبان : الاول الجاشنكير وهو المتصدي لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من ان يدس عليه فيه سم ونحوه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا ومعناه الذوق ، والثانى كير ومعناه تعاطى الشيء ، ويكون المعنى «الذى يذوق» والعامة تقول فيه «شيشني» * الثانى السراخور ، وهو المتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما « سَرا » ومعناه الكبير والثانى أخور ، ومعناه العلف . والمراد كبير الجماعة الذين يتعاطون علف الدواب . والناس يقولون فيه « سلاخورى » فيبدلون الراء لاما ويلحقون به ياء النسب للمبالغة كما سيأتى بيانه

وأما ما تركب من لفظ عربى ولفظ عجمى فله حالتان أيضا :

(الحالة الأولى) ــ ان يصدر بلفظ أمير وفيها أربعة القاب :

الأول ــ الأميراخور ، وهو الذي يتحدث على اصطبل السلطان أو الأمير . وهو مركب من لفظ أمير وهو عربى ، ولفظ أخور وهو فارسى ومعناه العلف ، والمراد أمير العلف * الثانى ــ أمير جاندار ، وهو الذي يستأذن على السلطان ايام المواكب كما تقدم . وقد تقدم أنه يتولى عقوبة من أراد السلطان عقوبته وقتل من أراد قتله . وهو مركب من ثلاثة ألفاظ : أحدها أمير وهو عربى ، والثانى جان ومعناه الروح بالتركية والفارسية جميعاً ، والثالث دار ومعناه ممسك كما تقدم فيكون المعني الأمير الممسك للروح كما تقدم لأنه المتولى لقتل من أراد السلطان قتله * الثالث ــ أميرشكار ، وهو الذى يتحدث على جوارح السلطان أو الأمير من الطيور واليه سائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين أحدهما عربى وهو أمير ، والثاني فارسى وهو شكار ، ومعناه الصيد ، ويكون المراد أمير الصيد * الرابع ــ أمير طبر ، وهو لقب المتحدث على الطبر دارية الذين يحملون الأطبار حول السلطان في المواكب ونحوها . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني طبر وهو بالفارسية الفأس

(الحالة الثانية) ــ ان لا يصدر بلفظ أمير . وفيها أربعة القاب : الأول ــ الدوادار ، وهو لقب على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير مع ما ينضم الى ذلك من الامور على ما تقدم ذكره في موضعه . وهو مركب من لفظين الاول عربي وهو الدواة ، والثاني دار

ومعناه ممسك كما تقدم؛ والمراد ممسك الدواة .وحذفت التاء من آخر الدواة استثقالاً — قلت : أما في اللغة العربية فانه يقال لحامل الدواة داو على وزن قاض * الثاني السلاحدار' وهو لقب من يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو السلاح وقد تقدم معناه في الكلام على أمير سلاح' والثاني فارسي وهو دار وهو بمعنى ممسك كما تقدم' ويكون المعنى ممسك السلاح * الثالث — الخزندار' وهو المتحدث على خزانة السلطان أو الأمير التي فيها ماله . وأصله الخزانة دار فحذفت الألف والهاء استثقالا . وهو مركب من لفظين : عربي وهو خزانه ' وفارسي وهو دار ومعناه الممسك : كما تقدم والمراد ممسك الخزانة — قلت ومتشدقو كتاب الزمان يقولون الخازن دار بمعنى الخازن لما في الدار وهو خطأ . الرابع العَلَمْدار وهو لقب على الذي يحمل العلم مع السلطان في الموكب . وهو مركب من لفظين : عربي وهو العلم وقد تقدم أن معناه الراية ' وفارسي وهو دار ومعناه ممسك الراية

﴿ النوع الثاني ﴾

القاب أرباب الوظائف الدينية وهي ثمانية القاب

الاول — القاضي' وهو المتولى لفصل الخصومات بين المتداعيين في الأحكام الشرعية ' واختلف في اشتقاقه فقيل من قضى الأمر اذا أحكمه لأنه يحكم القضايا التي يفصلها ؛ وقيل من قضى الأمر اذا قطعه لأنه بحكمه تنقطع الخصومات ؛ وقيل من قضى الأمر اذا فرغ لأنه يفض الحكومات * الثاني — الحاكم' وهو بمعنى القاضي' واشتقاقه من الحَكَمَة وهي الحديدة القائمة في صدر اللجام ؛ سمي بذلك لأنه يمنع الخصم من الجماح كما تمنع الحكمة الفرس من الجماح * الثالث — المحتسب' وهو القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واختلف في اشتقاقه ' فقال الماوردي: وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم ' وقال النحاس من قولهم أحسبه اذا كفاه لأنه يكفي الناس مؤنة من يخسهم حقوقهم ' قال ' وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين اذ حقيقة « افتعل » عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد . وأول من قرر ذلك في الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه * الرابع — الخطيب' وهو الذي يخطب الناس ويذكرهم في الجمع والاعياد ونحو ذلك .وكان ذلك في الزمن القديم مختصاً بالخلفاء والأمراء ثم صار الي غيرهم * الخامس — المقرئ' وهو الذي يقرئ القرآن العظيم ويعلمه . وقد غلب اختصاصه في العرف على مشايخ القراءة من قراء السبعة المجيدين المنصوبين لتعليم علم القراءات * السادس — المحدث'

والمراد به من يعاني علم الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام بطريق الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالاسانيد ونحو ذلك * السابع المدرس وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو وغير ذلك * الثامن المعيد، وهو ثاني رتبة المدرس فيما تقدم . وأصل موضوعه أنه اذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه المدرس

﴿ النوع الثالث ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي عشرة ألقاب

الاول - الوزير وهو القائم بتدبير المملكة للإمام . وقد اختلف في اشتقاقه فقيل من الوزر، بفتح الواو والزاي، وهو الملجأ لان الناس يلجؤن اليه في حوائجهم ؛ وقيل من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل لانه يتكفل بأثقال الملك ؛ وقيل من الاوزار وهي الامتعة لانه يتكفل بأثقال الملك ومافي خزائنه ؛ وقيل من الأزر وهو الظهر لان الملك يتقوى به تقوي البدن بالظهر. على أنه ربما وليها أرباب السيوف . ثم أول من لقب به في الاسلام ابو سلمة حفص الخلال وزير السفاح وكانوا قبل ذلك يقولون الكاتب * الثاني — كاتب السر وهو صاحب ديوان الانشاء وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على الكتابة والكتاب فى أول مقدمات الكتاب مع (جملة) أتباعه من كتاب الدست وكتاب الدرج وغيرهم * الثالث — الناظر وهو الذي ينظر في أمر تلك الوظيفة من الاموال وغيرها وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضي ما يمضي ويرد مايرد . وهو مأخوذ من النظر بمعنى الفكر وعنه يتفرع نظر الجيش ، ونظر الخاص ، ونظر الدواوين وغيرها من الانظار السابقة الذكر فى موضعها * الرابع صاحب الديوان — وكانوا يعبرون عنه فى الزمن المتقدم بمتولي الديوان : وهو ثاني رتبة الناظر في المراجعة ، وله أمور تخصه * الخامس، الشاهد — وهو الذي يشهد بمتعلقات الديوان نفيا واثباتا * السادس، المشارف — وهو في معنى الشاهد إلا أنه إذا غاب العامل لزمه عمل الحساب بخلاف الشاهد * السابع، المستوفي — وهو الذي يضبط أمور الديوان وينبه على مافيه مصلحته من استخراج الاموال ونحو ذلك * الثامن، العامل — وهو الذي ينظم الحسابات ، ثم نقله العرف الى هذا الكاتب فخصه به * التاسع، الماسح — وهو الذي يتصدي لقياس أرض الزراعة ؛ وهو مشتق من « مسح الارض » اذا ذرعها * العاشر، المعين — وهو الذي يتصدى للكتابة اعانة لاحد ممن تقدم ذكرهم

﴿ النوع الرابع ﴾

ألقاب أرباب الوظائف من أهل الصناعات وفيه خمسة ألقاب:

الاول مهندس العمائر، وهو الذي يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على أرباب صناعاتها . والهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف * الثاني رئيس الاطباء ، وهو الذي يحكم على طائفة الاطباء ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك * الثالث رئيس الكحالين ، وحكمه في الكلام على طائفة الكحالين حكم رئيس الاطباء في أهل الطب* الرابع رئيس الجرائحية ، وحكمه في الكلام على طائفة الجرائحية حكم رئيس الطب ورئيس الكحالين عليهم * الخامس رئيس الحراقة ، وهو الذي يحكم على رجال الحراقة جريا على ما كان الامر عليه في الخلافة الفاطمية بالديار المصرية

﴿ النوع الخامس ﴾

القاب أرباب الوظائف من الاعوان ، وفيه ثلاثة ألقاب :

الأول مقدم الدولة -- وهو الذي يتحدث على الاعوان والمتصرفين لخدمة الوزير * الثاني مقدم الخاص -- وهو المتحدث على الاعوان والمتصرفين بديوان الخاص . وهو بالنسبة الى خدمة ناظر الخاص كمقدم الدولة بالنسبة الى خدمة الوزير * الثالث مقدم التركمان ويكون بالبلاد الشامية والحلبية متحدثا على طوائف التركمان الذين تقدم عليهم * الرابع البرددار -- وهو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان بأبواب الامراء وغيرهم متحدثا على من بها من الاعوان والمتصرفين كما في مقدمي الدولة والخاص . وأصله «فردادار» بالفاء وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما فردا ومعناه الستارة . والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم والمراد ممسك الستارة . وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل الى الديوان

﴿ النوع السادس ﴾

أرباب الخدم وفيه اثنى عشر لقبا

الاول الشرابدار -- وهو المتصدي للتحدث بالشراب خاناه التي هي أحد البيوت الديوانية . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الشراب ، والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك كما تقدم . والمعنى ممسك الشراب * الثاني الطشت دار -- وهو [illegible] على بعض رجال الطشت خاناه مركب من لفظين : أحدهما طشت وهو الذي يغسل فيه وقد تقدم

الكلام عليه في الكلام على البيوت ' والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم. والمعنى ممسك الطشت * الثالث البازدار — وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد . ومعناه ممسك الباز . وخص بالباز لانه اسهل انواع الجوارح عند الملوك السالفة * الرابع الحيواندار — وهو المتصدي لخدمة طيور الصيد من الكراكي وغيرها ويحملها الى مواضع تعليم الجوارح. ومعناه ممسك الحيوان . وأطلق الحيوان في عرفهم على هذا النوع من الطيور لان الغالب عليهم ذلك * الخامس المرقدار — وهو المتصدي لخدمة (ما يجوز المطبخ وحفظه. سمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان * السادس المحفدار) — وهو المتصدي لخدمة المحفة ' وحذفت الهاء منه استثقالا * السابع المهتار — وهو لقب على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كمهتار الشراب خاناه ومهتار الطشت خاناه ونحوهما ' و « مه » بالفارسية معناه الكبير و « تار » بمعني افعل التفضيل فيكون معناه « الاكبر » * الثامن البابا — وهو لقب واقع على كل من رجال الطشت خاناة ممن يتعاطي الغسل والصقل ونحوهما . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء وكأنه لقب بذلك لما يتعاطاه من ترفيه مخدومه بالتنظيف ونحوه فأشبه الاب الشفيق * التاسع الرختوان — وهو لقب لبعض رجال الطشت خاناه ' والرخت بالفارسية اسم للقماش والالف والواو والنون بمثابة ياء النسب (فمعناه المتولي لامر القماش) * العاشر الخوانسلار — وهو لقب خاص بكبير رجال المطبخ السلطاني القائم مقام المهتار في غيره من البيوت وهو مركب من لفظين : أحدهما خوان وهو الذي يؤكل عليه. قال الجوهري وهو معرب ' والثاني سلار وهو فارسي ومعناه المقدم ' وكأنه يقول مقدم الخوان * الحادي عشر المهمرد — وهو الذي يتصدى لحفظ قماش الجمال ورحالها وقماش الاصطبل والسقايين ونحو ذلك . ومعناه بالفارسية الرجل الكبير ومه بمعنى كبير ' ومرد بمعنى رجل * الثاني عشر الغلام — وهو واقع على خدم جميع البيوت من رجال الشراب خاناه والطشت خاناه وغيرهما إلا انه غلب على المتصدين لخدمة الخيل أكثر من غيرهم . فاذا أطلق الغلام لايراد به في الغالب الا ذلك. على انه في الاصل مخصوص بالمملوك دون غيره

﴿ النوع السابع ﴾

القاب أرباب الوظائف من النصارى والمشهور من ألقابهم عدية ألقاب :

الاول الپاپ ' بباءين موحدتين مفخمتين في اللفظ ' ويقال فيه البابا بزيادة ألف في آخره ' وربما أبدلت تلك الالف هاء فقيل الپاپه . وهو لقب على البطرك القائم

بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية واليه مرجعهم في أمر دياناتهم بل به عندهم مناط التحريم والتحليل . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء . والأصل فيه أن طائفة النصارى كان من شأنهم أن كلاً منهم يخاطب من فوقه بالأب فاخترعوا لفظاً يميزه عن غيره فعبروا عنه بأبي الآباء. وقد ذكرت في الأصل ان ذلك أول ماوضع على بطرك الاسكندرية ثم نقل الى بطرك رومية تعظيما له من حيث أنه خليفة بطرس كبير الحواريين وبطرك الاسكندرية خليفة مرقص تلميذ بطرس . وما وقع في التثقيف من أنه عندهم بمثابة القان عند التتار نخطأ ظاهر لأن مرجع الباب الى متعلقات أمور دينهم ومرجع القان الى متعلقات الملك *الثاني البطرك بالباء الموحدة في أوله ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا ابدال الباء فيه فاء . وأصله بطريرك بفتح الباء وسكون الطاء وكسر الراء وفتح الياء المثناة تحت وسكون الراء الثانية وكاف في الآخر . وهو لقب على القائم بأمور دين النصرانية مناطاً للتحليل والتحريم . وكراسي البطاركة عندهم بأربعة أماكن : كرسي برومية المقدمة الذكر ، وكرسي بالقدس ، وكرسي بالاسكندرية ، وكرسي بانطاكية وكان بطرك الاسكندرية تارة يكون من الملكانية وتارة يكون من اليعاقبة الى حين الفتح للاسلام فقرر فيها عمرو بن العاص بطرك اليعاقبة . واستمرت فيه بطاركتهم الى الآن وتبعهم بلاد الحبشة * الثالث الأسقف بضم الهمزة والقاف وهو عندهم عبارة عن نائب البطرك* الرابع المطران بكسر الميم وهو عندهم عبارة عن القاضي الذي يفصل الخصومات بينهم* الخامس القسيس بكسر القاف وهو القارىء الذي يقرأ عليهم الانجيل والمزامير وغيرها* السادس الجاثليق بكسر الثاء المثناة فوق بعد الألف وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة* السابع الشماس وهو عندهم عبارة عن قيم الكنيسة * الثامن الراهب وهو الذي حبس نفسه على العبادة في الخلوة

﴿ النوع الثامن ﴾

أرباب الوظائف من اليهود والمشهور من ألقابهم ثلاثة ألقاب:

الأول الرئيس ، بهمز الياء وتشديدها ، وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى* الثاني الحزان ، بالحاء المهملة وتشديد الزاي ، وهو عندهم بمثابة الخطيب : يصعد المنبر ويذكرهم * الثالث الشليحصبور(١) بتشديد الباء الموحدة بعد الصاد والحاء المهملتين

(١) سألت حبراً من أحبار اليهود عن هذا الاسم فقال انه مركب من كلمتين عبرانيتين احداهما شِلِيحْ والثانية صِبُّور. ومعناهما مجتمعتين رسول الجماعة. والمراد الأمام الذي يتولى الأمامة في صلاة الجماعة

وهو الامام الذي يصلى بهم

المقصد الثالث

فى ذكر الالقاب والاصول التى يتفرع عنها الألقاب فى المكاتبات والولايات وهي عشرة ألقاب

الاول الديوان ـ وهو من الالقاب المستعملة فيما يكتب به للخلفاء، ويقال فيه الديوان العزيز، قال فى التعريف : والمراد ديوان الانشاء لان المكاتبات عنه صادرة واليه واردة ، قال ، وكان السبب في ذلك الخضعان عن مخاطبة الخليفة نفسه . والديوان فى الاصل اسم للموضع الذى يجلس فيه الكتاب وقد ذكرت الاختلاف في سبب تسميته بذلك فى الاصل

الثانى الجانب ، وهو من ألقاب ولاة العهد بالخلافة ومن في معناهم كأمام الزيدية باليمن . وهو في أصل اللغة اسم للناحية ، والمراد الناحية التي بها صاحب اللقب كنى بها عنه تعظيما له عن أن يتفوه بذكره

الثالث المقام ، بفتح الميم ، وهو من الألقاب الخاصة بالملوك . وأصله فى اللغة اسم لموضع القيام ، ومنه قوله تعالى « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » أى أثر موضع قدميه في الصخرة التى كان يقوم عليها لبناء البيت به . ثم توسع فيه فأطلق على ماهو أعم من ذلك من محلة الرجل و بلده ونحو ذلك . ومن ثم قال الزمخشرى فى قوله تعالى « ان المتقين في مقام أمين » أنه خاص استعمل في معنى العموم بمعنى أنه يستعمل في موضع الأقامة في الجملة . ويجمع على مقامات . قال فى عرف التعريف : ويقال فيه المقام الأشرف ، والمقام الشريف العالى ، وربما قيل فيه المقام العالى — قلت : ولو قيل: المقام الكريم تأسيا بلفظ القرآن لكان له وجه بل هذا أوجه

الرابع المقر بفتح الميم والقاف . وأصله في اللغة موضع الاستقرار والمراد الذى يستقر فيه صاحب ذلك اللقب ؛ ويجمع على مقرات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه المقر الاشرف ، والمقر الشريف العالى ، والمقر العالى ، مجردا عن ذلك . قال ابن شيث فى معالم الكتابة : وهو من أجل القاب السلطان ، قال في عرف التعريف ، ويختص بكبار

الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجرى مجراهم كناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ومن في معناهم ، قال ، ولا يكتب لأحد من العلماء والقضاة — قلت : اما فى الزمن المتقدم فكان من ألقاب الملوك كما قال ابن شيث ؛ وعليه كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (عهد سلطنة) المنصور قلاوون ثم انحط عن رتبة الملوك الى من دونهم من الاعيان كما تقدم حين لقب الملوك بالمقام وخص بغير القضاة والعلماء كما أشار اليه في عرف التعريف ثم استقر الحال بعد ذلك على أنه يكتب لهم ايضاً إلا أنه يختلف الحال بحسب رتبة المكتوب اليه عنه وهبوطها فقد لا يكتب عن السلطان لشخص ويكتب عن غيره من نواب السلطنة لذلك الشخص . وكذلك القول في سائر الالقاب الآتية

الخامس الجناب ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام جميعها مما يكتب عن السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم . وأصله في اللغة الفناء أوما قرب من محلة القوم ، ومنه قولهم : لذنا بجناب فلان ، وفلان خصيب الجناب ؛ فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب منه . ويجمع على أجنبة كمكان وأمكنة وعلى جنابات كجماد وجمادات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه الجناب الشريف العالى ، والجناب الكريم العالى ، والجناب العالى مجردا عنهما . وهو أعلى مايكتب للقضاة والعلماء من الالقاب جنوحا الى أنه لا يكتب لاحد منهم بالمقر كما تقدم ذكره عنه ، قال ، ويكتب لمن لا يوهل للمقر من الامراء وغيرهم ممن يجرى مجرى الوزراء — قلت : ويزيد على ماذكره ان يكتب به لبعض ملوك المكاتبين عن الابواب السلطانية

السادس المجلس ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام أيضا ممن لا يؤهل لرتبة الجناب وربما لقب به بعض الملوك في المكاتبات السلطانية . على أنه كان فى الدولة الايوبية لا يلقب به الا الملوك ومن فى معناهم ومكاتبات القاضى الفاضل والعماد الاصفهانى وغيرهما من كتاب الدولة الايوبية شاهدة بذلك . قال ابن شيث فى معالم الكتابة : وقد كانوا لا يكتبون المجلس الا للسلطان خاصة ، ولم يكن السلطان يكاتب به أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره ثم ذكر أنه يكتب فى زمانه هو الى كبار الامراء والوزراء وولاة العهد بالسلطنة قلت : أما فى زماننا فقد صار فى أدنى الرتب وجعل الجناب والمقر فوقه كما تقدم . ويقال فيه المجلس العالى

والمجلس السامي رتبة بعد رتبة ٠ وأصل المجلس فى اللغة موضع الجلوس ويشار بذلك الى الموضع الذى يجلس فيه المكتوب له تعظيما له علي ما تقدم ٠ واعلم ان العالى والسامى اسمان منقوصان كالقاضي والوالى، وقد تقرر فى علم النحو انه إذا دخلت الألف واللام علي الاسم المنقوص جاز فيه اثبات الياء وحذفها فيقال القاض والقاضى ونحو ذلك؛ وحينئذ فيجوز فى العالى والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكتاب لا يستعملونها الا بالياء : فأما العالى والسامى بالياء فيجوز ان تكون الياء فيهما مكان الياء اللاحقة للاسم المنقوص وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز ان تكون ياء النسب التي للمبالغة على ماسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وتكون مشددة ٠ أما السامي(١) بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص وحينئذ فتحذف الياء من الألقاب التى تبعت بها فيقال : المجلس السامى الأمير الاجل ونحو ذلك ٠

السابع مجلس ، مجردا عن الالف واللام مضافا الى ما بعده ٠ وله في الاصطلاح أربع حالات: الأولى ان يضاف الى الأمير ، فيقال: مجلس الامير وهو مختص بأرباب السيوف * الثانية ان يضاف الى القاضي ، فيقال : مجلس القاضى وهو مختص بأرباب الأقلام على اختلاف أنواعهم * الثالثة ان يضاف الى الشيخ ، فيقال: مجلس الشيخ ٠ وهو مختص بالصوفية وأهل الصلاح * الرابعة ان يضاف الى الصدر ، فيقال : مجلس الصدر ٠ وهو يختص بالتجار وأرباب الصنائع ونحوهم ٠ وربما كتب فى الدولة الناصرية ابن قلاوون وما قاربها لكتاب الدرج ومن فى معناهم

الثامن ان يقتصر على المضاف

التاسع أن يقتصر على المضاف اليه من مجلس الأمير أو مجلس القاضى أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر فيقال: الأمير، أو القاضى، أو الشيخ، أو الصدر وهى أدنى المراتب

العاشر الحضرة ، قال في أدب الكاتب بفتح الحاء وكسرها وضمها ، والمراد بها حضرة المكتوب له قال الجوهرى: (وحضرة الرجل قربه وفناؤه) ٠ وأكثر ما تستعمل في المكاتبات وهي من الالقاب التى كانت تستعمل فى مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة

---

(١) أثبتنا الياء في « السامي » هذه وأمثالها لان الغرض من قوله « بغير يا » ياء النسب التي هي للتعظيم والتفخيم كما يتضح للقراء بعد

العالية والحضرة السامية وذكر فى معالم الكتابة انها كانت فى الدولة الايوبية يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم وان السلطان لم يكن يكاتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره — قلت : والامر على نحو ذلك الى الآن فيكتب بها عن الابواب السلطانية الى بعض الملوك. ويقال فيها : الحضرة الشريفة العالية ، والحضرة الكريمة العالية ، والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه رتبة المكتوب له . وكذلك تستعمل فى الكتب الصادرة الى ملوك (النصارى) ويقال فيها : بعد الدعاء للحضرة حضرة الملك الجليل ، ونحو ذلك . وربما استعملت فى الولايات فتكتب في ولاية البطرك ونحو ذلك

﴿ الضرب الثانى ﴾ — من الالقاب الاسلامية الالقاب المؤنثة وهي ثلاثة ألقاب

الاول الدار ، وهي تجمع على ديار ، وأدر ، ودور ؛ ويقال فيها الدار العزيزة . وكان يكتب بها فى القديم لديوان الخلافة ثم استقر الحال على أن يكتب بها للخواتين من نساء الملوك من الابواب السلطانية وغيرها * الثانى الستارة ، ويقال فيها : الستارة الشريفة ، ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة القدر التى بصدد ان تنصب الستارة على بابها حجابا لها * الثالث الجهة ، ويقال فيها الجهة الشريفة أيضاً وهي فى اللغة اسم للناحية فكنوا بها عن المرأة الجليلة كما كنوا عن الرجل الجليل بالجناب . وهي في المعنى أعلى من الستارة لا تساع نطاقها كما إن الجناب أعلى من المجلس لاتساع نطاق الجناب

﴿ تنبيه ﴾ — كثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الالقاب أو أكثرها أحدثها المقر الشهابى بن فضل الله، وليس كذلك، بل المجلس مذكور فى مكاتبات القاضى الفاضل ومن عاصره بكثرة . ويقتضى كلام ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب أنه أول ما حدث في أيام بنى بويه ملوك الديلم . والجناب موجود فى مكاتبات القاضى الفاضل إلا أنه بقلة ، وذكر ابن شيث انه موجود في مصطلح كتاب الدولة الايوبية . والمقر موجود فى كلام القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود فى كلام من قبل المقر الشهابى بن فضل الله المذكور

واعلم ان ترتيب هذه الالقاب على هذا الوجه وهو جعل المقام أعلى من المقر ، والمقر أعلى من الجناب ، والجناب أعلى من المجلس ، والمجلس العالى أعلى من المجالس

السامي ، والمجلس السامى بالياء أعلى من المجلس السامي بغير ياء ، والمجلس السامى بغير ياء أعلى من مجلس مضافا ، ومجلس مضافا أعلى من المضـاف اليـه فقط لم أره الا فى كلام المقر الشهابى ابن فضل الله ومتابعيه ولا أدرى أهو المقترح لذلك أم سبقه اليه غيره . وقد أولع فضلاء الكتاب بالسؤال عن وجه الترتيب فى ذلك، بل أخذوا فى انكاره على مرتبه من حيث ان هذه الالقاب متقاربة المعانى في اللغة فـلا يتجه تقـديم بعضهـا علي بعض فى الرتبة . ولا يخفى ان واضع ذلك من المقر الشهـابى أو غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التشهى في التقـديم والتأخير اذ لا يليق ذلك بمن عنده ادنى مسكة من العلم . وقد ظهر لى عن ذلك أجوبة يستحسنهـا الذهن السليم إذا تلقيت بالأ نصاف . ولا بد من تقديم مقدمة على ذلك وهى أن الخطاب في المكاتبات والوصف في الولايات مبنى على التعظيم والتفخيم، ومن ثم عبروا عن أ كثر هذه الألقاب باسم الامكنة تنزيها للمكتوب له عن التصريح بذكره وجعلوها رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها اللائحة منها فجعلوا أدناها رتبة الأمير، والقاضى والشيخ والصدر التى وقع فيها التصريح بذكر الشخص، وجعلوا فوق ذلك مجلس الأمير ، ومجلس القاضى، ومجلس الشيخ ومجلس الصدر من حيث ان المجلس يقتضى الاقتصار على موضع الجلوس خاصة وهو أخص مكان ينسب الى الشخص مع إضافته الى اللقب الخاص الذى هو قريب من التصريح بالذكر وهو الأمير والقاضى أو الشيخ أو الصدر . وجعلوا فوق ذلك المجلس مجردا عن الأضافة التى هي قريب من التصريح بالذكر ؛ وجعلوا فوق ذلك المجلس السامى بغير ياء من حيث وصفه بصفة العلو التى لم توجد حالة الأضافة. وجعلوا فوق ذلك السامي بالياء من حيث ان ياء النسب إذا أتى بها فى آخر اللقب أفادت المبالغة كما سيأتى بيانه فيما بعد ان شاء الله تعالى . وجعلوا فوق ذلك المجلس العالى، من حيث ان العالى وصف من معنى العلو يفهمه كل من الم باللغة العربية أدنى المام، والسامى لا يفهم منه معنى العلو الا الخاصة، وما أفاد تعريف العلو عند البعض دون البعض (أقل مما أفاد عند الكل) وجعلوا فوق ذلك الجناب العالى، من حيث ان المراد بجناب الرجل فناؤه كما تقدم والفناء أوسع من المجلس ضرورة بل ربما اشتمل على المجلس واستضافه اليه . وجعلوا فوق ذلك الجناب الكريم العـالى من حيث

زياده التفخيم بوصف الكريم · وجعلوا فوق ذلك الجناب الشريف العالى من حيث ان المراد بالشرف العلو والرفعة والمراد بالكريم الخلوص من الكرم فقد قال الجوهرى انه نقيضه وأيضاً فأن الشريف لا يطلق الا على من له أب « عريق » فى الشرف كما قاله ابن السكيت بخلاف الكريم فأنه لا يعتبر فيه ذلك · وجعلوا فوق ذلك المقر وان كان المراد منه موضع الاستقرار فأنه يشمل جميع المحلة اذ يقال : مقره محلة كذا أو بلد كذا لتضمنه معنى القرار الذى هو ضد الزوال كما قال تعالى « وان الآخرة هي دار القرار » · وجعلوا فوق ذلك المقر الكريم ، ثم المقر الشريف لما تقدم فى الجناب . وجعلوا فوق ذلك المقر الأشرف لاشتماله على افعل التفضيل · وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله فى المعنى العام الذى هو أعم من موضع القيام كما أشار اليه الزمخشرى مع ما فى القيام من (معنى) النهضة والشهامة الزائدة على معنى الاستقرار · وجعلوا أعلى مراتبه المقام العالى ، ثم المقام الكريم ، ثم المقام الشريف العالى لما تقدم فى المقر والجناب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ النوع الثانى ﴾

من الألقاب الاصول ألقاب ملوك (النصارى) وزعمائهم وهي على ضربين

﴿الضرب الاول﴾ الالقاب المذكرة — وهي خمسة ألقاب

الاول الباب ـ وقد تقدم انه لقب على ملوك رومية ويقال فيه الباب الجليل * الثاني البطرك ـ وقد تقدم انه لقب على بطرك الاسكندرية و بطرك انطاكية و بطرك القدس ويقال فيه البطرك الجليل أيضاً * الثالث الحضرة وهي من ألقاب ملوكهم كما تقدمت الاشارة اليه فى آخر الالقاب الاصول الاسلامية ويقال فيها الحضرة العلية والحضرة السامية والحضرة الكريمة، والحضرة الموقرة · وقد تأتي مع الاضافة فيقال حضرة الملك الجليل او حضرة المحتشم ونحو ذلك * الرابع النائب ، وهو من القاب نوابهم ويقال فيه النائب الجليل * الخامس القنصل فيقال فيه القنصل المحتشم وغير ذلك

﴿الضرب الثانى﴾ الالقاب المؤنثة · وفيه لقب واحد وهو الملكة · ويقال فيها الملكة الجليلة · وسيأتى ذلك مستوفى في (الكلام على المكاتبات) الصادرة اليهم فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ المقصد الرابع ﴾

في الالقاب المفرعة على الاصول المتقدمة . وهي نوعان

(النوع الاول)

الالقاب المفردة . وهي اما مجردة عن ياء النسب اوغير مجردة . فأما المجردة عن ياء النسب فكالسلطان والملك والامير والقاضي والشيخ والصدر والاجل والكبير والعالم والعامل وما أشبه ذلك . وأما غير المجردة وهي الملحقة بها ياء النسب فكالملكي والاميري والقاضوي والشيخي والصدري والاجلي والكبيري والعالمي والعاملي ونحو ذلك

ثم الالقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه كالقضائي لانه منسوب الى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي مناطها فصل الحكومات الشرعية كما تقدم، وتارة يراد به المبالغة كالقاضوي لانه منسوب الى القاضي نفسه مبالغة ؛ وفي معناه الاميري نسبة الى الامير ، والوزيري نسبة الى الوزير ، والشيخي نسبة الى الشيخ ، والكبيري نسبة الى الكبير ، وما أشبه ذلك . والاصل فيه أن عادة العرب انهم اذا أرادوا المبالغة في وصف شيء ادخلوا عليه ياء النسب للمبالغة فيقولون في الاحمر احمري مبالغة في وصفه بالحمرة ، وما أشبه ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة

ثم منها مايستعمل مجردا عن ياء النسب تارة ومعها أخرى كالعالم والعالمي ، والاكمل والاكملي ونحو ذلك . ومنها مايستعمل مجردا عنها فقط كالقطب والغوث من ألقاب الصوفية . ومنها مايستعمل معها فقط كالغياثي ونحوه . و بكل حال فالالقاب التي تثبت ياء النسب فيها كالاميري (اعلى من المجردة عنها) كالامير فأن كانت من ألقاب (المجلس السامي) بالياء فما فوقه من المجلس العالي ، والجناب ، والمقر ، والمقام على مراتبها تثبت الياء فيها ؛ وان كانت من ألقاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه من مجلس الامير ، ومجلس القاضي ، ومجلس الشيخ ، ومجلس الصدر ، والامير ، والقاضي والشيخ ، والصدر لم تثبت الياء فيها . والالقاب المضافة الى الدين ان كانت مع الالقاب التي لا تثبت فيها الياء كألقاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه بقيت على حالها في الاضافة للدين

مثل ناصر الدين ، وعلاء الدين، وسيف الدين، وما أشبه ذلك وان كانت مع الالقاب التي تكتب فيها الياء كألقاب « المجلس السامي » بالياء فما فوقه حذف المضاف اليه وأدخلت الالف واللام على المضاف وألحقت به ياء النسب فيقال فى ناصر الدين الناصرى ، وفي علاء الدين العلائى ، وفى سيف الدين السيفي. ونحو ذلك

﴿ النوع الثانى ﴾

الالقاب المركبة ، وهي المعبر عنها عند الكتاب بالنعوت. وأكثر ما يكون التركيب فيها بالاضافة . ثم تارة تكون اضافة واحدة نحو : ممهد الدول ، وتارة تكون بأضافتين نحو : سيد أمراء العالمين ، وتارة تكون بثلاث اضافات نحو : حاكم أمور ولاة الزمان، وربما زيد على ذلك . وتارة ، يكون بوصف المضاف نحو بقية السلالة الطاهرة. وتارة يكون بالعطف على المضاف اليه إما بعطف واحد نحو سيد الملوك والسلاطين وإما بأكثر نحو : فاتح الممالك والاقاليم والاقطار . وتارة يكون بجار ومجرور بعد المضاف اليه نحو :سيد الامراء فى العالمين ، وربما توسط النعت بين المضاف اليه والجار والمجرور نحو : سيد الامراء الاشراف فى العالمين . وقد يكون التركيب بغير اضافة إما بالجار والمجرور نحو : المجاهد فى سبيل رب العالمين ، وإما بغير ذلك نحو : (معنى ماوك) ساسان ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى

واعلم أنه اذا كان لقب الاصل مفردا نحو المقر ، والجناب، جاءت ألقابه ونعوته مفردة فيقال : المقر الشريف والجناب الشريف ، والمقر الكريم والجناب الكريم ، وفى نعوته سيد الامراء فى العالمين ، ونحو ذلك . ثم ان كان مذكرا جاء بصفة التذكير كما تقدم فى ألقاب المقر ، وان كان مؤنثا كالجهة فى ألقاب النساء كانت ألقابه ونعوته مؤنثة : فيقال الجهة الشريفة ، او الكريمة ونحو ذلك ، وفى النعوت : سيدة الخواتين في العالمين وما يجرى هذا المجرى . وان كان اللقب الاصل مجموعا نحو: مجالس الامراء جاءت الالقاب والنعوت مجموعة فيقال : الاجلاء والاكابر وما أشبه ذلك . وفى النعوت ان كان ذلك اللقب اسم جنس نحو عضد الملوك والسلاطين ، او مصدرا نحو عون الامة ، جاز ابقاؤه على الافراد لان المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يجمعان وان

نحط فيه معنى التعداد جاز الجمع فيقال : اعوان الملة وأعضاد الملوك والسلاطين ونحو ذلك. وقد أشار الى ذلك فى التعريف في الكلام على المطلقات فقال: ويجوز عضد وأعضاد

﴿ المقصد الخامس ﴾

﴿في الالقاب المفرعة عن الالقاب الاصول المتقدمة الذكر ومراعاة مناساباتها﴾

اعلم انه يجب على الكاتب مراعاة مناسبة الالقاب المفرعة عن الاصول لاصولها فأما فى الألقاب الاسلامية المذكرة فيتعين ذلك من ثلاثة أوجه : أحدها أن يراعى مناسبة الفرع للأصل فى شرف القدر مثل ان يصف لقب الأصل بالعزيز أو بالاشرف أو الشريف أو الكريم أو العالى أو السامي على ما تقدمت الاشارة اليه عند ذكر الاصول * الثانى ان يأتى لكل من الالقاب الأصول بما يميز المكتوب له عن غيره مثل ان يكتب فى ألقاب السلطان: الملكي، وفى القاب الأمير: الأميرى، وفى ألقاب القاضى ونحوه من أرباب الأقلام: القضائى أو القاضوى ، وفى القاب أهل الصلاح : الشيخى ، وفى القاب التجار : الخواجكى ، وفى ألقاب أصحاب الصنائع السنية : الصدرى، أو الصدرى ، وما أشبه ذلك * الثالث ان يأتى لكل صاحب لقب من الالقاب الاصول بما يلائمه من الأوصاف مثل ان يصف الديوان العزيز أو الجانب الشريف فى لقبى ديوان الخلافة وولى العهد بالمولوى السيدى النبوى ، لانتسابهما الى مقام النبوة بقرابة العباس للنبى صلى الله عليه وسلم . ويصف السلطان بالأعظم المالك الملك ، ونحو ذلك . وان يتبع ذلك بما يناسب أحوال الملوك من الأوصاف مثل : العادل والمجاهد والمرابط والمثاغر والمؤيد والمظفر ؛ ومن النعوت مثل: سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين ، وما أشبه ذلك. ويصف أرباب السيوف بما فيه معنى الشجاعة مثل: المؤيدى العونى الغياثى الظهيرى وما فيه معنى الجهاد مثل : المثاغرى المرابطى وما أشبه ذلك . ويصف نواب السلطنة بما فيه معنى العدل وتدويخ البلاد وتمهيد الدول مثل : الممهدى المشيدى ، ومن النعوت مثل ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ونحو ذلك. ويصف القضاة بصفات الحكم والعدل مثل: الحاكمى العادلى وما أشبه ذلك. والعلماء بصفة العلم مثل : الشيخى العالمى الامامي العلامي القدوى

المفيدى الحجى المحقق المدقق . والمدرسين مثل: قدوة العلماء صدر المدرسين لسان المتكلمين حجة المناظرين وما أشبه ذلك . ويصف الوزراء بحسن التدبير والتنفيذ مثل المدبرى المتصرف فى المنفذى الملاذى ؛ وفى النعوت بمدبر الدول جمال الممالك . ويصف كتاب الدست ومن فى معناهم من كتاب الأنشاء بصفات البلاغة وحسن التدبير والتسديد والرأى مثل: البليغى المسددى المنفذى المدبرى ؛ وفي النعوت مثل جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الأصحاب كهف الكتاب لسان السلطنة سفير المملكة وما اشبه ذلك . ويصف أهل التصوف بصفات الصلاح والعبادة مثل العالمى السالكى الزاهدى العابدى الخاشعى الناسكي القدوى ، وفي النعوت : زين العباد إمام الزهاد قدوة السالكين صفوة الناسكين ونحو ذلك . ويصف التجار بما يتضمن رفعة القدر والاحترام والامانة والتقريب ونحو ذلك مثل: المحترمي المؤتمنى المقربى الخواجكي ؛ وفي النعوت: شرف الاكابر في العالمين أوحد الامناء المقربين صدر الرؤساء رأس الصدور عين الاعيان ثقة الدولة، وما يجرى هذا المجرى

وأما الالقاب الاسلامية المؤنثة فيتعين ان يصفها اولا بصفات العظمة مثل الجهة الشريفة المعظمة ، ثم مافيه معنى الصيانة مثل المحجبة المصونة ، وفى النعوت مثل جميلة المحجبات جليلة المصونات ، وما في معنى ذلك

وأما ألقاب (غير المسلمين) المذكرة فانه يراعى فيها ما يناسبها فيصف الباب والبطريرك بالتقديس والروحانى الخاشع العامل ويصفه بالعلم في ملته وقيامه بشرائعها مثل عظيم المسيحية وقدوة الطوائف العيسوية عماد بني المعمودية كنز الطائفة الصليبية وما أشبه ذلك . ويصف ملوكهم بصفات الشجاعة والعلم فى شريعته والعدل فى رعيته مثل ان يقال الضرغام الاسد الغضنفر الخطير الباسل السميدع العالم فى ملته العادل فى مملكته وما أشبه ذلك

وأما القابهم المؤنثة فعلى نحو ماتقدم الا انه يورد بلفظ التأنيث فيقال المكرمة المبجلة الموقرة العالمة فى ملتها العادلة في رعيتها ونحو ذلك

المقصد السادس

في تفاوت الالقاب في المراتب في العلو والهبوط. وهو على نوعين

(النوع الاول)

الالقاب المفردة وهي على أربعة أضرب:

﴿الضرب الاول﴾ ما يقع فيه التفضيل بجوهر اللفظ وهي التوابع التى تلى الالقاب الاصول كالعزيز والاشرف والشريف والكريم والعالى والسامي على ما تقدم ذكره. وبعضها أرفع من بعض: فالعزيز أرفع من الجميع لأن كل وصف دون العز ليس اليه كبير التفات، والاشرف أرفع من الشريف لما فى الاشرف من صيغة التفضيل: والشريف أرفع من الكريم فقد قال ابن السكيت ان الشرف لا يكون الا لمن له آباء شرفاء والكريم لا يعتبر فيه ذلك، ومقتضى ذلك ترجيح الشريف على الكريم بكل حال. والكريم أرفع من العالى لأن الكرم ان حمل على خلاف اللؤم فهو صفة مدح، والعالى يحتمل ان يكون من «على» بكسر اللام يعلى بفتحها علاء بالفتح والمد اذا شرف، وان يكون من علا يعلو علوا اذا ارتفع فى المكان، وليس العلو في المكان من صفات المدح، وما هو صفة للمدح بكل حال اعلى مما احتمل المدح وعدمه. وقد تقدم فى آخر المقصد الثانى وجه رفع العالى على السامي

﴿الضرب الثاني﴾ ما يقع فيه التفضيل بحسب لحوق ياء النسب وما يتجرد عنها ـ قد تقدم ان ما تلحقه ياء النسب من الألقاب المفردة منه ماهو منسوب الى شيء خارج عن صاحب اللقب كالقضائى فأنه منسوب الى القضاء الذى هو نفس الوظيفة فيكون النسب فيه على بابه، ومنه ما هو منسوب الى صاحب اللقب نفسه كالاميرى والقاضوى فأن الأول منسوب الى الامير والثانى منسوب الى القاضى وهما عين صاحب اللقب وبكل حال فقد اصطلحوا على ان ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها الا أن ماهو منسوب الى نفس صاحب اللقب أعلى من المنسوب الى شيء خارج عنه، ومن ثم جعلوا القاضوى الذى هو نسبة الى القاضى أعلى من القضائى الذى هو نسبة الى القضاء. على أنهم لم يقفوا على الحكم فى كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع فى جميع الأحوال

فقد استعملوا الأجل ونحوه في القاب السلطان التي هي أعلى الألقاب فقالوا : السلطان الاجل العالم العادل ، الى آخر ألقابه المفردة من غير الحاق ياء النسب بها . ثم استعملوا ذلك في القاب « السامي » بغير ياء فما دونه مما هو أدني الالقاب رتبة، وكأنهم اكتفوا بمكان السلطان من الرفعة عن المبالغة بالحاق ياء النسب من حيث أن المعظم غني عن التعظيم

﴿ الضرب الثالث ﴾ ما يقع فيه التفضيل بصيغة مبالغة بغير ياء النسب كما في الكفيلي فانه أرفع رتبة من الكافلي لان صيغة فعيل أبلغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث ان « فعيل » لا تأتي الا من فعل بضم العين اذا صار ذلك الفعل له سجية كما يقال : كرم فهو كريم ، وعظم فهو عظيم بخلاف فاعل

﴿ الضرب الرابع ﴾ ما يقع فيه التفضيل بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء الرفعة لعلو تعلقه كالممهدي والمشيدي فأن المراد ممهد الدول ومشيد الممالك . فأن من ينتهي في الرتبة الى ذلك لا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الارفع . وكذلك ما يجرى هذا المجرى كالمدبرى بالنسبة الى الوزراء، والمحققى بالنسبة الى العلماء، والاصيلى بالنسبة الى العراقة في كرم الاصل ونحو ذلك

﴿ النوع الثاني ﴾

الالقاب المركبة المعبر عنها بالنعوت . وهي على أربعة أضرب :

﴿ الضرب الاول ﴾ ألقاب أرباب السيوف ولها ستة أحوال :

الاول ـ أن يضاف الى الاسلام . وقد جعل في التعريف أعلاها في السلطانيات « ركن الاسلام والمسلمين » وأورد ذلك في المكاتبة الى النائب الكافل ، ومكاتبته يومئذ « الجناب الكريم » ثم أبدله الكتاب بعده بعز الاسلام والمسلمين وجعلوه مع المكاتبة اليه مع « المقر الكريم » على ما استقر عليه الحال في المكاتبة اليه والى نائب الشام ونحوه، دون ذلك « عز الاسلام والمسلمين » فأوردوه مع « الجناب الكريم ، والجناب العالي » على ما استقر عليه الحال في السلطانيات . وجعل في عرف التعريف في الاخوانيات أعلاها « عز الاسلام والمسلمين » أعلى الالقاب فأوردوه مع « المقر الشريف » ثم أوردوه في المكاتبات مع « المقر الكريم ، والمقر العالي » ثم جعل دونه « مجد الاسلام

والمسلمين» فأورده مع «المجلس العالى » مع الدعاء ، وصدرت؛ وجعل دون ذلك «مجد الاسلام » فقط من غير عطف المسلمين عليه فأورده مع « المجلس السامي » بالياء «والسامي» بغير ياء ولم يجاوزه الى ما بعده، بل جعل بعده : مجد الامراء على ماسيأتي ذكره . وتابعه علي ذلك في التثقيف

الثانى — ان يضاف الى الامراء . وقد جعل فى التعريف اعلاها « سيد الامراء فى العالمين » فأورده مع « الجناب الكريم » وهو يومئذ أعلى المكاتبات الى النواب؛ وجعل في التثقيف دونه « سيد امراء العالمين » وأورده مع « الجناب العالى » ؛ ودونه « شرف الامراء فى العالمين » وأورده مع « المجلس العالى » بالدعاء ؛ ودونه شرف الامراء المقدمين ، وأورده مع « صدرت » و « العالى » : ودونه « شرف الامراء في الانام » وأورده مع السامى بالياء ؛ ودونه « زين الامراء المجاهدين » وأورده مع « السامي » بغير ياء، ودونه « مجد الامراء » وأورده مع «مجلس الامير» قلت ولا يخفى مافي ذلك من الاختلاف الفاحش

الثالث — ان يضاف الى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل فى التعريف اعلاها « ناصر الغزاة والمجاهدين » فأورده في ألقاب النائب الكافل وهي يومئذ «الجناب الكريم» ؛ وجعل دونه « نصير الغزاة والمجاهدين » فأورده في المكاتبة الى نائب الشام وهي يومئذ : الجناب العالى — قلت وهو مخالف لقاعدة لغة العرب من حيث ان صيغة فعيل ابلغ من صيغة فاعل على ما تقدمت الاشارة اليه . وتابع في التثقيف التعريف على جعل «ناصر الغزاة والمجاهدين »اعلاها وأورده مع المقر الكريم العالى » وجعل دونه نصرة الغزاة والمجاهدين» واورده مع «الجناب الكريم» ومابعده الى آخر «المجلس العالى » ثم اتى مع «السامي» بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بغير ياء ، ومجلس الامير بزين المجاهدين ، والحال فى ذلك قريب . أما في عرف التعريف فأنه اعرض عن ناصر الغزاة والمجاهدين مع «المقر الشريف» وأتى مع «المقر الكريم» بنصير الغزاة والمجاهدين، ومع الجناب الشريف الى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين، فجعل نصير الغزاة ابلغ من نصرة الغزاة لما في نصير من التذكير . ثم أتي مع السامى بالياء بذخر الغزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بغير ياء بزين الامراء المجاهدين، ثم مع مجلس

الامير بزين المجاهدين

الرابع — ان يضاف الى الجيوش وقد جعل فى التعريف اعلاها أتابك الجيوش فأورده فى ألقاب النائب الكافل وهي يومئذ « الجناب الكريم » وجعل دونه « زعيم الجيوش » فأورده فى ألقاب نائب الشام وهي يومئذ « الجناب العالى » ودونه « زعيم جيوش الموحدين » فأورده فى ألقاب نائب حلب. واورد فى عرف التعريف زعيم الجيوش مع المقر الشريف ، والمقر الكريم : واورد زعيم جيوش الموحدين مع الجناب الكريم ، والجناب العالى. وعلى نحو ذلك جري فى التثقيف

الخامس — ان يضاف الى الملوك والسلاطين. وقد جعل فى عرف التعريف اعلاها «ظهير الملوك والسلاطين » واورده مع « المقر الكريم » وما بعده الى آخر « المجلس العالى » : وجعل دونه « عضد الملوك والسلاطين » واورده مع المجلس العالى، والمجلس السامي بالياء ؛ وجعل دونه « عمدة الملوك والسلاطين » وأورده مع مجلس الأمير. أما التثقيف فأورد ظهير الملوك والسلاطين مع المقر الكريم وما بعده الى آخر المجلس العالى ' وجعل: عضد الملوك والسلاطين مع المجلس السامي بالياء، وعمدة الملوك والسلاطين مع السامي بغير ياء وعمدة الملوك والسلاطين مع مجلس الامير

السادس — ان يضاف الى أمير المؤمنين. واعلاها قسيم امير المؤمنين وهو من ألقاب اولاد السلاطين وألقاب بعض الملوك الاجانب المكتوب اليهم عن الابواب السلطانية ، ودونه عضد أمير المؤمنين. وهو أعلى ما يكتب لنواب السلطنة عن الابواب السلطانية وجعله فى عرف التعريف مع المقر الشريف خاصة ، ودونه سيف أمير المؤمنين، واورده مع المقر الكريم ، والمقر العالى : ودونه حسام أمير المؤمنين وجعله في عرف التعريف مع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ' والجناب العالى ثم لم يورد بعد ذلك لقبا بالاضافة الى امير المؤمنين بل اقتصر على مايضاف الى الملوك والسلاطين كما تقدم ذكره . اما فى التثقيف فأنه جعله مع المقر الكريم ، والمقر العالى ' ودونه حسام امير المؤمنين وجعله مع المجلس العالى والدعاء ولم يورد فيما بعد ذلك لقبا بالأضافة الى امير المؤمنين

﴿ الضرب الثاني ﴾ القاب القضاة والعلماء . ولها خمسة أحوال :

الاول — ان يضاف الى الاسلام . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها : حجة الاسلام أو ضياء الاسلام ، فأوردهما مع الجناب الشريف الذى هو عنده أعلى الرتب لهذه الطائفة ، وجعل دونه : بهاء الاسلام ، فأورده مع الجناب الكريم ، ودونه : مجد الاسلام فأورده مع المجلس العالى ، والسامي بالياء ، والسامى بغير ياء

الثانى — ان يضاف الى العلماء ونحو ذلك . وقد جعل فى عرف التعريف اعلاها سيد العلماء والحكام ، وجعله للجناب الشريف فما فوقه ثم جعل دونه : أوحد العلماء الاعلام للجناب الكريم والجناب العالى ؛ وجعل دونه تاج العلماء والحكام ، او شرف العلماء والحكام وأورده مع المجلس العالى ، ودونه جمال العلماء أوحد الفضلاء : وأورده مع السامى بالياء ؛ ودونه جمال الاعيان وأورده مع السامى بغير ياء فما دونه

الثالث ان يضاف الى الأنام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها شرف الأنام ، وأورده مع الجناب الشريف الذى جعله أعلي الألقاب لهم ومع الجناب الكريم . والجناب العالى ؛ وجعل دونه فخر الأنام فأورده مع المجلس العالى بالدعاء ؛ ودونه بهاء الأنام وأورده مع صدرت ، والعالى ، والسامى بالياء ، والسامي بغير ياء .

الرابع ان يضاف الى الملوك والسلاطين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها للقضاة : حكم الملوك والسلاطين ، ولغيرهم من العلماء : خالصة الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجناب الشريف فما فوقه ؛ ودونه : بركة الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجناب الكريم ، والجناب العالى ، والمجلس العالى مع الدعاء : ودونه : صفوة الملوك والسلاطين وأورده مع : صدرت ، والعالى . وما دونه

الخامس — ان يضاف الى أمير المؤمنين . وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها : ولى أمير المؤمنين ، وجعله مع : الجناب الشريف فما فوقه — قال : ويحسن ان يجيئ مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين

﴿ الضرب الثالث ﴾ القاب الوزراء ومن فى معناهم من كتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص ، ومن دونهم من الكتاب . ولها أربعة أحوال :

الأول — أن يضاف الى الاسلام . وقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره ان اعلاها لهم : ركن الاسلام والمسلمين ، وجعل فى عرف التعريف أعلاها

للوزراء : صلاح الاسلام والمسلمين ، وأورده مع المقر الشريف وما دونه من المقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دون ذلك : مجد الاسلام مجردا عنه وأورده مع : المجلس العالى ، والمجلس السامى . وقد ذكرت توجيهه فى الاصل

الثانى ان يضاف الى الوزراء ونحوهم . وقد ذكر فى عرف التعريف أعلاها : للوزراء : سيد الوزراء في العالمين ، ولمن فى معناهم من كاتب السر ونحوه سيد الكبراء فى العالمين وأورده مع: المقر الشريف ، والمقر العالى ، والمقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالى . وجعل دونه لمن هو دون هؤلاء من الكتاب

الثالث — ان يضاف الى الملوك والسلاطين وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها : ظهير الملوك والسلاطين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالى . وجعل دونه: صفوة الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالى فما دونه

الرابع — أن يضاف الى أمير المؤمنين . ولم يزد فى عرف التعريف في ذلك على: ولى أمير المؤمنين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالى والجناب الشريف ؛ قلت: ويحسن ان يجئ مع الجناب الكريم: خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالى : صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف الى أمير المؤمنين مع المجلس العالى فما دونه شىء من الألقاب بل يقتصر على الاضافة الى الملوك والسلاطين

﴿ الضرب الرابع ﴾ ألقاب الصلحاء . ولها أربعة أحوال :

الاول — أن يضاف الى الاسلام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها: صلاح الاسلام : وأورده مع الحضرة ، ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دونه جلال الاسلام ، فأورده مع : الجناب العالي ، ودونه ضياء الاسلام ، وأورده مع المجلس العالى ، ودونه : جمال الاسلام ، وأورده مع : المجلس السامى بالياء فما دونه

الثانى — ان يضاف الى العارفين ونحوه . وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها: شيخ شيوخ العارفين ؛ وأرده مع « الحضرة الطاهرة » التى هي أعلى الرتب عنده . وجعل دونه : أوحد المحققين ، فأورده مع: الجناب الكريم ، ودونه: أوحد الناسكين ، فأورده مع : الجناب العالى

الثالث — ان يضاف الى الأنام . وقدجعل فى عرف التعريف أعلاها : خالصة الأنام ، وأورده مع : الحضرة الشريفة ، التي جعلها أعلى رتبهم ، ومع : الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي . وجعل دونه : شرف الأنام ، فأورده مع : المجلس العالى ، ودونه : زين الأنام ، فأورده مع : السامي بالياء و بغير ياء

الرابع — ان يضاف الى الملوك والسلاطين . ولم يزد فى عرف التعريف على ان يكتب لهم : بركة الملوك والسلاطين — قلت : ويجب الاقتصار عليها لمن يستحق الأضافة الى الملوك والسلاطين . اما ما يضاف الى أمير المؤمنين فلم يوردلهم شيئاً منه . ويحسن أن يجيء لهم نظير ما نقدم للعلماء

المقصد السابع

في تفاوت الالقاب بالتقديم والتأخير . وهو نوعان أيضاً

النوع الاول

الالقاب المفردة وهي على سبعة أضرب :

﴿ الاول ﴾ الالقاب التى تلى الألقاب الاصول وهى كالاشرف والشريف والكريم والعالى والسامى . فالاشرف يلى المقام ، والمقر فيقال: المقام الاشرف والمقر الاشرف ؛ والشريف يلى المقام ، والمقر والجناب فيقال: المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف ؛ والكريم يلى المقر ، والجناب فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم ؛ والعالى يلى المقام على قلة ، والمقر ، والجناب ، والمجلس فيقال : المقر العالى ، والجناب العالى ، والمجلس العالى ؛ والسامي يلى المجلس خاصة فيقال : المجلس السامى

﴿ الثانى ﴾ مايلى الالقاب التى تلى الاصول وهو : العالى ، اذا تأخرت رتبته عن أن يلى الاصول فيلى الاشرف ، والشريف ، والكريم فيقال: الاشرف العالى ، والشريف العالي ، والكريم العالي

﴿ الثالث ﴾ مايلى التالي وهو اللقب الذى يقع به تمييز المكتوب له كالاميرى والقضائي وما فى معني ذلك . فيقال: العالى الاميرى أو القضائي أو القاضوى أو الشيخي أو ما يجرى مجرى ذلك

﴿ الرابع ﴾ مايلي لقب الوظيفة وهو: الكبيرى، وما في معناه. فيقال: الأميرى الكبيرى وما أشبه ذلك

﴿ الخامس ﴾ مايقع قبل لقب التعريف الذى هو: الفلانى، أو فلان الدين. وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة كالكافلي والكفيلي للنواب، والوزيرى للوزراء، والحاكمى للقضاة. فأن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل « الفلاني » الكافلي او الكفيلي بحسب ماتقتضيه رتبته. وان كان حاكما كتب له قبله: الحاكمى. قال في التثقيف: وان كان وزيرا كتب له في آخر القابه: الوزيري؛ والذى في عرف التعريف ان الوزيرى يلي لقب الوظيفة. فأذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب له الاميرى الوزيرى، وان كان من أرباب الاقلام كتب له الصاحبي الوزيرى

﴿ السادس ﴾ مايقع فصلا بين الالقاب المفردة والالقاب المركبة، وهو لقب التعريف الخاص كالفلاني، وفلان الدين. فأنه موضوع بين المفردة والمركبة كالفصل بينهما

﴿ السابع ﴾ ما ليس له موضع مخصوص من الالقاب المفردة. وهو ما يقع به التمييز بين الاميرى ونحوه وبين اللقب الذى قبل لقب التعريف كالعالمي والعادلي ونحوهما فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ماتقتضيه الحالة بحسب مايراه الكاتب

﴿ النوع الثانى ﴾

ما تتفاوت فيه مراتب الالقاب بالتقديم والتأخير الالقاب المركبة وهي على ثلاثة أضرب

الاول — مايلي لقب التعريف الذى هو الفلانى أو فلان الدين، وهو مايضاف الى الاسلام مثل: ركن الاسلام والمسلمين، وما في معنى ذلك. فقد اصطلحوا على أن يكون أول الألقاب المركبة

الثانى — ما يقع فى آخر الالقاب المركبة ويختلف الحال فيه باختلاف المكتوب له. فان كان ممن يكتب له: المجلس السامي، بغير ياء، فما دونه جعل آخر الالقاب فيه ما يضاف الى الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك: وان كان ممن يكتب له: السامى بالياء فما فوقه جعل آخر الالقاب فيه ما يضاف الى أمير المؤمنين مثل: عضد أمير

المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبته

الثالث – ما بين أول الألقاب المركبة و بين آخرها. فقد اصطلحوا على ان يقدم من ذلك ما يقتضى رفعة المكتوب له على أبناء جنسه مثل : سـيد الأمراء فى العالمين ، وما أشبه ذلك بحسب ما يقتضيه الحال

المقصد الثامن

فى ترتيب الألقاب الفروع بجملتها على الالقاب الأصول وهي على ثلاثة عشر نوعا

النوع الاول

الالقاب (المتعلقة بالخلافة) وهي أربعة أضرب :

الاول – القاب الخليفة نفسه . اعلم أنه كان يقال في الزمن القديم : عبد الله فلان أمير المؤمنين ؛ فأن كان اسم الخليفة عبد الله كالمأمون كرر الاسم مرتين ، مرة للاسم العلم ، ومرة للقب الخلافة فيقال : عبد الله عبد الله أمير المؤمنين. ثم زيد فيه الكنية بعد ذلك فقيل : عبد الله ابو فلان الأمام الفلانى – بلقب الخلافة مثل المعتضد بالله ونحوه ، – أمير المؤمنين . ثم زيد فيه بعد عبد الله : ووليه فلان ابو فلان الامام الفلانى أمير المؤمنين. وهو ما استقر عليه الحال الآن

الثانى – القاب ديوان الخلافة . وهى : الديوان العزيزىّ المولوى السيدى النبوى الامامي الفلاني ، بلقب الخلافة

الثالث – القاب ولاة العهد بالخلافة . وهي : الجانب الشريف المولوي السيـدى النبوى الفلانى ، بلقبه المنسوب الى الخلافة . وربما قيل له : الجناب ، بدل الجانب ؛ وبقية الألقاب على ما تقدم

الرابع – ألقاب إمام الزيدية باليمن . وهي : الجناب الكريم العالى السيدى الإمامي الشريفي النسيبي الحسيبي الفلانى ، بلقب التعريف ، سايل الأطهار جلال الاسلام سيف الأنام بقية البيت النبوي فخر الحسب العلوى مؤيد أمور الدين خليفة الأئمة رأس العلياء صالح الأولياء علم الهداة زعيم المؤمنين ذخر المسلمين منجد الملوك والسلاطين

النوع الثانى

الالقاب الملوكية . وهي ضربان :

(الضرب الاول) – القاب السلطان بالديار المصرية على ما استقر عليه الحال . وقد

ذكر في التعريف فيها مذهبين . الأول أن يقال : السيد الأجل الملك الفلاني العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والأسرة والتيجان (واهب) الاقاليم والأمصار مبيد الطغاة والبغاة والكفار حامي الحرمين الشريفين والقبلتين جامع كلمة الايمان ناشر لواء العدل والاحسان سيد ملوك الزمان أبو فلان فلان ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني والد الملوك والسلاطين أبي فلان فلان . . . أما في التثقيف فانه ذكر ذلك بزيادة وتغيير وتقديم وتأخير فقال « السلطان الأعظم الملك الفلاني السيد الاجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المثاغر المظفر الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك فاتح الاقطار مانح الممالك والأقاليم والأمصار اسكندر الزمان مولي الاحسان جامع كلمة الايمان مملك اصحاب المنابر والتخوت والتيجان ملك البحرين مسلك سبيل القبلتين خادم الحرمين الشريفين ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه سلطان البسيطة مؤمن الارض المحيطة سيد الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين أبو فلان فلان » . ثم ذكر ان الغالب ان تحذف الشاهنشاه لان معناها ملك الأملاك وقد ورد النهي عن التسمي بذلك ، قال ؛ والواجب ان يكون بدل أمير المؤمنين قسيم أمير المؤمنين

المذهب الثاني — ان يكتب : المقام الشريف ، أو الكريم أو العالي مجرداً عنهما ؛ ويقتصر على الألقاب المفردة دون المركبة مثل ان يكتب « المقام الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني أبو فلان فلان » قال في التعريف : والى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب ، ثم قال ، وأنا على الأول أعمل . قلت : وهو المستقر عليه الحال الآن

(الضرب الثاني) — الالقاب التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك وهي على ثلاثة أصناف

الأول — القاب ولاة العهد بالسلطنة . وهي : المقام العالي العالمي العادلي الملكي الفلاني الفلاني ، بلقب الملك واللقب المتعارف . قال في التثقيف : فان كان أخا للسلطان زيد فيه : الاخوي ، أو ولدا زيد فيه : الولدي

الثاني — صغار الملوك المستقلين بصغار البلدان كما كان صاحب حماة في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون . وكان يكتب له : المقام الشريف العالي السلطاني الملكي الفلاني ، بلقب

الملك . وربما قيل بعد لقب الملك: الاصيلي لعراقته في الملك

الثالث — ألقاب المكتوب اليهم من الملوك الاجانب عن الابواب السلطانيةوهي على أربع طبقات :

الطبقة الاولى — ما يصدر بالمقام . واعلاها :المقام الاشرف . كألقاب صاحب الهند وهي « المقام الاشرف العالي المولوى السلطانى الاعظمي الشاهنشاهي العالمي العادلي المجاهدي الماغرى المظفري المؤيدى المنصوري اسكندر الزمان سلطان الاوان منبع الكرم والاحسان المقفّى آل ساسان وبقايا فراسياب وخاقان ملك البسيطة سلطان الاسلام غياث الانام اوحد الملوك والسلاطين . . . » ودونه : « المقام الشريف العالى الكبيرى السلطاني العالمي العادلي المجاهدي المؤيدي المرابطي المنصورى الملك الفلاني (بلقبي الملك والتعارف) ودونه :المقام العالى . كألقاب القان ببلاد أزمك فيما ذكره في التثقيف . وهي: « المقام العالى السلطاني الكبيري الملكي الاكرمي الفلانى — بلقب التعريف — فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين ولي أمير المؤمنين . . »

وكألقاب صاحب الغرب الاقصى فيما ذكره في التعريف . وهي « المقام العالي السلطاني السيد الاجل العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور على اعداء الله أمير المسلمين قائد الموحدين مجهز الغزاة والمجاهدين مجند الجنود عاقد البنود مالئ صدور البراري والبحار مزعزع أسرة الكفار مؤيد السنة معز الملة شرف الملوك والسلاطين بقية السلف الكريم والنسب الصميم ربيب الملك القديم ابو فلان »

الطبقة الثانية — مايصدر بالمقر . واعلاها : المقر الكريم . كألقاب صاحب هراة فيما ذكره فى التعريف وهي : « المقر الكريم العالي العالي العادلي المجاهدي المؤيدي المرابطي المثاغري الاوحدي الفلانى شرف الملوك والسلاطين خليل أمير المؤمنين.. ».

وكألقاب صاحب كرمدان (في الصبح: كرمان) من بلاد الروم فيما ذكره في التثقيف وهي . « المقر الكريم العالي العالمي العادلي المجاهدى المرابطي المثاغري المظفري المنصوري الفلانى عز الاسلام والمسلمين فخر الملوك والسلاطين نصير الغزاة والمجاهدين زعيم الجيوش مقدم العساكر ظهير أمير المؤمنين .. » . ودونه :المقر العالى كألقاب صاحب مالى والتكرور فيما ذكره فى التعريف وهي « المقر العالى السلطانى الجليل الكبير العالم العادل المجاهد المؤيد الاوحد عز الاسلام شرف ملوك الانام ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين جمال الملوك والسلاطين سيف الخلافة ظهير الامامة عضد أمير المؤمنين »

الطبقة الثالثة — ما يصدر بالجناب . واعلاها : الجناب الكريم كألقاب ملك التكرور

المقدم ذكره على ما استقر عليه الحال فيما ذكره في التثقيف وهي « الجناب الكريم العالى الملك الجليل العالم العادل المجاهد المؤيد المثاغر المرابط العابد الخاشع الناسك الاوحد فلان ذخر الاسلام » وكألقاب ملكي البرنو والكانم فيما ذكره في التعريف وهي « الجناب الكريم العالى الملك الجليل الكبير العالم العادل الغازي المجاهد الامام الهمام الاوحد المظفر المنصور عز الاسلام .. » وبقية الالقاب من نسبة القاب ملك التكرور

الطبقة الرابعة — القاب المجلس . وأعلاها المجلس العالي كألقاب صاحب حصن كيفا من الجزيرة الفراتية فيما ذكره في التعريف . وهي : « المجلس العالى الملكي الفلاني الاجلى العالمى العادلى المجاهدي المؤيدي المرابطي المثاغرى الاوحدى الاصيلى الفلانى (يلقب بالتعريف) عز الاسلام والمسلمين بقية الملوك والسلاطين نصير الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين شرف الدول ذخر الممالك خليل أمير المؤمنين (أو عضد أمير المؤمنين على مخالفة فيما أورده في التثقيف في المكاتبة اليه) ودونه : المجلس السامي بالياء كألقاب صاحب ارزن . وهي : « المجلس السامى الملكي الفلاني — بلقب الملك — الاصيلى الكبيري العالمى المجاهدي المؤيدي المرابطى الاوحدى الفلاني -- بلقب التعريف — عز الاسلام شرف الملوك في الانام بقية السلاطين نصرة الغزاة والمجاهدين ولي أمير المؤمنين » . ودونه : المجلس السامي ' بغير ياء كألقاب صاحب دنقلة إذا كان مسلماً فيما ذكره في التعريف وهي : « المجلس الجليل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الأوحد مجد الاسلام زين الانام فخر المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ... » ولم يذكر فيه السامي ولا الملكي

اما ما يصدر بالألقاب المؤنثة كالحضرة فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك . فألقاب القان بمملكة ايران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبي سعيد وما قبله هي « الحضرة الشريفة العالية السلطانية الأعظمية الشاهنشاهية الأوحدية .. » قال في التعريف ولا يخلط فيها الملكية لهوانها لديهم . وان كان صاحب التثقيف اثبت فيها الملكية أيضاً على ما سيأتي في الكلام على المكاتبة اليه . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره في التثقيف : « الحضرة العلية السنية السرية المظفرية الميمونة المنصورة حضرة الامير الامام .. » الخ الالقاب

﴿ النوع الثالث ﴾

الالقاب العامة لسائر الطوائف مما يكتب به عن الابواب السلطانية وهي ثمانية أصناف :

(الصنف الاول)

القاب أرباب السيوف وهي على خمس درجات :

﴿ الدرجة الأولى ﴾ درجة « المقر » وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » وهو مختص فى عرف الزمان بما يكتب عن نواب السلطنة دون الابواب السلطانية فمثاله على ماأورده في عرف التعريف : « المقر الشريف العالى المولوى الاميري الكبيري العالمي العادلى المهدي المشيدى الزعيمي المقدمي الغوثي الغياثي المرابطى المثاغري الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن النواب فأما في السلطانيات فمثاله على ماأورده في التثقيف في ألقاب النائب الكافل ونائب الشام « المقر الكريم العالى الاميري الكبيري العالمي العادلى المؤيدي الزعيمى العونى الغياثى المثاغرى المرابطى المهدي المشيدى الظهيري العابدي الناسكي الاتابكي الكفيلي الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين . . » . وأما فيما يكتب عن النواب فمثاله على ماأورده شهاب الدين الفارقي في دستوره : « المقر الكريم العالى المولوي الاميري الكبيري العالمي العادلى المؤيدي المهدى العونى المقدمي الذخري الغياثى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر المجاهدين ذخر الدولة بهاء الملة ممهد المملكة ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين »

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة «الجناب» وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « الجناب الشريف » . وهي مستعملة فيما يكتب عن نواب السلطنة دون ما يكتب من الابواب السلطانية ومثاله على ما أورده في عرف التعريف « الجناب الشريف العالى المولوي المجاهدي المؤيدي المهدي الذخري الأوحدي العونى الظهيري الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عماد الدولة عون الامة ذخر الملة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجناب الكريم » — وهى مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن النواب فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التعريف على ما كان عليه الحال أولا « الجناب الكريم العالى الاميري الاجلى الكبيري العالمي العادلى المؤيدي المهدي المشيدي الزعيمي الذخري المقدمي العوني الغياثى المرابطى المثاغري المظفري المنصوري الاتابكى ركن الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين أتابك الجيوش

مقدم العساكر زعيم الجنود عاقد البنود ذخر الموحدين ناصر الغزاة والمجاهدين غياث الامة عون الملة مشيد الدول كافل الممالك ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين »
ومثاله على ماأورده في التثقيف في ألقاب نائب حلب على ما استقر عليه الحال وذكر انه هو الذى كان يكتب لنائب الكافل فى الاول « الجناب الكريم العالى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الزعيمي العوني الغياثى الثاغرى المرابطي المهدى المشيدى الظهيرى الكافلي الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممهد الدول سيف الممالك عماد الملة عون الأمة كافل السلطنة ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين . » واما ما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دستوره عن نائب الشام : « الجناب الكريم العالى المولوي الأميرى الكبيري العالمى العادلى العضدي النصيرى المؤيدي المقدمي الذخرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء في العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجناب العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن النواب . فأما السلطانيات فمثاله فيها على ما أورده في التثقيف في ألقاب نائب طرابلس ومن في معناه : « الجناب العالى الأميرى الكبيري العالمى العادلى المؤيدي العوني الزعيمى المهدي المشيدي الظهيري الكافلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين نصير الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . . » وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً في ألقاب مقدم العساكر بغزة : « الجناب العالى الأميري الكبيري العالمى العادلى المؤيدي الأوحدي النصيري العونى الهمامى المقدمي الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد المملكة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين . . . » . واما فيما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام « الجناب العالى الأميري الأجلى الكبيري المؤيدي المجاهدي العونى المقدمى الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

الدرجة الثالثة — درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة « المجلس العالى » وهى مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن النواب . فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب نائب الكرك :

« المجلس العالي الأميري الكبيري العالمي المجاهدي المؤيدي العوني الأوحدي النصيري الهمامي المقدمي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ... » وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً في ألقاب أمير مكة المشرفة . « المجلس العالي الكبيري الشريفي الحسيبي النسيبي العالمي المجاهدي المقدمي الأوحدي النصيري العوني الغياثي الظهيري الأصيلي العريقي الفلاني عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء الاشراف في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين كهف الملة عون الأمة فخر السلالة الزاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصابة العلوية جمال الطائفة الهاشمية ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين .. » . وعلى ما أورده في ألقاب أمير آل فضل بن عرب الشام . « المجلس العالي الاميري الكبيري العالمي المجاهدي المؤيدي الأوحدي النصيري العوني الهمامي المقدمي الظهيري الأصيلي الفلاني عز الاسلام والمسلمين شرف أمراء العربان في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين .. » وعلى ما أورده فيه في ألقاب نائب الرحبة ومن في رتبته . « المجلس العالي الأميري الكبيري العضدي الذخري النصيري الأوحدي المؤيدي العوني الهمامي المقدمي الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين .. » وأما ما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده في عرف التعريف . « المجلس العالي الاميري الاسفهسلاري الأجلي الكبيري المجاهدي المؤيدي النصيري الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين زين الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين .. »

المرتبة الثانية مرتبة « المجلس السامي » بالياء وهي مستعملة في السلطانيات ومايكتب عن النواب . فأما في السلطانيات فمثاله على ما اورده في التثقيف في ألقاب الكشاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية « المجلس السامي الاميري الكبيري الذخري النصيري الاوحدي المؤيدي الفلاني مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء أوحد المجاهدين عضد الملوك والسلاطين .. » وعلى ما رأيت في بعض الدساتير لامير آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامي الاميري الكبيري المجاهدي المؤيدي العضدي الذخري النصيري الاوحدي الاصيلي العريقي مجد الاسلام شرف الامراء زين القبائل فخر العشائر ملاذ العرب عضد الملوك والسلاطين .. » وعلى ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في بعض دساتيره في ألقاب نقيب الاشراف « المجلس السامي الاميري الكبيري العالمي المجاهدي

المؤيدي الشريفي الحسيبي النسيبي الذخري الاوحدي الاصيلي عز الاسلام زين الانام نسيب الامام شرف الامراء نقيب النقباء جمال العترة الطاهرة جلال الاسرة الزاهرة ذخر الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين ولي امير المؤمنين ‥ » وأما مايكتب عن النواب فمثاله على ماأورده في عرف التعريف « المجلس السامي الاميري الاجلي الكبيري المؤيدي العضدي النصيري الاوحدي الهمامي الفلاني مجد الاسلام زين الامراء في الانام ذخر الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ‥ »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب الولاة الطبلخانات بالوجهين القبلي والبحري . « المجلس السامي الامير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الاوحد المرتضي فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام فخر الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ‥‥ » وعلى مارأيته في بعض الدساتير في ألقاب النائب بالينبع « المجلس السامي الأمير الاجل المجاهد المؤيد الشريف الحسيب النسيب مجد الاسلام بهاء الانام زين العترة فخر الاسرة جمال الذرية فخر الشجرة الزكية عمدة الملوك والسلاطين ‥ » وعلى ما أورده في التثقيف في ألقاب أكابر عربان آل فضل من عرب الشام . « المجلس السامي الامير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الاوحد الاصيل فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام فخر القبائل زين العشائر عماد الملوك والسلاطين » واما مايكتب عن النواب فمثاله على ما أورده في عرف التعريف « المجلس السامي الامير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الاسلام زين الامراء فخر الانام ذخر الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ‥‥ »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ درجة « مجلس الأمير » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب الولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري . « مجلس الأمير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الأوحد المرتضي فلان الدين مجد الأمراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ‥ » وأما مايكتب عن النواب فمثاله على ما أورده (الفارقي في دستوره) « مجلس الأمير الاجل الكبير الاخص الاكمل الغازي المجاهد المرتضى المختار فلان الدين مجد الامراء عمدة الملوك والسلاطين ‥ »

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ درجة « الامير » مجردا عن المضاف اليه وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما السلطانيات فمثاله « الأمير الاجل الكبير الغازي فلان الدين ‥‥ » وأما في غير السلطانيات فمثاله على ما أورده في التذكرة الآمدية . « الأمير الأجل

الاعز الأخص الاكمل فلان الدين ... »

﴿ النوع الرابع ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهي على خمس درجات

﴿ الدرجة الاولى ﴾ درجة المقر وهي على ثلاث مراتب مختصة جميعها بما يكتب عن النواب دون السلطان

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع عن نائب الشام: « المقر الشريف العالي المولوى القاضوى الكبيري العالمى العادلي العريقى الأصيلى القوامى النظامي العلامى القدوى المفيدي الشيخي الحاكمي المحسني الفلاني جمال الاسلام والمسلمين سيد الفضلاء العالمين قدوة العلماء في العالمين لسان المتكلمين برهان المناظرين صدر المدرسين جلال الطالبين بركة الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين .. »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » ومثالها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية . « المقر الكريم العالي المولوى القضائى الصاحبي الأمامي العالمى العاملى العلامي المفيدى الفريدى البليغى الأوحدي المحقق القوامي النظامى العريقى الحاكمى المحسني الفلاني جمال الاسلام والمسلمين جلال العلماء العاملين قدوة المحققين بركة الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالي » ومثالها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية . « المقر العالي المؤيدي الشيخي الكبيري الامامي العالمي العلامي المفيدي القدوي الفريدي المحقق القوامي النظامى الحاكمي الفلانى علاء الاسلام والمسلمين أوحد الفضلاء في العالمين رحلة الطالبين نخبة المحققين جمال العلماء في العالمين خالصة الملوك والسلاطين »

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة الجناب ، وهي على ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « الجناب الشريف » وهي مختصة بالسلطان . ومثالها على ما أورده في عرف التعريف : « الجناب الشريف العالي المولوى القضائي السيدي الأمامي العالمى العاملى العلامي الكاملى الأصيلى الأوحدى المفيدى القدوى الفريدى الحجي المجتهدى الفلانى حجة الاسلام (أو ضياء الاسلام) شرف الأنام أثير الأمام صدر الشام سيد العلماء والحكام (ان كان حاكما) بقية السلف الكرام شيخ المذاهب مجلى الغياهب قدوة الفرق رئيس الأصحاب مفتي السنة مؤيد الملة شمس الشريعة سيف القطر مفيد الطالبين لسان المتكلمين ولي أمير المؤمنين حكم الملوك والسلاطين .. »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجناب الكريم » وهي مختصة بالسلطانيات أيضاً . ومثالها

على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية . « الجناب الكريم العالي المولوي القضائي الكبيرى الصاحبي الامامي العالمى الفاضلى الكاملي الأ ربي الايبي الأصيلى العريقي القوامى النظامي الفلانى جمال الاسلام والمسلمين أوحد الفضلاء في العالمين خالصة الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجناب العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فمثاله على ما استقر عليه الحال في ألقاب قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية : الجناب العالى القاضوى الشيخي الكبيرى العالمي العاملى الافضلى الأكملى الاوحدى البليغى الفريدي المفيدى النجيدي الحجي المحققى الورعي الخاشعي الناسكي الامامى العلامي الاصيلى العريقى الحاكمى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين شرف العلماء العاملين اوحد الفضلاء المفيدين قدوة البلغاء حجة الامة عمدة المحققين فخر المدرسين مفتي المسلمين جلال الحكام بركة الدولة صدر مصر والشام معز السنة مؤيد الملة شمس الشريعة رئيس الاصحاب لسان المتكلمين حكم الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين . . . » . وأما في غير السلطانيات فمثالها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية : « الجناب العالى الشيخي الكبيرى العالمى الفاضلى الكاملى الاوحدي الماجدي القوامي النظامي الفلاني ضياء الاسلام والمسلمين اوحد الفضلاء العارفين جلال الائمة في العالمين خالصة الملوك والسلاطين . . .

«الدرجة الثالثة» — درجة « المجلس » وفيها ثلاث مراتب

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالى » . وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها. فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف . في ألقاب قضاة القضاة الثلاثة: الحنفي والمالكي والحنبلى بالديار المصرية « المجلس العالى القاضوى الكبيري العالمي العاملى الافضلى الاكملي الاوحدي البليغي الفريدي النجيدي العدوي الحجي المحققي الامامي الاصيلي العريقى الحاكمى الفلاني جمال الاسلام والمسلمين سيد العلماء العاملين أوحد الفضلاء المفيدين قدوة البلغاء حجة الامة عمدة المحدثين فخر المدرسين مفتي المسلمين جلال الحكام حكم الملوك والسلاطين . . »

المرتبة الثانية — «مرتبة المجلس السامي بالياء» — وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فلم يذكرها في التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع . « المجلس السامي القضائي الكبيري العالمى الفاضلى الأوحدي الرئيسي المفيدى البليغى العدوى الاثيرى الفلاني مجد الاسلام والمسلمين جمال العلماء العاملين أوحد الفضلاء

صدر المدرسين عمدة المفتين خالصة الملوك والسلاطين ٠٠ »

المرتبة الثالثة — « المجلس السامي بغير ياء »٠وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع « المجلس السامي القاضي الأجل الكبير الصدر الرئيس العالم الفاضل الكامل فلان الدين مجد الصدور زين العباد مرتضي الملوك والسلاطين ٠٠٠ » واما في غير السلطانيات فمثالها على ما أورده في عرف التعريف . « المجلس السامي القاضي الاجل الكبير العالم الفاضل الكامل الاوحد الاثير البارع فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام فخر الصدور زين الاعيان مرتضى الدولة صفوة الملوك والسلاطين ٠٠٠ »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾— درجة « مجلس القاضي » وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها ٠ فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا ٠ ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع . : « مجلس القاضي الاجل الكبير العالم الفاضل الأوحد الكامل الصدر الرئيس مجد الاسلام بهاء الانام زين الاعيان فخر الصدور مرتضى الملوك والسلاطين ٠٠ » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ — درجة (القاضي) وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها. ومثالها فيهما . « القاضي الاجل ٠٠ » وربما زيد . الكبير الصدر الرئيس ونحو ذلك

﴿ النوع الخامس ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي أيضاً على خمس درجات .

﴿ الدرجة الاولى ﴾ —« درجة المقر » وهي مختصة بغير السلطانيات مما يكتب عن النواب ومن في معناهم ولها ثلاث مراتب ٠

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثالها على ما أورده في عرف التعريف في ألقاب الوزراء من أرباب الاقلام : « المقر الشريف العالي المولوى الصاحبي الوزيرى المتقدمي العالمى المهدي العوني الىماثي جلال الاسلام والمسلمين سيد الوزراء في العالمين رئيس الاصحاب قوام الامة نظام الملة مدبر الدولة ذخر الممالك ظهير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » ٠ ومثالها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية في ألقاب كاتب السر بالشام :« المقر الشريف العالي المولوي القاضوى الكبيرى العالمي العاملي العلامي الاكملي الأفضلي الأصيلي العريقي المدبرى المشيري اليميني السفيرى الفلاني ضياء الاسلام والمسلمين سيد العلماء والرؤساء في العالمين رئيس الاصحاب كهف الكتاب حسنة الايام

بقية السلف الكرام صدر مصر والشام لسان السلطنة سفير المملكة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ... »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » — قال في عرف التعريف . والالقاب فيها من نسبة ماتقدم في ألقاب « المقر الشريف » ومثالها على ماأورده الصلاح الصفدى فيدستوره عن نائب الشام : « المقر الكريم العالي المولوي القضائى العالمى القوامي النظامي المدبري المشيري الملاذى الفلاني جلال الاسلام والمسلمين سيد الاكابر في العالمين عون الامة ذخر الملة مدبر الدول جمال الممالك حسنة الوجود خالصة الملوك والسلاطين... »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالى » قال في عرف التعريف . وهي من نسبة ما تقدم من ألقاب المقر الشريف أيضاً

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة « الجناب » وفيها ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « الجناب الشريف » وهي مختصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات . قال في عرف التعريف .وهي من نسبة ماتقدم في «المقر الشريف» أيضاً . وهي على ما أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام لبعض كتاب الدست « الجناب الكريم العالي المولوي القضائي الكبيري العالمي العاملى البارعي الكاملي المؤيدي القوامي النظامى الرئيسي الاصيلى العريقي الاوحدي الفلاني جلال الاسلام والمسلمين أوحد الرؤساء في العالمين تاج الفضلاء المنشئين جهبذ الحذاق المتصرفين خلصة الملوك والسلاطين »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجناب العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها. فأما في السلطانيات فمثالها على ما أورده في التثقيف في ألقاب الوزارة بالديار المصرية . « الجناب العالى الصاحبي الكبيري العالمي العادلي الأوحدى الاكملى القوامي النظامي الاثيري البابغى المنفذي المسددي المتصرفى الممهدى العونى المدبرى المشيرى الوزيرى الفلاني صلاح الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء أوحد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجح معتمد المصالح مرتب الجيوش عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين »

وأما فى غير السلطانيات فمثالها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نائب الشام فكانت صيغته . « الجناب العالي القضائي الكبيري العالمى الفاضلى الاكملي البارعي الاوحدي القوامي النظامي المفوهي الرئيسي الماجدى الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء الماجدين قدوة البلغاء جمال الكتاب زين المنشئين

خالصة الملوك والسلاطين ٠٠٠»

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ — درجة المجلس ٠ وفيها ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالي » . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها. فأما فى السلطانيات فمثالها على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب كاتب السر بالابواب السلطانية : « المجلس العالي القاضوي الكبيري العالمي العادلي العلامي الأفضلى الأكملى البليغي المسددي المنفذى المشيدى العونى المشيرى اليميني السفيري الأصيلى العريقي الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين قدوة العلماء العاملين جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب يمين المملكة لسان السلطنة سفير الأمة سليل الأكابر مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أورده فيه أيضاً في ألقاب ناظر الخاص : « المجلس العالى القاضوي الكبيرى العالمي الفاضلي الأوحدى الأكملى الرئيسي البليغي البارعي القوامي النظامي الماجدي الأثيري المنفذي المسددي المتصرفي الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين قوام المصالح نظام المناجح جلال الاكابر قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الملة صفوة الدولة خلصة الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » ٠ وعلى ما أورده فيه في ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة : « المجلس العالى الصاحبي الوزري الأصيلي الكبيرى العالمي العادلي الأوحدى القوامى النظامى المؤيدي الماجدي الأثيري المشيرى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الوزراء في العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء بقية الأصحاب ملاذ الكتاب عماد الملة خالصة الدولة مشير الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين » وعلى ما أورده في ألقابه اذ لم يصرح له بالوزارة بل كان ناظر النظار بالمملكة الشامية : « المجلس العالي القضائي الكبيري العالمي العاملي الأوحدي الرئيسي الأثيري القوامي المنفذي المتصرفي الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء في العالمين أوحد الفضلاء جلال الكبراء حجة الكتاب صفوة الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين ٠٠ » واما في غير السلطانيات فمثالها على ما أورده في التذكرة الآمدية في بعض التواقيع كتابة لدست بالشام « المجلس العالي القضائي الأجلي الكبيري الرئيسي العالمي العاملي البارعى الاوحدى الماجدي الأثيرى الأثيلي الافضلي الأصيلي الفلاني مجد الاسلام بهاء الانام شرف الرؤساء أوحد الكبراء صدر الأعيان جمال الكتاب صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ٠٠ »

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامى » بالياء ٠ وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فلم يذكر لها مثالا في التثقيف ٠ ومثالها على ما رأيته في بعض

التواقيع : « المجلس السامي القضائي الأجلي الكبيري العالمي الفاضلي الكاملي الرئيسي الأوحدي الاصيلي الاثيري الفلاني مجد الاسلام شرف الرؤساء فخر الانام زين البلغاء جمال الفضلاء أوحد الكتاب فخر الحساب صفوة الملوك والسلاطين .. » وأما في غير السلطانيات فلم يذكر لها مثالا في التثقيف . ومثالها على ما رأيته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القضائي الأجلي الكبيري العالمي الفاضلي الكاملي البليغي الرئيسي الفلاني مجد الاسلام شرف الرؤساء أوحد الكتاب جمال البلغاء مرتضى الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في التثقيف ايضاً ومثالها على ما رأيته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القاضي الاجل الكبير الصدر الرئيس الاوحد البارع الكامل الاصيل الفاضل فلان الدين جمال الاسلام بهاء الانام شرف الاكابر زين الرؤساء أوحد الفضلاء فخر الكتاب صفوة الملوك والسلاطين .. » . وأما في غير السلطانيات فمثالها على ما رأيته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج أيضاً : « المجلس السامي القاضي الاجل الكبير الفاضل البارع الكامل الاوحد الرئيس الأثير فلان الدين مجد الاسلام شرف الصدور أوحد الفضلاء زين الكتاب صفوة الملوك والسلاطين .. »

﴿الدرجة الرابعة﴾ درجة « مجلس القاضي » — وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يوردها في التثقيف مثالا ومثالها على ما يقتضيه اصطلاح الديوان: « مجلس القاضي الاجل الكبير الفاضل الاوحد الأثير الرئيس البليغ فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام شرف الرؤساء زين الكتاب مرتضى الملوك والسلاطين .. » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ درجة « القاضي » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها. ومثالها فيهما : « القاضي الاجل ، وربما زيد : الكبير ، الصدر الرئيس . ونحو ذلك »

﴿ النوع السادس ﴾

ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح وهي خمس درجات :

﴿الدرجة الاولى﴾ درجة المقر — وهي مختصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات وفيها ثلاث مراتب:

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثالها على ما رأيته في بعض الدساتير المقر الشريف العالي المولوي الشيخي السيدي الامامي العاملي الفاضلي الورعي الزاهدي

العابدي الناسكي السالكي الخاشعي المسلكي المحققي المدقق الفلاني صلاح الاسلام والمسلمين جمال الاصفياء العاملين خالصة الأنام صفوة الأتقياء قطب العباد الملك على الحقيقة والمالك أزمة الطريقة بقية السلف قدوة الخلف مفيد الطالبين أوحد المحققين ركن الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين ..» على أن الاحسن أن يقال. بركة الملوك بدل ركن الملوك

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم ». وألقابها من نسبة ألقاب المقر الشريف

المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالى ». والقابها من نسبة ما تقدم

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة «الجناب» وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة «الجناب الشريف» . وهي مختصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات (ومثالها الجناب العالى المولوى الشيخي الامامي العالمي الكاملي الفاضلي الزاهدى العابدي الخاشعى الناسكى الورعى الزاهدي جلال الاسلام سيف الأنام قطب الزهاد علم العباد أوحد الناسكين فريد السالكين بركة الملوك والسلاطين ...)

(المرتبة الثانية — مرتبة « الجناب الكريم » — وهي مختصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات أيضاً) . ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع عن نائب الشام : «الجناب الكريم العالى الشيخي العالمي العاملى العلامي الأوحدي القدوي العابدى الناسكي الخاشعى المسلكي المربى الربانى الاصيلى الفلانى مجد الاسلام حسنة الايام قدوة الزهاد ملاذ العباد جمال الورعين مربى المريدين أوحد السالكين خلف الاولياء بركة الملوك والسلاطين.. »

المرتبة الثالثة — مرتبة الجناب الكريم . ومثالها على ما رأيته في بعض التواقيع عن نائب الشام : «الجناب العالى الشيخي العالمي العاملى الاوحدي العابدي الناسكي الورعي الزاهدي الخاشعي المسلكي الاصيلى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام قدوة العباد جمال الزهاد أوحد المسلكين بركة الملوك والسلاطين .. »

﴿الدرجة الثالثة﴾ — درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس « المجلس العالى الشيخى الكبيري العالمي العاملى السالكى الاوحدى الزاهدى العابدى الخاشعى الناسكى المفيدي القدوى الامامي النظامي الملاذي جلال الاسلام والمسلمين شرف الصلحاء في العالمين شيخ شيوخ الاسلام أوحد العلماء فى الانام قدوة السالكين بركة الملوك والسلاطين .. » . وأما فى غير السلطانيات فمثاله على ما أورده فى عرف التعريف: « المجلس العالى الشيخى الاجلى الامامي العالمي العاملي الزاهدي العابدي الورعى الخاشعى الناسكي القدوي

الفلاني خيرة الاسلام شرف الانام زين العباد نور الزهاد ذخر الطالبين كنز التقى ملجأ المريدين بركة الملوك والسلاطين ... »

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامي » بالياء وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب الشيخ شمس الدين الطوطي ممن كان يكتب اليه قديما : « المجلس السامي الشيخي الأجلي العالمي العاملي الكاملي الفاضلي الزاهدي الورعي العابدي الخاشعي الناسكي القدوى الاوحدي الفلاني مجد الاسلام بهاء الانام بقية السلف الكرام فخر الصلحاء اوحد الكبراء زين الزهاد عماد العبادقدوة المتورعين ذخر الدول ركن الملوك والسلاطين ... » وأما في غير السلطانيات فمثاله على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في توقيع عن نائب الشام : « المجلس السامي الامامي العالمي العاملي الخاشعي الورعي الناسكي السالكي العارفي القدوى البليغي الأصيلي الشيخي الفلاني مجد الاسلام شرف العلماء قدوة الفضلاء فخر الصلحاء جمال النساك قدوة السلاك أوحد العارفين بركة الملوك والسلاطين .. »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء — وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فمثالها على مارأيته فى بعض التواقيع الشريفة « المجلس السامي الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع الخاشع الناسك السالك فلان الدين مجد الصلحاء زين المشايخ قدوة السالكين بركة الملوك والسلاطين . وأما في غير السلطانيات فألقابها على نحو من ذلك

(الدرجة الرابعة) درجة « مجلس الشيخ » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثالها فيهما « مجلس الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك السالك فلان الدين مجد الصلحاء زين المشايخ بركة الملوك والسلاطين .

(الدرجة الخامسة) درجة الشيخ — وهي « الشيخ الصالح الورع الزاهد .. » ونحو ذلك ...

(النوع السابع)

« ... ب الخواجكية . وفيه ثلاث درجات :

(الدرجة الأولى) — درجة الجناب . ولم أرفيها غير مرتبة الجناب العالي فيما عند السلطانيات . ومثالها على مارأيته في بعض الدساتير الشامية « الجناب العالي الصدري الكبيري ... المؤتمني الاوحدي الاكملي الرئيسي العارفي المقربي الخواجكي الفلاني

مجد الاسلام والمسلمين شرف الاكابر في العالمين أوحد الامناء المقربين صدر الرؤساء رأس الصدور عين الاعيان كبير الخواجكية ثقة الدولة مؤتمن الملوك والسلاطين ..

﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى – مرتبة « المجلس العالي » . وهي مختصة بغير السلطانيات . ومثالها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية : « المجلس العالي الصدري الرئيسى الكبيري المحترمي المؤتمني الاوحدي الاكملي المقربي الخواجكي الفلانى مجد الاسلام شرف الاكابر أوحد الامناء صدر الرؤساء زين الاعيان ثقة الدول مؤتمن الملوك والسلاطين ... »

المرتبة الثانية – مرتبة « المجلس السامى » بالياء . وهي مستعملة فى السلطانيات وغيرها فأما فى السلطانيات فمثالها على ما ذكره في التثقيف فى ألقاب خواجا عساف بن مسافر ونظام الدين الاسعردى : المجلس السامى الصدري الكبيري الكاملي الماجدي الأوحدي المقربي المنتخبي الأميني الأثيري الخواجكي الفلاني مجد الاسلام زين الانام شرف الرؤساء أوحد الكبراء تاج الأمناء فخر الاعيان مقرب الحضرتين مؤتمن الدول صفوة الملوك والسلاطين .. » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

المرتبة الثالثة – مرتبة المجلس السامى ، بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فمثالها على ما أورده في التثقيف في ألقاب بعض الخواجكية : المجلس السامى الصدر الأجل الكبير الكامل الماجد الاوحد المقرب المنتخب الامين الأثير الخواجه فلان الدين مجد الرؤساء زين الاكابر فخر الصدور جمال الاعيان مقرب الدولة صفوة الملوك والسلاطين .. وأما في غير السلطانيات فقريب من ذلك

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ درجة الصدر . وصورتها في السلطانيات : الصدر الأجل الكبير المحترم المقرب الأوحد فلان الدين . وفي غير السلطانيات على نحو ذلك

﴿ النوع الثامن ﴾

ألقاب أرباب الصناعات كرياسة الطب ورياسة الكحالين ورياسة الجرائحية ونحو ذلك وفيها درجتان

﴿ الدرجة الأولى ﴾ درجة المجلس . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى – مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة فى السلطانيات وغيرها فأما فى السلطانيات فكألقاب رئيس الأطباء وهي : المجلس العالى القضائي العالمي الفاضلي الكاملي الأوحدى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء

المقربين خالصة الملوك والسلاطين .... وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي ، بغير ياء وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فمثاله : المجلس السامي الصدري الاجلي الكبيري الرئيسي الفلاني ... وأما في غير السلطانيات فكذلك أو قريب منه

المرتبة الثالثة — المجلس السامي ، بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثالها فيهما : المجلس السامي الصدر الاجل الكبير الرئيس المحترم .. ونحو ذلك

﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة الصدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثالها فيهما « الصدر الأجل » — فأن زيد في رعايته قيل — الكبير المحترم .. »

﴿ النوع التاسع ﴾

(ألقاب الحاشية السلطانية كمهتارية البيوت ومهندس العمائر وغيرهم وفيها درجتان : الاولى مجلس الصدر ، وصورتها في السلطانيات وغيرها : مجلس الصدر الأجل الكبير المحترم المؤتمن فلان الدين . الثانية : الصدر ، وصورتها في الحالتين الصدر الأجل ، فأن ازيد قيل بعد ذلك ، الكبير المحترم)

﴿ النوع العاشر ﴾

ألقاب النساء مما يصدر بالجهة والدار ونحوهما . وفيها مرتبتان

المرتبة الأولى — « مرتبة الجهة الشريفة » ومثالها على ما ذكره في التثقيف في ألقاب بنت الناصر محمد بن قلاوون عن والدها المذكور: « الجهة الشريفة العالية المحجبة المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء شرف الخواتين سليلة الملوك والسلاطين .. » وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً في ألقاب أم آنوك زوجة الملك الناصر بن قلاوون أيضاً: « الجهة الشريفة العالية المحجبة المصونة الكبرى خوند خاتون جلال النساء في العالمين سيدة الخواتين قرينة الملوك والسلاطين .. وعلى ما أورده في ألقاب الست حدق : « الجهة الشريفة العالية الكبيرية المحجبية المصونية الحاجية الوالدية جلال النساء في العالمين بركة الدولة والدة الملوك والسلاطين .. » وعلى ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب والدة المقر الأشرف : « الجهة الشريفة المحجبة العصمى الخاتون جلال النساء في العالمين سيدة الخواتين جميلة المحجبات جليلة المصونات والدة الملوك والسلاطين ... »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجهة الكريمة » ومثالها على ما أورده في التثقيف في ألقاب دلشاه زوج الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد « الجهة الكريمة المحجبة المصونة

العصمية الخاتونية المعظمة سيدة الخواتين زينة النساء في العالمين جميلة المحجبات جليلة المصونات قرينة الملوك والسلاطين ٠٠ »

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

ألقاب بطاركة النصارى ٠ وصورتها على ما أورده في التثقيف في ألقاب الباب برومية « الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملة المسيحية قدوة الطوائف العيسوية مملك ملوك النصرانية حافظ البحار والخلجان ملاذ البطاركة والأساقفة والقسوس والرهبان تالي الانجيل معرف طائفته التحريم والتحليل صديق الملوك والسلاطين ٠ » وعلى ما ذكره في التثقيف أيضاً في ألقاب البطرك بالديار المصرية : « البطرك الجليل القديس الخاشع قدوة النصرانية ٠٠ ثم قال — ومن نسبة ذلك ٠ وعلى ما رأيته في بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام : البطريرك المحتشم المبجل العارف الحبر فلان العالم بأمور دينه المعلم لأهل ملته ذخر الملة المسيحية كنز الطائفة العيسوية المشكور بفعله عند الملوك والسلاطين

﴿ النوع الثاني عشر ﴾

ألقاب رؤساء اليهود ٠ وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير : الرئيس الأوحد الأجل الكبير شرف الطائفة الاسرائيلية فلان ٠٠

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

ألقاب ملوك غير الاسلام وهي مختصة بألقاب النصرانية اذ لم يكن ملوك غير الاسلام يكاتبون عن الأبواب السلطانية الآن الا منهم بخلاف اليهود فانه لم يبق لهم مملكة في الدنيا ' ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس. وهي على ستة أضرب .

﴿ الضرب الاول ﴾ ما يصدر بالحضرة كالحضرة العالية ' أو العلية ' أو السامية ' أو المكرمة أو الموقرة ' وما أشبه ذلك ٠ مثال ذلك ما أورده في التعريف في ألقاب ملك القسطنطينية « الحضرة العالية المكرمة حضرة الملك الجليل الخطير الهمام الأسد الغضنفر الباسل الضرغام المعرق الأصيل الممجد الأثيل الدوقس الكالوغوس الريد راغون ضابط المملكة الرومية جامع البلاد الساحلية وارث القياصرة القدماء محيي طرق الفلاسفة والحكماء العالم بأمور دينه العادل في مماكله معز النصرانية مؤيد المسيحية أوحد الملوك العيسوية مخول التخوت والتيجان حامي البحار والخلجان ملك ملوك السريان عماد بني المعمودية رضي الباب بابا رومية ثقة الأصدقاء صديق المسلمين اسوة الملوك والسلاطين فلان.. »

﴿ الضرب الثاني ﴾ ما يصدر بحضرة مع الاضافة . مثاله ما أورده في التثقيف في ألقاب ملك السرب والبلغار : حضرة الملك الجليل المكرم المبجل الهمام الضرغام الباسل الدوقس الانجالوس الكمنيوس فلان عماد النصرانية ملك السرب والبلغار فخر الملة العيسوية عماد بني المعمودية جمال الطائفتين الرومية والفرنجية ملك منفراج وارث التاج معز الباب..

﴿ الضرب الثالث ﴾ — ما يصدر بالملك وما في معناه ومثاله على ماذكره في التثقيف في ألقاب ملك الحبشة : الملك الجليل المكرم الخطير الأسد الضرغام الباسل فلانٌ العالم في ملته العادل في مملكته حطي ملك انجرا أكبر ملوك الحبشان نجاشي عصره سند الملة المسيحية عضد دين النصرانية عماد بني المعمودية صديق الملوك والسلاطين . . .

﴿ الضرب الرابع ﴾ — القاب النساء القائمات بالملك عنهم . ومثاله على ماورد في التثقيف في ألقاب ملكة اربد ' (في الصبح: بابل) : الملكة الجليلة المكرمة المبجلة الموقرة المفخمة المعززة فلانة العالمة في ملتها العادلة في مملكتها كبيرة دين النصرانية نصيرة الملة العيسوية حامية الثغور صديقة الملوك والسلاطين

﴿ الضرب الخامس ﴾ ألقاب نواب ملوكهم ومثـاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب النائب بدنقلة ' النائب الجليل المبجل الموقر الاسد الباسل فلان مجد الملة المسيحية كبير الطائفة الصليبية غرس الملوك والسلاطين .

﴿ الضرب السادس ﴾ ألقاب قناصلة الفرنج ونحوهم . ومثاله على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية في ألقاب ابراهيم كرى ' المحتشم الكبير المخول الأسد الهمام الغضنفر مُوادّ المسلمين متبع الحواريين جمال العيسوية أوحد بني المعمودية صاحب الملوك والسلاطين .

المقصد التاسع

وهو نوعان — ﴿ النوع الاول ﴾

في ذكر أصول يعتمدها الكاتب في ترتيب الالقاب والمناسبة بين الفروع والاصول من الألقاب وهي ثلاثة أصول .

الاول — ان يعرف رفيع الالقاب ومنحطها ليلحق كل واحد منها بما يناسبها من الاصول كألحاق العالمي والعادلي وممهد الدول ومشيد الممالك وماشا كل ذلك بالمقر الشريف والمقر الكريم والمقر العالي والجناب الكريم ، وكالحاق العضد والذخر وما أشبههما بالسامي بغير الياء فما دونه

الثاني — ان يعرف ماهو من الالقاب حقيقي لصاحب ذلك اللقب كالعالمي للعلماء والعابدى لاهل الصلاح فلا يهمله بحال، وما هو منها مجازى كالعالى لأرباب السيوف وأرباب الوظائف الديوانيـة حيث لا اتصاف لصاحب اللقب بالعلم، وكالاصيلى لمن ليس له آباء فى الرياسة ولاعراقة فى النسب ونحو ذلك

الثالث ـ ان يعرف الالقاب الخاصة ببعض دون بعض كالشريفي والحسيبي والنسيبي للاشراف اولاد على من فاطمة رضي الله عنهما ، والكافلى لنائب سلطنة او وزير كبير، والمدبرى للوزير ونحوه من ناظر الخاص ومن فى معناه ، والمشيرى لمن يؤخذ رأيه من أكابر ارباب السيوف والاقلام ، والسفيرى للحاجب والدوادار وكاتب السر، والعريقى لذى العراقة فى النسب ، والاصيلى لمن له ثلاثة آباء فى الرياسة ابن عن أب عن جد ؛ وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين للامراء ونحوهم ، وكافل الممالك للنائب الكافل ، وسفير الدولة ولسان المملكة للدوادار وكاتب السر ، ويمين الملوك والسلاطين لهما أيضاً . ومرتب الجيوش لناظر الجيش ، ووالدة الملوك والسلاطين من النساء لمن يكون من اولادها ملك ، وكريمة الملوك والسلاطين لمن يكون من اخوتها ملك ، وقرينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك ، وصديق الملوك والسلاطين لملوك النصارى ، وعزيز الملوك والسلاطين لنوابهم ، وحامى البحار والخلجان لملوك جزائر البحر ومن فى معناهم وما يجرى هذا المجرى . ويخص كلا منهم بلقبه اللائق به

﴿ النوع الثانى [١] ﴾

في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت في عرف الكتاب وهو على ضربين

﴿ الضرب الاول ﴾ مايجرى من ذلك مجرى التشريف وهو على أصناف : أحدها مايوصف بالعز كالكتاب بمعنى القرآن فيقال فيه : الكتاب العزيز . وربما قصد بذلك الديوان أيضاً فيقال فى ديوان الخـلافة : الديوان العزيز * الثاني ما يوصف بالشرف كالمصحف والعلم فيقال فى المصحف: المصحف الشريف وفي العلم: العلم الشريف ، وكذا

---

(١) قسم المؤلف هذا الباب الى تسعة مقاصد ، أورد ثمانية منهـا بترتيبها وجعل التاسع نوعا من أنواع مقاصده . وذكر فى أول الباب ان أنواعه ثلاثة عشر ثم سردها خمسة عشر فجعلنا الرابع عشر هو المقصد التاسع ، والخامس عشر نوعا منه لتوفق تقسيمه

فى الاماكن كمكة والمدينة والقدس فيقال : مكة المشرفة والمدينة الشريفة والقدس الشريف ، ويقال أيضا لكل من حرمى مكة والقدس: الشريف، فأن جماقيل : الحرمان الشريفان . وربما أطلقا فى عرف الكتاب أيضاً على القدس ومقام الخليل عليه السلام فيقال فيهما : الحرمان الشريفان. وهو مراد المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه التعريف في قسم الوصايا بقوله « وصية ناظر الحرمين الشريفين ». وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا أكثر مايضاف الى السلطان بالشرف فيقولون: عهد شريف، وتقليد شريف، وتوقيع شريف، ومرسوم شريف، ومثال شريف، وتذكرة شريفة ونحو ذلك * الثالث مايوصف بالكرم فيقال: القرآن الكريم . وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا مايصدر عمن دون السلطان من نواب السلطنة ونحوهم بالكريم فيقال: توقيع كريم، ومرسوم كريم، وتذكرة كريمة، وما أشبه ذلك وقد توصف به المكاتبة ايضاً فيقال : مكاتبة كريمة . وقد ورد فى القرآن « انه لقرآن كريم » * الرابع ما يوصف بالعلو وهو فى معنى الكريم في اصطلاحهم فيقال : توقيع عال ومرسوم عال ونحو ذلك، وقد يوصف به الرأى فيقال : الرأي العالى، وربما وصف به الامر فيقال : الامر العالى فيمن دون السلطان. وربما وصف به أمر السلطان أيضاً مثل كتابة الوزير على المراسيم السلطانية : « يمتثل الامر العالى » * الخامس مايوصف بالسعادة كالرأى فيقال : الرأى السعيد والآراء السعيدة * السادس مايوصف بالبركة كالكعب فيقال : كعب مبارك؛ وقد يوصف بذلك المنزل فيقال : منزل مبارك، والصباح والمساء فيقال: صباح مبارك ومساء مبارك ؛ وقد يوصف به الامر فيقال : يتقدم أمره المبارك ، وكذلك المكاتبة فيقال : وردت مكاتبته المباركة ونحو ذلك

﴿ الضرب الثانى ﴾ مايجرى من ذلك مجري التفاؤل. وهو على أصناف : أحدها ما يوصف بالنصر كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك فيقال : الجيوش المنصورة والبريد المنصور * الثانى مايوصف بالحراسة كالمدن والثغور فيقال فى المدن: مصر المحروسة، والقاهرة المحروسة، ودمشق المحروسة ونحو ذلك في الثغور فيقال: ثغر الاسكندرية المحروس وما أشبه ذلك * الثالث ما يوصف بالعمارة كالدواوين وهي الامكنة التى يجلس فيها الكتاب على ما تقدم ذكره فيقال الديوان المعمور والدواوين المعمورة *

الرابع ما يوصف بالسعادة كالدواوين أيضاً فيقال: الديوان السعيد والدواوين السعيدة *
الخامس ما يوصف بالقبول كالضحايا فيقال : الضحيــة المقبولة والضحايا المقبولة *
السادس ما يوصف بالبرّ كالصدقة والأحباس فيقال : الصدقة المبرورة ؛ وربما وصف
بذلك الرزقة وهي قطعة الأرض تفرد للشخص فيستغلها برّا له فيقال الرزقة المبرورة *
السابع ما يوصف بالخذلان كالعدو فيقال: العدو المخذول على الاجمال، وفلان المخذول ،
بصريح اسمه ، وأهل الكفر المخذولين

الباب الثاني

من المقالة الثالثة في الفواتح والخواتم واللواحق وفيه ثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في الفواتح وهي خمس فواتح تقع في أول الكلام :

﴿ الفاتحة الاولى ﴾ البسملة في أول الكتاب — والأصل فيها ان قريشاً كانت تكتب في أول كتبها : باسمك اللهم . والسبب في افتتاحهم بذلك ماحكاه المسعودى في مروج الذهب عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف ان أميـة ابن ابي الصلت الثقفى خرج الى الشام فى نفر من ثقيف وقريش وغيرهم فلما قفـلوا راجعين نزلوا واديا فلما جلسوا للطعام ابتدرت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبهـا بعضهم بحجر فى وجهها فرجعت فشـدوا سفرتهم ثم قاموا وارتحلوا من منزلهم . فلما برزوا من المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصاً فقالت : ما منعكم ان تطعموا رحيبة اليتيمة الصغيرة التي باتت لطعامكم عليلة ؟ قالوا : وما أنت ؟ قالت : أم العوام ، أرملت منذ أعوام ، اما ورب العباد ، لتفرقن فى البلاد. ثم ضربت بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل وقالت: أطيلي إيابهم، وفرقي ركابهم. فوثبت الأبل كأن على ذروة كل منها شيطانا ما يملكون منها شيئا حتى افترقت فى الوادي. فجمعوها من آخر النهار الى غدوة . فعلت ذلك بهم ثلاث مرات فى ثلاثة أيام. فقالوا لأمية ابن ابى الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعلمك؟ فتوجه الى الكثيب التى كانت تأتى منه العجوز حتى هبط من ثنيته الأخرى وصعد كثيبا آخر، ثم هبط منه

فرفعت له كنيسة فيها قناديل ورجل معترض مضطجع على بابها ، واذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية، قال أمية، فلما وقفت قال لى: ما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز فقال: هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ عام ، وانها لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت . قال ، فقلت له فما الحيلة ؟ قال اجمعوا ظهركم فأذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل : باسمك اللهم ، فأنها لن تضركم . فرجع أمية الى أصحابه وأخبرهم بذلك وجاءتهم العجوز ففعلوا ذلك فلم تضرهم. فلما رأت العجوز الا بل لا تتحرك قالت : قد علمكم صاحبكم ؟ ليبيضن الله أعلاه، وليسودن أسفله ! وساروا ، فلما أدركهم الصبح نظروا الى أمية قد برص فى غرته ورقبته وصدره، واسود أسفله . فلما قدموا مكة حدثوا هذا الحديث فكتبت قريش في أول كتبها : باسمك اللهم . فكان أول من كتبها أهل مكة ، وجاء الاسلام والأمر على ذلك . وقد روى محمد بن سعيد فى طبقاته ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش : باسمك اللهم حتى نزلت عليه « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فكتب : بسم الله، حتى نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » فكتب، بسم الله الرحمن ، حتى نزل « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . وعلى ذلك جرى الحال فى كتب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده فمن بعدهم من الخلفاء والملوك . الا أن متأخرى كتاب الانشاء قد اصطلحوا على حذفها فى التواقيع والمراسيم الصغار التى على ظهر القصص ونحوها احتجاجا بمفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجة فى سننهما وأبو عوانة فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، يعنى ناقص البركة، والتواقيع والمراسيم الصغار ليس لها بال من حيث أنها لا يهتم بها. قلت: وقد كان القاضى علاء الدين الكركي كاتب السر في الدولة الظاهرية برقوق في سلطنته الثانية أمر أن يكتب فى أعلى التواقيع والمراسيم الصغار البسملة بقلم دقيق ثم بطل ذلك بعده وعاد الامر الى ما كان عليه من حذف البسملة في ذلك.

واعلم أن المقصود من كتابة البسملة التبرك فيما يكتب فيجب ان تجعل في أول المكتوب لتعم البركة ما بعدها وله يشهد قوله تعالى حكاية عن بلقيس « إني ألقي الى كتاب

كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على واتونى مسلمين » على قول من قال ان قوله « انه من سليمان » من قول بلقيس ، وانها حكت الكتاب بقوله « وانه بسم الله الرحمن الرحيم .. الخ » فتكون البسملة ابتداء الكتاب بخلاف قول من قال ان اول الكتاب « انه من سليمان » فأنه يجعل تقديم اسمه على البسملة وقاية لاسم الله تعالى من حيث ان عادة ملوك الكفر (إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون مزقوا أعلاه وتفلوا فيه) قلت : أما ما يكتب فى الولايات من العهود والتقاليد وغيرها فان الفصل بينه وبين البسملة بالبياض ، قيل، كأن البسملة وما بعدها كلام مستأنف فلا ينسب الى تقدم شئ عليه . واما الطغراء التى كانت تلصق بطرة مناشير الاقطاعات فيها القاب السلطان فأنها كتابة اجنبية عن الكتاب فلا تنسب الى التقدم مع الفصل بينها وبين البسملة بالبياض أيضا . على ان ذلك قد بطل فى زماننا على ماسيأتى ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم على الكاتب ان يفردها بسطر وحدها تبجيلا لاسم الله تعالى فقد روى محمد بن عمر المدائنى بسنده الى ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يكتب في سطر بسم الله الرحمن الرحيم غيرُها - قال: وعلى ذلك جري كتاب الانشاء فيما يكتبون من مكاتبة او ولاية او غير ذلك . أما النساخ وكتاب الوثائق فربما كتبوا بعدها فى سطرها :الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك يكتب القضاة علاماتهم من الحمدلة وغيرها فى علامات الثبوت فى (المكاتيب الشرعية) مع فصلها ببياض

﴿الفاتحة الثانية﴾ الحمدلة ـ لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الامور للتيمن والتبرك عملا بما رواه أبو داود وابن ماجة وغيرهما من حديث ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو اجذم » اصطلح الكتاب على افتتاح الكثير مما يكتبونه مما له بال بالخطب المفتتحة بحمد الله تعالى. قال فى الصناعتين: وانما افتتح الكلام بالحمد لان النفوس متشوقة للثناء على الله تعالى والافتتاح بما تتشوق اليه النفوس مطلوب. وأتي به بعد البسملة تأسيا بكتاب الله تعالى اذ البسملة اول الفاتحة كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه وهي مفتتحة بالحمد . ثم ربما اتى الكتاب بالحمد بعد البعدية فكتبوا: اما بعد حمد الله تعالى ، أو أما بعد فالحمد لله » . والصيغة الاولى الحمد مقدم فيها معني،

لأن قوله :أما بعد حمد الله يقتضى تقدم الحمد ؛ والصيغة الثانية تقتضى تقدم شئ على الحمد ولاخفاء في ان المقدم الذى جاء الحمد بعده هنا هو البسملة . على انه قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكاتبات : فاني احمد اليك الله . وقد اختلف هل ابلغ صيغة : الحمد لله، أو أحمدالله ؟ فقيل ،الحمد لله أبلغ لما فيها من معنى الاستغراق والاستمرار والثبوت ، وقيل أحمد الله أبلغ لان القائل الحمد لله حاك لكون الحمد لله بخلاف القائل احمد الله فانه حامد بنفسه ولذلك يؤتي بالتحميد ثانيا فى الخطب بصيغة الفعل إما بصيغة نحمده بالنون كما يكتب عن الملوك ، وأما أحمده بلفظ الافراد كما فى الخطب الجمعية ونحوها

﴿ الفاتحة الثانية ﴾ التشهد في الخطب — قد جرت عادة كتاب الزمان بالاتيان بعد التحميد في الخطب بالتشهد تابعا للفظ التحميد في الافراد والجمع مثل ان يقال : نشهد، فيما يكتب عن الملوك؛ وأشهد فيما يكتب عن غيرهم؛ وان كان بعد :أما بعد حمد الله قيل : والشهادة له بالوحدانية ونحو ذلك . والاصل في ذلك ما رواه الترمذى وصححه البيهقى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال« كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء» على ان المتقدمين من الكتاب ليس في كتابتهم تشهد فى الخطب

﴿ الفاتحة الرابعة ﴾ الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله في اوائل الكتب فى الخطب وغيرها — اما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فلانزاع فى أنها مطلوبة فى الجملة فناسب الاتيان بها فى اوائل الكتب تبركا وتيمنا . وقد روى من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » وان كان الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره قد نقل تضعيفه عن المحدثين . قال محمد بن عمر المدائنى : وقد رأينا بعض الكتاب لايري الصلاة على النبى صلي الله عليه وسلم فى الكتب فباءوا بأعظم الوزر مع مافاتهم من الثواب . وأما الصلاة على آله وصحبه صلي الله عليه وسلم بعد الصلاة عليه فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الاجماع على جواز الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام بطريق التبعية مثل ان يقال : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وازواجه وذريته ونحو ذلك ؛ ثم قال، وعلى هذا يخرج مايكتبونه من

قولهم : وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه ، فلا نزاع فيه. وانما الخلاف في جواز إفراد غير الانبياء بالصلاة، فاجازه قوم، ومنعه آخرون. والصحيح من مذهب الشافعي انه لا يجوز ذلك الا تبعا. ورجح النووي في الاذكار انه كراهة تنزيه من حيث انه شعار اهل البدع بعد ان حكي قولا انه كراهة تحريم ، وقولا انه خلاف الاولى. وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم فقد قال النووي في الاذكار : واذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر علي أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ثم لا يقال عليه السلام فقط وفي شرح مسلم له أنه يكره افراد الصلاة عن التسليم. وأما السلام على غير الانبياء فحكي النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب من حي وميت وانه لا يفرد به غير الانبياء عليهم السلام بخلاف الحاضر فانه يخاطب به

إذا علمت ذلك فالصلاة تكون بعد التحميد في الخطبة في الولايات والمكاتبات المفتتحة بالخطب، وقد تكون في صدور المكاتبات المفتتحة بغير الخطب بعد التحميد أيضاً كما كان يكتب في القديم : فأني أحمد إليك الله وأسأله ان يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم. وهو ما أحدثه الرشيد. قال في ذخيرة الكتاب : وكان ذلك من أجل مناقبه. وكان يكتب عن الخلفاء الفاطميين بمصر: ويسأله ان يصلى على جده محمد . ويخصون الصلاة بعده بأمير المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة

﴿ الفائدة الخامسة ﴾ أما بعد -- اعلم ان « أما بعد » تستعمل في صدر المكاتبات والولايات ، وربما استعملت في ابتدائها وقد قيل انها فصل الخطاب . واختلف في أول من قالها فقيل داود عليه السلام ، وقيل كعب بن لؤى ، وقيل قس بن ساعدة . ثم هي مركبة من كلمتين احداهما أما ، والثانية بعد . فأما «أما» فحرف شرط ولذلك توجد الفاء في جوابها. واما « بعد» فظرف زمان إذا أفرد بنى على الضم قال تعالى « لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ » وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين، وأما بعدٌ بالرفع والتنوين أيضاً . وأجاز هشام أما بعدَ بفتح الدال ومنعه النحاس وقال انه غير معروف. فأن أضيفت بعد الى ما بعدها فتحت فتقول أما بعدَ حمد الله ونحو ذلك قال في ذخيرة الكتاب: واذا كانت بعد البسملة فمعناها اما بعد قولنا بسم الله الرحمن الرحيم فقد كان كذا وكذا . واعلم انه ربما حذفت أما وأتى مكانها بواو العطف ليعطفها على

ما قبلها فيبقى البناء على الضم وربما دخلت الفاء فى جوابها لوقوعها مكان أما بعد غالبا فيقال و بعد فأن كذا . ولكنها تصير أنزل رتبة من أما بعد فى حق المكتوب له كما أشار اليه فى التعريف فى الكلام على الولايات على ماسيأتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

فى الخواتم وهي ست خواتم :

(الخاتمة الاولى - ان شاء الله تعالى)

اعلم انه يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه من مكاتبة أو ولاية أو غيرهما ان يكتب « ان شاء الله تعالى » تبركا ورغبة فى نجاح مقصد الكتاب فقد ورد الحث على تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى والندب اليه قال تعالى «ولا تقولنَّ لشيء انى فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله » وذم قوماً على ترك الاستثناء فقال « إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون» . واعلم ان الاستثناء لا يدخل على ماض فلا يقال : ما فعلت ذلك ان شاء الله ، (وانما يدخل على مستقبل) او ما فيه معنى الاستقبال كما في قوله تعالى « وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » اما مثل قوله : أنت طالق ان شاء الله فأن كان ماضيا لفظا فأنه مستقبل معنى إذ معناه الأنشاء (والا لما) وقع به الطلاق . ثم محلها فى الكتابة من الدرج أسفل المكتوب فى وسط الوصل مكتنفة ببياض من يمينها وشمالها و بينها و بين السطر الأخير من المكتوب كما بين سطرين أو دونه. وقد جرت عادة الكتاب أنها ان كانت بقلم الرقاع كتبت معلقة مسلسلة وان كانت بقلم جليل ونحوه كتبت واضحة مبينة قال ابن شيث في معالم الكتاب : ولا يضيف الكاتب اليها شيئا في سطرها بل تكون مفردة في سطر واحد. قلت : والكتاب فيها على ذلك الى الآن

(الخاتمة الثانية — التاريخ)

وقد اختلف فى لفظه فقيل انه عربى وان معناه نهاية الشيء وآخره يقال فلان تاريخ قومه إذا انتهى اليه شرفهم ؛ وعليه يدل كلام صاحب موآد البيان وذخيرة الكتاب . ونقل ابن الشاطر (فى زيجه) عن بعض أهل اللغة ان معناه التأخير فيكون مقلو بامنه؛ وقيل بل هو فارسى وان أصله « ماه زور » ومعناه «حساب الشهور » فعرب : مؤرخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ؛ واليه يرجع كلام المؤيد صاحب حماة فى تاريخه . وقال فيه

أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ؛ وكذلك يقال فى مصدره : تأريخ وتوريخ كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في ذخيرة الكتاب : وأرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال العسكرى في الأوائل : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالى والأيام بالنظر الى ما مضى من السنة والشهر والى ما بقى منهما . قال في مواد البيان : وهو محقق للخبر دال علي قرب عهد الكتاب و بعده . قال محمد بن عمر المدائنى : وقد أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والحساب والكتاب على كتابة التاريخ في جميع المكتتبات . قال صاحب نهاية الأرب : ولا غنية عنه لأن التاريخ يستدل به على بعد مسافة الكتاب وقربها، وتحقيق الاخبار على ماهى عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ قال القضاعى فى عيون المعارف :وكانت الامم السالفة تؤرخ بالحوادث العظام وبملك الملوك فكان التاريخ بهبوط آدم، ثم بمبعث نوح، ثم بالطوفان ثم بنار ابراهيم ... ثم ساق أصول تواريخ الامم على اختلافها — قلت : والذى استقر عليه الحال من تواريخ الامم أربعة تواريخ:

أحدها ـ من غلبة الاسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس وهو قبل الهجرة بـ ٩٣٢ سنة و ٢٩٠ يوما وبه تؤرخ السريان والروم والفرنجة ومن في معناهم الى الآن

الثاني ـ من ملك دقلطيانوس آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم علي القبط، والنصارى يعبرون عنه بالشهداء اشارة الى أن الذين قتلهم من القبط شهداء . وهو قبل الهجرة بـ ٣٣٧ سنة و ٢٠ (فى الصبح ٢١) يوما . وتؤرخ به القبط الى الآن

الثالث ـ من الهجرة وهي هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي بعد البعثة بـ ٢٣ سنة وعليها استقر التاريخ العربى وبها تؤرخ الكتاب الاسلامية المكاتبات وغيرها

الرابع ـ من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وهو بعد الهجرة بعشر سنين و ٧٩ (فى الصبح ٧٨) يوما و به تؤرخ الفرس الى الآن

ثم قد اختلف في اصل التاريخ من الهجرة فحكي النحاس فى صناعة الكتاب عن محمد

ابن(جرير) بسنده الى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وقدمها في شهر ربيع الأول، امر بالتاريخ . ثم قال، والمعروف عند العلماء ان ابتداء التاريخ بالهجرة كان فى خلافة عمر رضى الله عنه . ثم اختلف فى السبب في ذلك نذكر النحاس ان عاملا لعمر باليمن قدم عليه فقال : اما تؤرخون كتبكم ؟فاتخذوا التاريخ . وذكر أبو هلال العسكرى فى أوائله أن أبا موسى الاشعرى كتب الى (عمر :) أنه تأتينا من قبل امير المؤمنين كتب لا ندرى على ايها نعمل قد قرأنا (كتابا) منها محله شعبان، فما ندرى في أى الشعابين: الماضى، أو الآتي . فاتخذ ، عمر التاريخ . وتبعه على ذلك فى ذخيرة الكتاب . وذكر المؤيد صاحب حماة انه رفع الى عمر (صك) محله شعبان فقال أى الشعابين ؟ لا ندرى : ألذى نحن فيه أو الذى هو آت ؛ فسأل الهرمزان فقال ان لنا حسابا نسميه «ماه زور» يعنى التاريخ فعمل عمر التاريخ . قال فى ذخيرة الكتاب : ولما أراد عمر التاريخ استشار الصحابة فقال بعضهم نؤرح بالبعث، وبعضهم بوفاة النبى صلى الله عليه سلم، و بعضهم بالهجرة . فاختار عمر التاريخ من الهجرة لأنها أول ظهور الاسلام، وقوته ووافقه الصحابة على ذلك . قال ابن حاجب النعمان : وكان ذلك فى الثانى عشر من شباط سنة ٨٨٢ لذى القرنين . ثم بعد اتفاقهم على الهجرة اختلفوا فى الشهر الذى يبدأ به، فاشار بعضهم بالبداءة برمضان لشرفه ، فقال عمر بل بالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم، فرجعوا القهقرى ٦٨ يوما وهو القدر الذى مضى من أول المحرم الى ذلك الوقت. قال فى عيون المعارف :وكان ذلك فى تسع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة

اذا علمت ذلك فتقييد التاريخ على ضربين :

﴿الضرب الأول﴾ تقييد التاريخ العربى ــ ومداره الليالى دون الايام لأن سني العرب قمرية، والقمر اول ظهوره الأبصار هلالا فى الليل، فالليالى سابقة للايام . قال الزجاجي في الجمل : وانما حمل على الليالى دون الايام لان أول الشهر ليله فلو حمل على الايام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل : واستغنى عن الايام بالعلم ان مع كل ليلة يوما، فاذا مر عدد من الليالى مضى مثله من الايام، فيجوز أن يستغنى بذكر أحدها عن الآخر . ثم لكتابة التاريخ ثلاث حالات:

الحالة الاولى ــ أن يؤرخ ببعض ليالى الشهر . ويختلف الحال فيه ، فأن كانت

الكتابة فى الليلة الاولى منه فقد ذكر ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ان يكتب : كتب غرة شهر كذا ،أو أول ليلة من كذا ، اومستهل شهر كذا،أو مهل شهر كذا . وقد حكي ابو حيان مثل ذلك عن بعضهم وزاد انه يكتب أيضاً : أول شهر كذا قال النحاس: ولا يجوز حينئذ : لليلة خلت ، ولامضت ؛ لأنهم فى الليلة بعد. قال فى ذخيرة الكتاب : وربما كتب بعضهم ليلة الاستهلال : لليلة تخلو . وان كانت الكتابة فى اليوم الأول وهو النهار الذى يلى الليلة الاولى من الشهر كتب : لليلة خلت من شهر كذا . قال النحاس ، ويجوز : كتب لغرة الشهر، أو لأول يوم من الشهر ؛ ومنع ان يقال حينئذ: أول ليلة من شهر كذا (اومستهل شهر كذا) موجها لذلك بأن الاستهلال انما يقع فى الليل. وتبعه على ذلك فى ذخيرة الكتاب ومواد البيان وان وقعت الكتابة فيما بعد مضى اليوم الاول من الشهر الى آخر العشر فأن كان قد مضى منه ليلتان كتب: لليلتين خلتا من شهر كذا ، اولليلتين مضتا منه . قال فى ذخيرة الكتاب . ولا يكتب : ليوم خلا ولا ليومين خلوا لان ذكر الليالى فى باب التاريخ اغلب . وحكي ابو حيان أنه إذا مضى من الشهر يوم كتب : ليوم مضى ، واذا مضى يومان كتب : ليومين مضيا . فان كان قد مضي من الشهر ثلاث ليال كتب : لثلاث خلون اومضين من شهر كذا ، او لثلاث ليال خلون اومضين من شهر كذا . ويجوز فيه :لثلاث خلت او لثلاث ليال خلت، على قلة : وكذا فى الباقيات الى العشر فيقال : لعشر خلون اومضين، او لعشر ليال خلون او مضين اولعشر ليال خلت اومضت، على اللغة القليلة . وان كانت الكتابة فيما بعد العشر الى النصف فيكتب: لأحدى عشرة خلت او مضت من شهر كذا ، و يجوزفيه: لاحدي عشرة خلون ، او لاحدى عشرة ليلة خلون، على قلة ، وكذا فى الباقيات الى النصف من الشهر. قال ابو حيان ،فان صرح بالتمييز وكان مذكرا أعيد الضمير عليه فيقال: لأحد عشر يوما خلا أو مضى ، ونحو ذلك . وان كانت الكتابة فى الخامس عشر من الشهر فيكتب : كتب نصف شهر كذا . قال النحاس: وأجازوا : لخمس عشرة ليلة خلت او مضت ولو حذف ذكر الليلة فقيل: لخمس عشرة خلت او مضت او بقيت ، صح . قال في التسهيل والتاريخ بالنصف أجود

وان كانت الكتابة فيما بعد النصف من الشهر الى الليلة الاخيرة منه ففيه مذهبان

احدهما ـ ان يؤرخ بالماضي من الشهر كما في قول المصف فيقال: است عشرة خلت او مضت ، اولست عشرة ليلة خلت اومضت ، وكذا الى العشرين فيقال: لعشرين خلت او مضت ، وكذا في البواقى الى آخر التاسع والعشرين فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله الى آخره بالماضي دون الباقي فرارا من (المجهول) . الى المحقق وهو مذهب (الفقهاء) لأنه لا يعرف هل الشهر تام ام ناقص . قال النحاس : ورأيت على بن سليمان يختاره قال في ذخيرة الكتاب : وهو اثبت وحجته اقوى ــ قلت : ولا يخفي ان من يرى التاريخ باليوم يجوز : لستةعشر يوما خلا او مضى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده

المذهب الثانى ـ ان يؤرخ بما بقى من الشهر وللمؤرخين فيه طريقتان:

الطريقة الاولى ـ أن يجزم بالباقي فيكتب لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر كذا ثم لثلاث عشرة ليلة بقيت ، وهكذا الى الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب: لليلة بقيت . وهو مذهب الكتاب قال النحاس ورأيت بعض العلماء وأهل النظر يصوبونه لانهم انما يكتبون ذلك على ان الشهر تام وقد عرف معناه وان كاتبه وقارئه انما يريد اذا كان الشهر تاما فلا يحتاج الى التلفظ به . قال محمد بن عمر المدائني واحتجوا لذلك بأن معاوية حين كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم لابن الحضرمي كتب فى آخر الكتاب: وكتب معاوية بن أبى سفيان لثلاث بقين من شهر ذي القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان . ثم قرأه ابن عفان والناس حوله قال فى صناعة الكتاب : وقد قع مثل ذلك فى كلام النبوة فقد ورد في الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر :التمسوها في العشر الاواخر لسابعة تبقي او لخامسة تبقى

الطريقة الثانية ـ ان يعلق التاريخ بالباقي على شرط ، فيقال : لاربع عشرة ليلة ان بقيت ، اولاربع عشرة ليلة ان بقيت . وكذا في البواقي فرارا من اطلاق التاريخ بما لايعلم تمامه أونقصه وكأنه يقول لاربع عشرة ليلة بقيت من الشهران كان تماما . ـ قلت. ومن يجوز التاريخ بالايام يقول: لأربعة عشر تبقى من شهر كذا . وكذا فى الباقي. وان كانت الكتابة فى الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب لآخر ليلة من شهر كذا ، وفى سلخ كذا . أو فى انسلاخه . وان كان فى اليوم الأخير منه كتب : لآخر يوم من شهر كذا ، أو فى سلخه ، أو انسلاخه أيضاً . ولم يختلفوا هنا فى جواز التاريخ باليوم .

قال فى ذخيرة الكتاب : ان الشهر يبتدىء بابتداء الليالى ، وينقضى بانقضاء النهار

قلت : وكتاب زماننا قد أهملوا النظر فى التأريخ بالليالى جملة وعولوا على التأريخ بالأيام فيكتبون في اليوم الأول للشهر : كتب فى مستهل شهر كذا، أوفى اليوم الاول من شهر كذا ، ثم فى ثانى شهر كذا ، أو ثالث شهر كذا وهكذا الى التاسع والعشرين ' وفي اليوم الأخير من الشهر يكتبون : في سلخ شهر كذا . لا يعرفون غير ذلك. ثم مما يستحسن في التاريخ أنه إذا وقعت الكتابة في يوم مشهور ارخ به مع قطع النظر عن عدد ما مضى من الشهر وما بقي منه. فيكتب فى اليوم الأول من شوال : كتب في يوم الفطر ؛ وفى تاسع ذى الحجة يكتب : كتب في يوم عرفة ؛ وفي عاشره يكتب: كتب فى يوم عيد النحر ، أو يوم عيد الأضحى ؛ وفى حادي عشره يكتب : كتب في يوم القر ، بفتح القاف ، بمعنى انه اليوم الذى يقر الناس فيه بمنى؛ وفي ثانى عشره يكتب : كتب في يوم النفر الأول ؛ وفي ثانى عشره يكتب : كتب فى يوم النفر الثانى

واعلم انه قد يؤرخ بعشر من أعشار الشهر فيبنى التأنيث على معنى الليالى فيكتب كتب في العشر الأولى أو فى العشر الأول ' بضم الهمزة وفتح الواو ؛ وكتب في العشر الوسطى أو في العشر الوسط ، بضم الواو وفتح السين ' أو كتب فى العشر الأخرى أو فى العشر الأخر بضم الهمزة وفتح الحاء . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : ولا يكتب فى العشر الاول ، ولا الأوسط ' ولا الآخر . وحكي عن بعض النحاة أنه يكتب : وكتب فى العشر الآخرة أو الأواخر ولا يكتب الأخرى ولا الاخر لئلا يلتبس بالآخر بمعني الثانى أو الأخر بمعنى التوانى . ثم قال ، وان أرخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب : الدآدى . ولا نزاع في أنه يجوز التأريخ بالأيام المشهورة فى السنة كالأيام المعلومات وهي العشر الاول من ذى الحجة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق . وان اقتضت الحال التوريخ ببعض أجزاء اليوم لسرعة وصول الكتاب كبطائق الحمام أرخ بتلك الساعة فيؤرخ في الساعة الاولى بالشروق ثم ما يليها من الساعات على ما تقدم ذكره في الكلام على الأزمنة فى المقالة الأولى. قلت: وكتاب الزمان قد اعتمدوا فى ذلك اسماء الساعات المتعارفة عندهم كالأولى من النهار، أو الثانية ، أو الثالثة ، أو وقت الظهر ' أو وقت العصر ونحو ذلك

ومما ينبغى التنبيه عليه أنه ربما اتفق بعض على تورِيخ خاص وعملوا عليه كما ذكر علي بن خلف من آخر كتاب الدولة الفاطمية فى مواد البيان أن كتاب الديار المصرية كانوا يجعلون شهرا ثلاثين يوما وشهرا تسعة وعشرين. وكما ذكر ابن شيث من آخر كتاب الدولة الأيوبية فى معالم الكتابة ان كتب السلطان والاعيان تؤرخ بالليالى والكتب من الأدنى الى الاعلى تؤرخ بالأيام ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى

﴿ الضرب الثاني ﴾

تقييد التاريخ العجمى – وهو ما عدا العربي ومداره الايام دون الليالى لأن سنيهم مع اختلافها فى الشهور ومباديها ومقاطعها شمسية، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل، ولذلك أرخوا بالايام. قال ابو هلال العسكرى فى أوائله: قال احمد بن يحيي البلادري حضرت مجلس المتوكل وابراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذى انشأه فى تأخير النيروز والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك فداخلتنى نفاسة فقلت يا أمير المؤمنين فى هذا الكتاب خطأ. فأعادوا النظر وقالوا ما نراه، فما هو؟ قلت أرخ السنة الفارسية بالليالى والعجم تؤرخ بالأيام، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر، والعرب تؤرخ بالليالى لأن سنيهم وشهورهم قمرية، وابتداء الهلال بالليل. فاستحسن المتوكل والحاضرون ذلك واعترف ابراهيم بن العباس وقال ليس هذا من علمى.

قال محمد بن عمر المدائنى فى كتاب القلم والدواة: وقد رسموا تاريخ الكتب فى أواخرها وجعلته العامة فى صدورها. والتحقيق فى ذلك ما ذكره صاحب مواد البيان وغيره ان فى الكتب السلطانية ان كان الكتاب فى أمر تتشوق النفوس الى معرفة اليوم الذى وقع فيه ذلك الأمر كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم ونحوها ورخ الكتاب فى صدره مثل ان يكتب فى أول الكتاب: كتاب أمير المؤمنين اليك، أو كتابنا اليك يوم كذا من سنة كذا، كما كان يكتب في الزمن القديم. فأن كان الكتاب لا تتشوق النفوس الى معرفة اليوم الذى وقع ذلك الامر فيه ورخ في آخره. أما كتب الاتباع للرؤساء فقد ذكر فى مواد البيان ان الرسم فيها ان تؤرخ فى صدورها مثل ان يقال: كتب

العبد من مقر خدمته يوم كذا . قلت — والذى استقر عليه الحال فى زماننا كتابة التاريخ فى آخر الكتاب بكل حال ولاية كان أو مكاتبة . ثم قد اصطلح كتاب الزمان على أن جعلوا التاريخ بعد كتابة : ان شاء الله تعالى ، فى سطرين فيكتبون : كتب في كذا من شهر كذا ، فى سطر ؛ ثم يكتبون : سنة كذا ، فى سطر تحته . اما ما يكتب عن قضاة القضاة فقد اصطلحوا على أن جعلوا جميع التاريخ فى سطر واحد

﴿ الخاتمة الثالثة — كتابة المستند الذى يكتب في آخر الكتاب ﴾

ويختلف الحال فيه فان كان المستند كتابة السلطان على ظهر قصة يكتب: « كتب حسب المرسوم الشريف » ان شاء سطرين وان شاء سطرا واحدا . وان كان بتلقى كاتب السر وحده إما بما يأمر به السلطان عند قراءة القصة عليه فى مجلس خاص أو بما يمضيه كاتب السر من نفسه كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر واحد لاغير . وان كان بتلقى كاتب السر أو أحد من كتاب الدست بدار العدل كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، ثم يكتب تحته « من دار العدل الشريف » سطرا ثانيا وان كان برسالة الدوادار كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ثم يكتب تحته سطرا ثانيا: « برسالة الجناب العالى الاميرى الفلانى ـ بلقبه الخاص ـ الدوادار الفلانى ـ بلقب السلطنة ـ » وان كان من ديوان الخاص كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، وتحته « من ديوان الخاص الشريف » سطراً آخر . قلت: ومما يجب التنبيه عليه أن لفظ « حسب » مفتوح السين كما صرح به الجوهرى وغيره من أئمة اللغة الا ما حكاه الجوهرى من جواز تسكينها في ضرورة الشعر . على أن كتاب الزمان لا تكاد تسمعها منهم الا ساكنة السين وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . وان كان المكتوب بأشارة النائب الكافل كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرية الكافلية الفلانية » بلقب الكافل الخاص سطرا ، ثم كتب تحته في سطر آخر « كافل الممالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى » وان كان بأشارة الوزير كتب « بالاشارة العالية الوزيرية الفلانية » بلقبه الخاص سطرا ، ثم يكتب فى سطر تحته « مدبر الممالك الشريفة الاسلامية اعلاها الله تعالى » . وان كان بأشارة الاستدار كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرية الفلانية » بلقبه الخاص . ثم يكتب فى سطر تحته « استدار العالية أعلاها الله تعالى » .

قلت وقد تقدم فى الكلام على الالقاب ان الصواب فيه استدار بكسر التاء وحذف الالف ولكن اثبات الالف قد صارفى كتابتهم كاللازم وان كان خطأ

واعلم ان الكتاب قد اصطلحوا على أن جعلوا كتابة المستند بعد التاريخ ليكون «حسب المرسوم الشريف» أو «بالاشارة» متعلقا به. وربما كتب فى حاشية المكتوب في المراسيم الصغار التى تكتب على ظهور القصص وأوراق الطريق ونحو ذلك وموضع كتابته حينئذ فيما يقابل مابين السطرين الاولين أخذا من جهة الاسفل الى جهة الاعلى بحيث يكون آخر كتابة المستند مسامتا للسطر الاول. فان كان «حسب المرسوم الشريف» فقط كتب سطرا واحدا ، وان كان من دار العدل كتب تحته سطر آخر فيه « من دار العدل الشريف » وكذا في سائر مايشا كله

﴿ الخاتمة الرابعة — الحمدلة ﴾

لاخفاء فى ان الحمد مشروع في اختتام الامور كما هو مشروع فى افتتاحها كما اشار اليه السهيلي قال تعالى «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقال جلت قدرته « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين» وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره قال : آيبون تائبون لربنا حامدون ومن ثم جعلت الحمد لله فى أواخر الكتب. قال ابن شيث فى معالم الكتابة ولا يختم بالحمد فى التواقيع فى المظالم وربما ختم بها فى تواقيع الاطلاقات ثم قد قال النووي في الاذكار ان افضل انواع الحمد : الحمد لله رب العالمين. والذي اصطلح عليه غالب الكتاب ان يكتب هنا : الحمد لله وحده. وصورة وضعها ان تجعل بعد كتابة المستند عن يمنة الدرج على بعد قدر ما بين آخر سطر من المكتوب وبين ان شاء الله تعالى، قال في معالم الكتابة، وقد يحتمل الخروج عن سمت السطور. قلت : وقد اصطلح كتاب الزمان على حذفها مما تحذف البسملة من اوله كالتواقيع التى على ظهر القصص وأوراق الطريق ونحوها

﴿ الخاتمة الخامسة ﴾

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والاصل فى ذلك انه صلى الله عليه وسلم كتب فى آخر عهده لعمرو بن حزم حين وجهه الى اليمن « صلى الله على محمد » ثم الكلام في الجمع

بين الصلاة والسلام على ما مر عليه الكلام في الفواتح وقد اصطلحوا على ان يكون بين الحمدلة وبينها بياض يسير وتكون هي تمام السطر — قلت : فلو كتب كتاب عن ملك مسلم الى ملك كافر احتمل ترك التصلية فيه صيانة لاسم النبي صلى الله عليه وسلم من الامتهان كما منعوا السفر بالمصحف الى أرض الكفار، ويحتمل ان لا تترك الصلاة إرغاما لأهل الكفر فقد حكي العسكرى فى الاوائل ان عبد الملك بن مروان حين أحدث كتابة سورة الاخلاص على الدراهم كتب اليه ملك الروم « انكم قد احدثتم في طواميركم شيئا من ذكر دينكم فاتركوه والا أتاكم فى دنانيرنا ما تكرهون » فاستشار فى ذلك خالد بن يزيد بن معاوية وكان اديبا عالما فقال له ياأمير المؤمنين اضرب لهم سككا فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله ولا تدفهم مما يكرهون فى الطوامير، ففعل

(الخاتمة السادسة — الحسبلة)

والاصل في كتابتها قوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » فجعل « حسبنا الله ونعم الوكيل » سببا لحسن المنقلب والصون عن السوء. ثم الكاتب ان كان يكتب عن ملك يتكلم بنون الجمع تعظيما كتب فى آخر كتابه « حسبنا الله ونعم الوكيل » على الجمع، وان كان يكتب عمن لا يستوجب ذلك من الآحاد كتب « حسبى الله ونعم الوكيل » على الافراد . على ان بعض الكتاب كان يستحب ان يكتب « حسبى الله » بلفظ الوحدة فرارا من اللبس بين الجمع للتعظيم والجمع الحقيقي وأشار في صناعة الكتاب الى شئ من ذلك . قال فى معالم الكتابة : وقد يتأدب الادنى مع الاعلى فيأتى بالآية على نصها فيقول : وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فرارا من نون الجمع التى هي للعظمة ؛ قال : وقد يقال فى مكانها « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ثم قال ، فأما الاعلى اذا كتبت للادنى فلا يخرج عن « حسبنا الله ونعم الوكيل » . ثم بعض الكتاب قد يكتب في أول الحسبلة واوا بأن يكتب « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ولا معنى لها اذ لا يسوغ عطفها على ما قبلها كما نبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام فى وراقته . وقد اصطلحوا على أن يكتبوها سطرا واحدا بعد سطر الحمدلة والتصلية ، ويكون بين سطرها والذى قبله بقدر ما بين السطر الآخر من المكتوب وبين ان شاء الله تعالى . قال ابن شيث : وموضعها ثلث السطر من الجانب

الايمن الى حيث ينتهي . واعلم ان الكتاب قد اصطلحوا ان يكتبوا تحت الحسبلة صورة حاء لطيفة منكسة ولا معنى لذلك وكأنهم كانوا يكتبونها عوضا عن الحسبلة ثم التبس ذلك على بعض الكتاب فأثبتها مع الحسبلة

﴿ الفصل الثالث ﴾

في اللواحق . وهي امران

الامر الاول ، التتريب — لا نزاع في ان تتريب الكتاب عند الفراغ من كتابته بإلقاء الرمل ونحوه عليه امر مطلوب للتبرك طلبا لنجح القصد فقد روي محمد بن عمر المدائني عن اسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد وهو ابو مروان الازدي عن بقية بن الوليد عن عطاء عن (ابن) جريج عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تربوا الكتاب ونحوه من أسفله فأنه أعظم للبركة . وانجح للحاجة . وفي حديث آخر : اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فأنه مبارك وهو أنجح لحاجته في آثار أخرى في معنى ذلك . وأيضا فان فيه تجفيف ما يطرح عليه من الخط ومنعه من المحو . قال في مواد البيان ويستحب وضع التراب أولا على البسملة ثم يمرّه الكاتب منها على سائر المكتوب لتعم الكتاب بركة البسملة . قلت: وكتاب زماننا يتعاطون التتريب من اسفل الكتاب لانه الى التجفيف احوج لقرب عهده بالكتابة . على انه لا يخلو من بركة أيضا اذ يمر على الحمدلة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والحسبلة ولو طلع به من اسفل الكتاب حينئذ الى البسملة ثم اعاده عليه مرة ثانية لكان حسنا . وقد اصطلح كتاب الزمان على التتريب بالرمل الاحمر لانه ابهج واقل غبارا . قال محمد بن عمر المدائني : وكرهوا ونهوا عن تراب الحيطان ومالوا الى النشارة والاشنان . قال : وبلغنا ان بعض الائمة من اهل العلم كان يترب الحديث بالصندل ويقول : لا اطرح على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ، قال ، وكان حياة بن شريح يخرج الى الصحراء فيأخذ الطين الاسود فيدقه وينخله فيترب به . وقد صرح الامام الرافعي من أئمة الشافعية في باب الصلح انه يحرم التتريب من جدار الغير ومن الجدار المشترك

الامر الثاني ، نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه . فقد نصوا على انه ينبغي للكاتب إذا فرغ من كتابه ان يتأمله من أوله الى آخره ويتتبع الفاظه

ويتأمل معانيه و يصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أو سبق اليه القلم ليسلم من قدح القادح وطعن الطاعن . وقد سبق فى مقدمـة الكتاب ان صاحب الديوان لا يكتفى بنظر الكاتب فى ذلك بل يكله الى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ثم يتأمل هو بنفسه بعد ذلك ليذ تمح الكتاب ويتهذب (فأنه لسان السلطان) بل السلطان بنفسه ، بل الدولة بأسرها

الباب الثالث

في بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الانشاء القصص التى ترفع بطلب الكتب السلطانية والرقاع التى يكتبها كاتب السر بأمور خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التى تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرهما وما في معني ذلك والمربعات الجيشية التى تحضر من ديوان الجيش بسبب كتابة المناشير والاقطاعات وما يجري مجرى ذلك وفيه فصلان

الفصل الاول

(في بيان كتابة القصص التي ترفع الى ولاة الامور)

وسميت قصصا لحكاية صورة حال رافعها فيها . واعلم ان الذى يجب فى كتابة القصص مراعاة الايجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والتقرب من فهم المخاطب فأنها متي كانت خارجة عن الحد في الطول أدت الى السآمة والاضجار وربما أدى ذلك الى حرمان الطالب مطلوبه اما للاعراض عنها استثقالا وإما لعدم فهم المقصود منها للافراط في الطول فأن الرئيس مما يسرع الضجر اليه (وخصوصا) الملك فيكون رافعها كالساعي فى حتف أنفه بظلفه . وكذلك يجب ان يتجنب فيها الاختصار المجحف المؤدى الى الاخلال بل يقتصر فيها من الكلام على القليل الدال فأن خير الكلام ما قل ودل وعليه ان يتجنب فيها التعقيد الذى ينبو عنه فهم الرئيس ويمجه سمعه

وقد جرت العادة فى كتابة القصص ان يخلى من أعلى الورقة قليلا يترك بياضا ويجعل لها هامشا بحسب عرضها ويبتدئ فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة: «المملوك فلان يقبل الارض وينهى كيت وكيت ... » الى آخر قصده ، ثم يقال' وسؤاله: كذا وكذا. فان كان السؤال للسلطان قال: وسؤاله من الصدقات الشريفة..' وان كان لغيره قال : وسؤاله من الصدقات العميمة .. ، أو نحو ذلك ويذكر طلبته، ثم يقول: ان شاء الله تعالى ، ويحمد الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويحسبل بآخرها

وما ينخرط فى هذا السلك — قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس فى القصص انه إذا فرغ الكاتب من كتابتها يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من أسفلها تطيرا بالتربيع وهو خطأ وغلط فاحش فأنهم يراعون في ذلك كراهة التربيع النجومي عند المنجمين من حيث انهم يتشاءمون به فأسسوا بنيانهم فى ذلك على شفا جرف هار ولا يخفى ان الشكل التربيعى من أحسن الاشكال الهندسية وقد جاء فى وصف حوض النبى صلى الله عليه وسلم فى القيامة ان زواياه على التربيع ، والكعبة البيت الحرام مبنية على التربيع فلولا ان التربيع أفضل الاشكال لما جعل الحوض والبيت على شكله

(الفصل الثاني)

(في تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والرقاع والقوائم والمربعات الجيشية)

اما القصص فمنها ما يرفع الى السلطان فيكتب على ظاهر القصة : يكتب ثم تحمل الى كاتب السر ليعينها ؛ ومنها ما يرفع الى صاحب ديوان الانشاء ابتداء فيوقع عليها بما يراه و يعينها على بعض كتاب الانشاء فيكتبها وتشملها العلامة السلطانية وربما احتاج فى بعضها الى مراجعة السلطان قبل الكتابة عليها ؛ ومنها ما يرفع بدار العدل حيث يجلس السلطان للنظر فى المظالم وفصل الخصومات فيقرؤها كاتب السر وكتاب الدست ويوقع منهم عليها ما تبرز به الاوامر السلطانية ثم تحمل في فوطة كاتب السر ليعينها ، ومنها ما يرفع للنائب الكافل ان كان (ثم نائب) فيكتب على هامش القصة بقلم مختصر الطومار آخذا من اسفلها الى اعلاها مامثاله : يكتب بعد ان يزيد فيها موقعه ما ينبغى زيادته أو ينقص ما ينبغى نقصه اويقيد ما يجب تقييده ، ثم تحمل الى كاتب السر فيعينها ؛ ومنها ما يرفع للداودار فيعلق موقعه على الرسالة تارة بمراجعة وتارة استقلالا بحسب ما يقتضيه الحال فيكتب على هامش القصة بقلم دقيق آخذا من طرف الهامش الى جهة كتابة القصة مميلا ذلك الى الاعلي بعض الامالة مامثاله : رسم برسالة الجناب العالى الاميري الكبيري الفلانى — بلقبه الخاص — الدوادار الفلانى — بلقب السلطان — ضاعف الله تعالى نعمته ان يكتب مثال الشريف بكيت وكيت ، أو توقيع شريف بكيت وكيت ، وما أشبه ذلك . ثم تحمل الى كاتب السر فيعينها

وأما الرقاع فهى أوراق لطاف يكتبها كاتب السر فيعينها بولايات نواب السلطنة

وقضاة القضاة وغيرهم و بالتواقيع التي تكتب بالمسامحات والاطلاقات ومكاتبات البريد و بعض أوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك مما يختص بالأبواب السلطانية فيكتب في الرقعة بما يكتب من ذلك و يعينها كما في القصص

وأما القوائم فهى أوراق ديوانية تكتب من الدواوين السلطانية بالمطلوب ويكتب عليها صاحب ذلك الديوان ثم ترفع الى كاتب السر فيعينها. واعلم ان القوائم تكتب من ثلاثة دواوين . الاول ديوان الوزارة فيكتب ما مثاله : رسم بالأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ان يكتب مثال شريف الى فلان الفلانى بكذا وكذا . وصورة وضعها ان يكون السطر الأول فى رأس الورقة من الوجه الأول منها وآخره : شرفه الله تعالى وعظمه ، ويخلى بينه و بين السطر الثانى قدر اصبعين معترضين بياضاً ليكتب فيه الوزير ما مثاله : يكتب . و باقي السطور مسترسلة الى آخرها . فيوجه القائمة من ديوان الوزارة الى كاتب السر ليعينها . واعلم انه ربما كتب من ديوان الوزارة بأمور أخرى كتواقيع الاطلاقات ونحوها فيكتب الوزير أولا على هامش القصة ما مثاله: يكتب بذلك ، أو يوقع بذلك . ثم تحمل الى كاتب السر ويكتب عليها بالتعيين * الثانى ديوان الخاص ، وهو في كتابة القوائم على ما مر في ديوان الوزارة من غير فرق وليس يصدر من ديوان الخاص تواقيع كما في ديوان الوزارة وانما يكتب فيه مربعات ليشملها الخط الشريف لا تعلق لها بكاتب السر الا فى أخذ العلامة * الثالث ديوان الاستدارية وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاص من غير فرق . واما المربعات الجيشية فانها تكتب من ديوان الجيش بالأقطاعات وصورتها ان يكتب في نصف القطع البلدى مع ظهر بياض بعد البسملة ما مثاله : « المرسوم بالأمر الكريم العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى ـ بلقب السلطنة ـ الفلانى ـ بلقب السلطان الخاص ـ أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه ان يقطع باسم فلان الفلاني أحد الأمراء المقدمين ـ أو الطبلخانات أو العشرات أو الخمسات أو أحد المماليك السلطانية أو أحد مقدمي الحلقة أو أجناد الحلقة ـ بالمكان الفلانى المرسوم استقراره في أمراء العشرات ـ أو الطبلخانات أو المقدمين أو مقدمي الحلقة أو أجناد الحلقة ـ ما رسم له به الآن من الأقطاع ـ فان كان أميرا قيل بعد ذلك : ـ لخاصته ولمن يستخدمه من الاجناد الجياد النافعين للخدمة

الشريفة والبرك (كذا) التام والمدة الكاملة بمقتضى المثال الشريف أو الخط الشريف أو الخط العالى الكافلى ان كان أصله بخط النائب الكافل أو بمقتضى الاشهاد المشمول بالخط الشريف أو الخط الكافلى على ما تقدم . ثم تحمل تلك الرقعة الى كاتب السر فيمينها

اذا علم ذلك فما يرجع الى كاتب السر من القصص والرقاع والقوائم ونحوها يختلف الحال فيه باعتبارين: أحدهما ما يختلف باختلاف حال المكتوب فان كان المكتوب الذى رفع اليه قصة بظاهرها خط السلطان فلا كتابة له عليها غير التعيين ومحله تحت خط السلطان بظاهر القصة . وان كان قصة رفعت الى كاتب السر ابتداء كتب على حاشيتها في أعاليها آخذا من الأعلى الى الأسفل ما مثاله : يكتب بذلك، أو يكتب بكذا وكذا مما يختار امضاءه ؛ ثم يكتب التعيين بحاشيتها أسفل من ذلك في عرض الحاشية مميلا للكتابة الى جهة الأعلى قليلا. وان كان قصة عليها خط النائب الكافل كتب عليها بالتعيين ليس إلا ومحله بحاشية القصة أسفل خط النائب بقليل. وان كان قصة كتب عليها بمرسوم الأتابك أو علق بحاشيتها رسالة الدوادار كتب بأعالى القصة فوق خط كاتب الدست الذي كتب مرسوم الأتابك أو معلق رسالة الدوادار : يكتب بذلك. وعلى القرب منه من جهته السفلى التعيين. وانما يكتب هنا بأعلى القصة ومع خط النائب بأسفلها لأن هناك خط النائب نفسه فوجب النزول عنه وهنا خط الموقع المملق عن الأتابك أو الدوادار . وان كان قائمة من ديوان الوزارة أو غيره كتب بهامش القائمة من أعلاها مقابل خط الوزير ومن في معناه ممن يكتب على القائمة ما مثاله : يكتب بذلك . وان كان مربعة أقطاع من ديوان الجيش فلا كتابة له عليها الا بالتعيين فقط ومحله مقابل تاريخ المربعة من الجهة اليمنى ❊ الثانى ما يختلف باختلاف حال المعين عليه . فأن كان كاتبا من كتاب الدست كتب له : المولى القاضى فلان فلان الدين أعزه الله تعالى . وربما وقع التمييز لبعض أهل العلم فيكتب له : الشيخ فلان الدين أعزه الله تعالى ، أو المولى الشيخ فلان الدين أعزه الله تعالى . وان كان من كتاب الدرج فأن كان كبيرا كتب له : المولى الشيخ فلان الدين ، وان كان صغيرا كتب له: المولى فلان الدين . وكاتب السر فى ذلك على ما يراه من رفع وخفض

الباب الرابع

في بيان المستندات التي يترتب عليها مايكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك وفيه فصلان

الفصل الاول

فى أصل ذلك الذى يستند إليه ــ واعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يلقى القول الى الكاتب من كتابه فيكتبه و يستشهد فيه بخطه فيكتب : وكتب فلان. والكثير من كتبه صلى الله عليه وسلم موجود فيه الاستشهاد بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم على ما تعرفه من تتبعه

قلت : وهذه الرقعة التى كتب بها النبى صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى رضى الله عنه باقطاع قرى من قرى الشام موجودة بأيدي التميميين الى الآن مكتوب فيها : وكتب على بن أبى طالب . وسيأتي ذكر نسختها في الكلام على الأقطاعات في موضعها ان شاء الله تعالى. ثم لما انتهى الأمر الى خلفاء بنى العباس بالعراق وأضافوا أمر ديوان الانشاء الى الوزير على ما تقدم ذكره وكثرت الكتاب على الديوان وضنوا على آحاد الكتاب ان يكتب اسمه فى كتاب الخليفة جعلوا الاستشهاد فيه بخط الوزير وان كان خط بعض كتابه فكانوا يكتبون في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان، باسم الوزير واسم أبيه كما قال أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب وعليه كان الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يستشهد فيها بخط الوزير فيما رأيته فى كثير منها. وقد ذكر أبو الفضل الصورى فى تذكرته انهم كانوا بالعراق يستشهدون بخط متولى ديوان الرسائل سواء كان وزيرا أو غيره

الفصل الثاني

فيما الحال مستقر عليه الآن ــ اعلم انه لم تجر العادة في أن يخلد صاحب الديوان بما يتلقى عن السلطان شاهداً من خطه يكون عنده فان صاحب الديوان هو يد السلطان ولسانه ومنفذ أمور دولته والمتصرف في أحوال مملكته بل هو الذى يستشهد الكتاب بخطه

ويحتجون به فكأنه السلطان حقيقة وانما تخلد الشواهد عند الكاتب فأن كان الشاهد قصة عليها خط السلطان أو خط كاتب السر أو خط النائب الكافل أو رقعة بخط كاتب السر خلدها الكاتب عنده بعد التعيين ليحتج بها ان وقع الأنكار عليه فى شيء منها. اما القوائم التى ترد من ديوان الوزارة وديوان الخاص وعن الاستدار فقدجرت العادة انها بعد التعيين والكتابة تخلد بأضبارات ديوان الانشاء ليقع الاحتجاج بها لديوان الانشاء على هذه الدواوين ان وقع إنكار شيء منها

الباب الخامس

فى مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض فى أول الدرج وحاشيته و بعد مابين السطور فى الكتب وفيه فصلان :

الفصل الاول

فى مقادير قطع الورق– اعلم ان الامم السالفة كانوامختلفين فيما يكتبون فيه فكان اهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ وعنهم أخذ الناس صنعة الورق، وأهل الهند كانوايكتبون في خرق الحرير الابيض ،والفرس يكتبون فى الجلود المدبوغةمن جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش وكذلك كانوا يكتبون فى اللخاف، بالخاء المعجمة. وهي حجارة بيض رقاق، وفي عسيب النخل وهي الجريد الذى لاخوص عليه واحدها عسيب ، وفي عظم اكتاف الابل والغنم . وعلى هذا الاسلوب كانت العرب لقربهم منهم واستمر ذلك الى ان بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعرب على ذلك فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل فى اللخاف والعسيب وربما كتب النبي بعض مكاتباته في الادم وأجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه او لأنه الموجود عندهم حينئذ وبقى الناس على ذلك الى ان ولى معاوية بن ابى سفيان الخلافة فاستعمل الورق بديوان الانشاء امتيازا لديوان الخلافة على غيره كما اشار اليه محمد بن عمر المدائنى فجرى على ذلك الى ان ولى الرشيد وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فامر ان لا يكتب الناس الا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والأعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فأنه متى محى منه فسد، وان كشط ظهر كشطه ثم انتشرت

الكتابة فى الورق الى سائر الاقطار وتعاطاه من قرب ومن بعد فاستمر الناس على ذلك الى الآن على تفاصيل أنواع الورق وجودة بعضها ورداءة بعض

واعلم ان الورق اسم جنس واحده ورقة ويجمع على اوراق، وتجمع الورقة على ورقات؛ وبه سمي الرجل الذى يكتب وراقا. وقد نطق القرآن بتسميته قرطاسا قال تعالى «ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم» قال ابن السمناق في تفسيره: القرطاس كاغد يتخذ من بردى مصر، ثم قال، والجمهور على كسر قافه؛ وضمها أبو زيد وعكرمة وطلحة ويحيى بن يعمر. والذى حكاه الجوهرى عن أبي زيد يخالف ما ذكره فانه قال فيه: قرطس، بفتح القاف من غير الف. ويقال فيه أيضاً صحيفة وقد نطق القرآن الكريم بجمعها قال تعالى «ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى» ويجمع أيضاً على صحائف. وسمي المصحف مصحفا لجمعه الصحف، وسمى التصحيف تصحيفاً للخطأ في الصحيفة. ويسمى أيضاً الكاغد، بغين معجمة ودال مهملة، ويقال فيه أيضاً طرس، بكسر الطاء، ويجمع على طروس، ومهرق، بضم الميم وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة، ويجمع على مهارق. قال الجوهرى وهو فارسي

واعلم انه حين كانت الخلافة ببغداد كان الاعتماد في قطع الورق وتقسيمه على الورق البغدادى ويعبر عن الفرخة منه بالطومار. وقد ذكر محمد بن عمر المدائنى انه يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثلثي طومار، والى الامراء من نصف طومار، والى العمال والكتاب من ثلث، والى التجار واشباههم من ربع، والى الحساب والمساح من سدس. فجعل تقسيم الورق بديوان الانشاء الى خمسة مقادير وهى ثلثان، ونصف، وثلث، وربع، وسدس. اما الآن فالمستعمل بديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ومضافاتها على ضربين

الضرب الاول — مايستعمل بديوان الانشاء بالابواب السلطانية وهي تسع مقادير من المصرى وغيره اجلها الخمسة المستعملة فى القديم: الاول قطع البغدادى الكامل وعرض درجه عرض البغداوي بكماله وهو ذراع وحد بذراع القماش المصرى وفيه كان يكتب فى الاول عهود الخلفاء وبيعاتهم، وفيه كان يكتب ايضاً عهود ملوك الديار المصرية الى آخر دولة الظاهر برقوق، وفيه كانت تكتب المكاتبات الى قانات

الشرق كأبي سعيد وغيره . ولما استقر السلطان الملك المؤيد شيخ سلطان المصر في السلطنة اقترح له ورق مصرى شبه البغدادي فى عرض ذراع ونصف كتب له فيه عهد وهو مقدار لم يسبق اليه ملك قبله * الثانى قطع البغدادى الناقص ، وعرض درجه دون عرض الكامل بأربعة أصابع مطوقة ' وقد ذكر في التثقيف انه كتب فيه الى القان صاحب السراي ، وفيه كتب عهد الناصر فرج بن برقوق فى سلطنته الاولى لتعذر وجود البغدادى الكامل * الثالث قطع الثلثين من الورق المصرى ، والمراد ثلثا طومار من كامل القطع المنصورى ، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصرى أيضا وفيه تكتب مناشير اقطاعات الامراء المقدمين وتقاليد النواب الكبار والوزراء وأكابر قضاة الديار المصرية ومن فى معناهم ، ولم تجر العادة بمكاتبة لاحد من الملوك عن الابواب السلطانية فيه * الرابع قطع النصف ، والمراد قطع النصف من المنصورى أيضاً . وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير اقطاعات الطبلخاناه ومراسيم الطبقة الثانية من النواب ' وفيه يكاتب بعض الملوك عن الابواب السلطانية * الخامس ، قطع الثلث ، والمراد ثلث القطع المنصورى المقدم ذكره ، وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور . وفيه تكتب مناشير امراء العشرات ومراسيم صغار النواب ومن فى معناهم ، وفيه يكتب الى بعض الملوك عن الابواب السلطانية * السادس قطع الربع — والمراد ربع قطع المنصورى . وعرض درجه ربع ذراع بالذراع المذكور ' وفيه تكتب مناشير المماليك السلطانية ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركمان بالممالك الشامية و بعض التواقيع لمن لم يؤهل لقطع الثلث * السابع قطع العادة ، وهو النهاية فى صغر المقدار وعرض درجه سدس ذراع بالذراع المذكور ؛ وفيه تكتب عامة المكاتبات لاهل المملكة وحكامها والتواقيع الصغار والمراسيم الصغار والمكاتبات الى بعض حكام الممالك وما يجرى هذا المجرى . وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة والامراء والوزراء وغيرهم من المكاتبات الاخوانية وما في معناها * الثامن قطع الشامي الكامل ، وعرض درجه عرض الطومار الشامى فى طوله ' وهو قليل الاستعمال بالديوان جدا الا انه ربما كتبت فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاشرف شعبان بن حسين لوالدته عند سفرها الى الحجاز الشريف * التاسع القطع

الصغير من ورق الطير ، وهو فى عرض ثلاثة اصابع مطبوقة؛ وفيه تكتب بطائق الحمام
وبعض مطلقات الكتب

الضرب الثانى ـ مايستعمل من الورق بديوان الانشاء بالممالك الشامية من دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك فى المكاتبات والولايات الصادرة عن نوابها. وكلها من الورق الشامى وهى لاتخرج عن اربعة مقادير :الاول ، قطع الشامى الكامل ؛وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي في طوله على ما تقدم وفيه يكتب عن النواب لأعلى الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم (ليس الا) * الثانى قطع نصف الحموي ، وعرض درجه عرض نصف الطومار الحموى فى طوله وفيه يكتب للطبقة الثانيـة من أرباب التواقيع الصادرة عن النواب * الثالث ، قطع العادة من الشامي ، وعرض درجه سدس ذراع بذراع القماش المصرى فى طول الطومار أو دونه. وفيه يكتب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعامة المكاتبات الصادرة عن النواب الى السلطان فمن دونه من أهل المملكة وغيرهم إلا نائب الشام ونائب الكرك فقد جرت عادتهما بصدور المكاتبات عنهما فى الورق الأحمر دون غيرهما من النواب * الرابع ، قطع ورق الطير ، المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة فى الأبواب السلطانية . وفيه تكتب بطائق الحمام والمطلقات على ما تقدم، وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة بالممالك الشامية من الأمراء والوزراء والحكام ومن فى معناهم المكاتبات الاخوانيات وما فى معناها

﴿ الفصل الثانى ﴾

في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمـــة الذكر من الاقــلام ومقادير البياض الواقع فى اعلى الدرج وحاشيته وبعد ماين السطور في الكتابة

اما ما يناسب كل مقدار من قطع الورق من الاقلام فقد ذكر المقر الشهابى في التعريف فى آخر القسم الثانى أن لقطع البغدادى قلم مختصر الطومار ، ولقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة قلم الرقاع : ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الانشاء فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات لانه فى معنى ثلث البلدى ، ويناسب نصف الحموي والعادة من الشامي قلم الرقاع لانهما في معنى العادة ويناسب ورق الطير

الذي تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الغبار ولذلك يسميه بعض الكتاب قلم الجناح لكتابة بطائق الحمام به . اما القلم الذى تقع به العلامة الشريفة فأنه قلم الطومار وهو اجل الاقلام، وبه كانت تكتب الخلفاء فى الزمن المتقدم، وانما حدثت كتابة ملوك الديار المصرية به بعد زوال الخلافة من بغداد . قد رأيت خطوط جماعة من ملوك الدولة الايوبية وأوائل الدولة التركية بقلم الثلث الثقيل

وأما مقدار البياض قبل البسملة فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق، فكلما عظم قطع الورق كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادى وما في معناه يترك فيه ستة أوصال بياضا وتكتب البسملة فى السابع، وقطع الثلثين يترك فيه خمسة أوصال وتكتب البسملة فى السادس، وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال، وقطع الثلث يترك فيه ثلاثة أوصال .وقطع العادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال وتارة يترك فيه وصلان فقط بحسب ما يقتضيه الحال . وقطع الشامى الكامل فى معنى الثلث، وقطع نصف الحموى والعادة من الشامى فى معنى العادة من البلدى . وربما اجتهد الكاتب فى زيادة وصل أو نقصه فى بعض المواضع إذا اقتضاه الحال . وفى المكاتبات الصادرة عن سائر أرباب الدولة بمصر والشام يترك فى جميعها قبل البسملة وصل واحد، وفى كتابة الأدنى للأعلى قد يترك دون الوصل

وأما حاشية الكتاب فبحسب اجتهاد الكاتب فيها فى السعة والضيق . قلت وقد رأيت بعض أعيان الكتاب المعتبرين يقدر حاشية الكتاب بالربع من عرض الدرج، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون

وأما بعد ما بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق . ففي السلطانيات كلها علي اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسملة فى أول الوصل بعد ما يترك من أوصال البياض فى أعلى الدرج بحسب ما يقتضيه الحال، ثم يكتب تحت البسملة سطر ملاصق لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم في القرب والبعد بحسب الدقة والغلظ، ثم يكتب السطر الثانى فى آخر الوصل الذى كتبت فيه البسملة بحيث يبقى منه ثلاثة أصابع أو نحوها فى القطع الكبير وقدر أصبعين فما دونهما فى القطع الصغير . وقد قدر صاحب مواد البيان البياض الباقي بين السطر الاول والثانى بقدر شبر، ثم

ما بين كل سطرين بعد ذلك بقدر نصف ما بين السطرين الاولين . ووافقه صاحب ذخيرة الكتاب على مقدار ما بين السطرين الاولين وخالف فيما بعدهما فجعل ما بين كل سطرين كما بين الاول والثاني ولعل هذا ما كان عليه الحال فى العراق والاول ما كان عليه الحال بالديار المصرية . وذكر ابن شيث من أواخر كتاب الدولة الايوبية ان ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . قلت: والذى جرت عليه عادة الكتاب في زماننا ان يكون فى كل وصل من أوصال قطع العادة وما في معناه ثلاثة اسطر وفيما عداه من القطع العريض سطران وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتي يكون في التواقيع التي على ظهور القصص ونحوها بين كل سطرين بعد بيت العلامة قدر أصبعين وربما تواصلت الاسطر فى المطلقات ونحوها اما ما يكتب عن نواب السلطنة من الولايات والمكاتبات من سائر اعيان الدولة فدون السلطانيات فى مقدار خلو موضع العلامة فيكون موضعها بقدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها و بعد ما بين السطور بعد ذلك بقدر أصبعين الى ما دونهما

المقالة الرابعة

﴿ في المكاتبات السلطانية وفيها أربعة أبواب : ﴾

الباب الاول

فى أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها، وأصول يعتمدها الكاتب فى كتبه فى الابتداء والجواب وفيه خمسة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في أصول يتعين على الكاتب مراعاتها فى كتبه وهي عشرة أصول :

﴿ الاصل الاول ﴾ حسن الافتتاح المطلوب فى جميع أنواع الكلام من نثر ونظم بأن يأتي فى مطلع الكلام بسهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى و يتجنب الحشو ونحو ذلك مما تتشوق اليه النفس وتهش لسماعه اما بالافتتاح بالحمد لله كما فى بعض المكاتبات الصادرة بفتح ونحوه فان النفوس تتشوق الى الثناء على الله تعالى لا

سيما عند حدوث المنن الجسام، او بالافتتاح بالسلام الذى جعله الشارع مفتتح الخطاب، واما بالافتتاح بما فيه تعظيم الملوك من نحو تقبيل الارض أو اليد ونحوها ، او الدعاء له ومافي معنى ذلك فأن أمر المكاتبات مبنى على استجلاب الخواطر وتألف القلوب الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الاصل الثانى ﴾ — ان يراعي الاتيان فى أول الكتاب ببراعة الاستهلال المطلوبة في كل فن من فنون الكلام بأن يأتى فى صدر الكتاب بما يدل على عجزه: فان كان فى فتح اتى في أوله بما يدل على الفتح، او فى التهنئة أتى فى أوله بما يدل عليها ، او فى التعزية فكذلك ،وعلى ذلك في سائر المعانى ليعلم من مبدأ الكلام ما المراد منه كما يحكي ان عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه ان يكتب الى الخليفة يعرفه فيه ان بقرة ولدت عجلا وجهه وجه انسان فكتب : اما بعد حمد الله خالق الانام ،فى بطون الانعام . وأئمة الكتاب وفضلاؤهم لهم بهذا الباب الغاية الكاملة ويرون ان فى تركه اخلالا بالصنعة ونقصاً فى الكتابة حتى ان الوزير ضياء الدين بن الاثير عاب أبا اسحاق الصابى على علو مكانته فى الكتابة بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك افتتحه بخطبة أولها: الحمد لله رب العالمين ،الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلى المجيد ،الذى لا يوصف الا بسلب الصفات ، ولا ينعت الا برفع النعوت .. فى كلام آخر مما يجري هذا المجرى. وقال ان هذه التحميدة انما تصلح ان توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين فأما ان توضع فى كتاب فتح فلا . واعلم ان براعة الاستهلال فى المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد كما فى كتاب عمرو بن مسعدة المقدم ذكره وكما كتب الصابى عن الطائع الى بعض ولاة الاطراف عند زوال الوحشة بينه و بين الامراء : أما بعد فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته ، وواصل الحبل بعد بتاته .. وقد تقع مع الابتداء بالدعاء بأن يكون الدعاء مناسبا للحالة المكتوب فيها كما كتب بعضهم فى البشرى بفتح : ولا زالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر ، ونفائس الظفر تجلى على سره فى أسعد طائر ، وفواتح الفتح تزهي به الاسرة وتزهو بنوره المنابر .. وقد تقع فى الابتداء بتقبيل الارض كما كتب لبعض رؤساء الاسكندرية مشيرا الى تسميتهم ريح الشمال بالملثم ويلوح بذكر منتزههم على البحر يسمى بالرمل ومساكن لهم فى ذلك

المستنزه تسمي القصور ما صورته : يقبل الارض ثغر قد رق ملثمه ، وراق مبسمه :
شكرا يعترف الرمل بالقصور عن حده ، وتقف أمواج البحر المحيط دون عده ..

﴿ الاصل الثالث ﴾ — ان يعتمد فى الكتاب المشتمل علي المقاصد الجليلة مقدمة يصدر بها تأسيسا لما يأتي به فى كتابه مثل ان يأتى في صدر كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الامة وما وعدالله تعالى به من نصر اوليائه وخذلان أعدائه واعزاز الموحدين وقمع الملحدين ، وفى صدر كتب الفتح بانجاز وعدالله الذى وعده أهل الطاعة من النصر والظفر واظهار دينه على الدين كله ، وفي صدر كتب جباية الخراج بحاجة قيام الملك وأس السلطنة الى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان فى عمارة الثغور وتحصين الاعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى فقد قيل انه لايحسن بالكاتب ان يخلى كلامه وان كان وجيزا من مقدمة يفتتحه بها وان وقعت في حرفين أو ثلاثة ليوفى التأليف حقه . قال فى مواد البيان :وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب فى جميع الكتب كالفتوح والتهانى والتعازى والتهادي والاستخبار والاستبطاء والاحماد والاذمام وغيرها ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه وحجة يستظهر بها السلطان لان كل كلام لا بد له من فرش يفرش قبله ليكون منه بمنزلة الاساس من البنيان ، قال ، ويرجع فى هذه المقدمات الى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التى يشاكلها ، ثم قال ، والطريق الى اصابة المرمي في هذه المقدمات ان تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والاعراض ، وان يوضع للامر الخاص مقدمة خاصة ، وللامر العام مقدمة عامة ، ولا يطول فى موضع الاقتصار ولا يقصر في موضع التطويل ، ولا يجعل اغراضها بعيدة المأخذ معتاصة على المتصفح ، فان الكاتب ربما قصد اظهار القدرة على الكلام والتصرف فى وجوه المنطق فخرج الى الاملال والاضجار الذى تتبرم منه النفوس ولا سيا نفوس الملوك وذوي الاخطار الجليلة . اما الامور التي لا تشتمل علي المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا ونحوهما فقد ذكر فى مواد البيان ان لا يجعل لها مقدمة تكون أمامها فان ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . ألا ترى أنهم استحسنوا قول بعضهم في صدر رقعة مقترنة بتحفة في يوم مهرجان : هذا يوم جرت فيه العادة بان تهدى فيه العبيد الى السادة ... واستظرفوا

الكاتب لأ يجازه وتقريبه المأخذ

﴿ الاصل الرابع ﴾ — ان يعرف الفرق بين الالفاظ المستعملة في المكاتبات فيضع كل لفظ منها في موضعه فقد قال في ذخيرة الكتاب : يجب على الكاتب ان يعرف مرتبة الالفاظ ومواقعها ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقف به على الواجب و ينتهي به الى الصواب فيخاطب كلا فى مكاتبته بما يستحقه من الخطاب فانه قبيح به ان يكون خطابه أولا خطاب المرؤس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس، أو يبدأ بخطاب المرءوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس ، قال ، ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة بين الالفاظ والمناقضة نقصت المعانى ورذلت الالفاظ وسقطت المقاصد. وكان الكاتب قد اخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية محكمها ، بل يجب اذا بدأ بخطاب رئيس او نظير أو مرؤس ان يكون ما يتخلل مكاتبته من الالفاظ على اتساق الى آخرها واطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة . فمما يجب اعتباره من ذلك : الفرق بين اصدرنا هذه المكاتبة ، وبين أصدرت هذه المكاتبة ، على البناء للمفعول، وبين صدرت . فأصدرنا أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذى صدرت المكاتبة عنه اذ الشئ يشرف بشرف متعلقه، ويلى ذلك في الرتبة « أصدرت » لاقتضائها اصدار مصدر في الجملة وذلك المصدر هو الرئيس الذى صدرت عنه فى الحقيقة ، ودون ذلك « صدرت » لاقتضاء الحال صدورها بنفسها من غير دلالة على المصدر أصلا ومن ذلك الفرق بين : يبدى لعلمه ، ويوضح لعلمه ، فيبدى أعلي بالنسبة للمكتوب اليه لان الابداء يرجع فى المعنى الى إظهار على خفي والرئيس لا يظهر على خفي الأخصاء . ويوضح يرجع الى بيان مشكل ، وحصول الاشكال المحتاج الى ايضاح ربما دل على بعد فهم المخاطب عن المقصود بخلاف اظهار الخفى فأنه لا ينتهى الى هذا الحد . ومن ذلك الفرق بين : علمه الشريف ، وعلمه الكريم ، وعلمه المبارك . فعلمه الشريف اعلى بالنسبة للمكتوب اليه لأنه منقول عن الشرف والكرم فى الانسان، وقد تقدم ان الشرف أعلى من الكرم لان الشرف يفتقر الى اتصال ذلك فى الآباء بخلاف الكرم ، واذا كان الشرف في الانسان أرفع كان في غيره كذلك ؛ والكريم اعلى من المبارك لان الكرم في أصل اللغة هو الخلوص من اللؤم ، . والبركة النماء والزيادة ، وهي قد تكون مع الكرم وقد يتخلف

الكرم عنها . ومن ذلك الفرق بين : ومرسومنا لفلان بكذا وبين المرسوم له بكذا . فمرسومنا أعلى بالنسبة الى المكتوب عنه لاشتماله على نون التعظيم، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم بخلاف «والمرسوم له بكذا» فأنه عار عن التعظيم . ومن ذلك الفرق بين بلغنا ، وبين انتهى الى علمنا ، وبين اتصل بنا ، فاتصل بنا أعلى من انتهى الى علمنا بالنسبة الى المكتوب اليه لما فى معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانتهاء ؛ وانتهى الى علمنا أعلى من بلغنا ' لان البلوغ قد يكون على لسان الآحاد . ومن ذلك الفرق بين عرفنا ، وبين ذكر لنا ، وبين أنهى الينا . فعرفنا أعلى بالنسبة الى المكتوب بسببه فأن التعريف يقتضى الاعلام بعالم يكن عنده علمه وفيه نوع توفر بخلاف «ذكر» فأنه لا يقتضى ذلك ؛ وذكر أعلى من أنهى، لأن الانهاء يحتمل الخطاب ويحتمل رفع قصة . ومن ذلك الفرق في الطلب بين : والمسئول ، وبين: والمستمد ، وبين : والقصد ؛ فالمسئول أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه فان السؤال يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد؛ والاستمداد أعلى من القصد، لان الاستمداد فيه معنى ان المادة ناشئة عن المكتوب اليه بخلاف القصد . ومن ذلك الفرق بين : وردت علينا مكاتبته وبين :وردت مكاتبته، فوردت علينا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة الواردة لتخصيصها بالورود على الرئيس بنفسه بخلاف ورودها مطلقا . ومن ذلك الفرق بين : عرضت علينا مكاتبته وبين وقفنا عليها ، فوقفنا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة لان الوقوف عليها يكون بنفسه، والعرض يكون بقراءة غيره . ومن ذلك الفرق بين : وشكر المملوك الله تعالى على سلامته وبين : وتوالى شكره لله تعالى على سلامته ، فتوالى شكره أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المؤذن بالاحتفال . ومن ذلك الفرق بين: ورغب المملوك الى الله تعالى فى كمال عافيتك، وبين فضرعت الى الله تعالى : فضرعت أعلى من رغبت بالنسبة الى المكتوب اليه لما فى معنى الضراعة من مزيد التأكيد فى الطلب بخلاف الرغبة فأنها لا تنتهى لذلك . ومن ذلك الفرق بين : فامتثلت أمره بالطاعة و بين : وقابلت أمره بالطاعة ، فامتثلت أعلى بالنسبة الى الآمر لما في الامتثال من معنى الاذعان والانقياد بخلاف المقابلة . ومن ذلك الفرق بين: وسألت فيه وبين: وشفعت له . فسألت فيه أعلى فى حق المسئول لما في السؤال من معنى الذلة وما فى الشفاعة من معنى الشرف

والرفعة . ومن ذلك الفرق بين : وخاطبت فلانا فى أمره وبين : وتحدثت فى أمره ، (فتحدثت أشد فى تواضع المتكلم من خاطبت) لان الخطاب يقتضى مشافهة المخاطب بخلاف التحدث فانه قد يكون بنفسه وقد يكون بواسطة . ومن ذلك الفرق بين : تشريفى بكذا، و بين : اسعافي بكذا، و بين: اتحافى بكذا . فاسعافى أعلى من تشريفي بالنسبة الى المسئول لما فيه من دعوى الاحتياج الى المطلوب ، وتشريفي أعلي من اتحافى لان الاتحاف ليس فيه معنى التشريف المؤذن برفعة قدر المسئول . ومن ذلك الفرق بين : نزل عنده ، وبين : نزل بساحته ، فالنزول بالساحة أعلى فى حق المنزول به لما فى ذكر الساحة من معني الفسحة واتساع الفناء . ومن ذلك الفرق بين : فيحيط علمه بذلك وبين : فليعلم، فيحيط علمه أعلى لما فى الاحاطة من الاشعار بسعة العلم .. الى غير ذلك من الالفاظ التى لا يسع استيعابها

﴿ الاصل الخامس ﴾ ان يعرف مواقع الدعاء فى المكاتبات فيضع كل دعاء فى موضعه . والمرجع فى ذلك الى سبعة أمور

الاول — ان يعرف مراتب الدعاء فى العلو والهبوط فيورد كلا منها فى محله ويوفى كل واحد من الدعاء حقه ولا يجاوز به فيه قدره فقد قال فى مواد البيان : ان الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة . فمن ذلك الدعاء بطول البقاء والدعاء بطول العمر، فالدعاء بطول البقاء ارفع لان البقاء لا يدل على مدة تنقضى ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال فى موادالبيان: ومن هنا جعل الدعاء باطالة البقاء اول مراتب الدعاء، وخص بالخلفاء ؛ وجعل ما يليه لمن دونهم . ومن ذلك الدعاء بطول العمر والدعاء بالمد فيه، فالدعاء بطول العمر أبلغ من الدعاء بالمد فيه لان الوصف بطول الزمان ابلغ من الوصف بالمد فيه من حيث ان المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب الى مرتبة البقاء من مرتبة المد . ومن ذلك الدعاء بعز الانصار، والدعاء بعز النصر، والدعاء بعز النصرة فالدعاء بعز الانصار اعلى الجميع بالنسبة للمدعو له لانه ان جعل الانصار جمع ناصر فعز الناصر عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشأن اذ الانصار لا تكون الا لملك عظيم او كبير جليل، وان جعل جمع نصر فالدعاء للجميع اولى من الدعاء للمفرد ؛ والدعاء بعز النصر اعلى من

الدعاء بعز النصرة لما فى النصر من معني التذكير الذى هو ارفع من التأنيث . ومن ذلك الدعاء بدوام النعمة والدعاء بمضاعفة النعمة، فالدعاء بالمضاعفة اعلى للمدعو له لان دوام النعمة غايته استصحابها، ومضاعفتها مقتضية للزيادة . ومن ذلك الدعاء بعز الاحكام والدعاء بتأييد الاحكام، فالدعاء بعز الاحكام اعلى لان المراد بالتأييد التقوية، وقد توجد القوة ولا عز معها . واعلم انه قد ذكر فى معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية كان أن لا يكتب عن السلطان لاحد ممن فى ممالكه بلازال ولا برح بل يختص ذلك بسلطان مثله، ثم قال ولا حرج فى الكتابة بذلك عن السلطان الى ولده اذا كان نائبا عنه فى الملك، قال، ولذلك لا يدعو الاعلى للادنى بـ« لا زال ولا برح » قلت :والذى استمر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لاكابر نواب السلطنة ومكاتبة أكابر الدولة بعضهم الى بعض

الثانى — ان يعرف ما يناسب كل أحد من أرباب المناصب من الدعاء فيخصه به . ففى المكاتبة الى الملوك يأتى بالدعاء بأطالة البقاء، ودوام السلطان، وخلود الملك، وما أشبه ذلك ؛ وفى المكاتبة الى الامراء بالدعاء بعز الانصار، وعز النصر، وعز النصرة، ومضاعفة النعمة، ودوام النعمة، وما أشبه ذلك مما يقتضيه الحال . على ان ابن شيث قد ذكر فى معالم الكتابة ان الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة الايوبية مما يختص بالسلطان دون غيره ؛ ويأتى فى المكاتبة الى الوزراء من أرباب الاقلام ومن فى معناهم من أكابر الكتاب بالدعاء بسبوغ النعمة وتخليد السعادة ودوام المجد وما يضاهي ذلك، ويأتى في المكاتبة الى القضاة بالدعاء بعز الاحكام وتأييد الاحكام وما يشاكل ذلك ، ويأتى فى المكاتبة الى التجار بالدعاء بمزيد الاقبال وخلود السعادة وشبه ذلك . قال فى مواد البيان: وقد كانوا يختارون في الدعاء للادباء أبقاك الله، وأكرمك الله، وفى الدعاء للابن والحرمة : ابقاك الله ، وامتع بك . اما (غير المسلمين) فقد اصطلحوا على الدعاء لهم فى المكاتبات بطول البقاء وما فى معناه. والاصل فى ذلك ماورد ان النبى صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له: جملك الله. فما رؤى الشيب فى وجهه حتى مات فدل على جواز الدعاء بما لا فيه اعزاز ولا نصرة على المسلمين

الثالث — ان يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتى لها بمناسبها من الدعاء. قال في مواد البيان: ينبغي ان تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب، فان كانت فى الهناء (كانت مما) يعرفه، وان كانت فى العزاء كانت مشتقة من وصفه، وكذلك سائر فنون المكاتبات فانه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب لا سيما اذا أتى بما يضاد المراد كما حكي فى الصناعتين أن بعضهم كتب الى محبوبته : عصمنا الله واياك مما يكره . فكتبت له : ياغليظ الطبع ان استجيب لك لم نلتق ابدا !. ويختلف الحال فى ذلك فتارة يكون باعتبار المعنى المكتوب فيه فيكتب بالبشارة بجلوس الملك على تخت الملك لأول امره : وأمتعه من البشائر بما يتوضح علي جبين الصباح بشره ، وما يترجح علي ميزان الكواكب قدره ، وما ينفسح من اوقات امن لايختلف فيها زيده وعمره . ويكتب في التهنئة بعافية : ولا برح فى برد الصحة رافلا والاقبال لجنابه العالى بالهناء بعافيته واصلا . وتارة يكون باعتبار حال المكتوب اليه فيما هو بصدده ، فيكتب لمن خرج الى الغزو : وحفه بلطفه فلا يخيب، وهيأ له النصر والفتح القريب ، وجعل على يديه هلاك اعدائه حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة نصيب . ويكتب لمن خرج الى الصيد : وأمتعه بصيوده، وجعل الاقدار من جنوده ، وأراه من مصارع اعدائه بسيوفه ورماحه ما يراه من مصارع صيده بيزاته وفهوده . ويكتب لمن خرج لسفر : وقضي بقرب رجعته ، وجعله كالهلال فى مسيره سبب رفعته ، وسكن بقدومه أشواق اوليائه واهل محبته . ويكتب لمن خرج لتخضير بلاد : وألبس البلاد بقدومه أخضر الأثواب، وأحله أشرف محل وأخصب جناب . وتارة يكون باعتبار وظيفة المكتوب اليه ،فيكتب الى كافل المملكة: ولا زالت كفاية كفالته تزيد على الآمال، وتتقرب الى الله بصالح الأعمال ، وتكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال . ويكتب الى القاضى : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة ، واقضيته التى بها قواعد الاسلام ممهدة، وأبنية الشرع المطهر واركانه مشيدة . ويكتب الى متصوف : واعاد من بركات تهجداته ، وانار الليالى بصالح دعواته وتارة يكون باعتبار بلد المكتوب اليه وناحيته ، فيكتب الى نائب الشام: ولا زال المصرحاية أيامه ، وشامة شامه ، وغمامة ما يحلق على بلده المحصن من غمامه .

وتارة يكون باعتبار اسم المكتوب اليه او لقبه : فيكتب الى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه فى رقاب اعدائه مغمدا ، وحده يذر كل ملحد ملحدا . ويكتب الى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائما ، والزمان فى خدمته قائما ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائما . ونحو ذلك

الرابع — ان يعرف من الذي يليق الدعاء على العدو في صدر مكاتبته . قال في معالم الكتابة : كان من عوائد مكاتبة الادني الى الاعلى الدعاء على عدو المكتوب اليه مثل : وقصم عدوه واذل مخالفه . وكذلك المماثل والمقارب . فأما من الاعلى الى الادنى فلم يكن ذلك معروفا عند المتقدمين لاسيما اذا كان الكتاب عن السلطان ، ثم قال ، ولكن قد أفات الجبل في ذلك ، الى ان قال ، ولا يقال للأدنى غير : وكبت عدوه ، او ضده ، او حسوده خاصة

الخامس — ان يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فى المكاتبات فيتجنبه . قال فى مواد البيان : كانت عادتهم جارية ان يتجنبوا من الدعاء ما لا محصول له كقولهم جعلني الله فداك وقدمني الى السوء دونك ، لما في ذلك من التصنع والملق الذى لا يرضاه السلطان لان نفس الداعي لا تسمح باجابته ، قال ، وانما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون ان بقاءهم مقرون ببقاء روسائهم وثبات نعمتهم مقرون بثبات ايام سلطانهم لانه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الانفس دونهم . وذكر انهم كانوا لا يستحسنون الدعاء بالامتاع وهو : أمتع الله بك ، وأمتعني الله بك ، في حق الاخوان . قال فى صناعة الكتاب : ولا يقال فى مكاتبة النساء : وأدام كرامتك ، ولا : أدام سعادتك . وقد حكي محمد بن عمر المدائني ان بعض عمال زبيدة كتب اليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت على ظهر كتابه : أردت ان تدعو لنا فدعوت علينا فأصلح خطأك والا صرفناك عن جميع اعمالك . فأدركه القلق وتصفح الكتاب فلم يظهر له فيه شئ فعرضه على بعض حذاق الكتاب فقال انما كرهت قولك في صدر الكتاب : وأدام كرامتك . لأن كرامة النساء دفنهن فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « دفن البنات من المكرمات » فغير ذلك الحرف وأعاد الكتاب اليها فوقعت على ظهره : أحسنت ، ولا تعد !

السادس — ان يجتنب الخلاف فى الدعاء والموالاة بين دعوتين متفقتين . واما

الخلاف فى الدعاء فقال في صناعة الكتاب هو ان يقول : اطال الله بقاء سيدي، بلفظ الغيبة، ثم يقول بعد ذلك : وبلعك املك، بلفظ الخطاب. واما موالاة دعوتين متفقتين فمثل ان يقول: اعزه الله تعالى ثم يقول فى الفصل الذى بعده : أعزه الله تعالى . وما أشبه ذلك

السابع — ان يجتنب اللبس فى الدعاء فاذا ذكر الرئيس مع عـدوه لم يدع للرئيس حينئذ فأنه لو ذهب يقول : وكان من عدوسيدى أبقاه الله كذا وكذا، لاحتمل عود الدعاء الى الرئيس، والى عدوه بخلاف ما إذا ذكر الرئيس وحده كما اذا قال: وكنت عرفت سيدى ابقاه الله كذا، فأنه لاالباس فيه .

﴿ الاصل السادس ﴾ — ان يراعى فى مقاصد مكاتباته مطابقة مقتضى الحال في اللفظ والمعنى فيأتى مع كل كلة بما يليق بها ويتخير لكل لفظة مايشا كلها . قال ابن عبد ربه : وليكن ماتختم به فصولك فى موضع ذكر البلوى مثل : نسأل الله دفع المحذور وصرف المكروه، واشباه ذلك ؛ وفي موضع المصيبة : انا لله وانا اليه راجعون؛ وفي موضع النعمة : الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا؛ وما شاكل ذلك . قال في مواد البيان: واذا ذكر البلوى شفعها بالاستعانة بالله والرجوع اليه فيها ورد الامر الى حوله وقوته. قال ابن عبد ربه : فان هذه المواضع مما يتعين على الكاتب ان يتفقدها ويتحفظ فيها فانه انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى فى موضعه ويعلق كل لفظ على طبقه فى المعنى . ومما يلحق بذلك أيضا انه اذا ذكر الرئيس في اثناء المكاتبات دعا له مثل ان يقول عند ذكر السلطان: خلد الله ملكه . وعند ذكر الامير الكبير : عز نصره أو أعز الله تعالى أنصاره ، وعند ذكر الحاكم أعز الله تعالى أحكامه او ايد الله تعالى احكامه، بحسب ما يقتضيه الحال وما أشبه ذلك. وعلى الكاتب ان يتخطى التصريح الى التلويح والاشارة اذا الجأته الحال الى المكاتبة بما لا يجوز كشفه واظهاره على صراحته مما في ذكره على نصه هتك ستر أو في حكايته اطراح مهابة السلطان وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه كما لو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوء سماعه قال في مواد البيان فيحتاج المنشئ الى استعمال التورية فى هذا المواضع والتلطف فى العبارة عن هذه المعاني وايرادها في صورة تقتضي توفية حق السلطان في التوقير والاجلال والاعظام والتنزية عن المخاطبة بما لا يجوز امراره على سمعه وايصال المعنى اليه من غير خيانة في طي ما لا غنى به عن علمه ،

قال ، وهذا مما لا يستقل به الا المبرز في الصناعة المتصرف في تأليف الكلام

﴿ الاصل السابع ﴾ ان يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات من العرب والعجم فيخاطب كل واحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل اليه فهمه من الخطاب.
قال في الصناعتين: اول ما ينبغي ان تستعمل في المكاتبة ان تكاتب كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق، قال ، والشاهد لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد ان يكتب الى أهل فارس كتب اليهم ما يمكنهم ترجمته فكتب اليهم « من محمد رسول الله الى كسرى ابرويز عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله. وادعوك بدعاية الله فأني أنا رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فاسلم تسلم وان أبيت فأثم المجوس عليك . » فسهل رسول الله صلى الله عليه وسلم الالفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية. قال في مواد البيان: فيجب على الكاتب ان ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين وتوجبه الاحوال المتغايرة والأوقات المختلفة ليكون كلامه مشاكلا لكل منها فأن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين ، قال ، وامخر الصدر الأول من الكتاب بإيقاع المناسبة بين كتابتهم وبين الاشياء المتقدمة الذكر استعمل كتاب الدولة الأيوبية من الألفاظ الغريبة الفحلة والمتينة الجزلة مالم تستعمل مثله الدولة العباسية لأن كتاب الدولة الأيوبية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت في جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب، والرجال الذين كانت الكتب تصدر اليهم وهم أهل الفصاحة والالسن والخطابة والشعر . اما زمان بني العباس فأن الهمم تقاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه فيما تقدم من العلوم المقدم ذكرها، وشغلت بغيرها من علوم الدين، ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضتها في أرض الحجاز والشام. ومن المعلوم ان القوم الذين كانوا يكاتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام فانتقل كتابها من اللفظ المتين الجزل الى اللفظ الرقيق السهل . وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن الفاظ المتقدمين الى ما هو أعذب منها

وأخف للمعنى المتقدم ذكره ، قال ، وحينئذ فينبغى للكاتب ان يراعي هذه الأحوال ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه و بينها فاذا احتاج الى إصدار كتاب الى ناحية من النواحي فلينظر الى أحوال قاطنيها: فان كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الألفاظ الجزلة التي إذا حليت بها المعانى زادتها فخامة فى القلوب وجلالة فى الصدور ؛ وان كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه فليضمن كتابه الألفاظ التي يتساوى سامعوها فى فهم معانيها فانه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه الى من كاتبه لأن الكلام البليغ انما هو موضوع بإزاء افهام البلغاء والفصحاء. فأما العوام والحشوة فانما يصل الى أفهامهم الكلام العاطل من حلى النظم العارى عن كسوة التأليف فيجب على الكاتب ان يستعمل في مخاطبته من هذه صفته أدنى رتب البلاغة وأقربها من افهام العامة، وكذلك الأمم الأعجمية اذا كتب اليهم. ثم قال، فأما الكتب الممتدة عن السلطان فان منها كتب الفتوحات ونحوها، وهى محتملة للألفاظ الفصيحة الجزلة والأطالة القاضية بأشباع المعنى ووصوله الى افهام كافة سامعيه من الخاص والعام . ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب وهى لا تحتمل اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه وإفهام من لا يصل المعنى الى فهمه الا بالبيان الشافى في العبارة . ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ولا يجوز ان يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتمل من تابع فى حق متبوع لما فيه من تعاطى التفاصح على سلطانه وهو غير جائز فى أدب الملوك، وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتذلة الدائرة بين السوقة لما فى ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته اياه بما لا يشبه رتبته . وأما الكتب الاخوانيات النافذة فى التهانى والتعازى فانها تحتمل الالفاظ الغريبة القوية الأخذ بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس لأنها مبنية على تحسين اللفظ وتزيين النظم، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه. قلت: والذي يراعي الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الابواب السلطانية الآن مكاتبات ملوك الغرب كصاحب تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب اغرناطة من الأندلس، وكذلك القانات العظام من ملوك الشرق ومن يجرى هذا المجرى ممن اشتملت بلادهم على علماء البلاغة

وصناعة الكتابة بخلاف غيرهم

﴿ الاصل الثامن ﴾ — ان يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه في الخطاب فيعبر عن كل واحد منهما في كل مكاتبة بما يليق به و يخاطب المكتوب اليه بما يقتضيه مقامه. فأما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته: فأن كان خليفة فقد جرت عادة من تقدم من الكتاب بالتعبير عنه فى الكتب الصادرة عن ابواب الخلافة بأمير المؤمنين مثل ان يقال: فجرى أمر أمير المؤمنين فى كذا على كذا، واوعز أمير المؤمنين الى فلان بكذا، واقتضى رأى أمير المؤمنين كذا وما أشبه ذلك. وربما عبروا عنه بالسلطان مثل ان يقال فى حق الخارجين: وحاربوا عساكر السلطان، ونحو ذلك، يريدون الخليفة. وان كان المكتوب عنه ملكا فقد جرت العادة ان يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال: فعلنا كذا، واقتضت آراؤنا الشريفة كذا، وما أشبه ذلك. وان كان المكتوب عنه مرؤسا بالنسبة الى المكتوب اليه كالاتباع ومن في معناه فقال في مواد البيان: ينبغى ان يتحفظ فى الكتب النافذة عنه من الاتيان بنون العظمة وغيرها من الالفاظ التى فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل ان يقول: امرت بكذا، أونهيت عن كذا، اوتقدم أمرى الى فلان بكذا، وما فى معنى ذلك مما لا يخاطب به الاتباع رؤساءهم: بل يعدل عن مثل هذه الالفاظ الى مايؤدى الى معناها بما لا عظمة فيه مثل ان يقول: وجدت صواب الرأى كذا ففعلته، ووجدت السياسة تقتضي كذا فأمضيته وما أشبه ذلك ان كان عرف الكتاب على (الخطاب بالتاء) والاقال: وجد المملوك صواب الرأى كذا ففعله، ورأى السياسة تقتضى كذا فامضاه، وما يجرى هذا المجرى

واما المكتوب اليه فقال في الصناعتين: ينبغى ان يعرف الكاتب قدر المكتوب اليه من الرؤساء والنظراء والعلماء والوكلاء ليفرق بين من يكتب اليه: انا افعل كذا: وبين من يكتب اليه: نحن نفعل كذا، فـ «أنا» من كلام الاشباه والاخوان، و «نحن» من كلام الملوك. ويفرق بين من يكتب اليه: فأن رأيت ان تفعل كذا، و بين من يكتب اليه: فرأيك؛ قال في مواد البيان: وذلك ان قولهم «فأن رأيت ان تفعل كذا» لفظ النظراء والمتساوين بخلاف «فرأيك» فانه لا يكتبه الا جليل عظيم لتضمنه معنى الامر، والتقدير: فرأيك ' بخلاف «فأن رأيت» فأنه لا امر فيه اذ يقال: فان رأيت ان

تفعل كذا فافعله . على ان الاخفش قد انكر هذا على الكتاب لان اول الناس يقول، للسلطان : انظر في أمري، ولفظه لفظ الامر ومعناه السؤال . وذكر مثله في صناعة الكتاب عن النحويين . قال في موادالبيان : وحجة الكتاب ان المشافهة تحتمل مالا تحتمله المكاتبة ، لان المشافهة حاضر يحضر الانسان لا يمكنه تقييده وترتيبه، والمكاتبة بخلاف ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الاخلال بالادب . قال محمد بن ابراهيم الشيباني : وان احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والادباء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا منهم على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان(ومذاهب)يجب عليك ان ترعاها في مراساتك اياهم في كتبك، وتزن كلامك فى مخاطباتهم بميزانها وتعطيه قسمته وتوفيه نصيبه . فأنك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم وتجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه. فلا (تعتد) بالمعنى الجزل مالم تكسه لفظا مختلفا على قدر المكتوب اليه فان الباسك المعنى وان صح لفظا لم تجر به عادة المكتوب اليه تهجين للمعنى، واخلال بقدر المكتوب اليه، وظلم يلحقه، ونقص مما يجب له كما ان في اتباع المتعارف بينهم وما انتشرت به عادتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم و بلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . قال ابن عبدربه: فامتثل هذه المذاهب واجر عليها ، قال فى مواد البيان ، وذلك ان المعاني التى يكتب فيها وان كان كل منها جنسا بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك فأنه لا يجوز ان يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ، بل ينبغي ان يخرج فى الصيغة المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته . الا ترى انك لو خاطبت سلطانا او وزيرا بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز ان تبنى الكلام على وعظه وتبصيره وارشاده وتذكيره وحضه على الاخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقى الحادثات بالتسليم والرضا ؛ وانما الصواب ان تبنى الخطاب على انه أعلى شأنا وارفع مكانا واصح حزما وأرجح حلما من أن يعزى، بخلاف المتأخر فى الرتبة فأنه انما يعزى تنبيها وتذكيرا وهداية وتبصيرا وتعريف الواجب فى تلقى السراء بالشكر والضراء بالصبر ونحو ذلك. وكذلك اذا كاتبت رئيسا فى معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز ان تأتى بمعناهما فى ألفاظهما

الخاصة بهما بل يجب ان تعدل عن ألفاظ الشكوى الى ألفاظ الشكر وعن ألفاظ الاستزادة الى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر لتكون قد رتبت كلامك في رتبته وأخرجته مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز ان تورد ذلك مورد التنبيه على ما اغفله، والايقاظ لما أهمله، والتعريف لما جهله؛ لأن ذلك من القبيح الذى لا تحتمله الرؤساء من الاتباع، ولكن تبني الخطاب على ان السلطان اعلى وأجل رأيا وأصح فكرا واكثر احاطة بصدور الامور واعجازها، وان رأى خدمه جزء من رأيه، وانهم انما يتفرسون مخايل الاصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه والتأدب بأدبه والارتياض بسياسته والتنقل فى خدمته، وان مما يعرضونه فى حكم الاشفاق والاهتمام المطالعة بما يجرى فى أوهامهم ويحدث فى افكارهم من الامور التى يتخيلون ان العمل بها مصلحة للدولة وعمارة للمملكة ليتصفحه بأصالة رأيه التى هي اوفر وأثبت فن استصوبه امضاه وان رأى خلافه ألغاه وكان الرأى الاعلى مايراه، الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الاصل التاسع ﴾ — ان يراعى مواقع الشعر فى المكاتبات فيورده حيث يحسن إيراده ويتركه حيث يحسن تركه. ويختلف الحال فى ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب اليه: فأما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم فقد ذكر في مواد البيان انها لا يتمثل فيها بشيء من الشعر اجلالا لهم عن (شوب) العبارة عن عزائمهم أوامرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة اليهم بما يخالف نمطها ووضعها؛ لأن الشعر صناعة مغايرة لصناعة الترسل وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن. قال: والواقع بخلافه. وان مكاتباتهم مشحونة فى كثير من الامور بشواهد أبيات الشعر المناسبة للحال فى الحديث والقديم حتى فى كتب الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم. فقد كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى على بن أبي طالب رضى الله عنه حين تمالأ عليه القوم واجتمعوا على قتله: «أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، والحزام الطبيين. وطمع فيّ من كان يضعف عن الدفع عن نفسه، ولم يغلبك مثل مغلب. فأقبل اليّ صديقا كنت أم عدوا

فأن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلا فأدركني ولما أمزق»

وكتب أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه الى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتاب: « وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فأن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فيكون العذر اليك » وتلك شكاة ظاهر عنك عارها..

(بل ربما وقع التمثيل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك الى من دونهم وبالعكس، كما حكى العسكرى فى الأوائل ان رافعا رفع كتابا الى الرشيد)وكتب فى أسفله

اذا جئت عارا أو رضيت بذلة فنفسى على نفسي من الكلب اهون

فكتب اليه الرشيد كتابا وكتب فى أسفله

ورفعك نفسا طالبا فوق قدرها يسوق لك الحتف المعجل والذلا

وحكى أيضاً ان أهل حمص وثبوا بعاملها فأخرجوه، ثم وثبوا بعده بعامل آخر، فامر المتوكل ابراهيم بن العباس ان يكتب اليهم كتابا يزجرهم فيه ويختصر، فكتب : « أما بعد فأن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيمن تقوّم به ، (او عدل به من زيغ)، او لم به من شعث ، ثلاثا يقدم بعضهن امام بعض . فأولهن ما يستظهر به من عظمة وحجة ، ثم ما يشفعه به من تحذير وتنبيه ، ثم التى لا يحسم الداء غيرها

اناة فأن لم تغن عقب بعدها وعيد فأن لم يغن اغنت عزائمه »

وعلى ذلك جرى ملوك بنى بويه في مكاتباتهم ، فكتب ابو اسحاق الصابى عن معز الدولة بن بويه الى عدة الدولة أبي ثعلب كتابا يذكر فيه خلاف قريبين لهلم يمكنه مساعدة أحدهما على الآخر مستشهدا فيه بقول المتلمس

وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد له دركا فى ان يبين فأحجما

وعلى هذا النهج جرى الحال فى الدولة الايوبية بالديار المصرية كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين الى ديوان الخلافة عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة مسليا له عنه وكان ممن اساء السيرة

ان المكاره قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

وعلى مثل ذلك جرى الامر فى الدولة التركية بالديار المصرية أيضا كما كتب القاضى

محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون الى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها اليه فى ولده الملك الصالح مشيرا الى أن المصائب في الاولاد لا تشغل عن الحروب

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا ... فأهون ما تمر به الوحول

وعلى ذلك جرى ملوك الغرب في مكاتباتهم كما كتب بعض كتاب السلطان أبي الحسن المريني الى الملك الناصر محمد بن قلاوون كتاباً يخبره فيه ان صاحب بجاية خرج عن طاعته فغزاه واوقع به ماقمعه مشيرا الى اعادة الايقاع به ان عاد مستشهدا فيه بقوله

ان عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة

واما المكاتبات الاخوانيات الواقعة بالتهاني والتعازي والتهادي والتزاور وسائر انواع المكاتبات الاخوانية فقد قال فى مواد البيان انه يجوز ان تودع أبيات الشعر على سبيل التمثيل وعلى سبيل الاختراع محتجا بان الصدر الاول كانوا يستعملون ذلك فى هذه المواضع . وهذا ممالا خفاء فيه ولا نكر وكتب الاخوانيات مشحونة بالاستشهاد بالشعر ، مابين البيت والبيتين فأكثر بل القصائد الطوال كما استشهد القاضى الفاضل فى بعض كتبه فى الشوق بقوله

ومن عجبي انى أحن اليهم ... واسأل عنهم من أرى وهم معى

وتطلبهم عيني وهم فى سوادها ... و يشتاقهم قلبي وهم بين اضلعى

وكما كتب فى جواب كتاب

وكم قلت حقا ليتني كنت عنده ... وما قلت اجلالا له ليته عندى

﴿ الاصل العاشر ﴾ ان يأتي في كتابه بحسن الاختتام واعتماد سهولة اللفظ وحسن السبك ووضوح المعني وتجنب الحشو كما تقدم فى الافتتاح مع مايؤدى الى تعظيم المكتوب اليه واجلاله مما يستجلب الخواطر مثل ان يكتب : وللآراء العالية مزيد العلو ، أو : وللآراء العالية فضل السمو ، او ، والرأى العالى أعلى ' وما أشبه ذلك ، أو يأتى بنكتة تبهج النفوس كما كتب الصاحب بن عباد في آخر رسالته بعد قسم أقسمه : لئن خنت فيما حلفت فلاخطوت لتحصيل مجد ، ولا نهضت لاقتناء حمد ، ولا سعيت الى مقام فخر ' ولاحرصت على علو ذكر . . قال ابو هلال العسكري : فهذه اليمين لو سمعها عامر بن الظرب لقال هي اليمين الغموس لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة

الاخرى . وما ينخرط فى هذا السلك

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان مواضع الايجاز والاطناب وما يلائم ذلك في المكاتبات . والمكاتبات في ذلك على ثلاثة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

ما يكتب عن السلطان او من في معناه وهو على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ مايعمل فيه على الايجاز والاختصار . وقد استحبوا الايجاز فى اربعة مواضع : الاول ان يكون المكتوب عن السلطان في اوقات الحروب الى نواب الملك بالاستيحاش . قال فى حسن التوسل : فيجب ان يتوخى الايجاز والالفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع القصد ويفصل الكلام بعضه من بعض ولا يعمد في ذلك الى تهويل لامر العدو يضعف القلوب ولا تهوين لامره بحيث يحصل به الاغترار

الثاني — ان يكون مايكتب عن السلطان خبرا يريد التورية عنه وستر حقيقته كاعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك والنوائب الملمة بالدولة من هزيمة جيش او تغيير رسم او احداثه او تكليف الرعية مالا يسهل عليها تكليفه وما أشبه ذلك . قال فى مواد البيان . فيجب ان يقصد فى ذلك الى الاختصار والايجاز و يعدل عن استعمال الالفاظ الخاصة بالمعنى الى غيرها مما يحتمل التأويل ولا ينفر الاسماع عنه ولا نزاع القلوب له من غير تصريح بكذب ، وان يخرج الباطل صورة الحق ويعرض سلطانه فى ذلك الى الاحماد والتقريظ من حيث يستحق التأنيب والاذمام فان هذه سبيل البلاغة وطريقة فضلاء الصناعة لان الامر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج فى التعبير عن حسنه الى كد الخاطر واتعاب الفكر اذ الالكن لا يعجز عن التعبير عنه فضلا عن اللسن ، وانما الفضل فى تحسين ماليس بحسن وتصحيح ماليس بصحيح بضروب من التمويه والتمثيل واقامة المعاذير والعلل المعفية على الاساءة والتقصير من حيث لا يلحق كذب صريح ولا زور مطلق . قال ، ولضيق هذا المقام وصعوبة مرتقاه اورده الشيخ جمال الدين بن نباتة في جملة مسائله التى سأل عنها كتاب الانشاء بدمشق فقال : وما الذي يكتب

عن المهزوم ومن هزمه ؟

الثالث — أن يكون المكتوب عن السلطان أمرا ونهياً . قال في مواد البيان فحكمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للمعانى الجازمة بالأمر والنهى ، اللهم الا ان يكون الامر والنهي مما يحتاج الى رسوم ومثل يعمل عليها فيحتاج الى الاطالة والتكرير بحسب ما يؤمر به وينهى عنه دون الحذف والايجاز

الرابع ان يكون ما يكتب عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الاموال وتدبير الاعمال . قال في مواد البيان : فسبيلها ان ينص على ما رآه السلطان ودبره ثم يختتم بفصل مقصور علي التوكيد فى امتثال أمره ومراده ولا يقتصر على ما تقدم ايجابا للحجة وتضييعاً للعذر وحسما لاسباب الاعتذار

﴿ الضرب الثانى ﴾ — مما يكتب عن السلطان ما يعمل فيه لى البسط والاطناب . وقد استحسنوا البسط فى ثلاثة مواضع

الاول — ان يكون ما يكتب به عن السلطان خبرا يريد تقرير صورته فى نفوس العامة كالاخبار بالفتوحات المتجددة فى أعلاء الدين والسلطان . قال فى مواد البيان : فيجب ان يشبع القول فيه ويبنى على الاطناب والاسهاب وتكثير الالفاظ المترادفة ليعرفوا قدر النعمة الحادثة وتزيد بصائرهم فى الطاعة و يعلو موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به فتقوى قلوب أوليائه وتضعف قلوب أعدائه لانه لو كتب فى فتح جليل ليقرأ فى المحافل والمشاهد العامة على رءوس الاشهاد بين العامة ومن يريد تفخيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار لاوقع كلامه في غير رتبته ودل ذلك على جهله وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى هذا المقام فى كتابه حسن التوسل فقال : واذا كتب في التهانى بالفتوح فليس الا بسط الكلام والاطناب فى شكر نعمة الله تعالى ، والتبرئ من الحول والقوة الا به ، ووصف ما أعطى من النصر ، وذكر ما منح من الثبات ، وتعظيم ما يسر من الفتح ، ثم وصف ما بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره وراق التوسع فيه وعذب بسط الكلام معه ، قال ، ثم كلما اتسع مجال الكلام فى ذكر الواقعة ووصفها كان أحسن وأدل على السلامة وأدعى لسرور المكتوب اليه وأحسن لتوقيع المنة عنده وأشهى الى سمعه وأشفى لغليل شوقه الى معرفة

الحال ، قال ، ولا بأس بتهويل أمر العدو ووصف جمعه وأقدامه فأن فى تصغير أمره تحقيرا للظفر به . قال فى مواد البيان : ولا يحتج للايجاز فى كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبى صفرة الى الحجاج في فتح الازارقة على ارتفاع خطره وطول زمانه وعظيم صيته من سلوكه فيه مسلك الاختصار حيث كتب فيه :

« الحمد لله الذى كفى بالاسلام فقد ماسواه ، وجعل الحمد متصلا بنعماه ، وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم انا كنا وعدونا على حالين مختلفين ، نرى منهم مايسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون منا مايسوءهم أكثر مما يسرهم : فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم : ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحصنا ويمحقهم ، حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »

فانه انما حسن في موضعه لمخاطبة السلطان به ولغرض كان يكاتبه فيه' ثم قال ' فان كتب مثل هذا الكتاب عن السلطان فى مثل هذا الفتح أو ما يقاربه ليورد على العامة ويقرر فى نفوسهم به قدر النعمة لم يحسن موقعه وخرج عن شرط البلاغة بوضعه اياه فى غير موضعه . وذكر العسكرى في الصناعتين نحو ذلك * قال فى حسن التوسل : وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة مفردة تعين أن يكون البسط أكثر ، والاطناب والتهويل أبلغ ، والشرح أتم * ثم قال ' وان اضطر ان يكتب مثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم فى ذلك ان يذكر من اسباب المودة ما يقتضى المشاركة فى المسار ، وأن أمر هذا العدو مع كثرته أخذ بأطراف الانامل وآل أمره الى مآل ' و يعظم ذكر ماجرى عليه من القتل والأسر ، ويقول ان تلك عوائد نصر الله تعالى لنا وانتقامه ممن عادانا * وان كان المكتوب اليه متهما بممالأة العدو كتب اليه بما يدل على التقريع والتهكم والتهديد في معرض الاخبار

الثاني — ان يكون مايكتب عن السلطان فى أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال فى حسن التوسل : فيجب ان يبسط القول فى وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة وطى المراحل ومعاجلة العدو وتخييل اسباب النصر والوثوق بعوائد الله تعالى فى الظفر وتقوية القلوب منهم و بسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحفظ ما بأيديهم وما أشبه ذلك ويبرز ذلك فى أمثل كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وابعده من اللين

والرقة ويبالغ فى وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه في تثبيت الاقدام والاعتصام به فى الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه فى خذلانهم وزلزلة اقدامهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح ببطء حركتهم ورجاء تأخيرهم وانتظار العرضيات فى ضعفهم لما فى ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم وإشعار الوهم والخوف منهم

الثالث – ان يكون مايكتب به عن السلطان احمادا أو اذماما أو وعدا أو وعيدا أو استقصاراً أو عدلا أو توبيخاً . قال فى مواد البيان : فيجب ان يشبع الكلام ويمد القول بحسب مايقتضيه أمر المكتوب اليه فى الاساءة والاحسان والاجتهاد والتقصير لينشرح صدر المشمر المحسن و ينبسط أمله ورجاؤه ويرتدع المقصر المسئ ويرتجع عما يذم منه ويتلافى ما فرط منه

﴿ النوع الثاني ﴾

ما يكتب به الى السلطان عن الاتباع . وهو على ضربين أيضاً :

﴿ الضرب الاول ﴾ — ما يعمل فيه على الايجاز والاختصار . وقد استحسنوا الايجاز والاختصار فى ثلاثة مواضع

الاول — ان يكون ما يكتب به عن التابع من باب الشكر على نعمة يسبغها سلطانه عليه وعارفة يسديها اليه . قال فى مواد البيان : وسبيله ان لا يبنيها على الاسهاب ويجاوز بها الحد بل يبنيها على اللفظ الوجيز الجامع لمعانى الشكر المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد فأن أطناب الاصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الاضجار والابرام ولا سيما اذا رجعوا الى خصوصية وتقدم حرمة وكذلك لا يكثر من الثناء عليه لان ذلك من باب الملق الذى لا يليق الا بالاباعد الذين لم يتقدم لهم من(المواتى) والخدم ما يدل على صحة عقائدهم ولم يقض عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم بخلاف ما اذا كان أجنبيا (متكسبا) بالتقريظ والثناء فأنه لا يقبح به الايغال والاغراق فيهما ، قال ، وكذلك لا ينبغى للخاصة الاكثار من الدعاء وتكريره فى صدور الكتب عند ما يجرى ذكر الرئيس فأن فى ذلك مشقة وكلفة يستثقلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاها منه . ويقبح من خادم السلطان

ان يشغل سمعه فى مخاطبته اياه بكثرة الدعاء وتكريره

الثاني — ان يكون مايكتب به عن التابع فى سؤال حسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال فى مواد البيان : فيبنى القول فيه على الايجاز ويمزج الشكوي بالشكر والاعتداد بالآلاء والرغبة فى مضاعفة الاحسان والزيادة في البر والالحاق بالطبقة الرابعة فى ايلاء العوارف ، فان ذلك أعطف لقلب الرئيس وأدعى الى بلوغ الغرض؛ ولا يكثر شكوى الحال ورثاثتها واستيلاء الخصاصة والفقر عليه، فان ذلك يجمع الى الاضجار والابرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه وقلة ظهور نعمته عليه وذلك مما يكرهه الرؤساء ويذمونه

الثالث — أن يكون ما يكتب به التابع من باب (التنصل) والاعتذار عن شيء قرف به عند رئيسه . قال في مواد البيان : وسبيله ان يبني كلامه على الاختصار ويعدل عن الاسهاب والاطناب ويقصد الى (النكت) التى تزيل ماعرض عنده من الشبهة فى أمره وتمحو الموجدة السابقة الى ضمير رئيسه ولا يصرح ببراءة الساحة من الاساءة والتقصير فان ذلك مما يكرهه الرؤساء من اتباعهم لان عادتهم جارية بأيثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط والاقرار بالمقروف به ليكون لهم في العفو عند الاقرار مواضع منه مستأنفة تستدعي شكرا، وعارفة مستجدة تقتضى نشرا. أما اذا أقام التابع الحجة على براءته مما قرف به فلا موضع للاحسان اليه فى اقراره على منزلته والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدرا واجبا له ان منعه اياه ظلمه وتعدى عليه

﴿ الضرب الثاني ﴾ — ما يعتمد فيه على البسط والاطناب . وقد استحبوا البسط هنا فى موضع واحد . وهو ما اذا كان ما يكتب به التابع واصفا فى باب الاخبار بأحوال ما ينظر فيه من الاعمال وما يجرى على يديه من المهات . قال في مواد البيان : وسبيله ان يوفى حقه فى الشرح والبيان ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين ايضاح الاغراض من غير هذر يضجر ويمل ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد الى استعمال الالفاظ السهلة التى تصل معانيها الى الافهام من غير كلفة ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوعير أو ابهام، الا أن يعرض له في المكاتبة مايحتاج الى التورية والكناية كما تقدم فيما اذا أطلق عدو لسانه فى السلطان فانه يحتاج الى الكناية عنه على ما مر

﴿ النوع الثالث ﴾

ما يكتب به الى الاكفاء والنظراء والطبقة الثانية من الرؤساء قال في مواد البيان: وسبيل مكاتبتهم ان يؤتى فيها باللفظ المساوى للمعنى من غير ايجاز ولا اطناب لأنها رتبة متوسطة بين الرتبتين المتقدمتين. قلت: ولا يخفى ان ما ذكره انما هو عند الوقوف مع حقائق الامور فى المكاتبات. أما الاخوانيات المطلقة فانها تكون فى الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر وما يوجب دلالته عليه

﴿ الفصل الثالث ﴾

في بيان لواحق المكاتبات. وهي ستة لواحق

الاولى – الترجمة عن السلطان، فان كانت المكاتبة الى ديوان الخلافة فقد ذكر في التعريف ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب: «الخادم»؛ وكتب بنوه والعادل اخوه: «المملوك»؛ وكتب الكامل «العبد»، وعلى ذلك جرى ابنه الصالح؛ وكتب الناصر بن العزيز «أقل المماليك». وكتب الناصر داود: «أقل العبيد». وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب: «الخادم المطواع»، وكذلك ابنه جلال الدين. وكانت ام جلال الدين تكتب: «الامة الداعية». وان كانت المكاتبة الى غير ديوان الخلافة فقد ذكر ابن شيث فى معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية ان يكتب لارباب خدمته العلامة، فان أراد تمييز أحد منهم كتب له بخطه شيأ مكان العلامة. وذكر ان ترجمته للفقهاء والقضاة وذوى التنسك: أخوه، وولده؛ وأن الاحسن ان يقال في: ولده «محل ولده» لقوله تعالى «ادعوهم لآبائهم». أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه لقوله تعالى «انما المؤمنون اخوة» وقوله تعالى «فاخوانكم في الدين»، وأما الترجمة عن غير السلطان فأهل الصلاح يترجمون عن انفسهم بالخادم، ودونه: خادمه. وربما قالوا: الخادم بالدعاء، أو الخادم بدعائه. وأهل الورع يترجمون بالفقير الى رحمة الله. وربما راعوا المكتوب اليه اذا كان هو السلطان فكتبوا: العبد الفقير الى رحمة الله، يعني انه عبد الله ويحصل بذلك المقصود من الادب مع السلطان.

ومنهم من يكتب : الداعي لدولته ، أو : المبتهل بدعائه الصالح لايامه والمواظب على خدمته ، ونحو ذلك . ثم قال : وأكثر الناس يرى الترجمة لولده . فان ترجم له لم يسم اسمه بمعنى أنه يكتب : والده ، ولا يكتب : فلان : فان ذكر اسمه فقبيح وذكر في ذخيرة الكتاب أن أعلى التراجم بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك الصنيعة ، ثم المملوك ، ثم مملوكه ، ثم الصنيعة ، ثم العبد الخادم ، ثم العبد ، ثم عبده وخادمه ، ثم خادمه ، ثم عبده ، ثم وليه ، ثم أخوه ، ثم المعتد به ، ثم شاكره ، ثم محبه ، ثم صديقه ، ثم اسم المكتوب عنه . ورأيت في دستور صغير يعزى للمقر الشهابي بن فضل الله أن اعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك ، ثم المملوك الرق ، ثم المملوك الاصغر ، ثم المملوك المحب ، ثم المملوك الداعي ، ثم مملوكه ومحبه ، ثم الخادم ، ثم خادمه ، ثم أخوه ، ثم محبه ، ثم شاكره ، ثم الفقير الى الله تعالى . قلت : والذى استقر عليه الحال الآن أقرب وأخصر فى الترجمة عن السلطان وغيره . فأما الترجمة عن السلطان فالذى ذكره فى التعريف ان أكثر ما يكتب اليه الامراء ومماليك البيت الشريف : والده ، ومن دون ذلك الاسم الشريف ، قال ، وأما الغرباء كملوك المسلمين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح : أخوه من دون ذلك الاسم الشريف . ثم حدث بعد ما ذكره ان جعل الترجمة لأكبر الامراء : أخوه ، ولمن دونهم : والده ، والغرباء على ما تقدم * وأما الترجمة عن غير السلطان في المكاتبات الدائرة بين أعيان الدولة فأعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك . وتختلف مراتبها باختلاف أماكنها من الكتابة على ما سيأتى ذكره في الاخوانيات ان شاء الله تعالى ، ثم بعد المملوك : أخوه ، ثم الاسم * وأما قضاة القصاة فتترجم بالداعي

الثانية العنوان ، وفيه سبع لغات حكاها صاحب ذخيرة الكتاب واقتصر فى صناعة الكتاب على ذكر بعضها : إحداها عنوان ، بضم العين وواو بعد النون ؛ والثانية عنيان ، بضم العين وياء مثناة تحتية بعد النون ؛ والثالثة عِنيان ، بكسر العين ؛ والرابعة عُلوان ، بضم العين وواو بعد النون ؛ والخامسة عَلوان بفتحها ؛ والسادسة عِلوان ، بكسرها : والسابعة عِليان بالكسر على ابدال الواو ياء . ويجمع عنوان على عناوين ، وعلوان على علاوين . ويقال : عنونت الكتاب عنونة وعلونته علونة . ثم من قال عنوان جعله

مأخوذ من العنوان يعني الأثر ، لأن عنوان الكتاب أثر بيان ممن هو والى من هو ، قال النحاس ، وأكثر الكتاب لا يعرف غير هذا ؛ وزعم بعضهم أنه مأخوذ من قول العرب : عنت الارض ، تعنو اذا أخرجت النبات . ومن قال علوان ابدل من النون لاما كما فى صيدلانى وصيدنانى،فيكون (الاشتقاق واحدا) . وقيل : علوان مشتق من العلانية ، لأنه خط ظاهر على الكتاب ؛ ومن قال : عنيان جعله من عنيت فلانا اذا قصدته . قال في مواد البيان: والعنوان كالعلامة، وهو دال على المكتوب عنه والمكتوب اليه . والمعنى فيه الاخبار عن اسميهما حتى لا يكون الكتاب مجهولا . قال ، والاصل فيه أن يبتدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب اليه . وهو الترتيب الذى تشهد به العقول لأن ابتداءه من المكتوب عنه وانتهاءه الى المكتوب اليه . قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الامم الماضية . ثم عرض للناس رأى فى تغيير هذا الرسم الى غيره ففرقوا بين مراتب المكاتبين من الرؤساء والنظراء والخدم والاتباع بتقديم اسم المكتوب اليه اذا قصدوا إعظامه واجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ورأوا أنه الصواب الصحيح . قال فى صناعة الكتاب : (ولا يتكنى) المكتوب عنه على نظيره بل يتسمى له ولمن فوقه ثم « يقول المعروف بأبي فلان» وإن كانت كنيته أشهر من اسمه واسم أبيه جاز ان يكتب كنيته ويجريها مجرى الاسم . وان كان الكتاب الى اثنين أحدهما أكبر من الآخر قدم الأكبر ، وكذلك لو كان الى ثلاثة . قال النحاس : وقد استحسن جماعة ان يصغر اسم المكتوب عنه يعنى فى الخط على عنوانات الكتب ورأوا ان ذلك تواضع . والاصل فى ذلك ما حكاه النحاس ان الحجاج بن يوسف كتب الى عبد الملك بن مروان وهو خليفة فى طومار بقلم جليل : لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين . . . ثم كتب فى طرته بقلم ضئيل : من الحجاج ابن يوسف . فجرى الكتاب على أسلوبه فيما بعد . قلت : وسيأتى بيان ترتيب عنوانات الكتب السلطانيات والاخوانيات في الكلام على ترتيب المكاتبات ان شاء الله تعالى

الثالث — طى الكتاب وختمه . أما طيه فالطى في اللغة خلاف النشر . ومنه قوله تعالى « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » والمراد أنه يلف

بعض الكتاب على بعض والكتابة داخل الطي لان المقصود صون الكتاب. ثم للناس في صورة الطي طريقتان : أحداهما أن يكون الطى مدوراً كأنبوبة الرمح وهي طريقة كتاب المشرق والديار المصرية الى الآن ؛ والثانية ان يكون طيه مبسوطاً فقد ذكر ابن شيث ان طى الكتب السلطانية كانت فى عرض اربعة أصابع ، قال ، وكذلك الكتب من (العلية) الى من دونهم ، أما من الأدنى الى الاعلى فلا يتجاوز به عرض اصبعين . وهذا ظاهر فى أن الطي يكون فى صورة العرض لا(مدورا) وهي طريقة اهل المغرب و بلاد الفرنجة الى الآن

وأما ختمه : فالختم مصدر ختم ؛ يقال : ختم الكتاب وغيره يختمه ختماً (ومعناه الطبع) ومنه قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والمراد سد رأس الكتاب والطابع عليه بالخاتم حتى لا يطلع احد على مافيه حتى يفضه المكتوب اليه. وهو أمر مطلوب مرغب فيه : فمن كلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب : طينة خير من ظنة . يعنى ان ختم الكتاب بطينة خير من تهمة تلحق فيه . ومن كلام غيره : اختم تسلم . وقد قيل ان أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام و به فسر قوله تعالى « انى القى الى كتاب كريم » أى مختوم على أحد الاقوال . وعلى ذلك جرت عادة ملوك العجم فى كتبهم . قال في مواد البيان : ولم تزل كتب العرب منشورة حتى كتب عمرو ابن هند الصحيفة للمتلمس فقرأها ولم يوصلها فختمت العرب الكتب من حينئذ . وقد ورد فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى بعض العجم فقيل له انهم لا يقرؤن كتاباً غير مختوم . فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه « محمد رسول الله » فكان يختم به الكتب . (وكان الخاتم فى يده صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله اليه) ثم صار فى يد أبى بكر ، ثم في يد عمر ، ثم فى يد عثمان الى ان سقط منه فى بئر أريس من بئار المدينة فطلبه فلم يقدر عليه ، فاتخذ خاتماً غيره ونقش عليه « محمد رسول الله » ؛ وقيل بل نقش عليه « لتصبرن او لتندمن » وقيل غير ذلك ؛ ثم صار كل خليفة بعد ذلك يتخذ خاتماً وينقش عليه ما يقتضيه رأيه

واعلم انه كان للختم في أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم . واختلف فى أول من اتخذه فروى محمد بن عمر المدائنى بسنده الى ابن عمر انه لم يكن أبو بكر

ولا عمر يطبعون كتاباً حتى كتب زياد الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه: انك تكتب الينا بأشياء ليس لها طوابع. فاتخذ عند ذلك عمر رضى الله عنه خاتما يطبع به، وخزم الكتاب ولم يكن قبل ذلك يخزم. وذكر الطبرى فى تاريخه ان اول من اتخذ ذلك معاوية بن أبى سفيان فى خلافته، وذلك انه أمر لعمرو بن الزبير بمائة الف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زياد حسابه أنكر ذلك معاوية وحبس عمرا حتى قضاها عنه عبد الله بن الزبير، واتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم. قال ابن خلدون في تاريخه: وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان، قال، وهذا الخاتم خاص بديوان الرسائل، وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية، ثم اختلف العرف بعد ذلك. ثم للختم ثلاث صور: احداها ان يخزم الكتاب من وسطه بالمنفذ حتى ينفذ في بعض طيات الكتاب ثم يخرج من وجه الورق أيضا ويدخل فيه دسرة من الورق كالسير الصغير ويقط طرفا الدسرة (ثم يلصق على ذلك شمع أحمر ويختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه). ولعل ذلك هو الذى كان عليه الحال فى صدر الاسلام، ويشهد بذلك قول ابن عمر فى رواية الطبرى المتقدمة: وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم. وكان عادتهم فى أيام الخلفاء أن يغمس خاتم الخليفة فى طين أحمر معد لذلك، ويختم به على طريقة الكتاب ليقوم مقام علامة الخليفة، قال فى العبر، وكان هذا الطين يجلب اليهم من سيراف من بلاد فارس. قلت: وعلى هذه الطريقة جرى أهل بلاد الغرب والفرنجة الا أنهم يجعلون بدل الطين شمعاً أحمر، ويجعلون الختم على نفس الخزم وفى وسط الكتاب

الثانية — ان يلصق رأس الكتاب عليه بالنشا المطبوخ او «الكثيرا» المدافة بالماء، ونحو ذلك. وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق فى الكتب السلطانية وغيرها الى الآن. قال في مواد البيان: ويجب أن يكون اللصاق خفيفاً كالدهن لئلا يتكرس ويكتنف فى جانب الورق. وهذه المسئلة مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة كتاب ديوان الانشاء بدمشق فقال: ومن ختم الكتاب بالطين وربطه، ومن غير الطين الى النشا وضبطه؟

الثالثة — أن يلف على الكتاب بعد طيه قصاصة ورق كالسير فى عرض الخنصر

ثم يلصق رأسها بما لف منها . ويكون ذلك في الرقاع الصغيرة المترددة بين الاخوان وتسمى هذه القصاصة التى يلف بها سحاءة ، بفتح السين والمد ؛ وربما قيل فيها سحاية؛ ويقال منه سحوت الكتاب، أسحوه سحوا : وسحيته، أسحية تسحية . وأصله من سحوت اللحم عن العظم اذا قشرته ، لانه كانت عادة الكتاب في هذه القصاصة ان تقشر ثم يختم بها

الرابعة — حمل الكتاب وتأديته . ولا نزاع في أن حمل الكتاب وتأديته الى المكتوب اليه أمر مطلوب فقد قال الله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » . وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من أعظم الأمانة أداء الكتاب الى أهله. قال محمد بن عمر المدائني: حمل الكتاب أمانة وترك إيصاله خيانة. واعلم أنه ينبغي (للملك) أن يختار لحمل كتابه وتأديته من هو أهل الامانة والاحتراز ووفور العقل وشدة (الشكيمة) في الجواب ، فانه لسان مالكه وترجمان مرسله ، وقد قيل أنه يستدل على عقل الرجل بكتابه ورسوله . وقد وردت الاحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان يختار الرسل لتأدية كتبه الى الملوك فبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ، وبعث دحية الكلبي الى هرقل ملك الروم ، وبعث حاطب بن بلتعة الى المقوقس صاحب مصر، وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث شجاع ابن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وبعث سليط بن عمرو الى هود بن علي صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري . والمعنى في اختيار الرسول أنه ربما عرض من المكتوب اليه شبهة أو سؤال يحتاج الى جواب فيكون الرسول متصديا لذلك . فقد حكي السهيلي ان دحية حين دخل على قيصر قال له دحية: هل تعلم أكان المسيح يصلي ؟ قال ، نعم . قال ، فاني أدعوك الى من كان المسيح يصلي له . فألزمه من صلاة المسيح ان المسيح عبد الله تعالى . وحكى ابن عبد الحكم ان حاطب بن أبي بلتعة لما بلغ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس قال له المقوقس : ما منعه أن يدعو عليّ فيسلط عليّ ؟ فقال له حاطب : فما منع عيسى ان يدعو على من أبى عليه (ان يفعل ويفعل) ؟ فوجم لها ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه . فسكت . ولما سأله عن حرب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فذكر ان

الحرب تكون بينهم سجالا تارة له وتارة عليه: فقال له المقوقس : ألنبي يغلب ؟ فقال له حاطب : ألا له يصلب ؟ مشيرا الى اعتقادهم في المسيح أنه إله وانه قتل وصلب ، فأفحمه عن الجواب

الخامسة — فض الكتاب وقراءته.اما فض الكتاب فالمراد فك ختمه، والفض في أصل اللغة الكسر ، ومنه افتضاض البكر وهو ازالة بكارتها . (ولفضه) ثلاث حالات: احداها ان يكون مختوما بالصاق بالنشاعلى طريقة المشارقة وأهل الديار المصرية فيشق ظاهره على القرب من محل اللصاق بسكين ثم يفتح . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة ان الرسول أو البريدي الواصل الى باب السلطان يقدمه الدوادار الى السلطان ثم يتناول الكتاب منه ويمسحه بوجه الرسول أو البريدي و يسلمه الى الى السلطان فيفض ختامه ثم يتناوله الدوادار من السلطان ويدفعه الى كاتب السر فيقرؤه على السلطان * الثانية ان يكون مخزوما مسمرا بدسرة من الورق على عادة أهل المغرب ومن جرى مجراهم فيرفع الختم الملصق عليه من الطين أو الشمع وتقلع الدسرة ويفتح الكتاب * الثالثة أن يكون مختوما بسحاءة فتفك السحاءة ويفتح الكتاب

وأما قراءة الكتاب فأنه ينبغي ان يكون من يقرؤه على السلطان ومن في معناه ماهرا في القراءة ، فصيح اللسان في النطق ، رقيق حاشية اللسان في حسن الأيراد، قوي الملكة في استخراج الخطوط المختلفة ، سريع الفهم في ادراك المعاني الخفية ؛ وان يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يعسر سماعه ولا (مرتفع) بحيث يعد صاحبه خارجا عن أدب المخاطبة للأكابر ، وان يقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي (اعتاصت عليه) اذا سأله عنها بأحسن ايراد وألطف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجمل وقعها في الأذهان

السادسة — حفظ الكتاب في الاضبارة بعد قراءته ، وعدم طرحه في مكان غير لائق به . اما حفظه في الاضبارة فأمر مطلوب . والاضبارة عبارة عن ورقة يلف في ضمنها جملة من الكتب قد جمعت في داخلها وتلصق اطرافها بالنشا . والقاعدة فيها ان تسوى الكتب من أسفلها ، وان عرُض درج بعضها وقل عرض بعض جعل التفاوت من أعلاها . قال في صناعة الكتاب: ومعناها الجمع ، لأنها يجمع بعضها الى

بعض ، ومنه قيل تضبر القوم اذا تجمعوا . ويقال للأضبارة ايضاً إضامة، بكسر الهمزة وتشديد الميم ، لضم بعضها الى بعض . والمعنى فيهما صيانة الكتب وحفظها من الضياع. قلت : وقد جرت عادة ديوان الانشاء ان يجعل لكل شهر إضبارة يجمع فيها الكتب الواردة الى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها : شهر كذا من سنة كذا . فأذا كملت سنة جعلت (أضابيرها على حدة واستجدت لغيرها أضابير أخرى)

وأما وضع الكتاب بعد فضه بمكان لائق به فقد ذكر في كتاب القلم والدواة انهم كرهوا تمزيق الرسائل ورميها فى الطرق والمزابل خوفا على اسم الله تعالى ان يداس وتلحقه النجاسة والأدناس ، قال ، وفى رفع ماطرح منها أعظم الرغائب وأجل الثواب. وقد روى ان من رفع قرطاسا من الأرض فيه البسملة اجلالا ان يداس أدخله الله الجنة وشفعه في عشرين من أهل بيته كلهم قد وجب له النار

﴿ الفصل الرابع ﴾

فى كيفية تلخيص الكتب الواردة على الأبواب السلطانية وترجمتها

اما تلخيص الكتب فاعلم ان العادة جارية على انه اذا ورد على الابواب السلطانية كتاب من بعض نواب السلطنة بالممالك الشامية أو غيرها ان يكتب له ملخصات للدواوين التى يكون لذلك الكتاب بها تعلق من الدواوين السلطانية. وهي خمسة دواوين: ديوان الأنشاء وديوان الوزارة وديوان الجيش وديوان الخاص والديوان المفرد. والطريق فى كتابة الملخصات ان يحذف صدر الكتاب ثم يعمد الى مقاصد الكتاب فيستوفى فصوله ويتصورها في ذهنه ، ثم ينظر فى متعلقات تلك الفصول ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة الذكر ملخصا بما يتعلق به من الفصول في وصل أو أكثر بحسب ما يقتضيه الحال من قلة الكلام وكثرته . وكيفية كتابته ان يترك من رأس الوصل قدر ثلاث أصابع بياضا ، ثم قدر أصبعين بياضا عن يمينه وقدر أصبعين بياضا عن يساره ويكتب في صدره ما مثاله « ذكر فلان في مكاتبته الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا — ويعد لفظ ذكر بين جانبي الوصل ويكتب باقي الكلام تحتها من أول الوصل الى آخره في العرض من غير خلو بياض — انه اتفق من الأمر كيت وكيت، أو أنه سأل فى كذا

وكذا. ثم يخلى بياضاً قدر أربع أصابع ويكتب في وسط الدرج بخلو بياض من الجانبين أيضاً :
«وذكر» بمدة فيها على نحو ما تقدم . ثم يذكر باقي الكلام من أول الوصل الى آخره ويفعل مثل
ذلك في أول كل فصل من فصول الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص .
ويكتب في آخر كل فصل : وقد عرض على المسامع الشريفة ومهما برزت به المراسيم
الشريفة كان العمل بمقتضاه ونحو ذلك . ثم ان كان الملخص لديوان الانشاء كتب
بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه ما مثاله : ديوان الانشاء الشريف.
وان كان الملخص لديوان الجيش كتب هناك ما مثاله : ديوان الجيش. وكذا ديوان الخاص
وسائر الدواوين المتقدمة الذكر . فاذا كملت وقف عليها كاتب السر فما كان منها متعلقا
بديوان الانشاء عرضه على السلطان واستمطر جوابه فيه فيكتب في مقابلة الملخص « يكتب
بذلك، أو : يكتب بكذا وكذا أو : رسم بذلك، أو : رسم بكذا وكذا » وما كان منها متعلقاً
بديوان الوزارة بعث به الى الوزير ، وما كان متعلقا منها بديوان الجيش بعث به الى
ناظر الجيش ، وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به الى ناظر الخاص ليقرأ كل
منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان يكتب به بجانب الفصل الذى
في الملخص : أمضى له ذلك ، أو لم يمض ، أو : رسم بكذا وكذا ، ونحو ذلك وسائر
الدواوين على هذا النحو

واما ترجمة الكتب الواردة بغير اللسان العربى فان كان بالمغلية كالكتب الواردة
عن بعض قانات المشرق فانه يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة من أهل
ذلك اللسان من الأمراء أو الخاصكية ونحوهم ، ثم يقرأ ترجمته على السلطان ويعتمد
ما يأمر به في جوابه ليكتب به . وان كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات
أحضر ترجمانين أو واحدا من أهل ذلك اللسان وكتب بأعلى الوصل « ترجمة الكتاب
الوارد من فلان فى التاريخ الفلانى ترجمة فلان ، أو فلان وفلان » ويذكر فصوله على
نحو ما تقدم فى الملخصات ويقرأ على السلطان

﴿ الفصل الخامس ﴾

فى أمور تختص بالأجوبة . واعلم انه قد اختلف فى الابتداء والجواب أيهما

أبلغ . فذهب أكثر البلغاء الى ان الكتب الجوابية أتعب وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية ، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه لا سيما اذا كان الخطاب محتملا للاعتذار والاعتلال عن امتثال الأوامر والنواهي والتورية عن نصوص الأحوال والأعراض عن ظواهرها، قائداً الى استعمال المغالطة ونحو ذلك مما يؤدى الى الخلاص من المكاره لأمور :— أحدها ان المبتدئ يحكم فى كتابه ، يبتدئ بألفاظه كيف شاء ويتصرف فى التقديم والتأخير والحذف والاثبات والايجاز والاسهاب ويبنى على أساس يؤسسه لنفسه، والمجيب ليس كذلك ، انما هو تابع لغرض المبتدئ بان على أساسه * الثاني — ان المجيب اذا كان جوابه محتملا للاشباع والتوسع كان مضطرا الى اقتضاض الفاظ المبتدئ واتباعها للأجابة عنها * الثالث — ان تأليف الكلام وانتظامه يقدر منه المبتدى على ما لا يقدر المجيب لأن الجواب يفصل أجزاء الكلام ويبدد نظامه ويقسمه أقساما لمكان الحاجة الى استئناف القول من الفصل بعد الفصل يقول : أما كذا ، وأما كذا.
وذهب صاحب مواد البيان الى أن الابتداء والجواب فى ذلك على حد واحد محتجاً بأن كلام المبتدئ والمجيب ممتاح من جودة الغريزة وكلاهما يحتاج من البلاغة والصناعة الى ما يحتاج اليه الآخر وليس واحد من الابتداء والجواب بصناعة على حيالها بل هما كالنوعين للجنس ولا يحتمل ان يكون الكاتب ماهرا في نوع دون نوع والكاتب لا يكون فى الأمر الاعم كاتبا عن نفسه وانما يكون كاتبا عن آمر يأمره بالكتابة فى أغراضه ويسلمها اليه منثورة فيحتاج الى نظمها وضمها وابرازها فى صورة محيطة بجميع تلك الاغراض المكتوب عنها فى الصورة الجامعة لها مع نظمها في سلك البلاغه مثل ما على المجيب من المشقة وتوفية فصول كتاب المبتدى من الاجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها بل كلفة المجيب قريبة لأنه يستنبط من نفس معانى الكتاب المبتدى للمعانى التى يجيب بها لان الجواب ان وافق الابتداء فالامر سهل وان ناقضه فأن كل نقيض قائم فى الجواب على مقابلة نقيضه إلا انه أتعب من الموافق . ولاشك ان الجواب بتجزئته قد خف تحمله اذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج من جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله، ثم قال ، وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ولكن القصد تعريف الحق الذى يجب اعتقاده والعمل عليه

ثم اعلم ان للجواب حالتين : الاولى أن يكون الجواب من الرئيس الى المرءوس عما كتب به اليه . فالذى ذكره في مواد البيـان ان للرئيس ان يبنى حكاية كتاب مرءوسه اليه فى جوابه على الاختصار ويجمع معانيه فى الفاظ وجيزة محيطة بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك فى معنى كذا وكذا وفهمناه * الثانيـة أن يكون الجواب من المرءوس الى الرئيس عما كتب به اليه . قال في مواد البيان : والواجب فى هـذه الحالة أن يحكي فصول كتاب رئيسه على قضيتها ويقصها على وجهها من غير اخلال بشيء منها اعظاما لقـدر الرئيس واجلالا لخطابه ، قال ، وليس للمجيب إن مر فى كتاب الرئيس بلفظة واقعة فى غير موقعها ان يبدلها فى كتابه بغيرها لما في ذلك من الاشارة الى ان هذا أصح من كتاب رئيسـه الا أن يكون الكتاب الوارد على المجيب فى معنى الشكر والتقريظ من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة فأنه لايجوز ان يأتي به على نصه لانه يصير بذلك مادحاً نفسه ومدح الانسان نفسـه غير سائغ ولا يجوز ان يهمل ذكره جملة لانه يكون قـد أخل بما يجب من شكره له على تشريف رتبتـه بأحمـاده والثنـاء عليه بل الواجب ان يوقع تلك القصة على جعل نفسه بعضاً منهـا بأن يقول : فأما ماوصفه من اعتداده بخادمه في جملة من نهض بحقوق خدمتـه وقام بفرض طاعته فأهله لما يرفع الاقدار من احماده وثنائه و يعلى الاخطار من شـكره ودعائه . . وما يضاهي ذلك من العبارة التى تشتمل على معانى الفاظ رئيسه فأنه اذا قصد هذا السبيل فى حكاية كتاب رئيسه فى هذا المعنى فقد جمع بين البلاغة والأتيان على معانى الفاظ رئيسه والادب فى ترك التفخيم لنفسه بأضافته الى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها قلت : وهذا الترتيب هو الذى يجب اعتماده والمشى على منهاجه وان كان كتاب الزمان قد اطرحوا النظر فى ذلك جملة ولم يفرقوا بين جواب رئيس ولا مرءوس وأهملوا النظر في حقائق الالفاظ والمعانى

الباب الثانى

في مصطلح الكتب السلطانيات الدائرة بين كتاب الاسلام في كل زمن من الصـدر الاول وهلم جرا الى زماننا من الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة والكتب الصادرة عن الملوك . وفيه ستة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

فى الكتب الصادرة عن الخلفاء الى الملوك والوزراء وهي على ثلاثة أساليب

﴿الاسلوب الاول﴾ — أن يفتتح المكاتبة بلفظ « من فلان الى فلان » . والاصل فى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كتابه يكتبون عنه في جل مكاتباته كذلك فكان يكتب « من محمد رسول الله الى فلان » باسمه . فان كان مسلماً كتب: « سلام عليك فأنى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو » وان كان كافراً كتب « سلام على من اتبع الهدى » ثم يقول « أما بعد فأن كذا وكذا » وقدلا يقول « أما بعد » ويأتى على المقصد الى آخره ويختم الكتاب بقوله « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ان كان مسلماً ؛ وربما اقتصر على « والسلام عليك » . وان كان كافراً كتب « والسلام على من اتبع الهدى » وربما يختم بغير السلام . وعلى هذا الاسلوب كتب عنه صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد وغيره من الصحابة ، والى وائل بن حجر ، وطهفة النهدى ، والمنذر بن ساوى ، وأكيدر دومة ، والنجاشى ، والمقوقس ، وهرقل ، وكسرى وغيرهم . فلما ولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كتب : من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . وباقى المكاتبة على ما تقدم، فلما آلت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب : من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . . فلما لقب بأمير المؤمنين زاد فى المكاتبة لفظ « عبد الله » قبل اسمه ، وبعده « أمير المؤمنين » فكان يكتب : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى فلان . . وباقي المكاتبة على ما تقدم . واستمر ذلك فيما بعده حتى ان المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين . . مكرراً « عبد الله » مرتين مرة للقب الخلافة الذي زاده عمر ، ومرة للاسم العلم ؛ وعلى ذلك جري الحال في خلافة عثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم . فلما صارت الخلافة الى معاوية بن أبى سفيان عبر عن نفسه فى أثناء المكاتبة بأمير المومنين مثل : بلغ أمير المؤمنين ، واقتضى رأي أمير المؤمنين ، ونحو ذلك . ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة فجود القراطيس وجلل

الخطوط وفخم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك الا عمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد فأنهما جريا في ذلك على طريقة السلف؛ ثم جرى الامر بعدهما على ماسنه الوليد. فلما صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى وكان من اللسن والبلاغة بالمكان الذى لا يجهل اطال الكتب وفخمها حيث اقتضى الحال ذلك واستمر ذلك الى ما بعده . فلما انفضت الخلافة الى الدولة العباسية زيد بعد اسم الخليفة لفظ « الامام » فكان يكتب : من عبد الله فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين الى فلان . سلام عليك فأن أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا إله الا هو .. ثم يتخلص الى المقصود على ماتقدم . فلما آلت الخلافة الى الرشيد زاد بعد التحميد « ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » معيداً الضمير على « أمير المؤمنين » فجرى الامر على ذلك في زمنه ومابعده ، قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الاوائل ، وكان ذلك من أجل مناقبه . واستمر ذلك بعده . وربما كتب « ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم » . ولما صارت الخلافة الى الامين اكتفى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك . ثم الذى رتبه أبو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب أنه يقدم الاسم على الكنية والكنية على اللقب مثل أن يقال : من عبد الله فلان أبي فلان الامام الفلانى أمير المؤمنين .. وقال : أن هذا هو الذى اصطلح عليه فى الامور السلطانيات التى تنشأ بها الكتب من الدواوين . وذكر أن بعض العلماء خالفهم في ذلك وقال : الاولى أن يبتدأ باللقب مثل أن يقال : من الراضى وما أشبهه كما قال عز وجل « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله » لان اللقب لا يشاركه فيه غيره فكان أولى ان يبدأ به . ولم يزل الامر على ذلك الى حين انقراض الخلافة من بغداد . أما الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية فأنه كان يزاد فيما يكتب به عنهم بعد « عبد الله » لفظ « ووليه » فيقال : من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الفلانى — بلقب الخلافة — أمير المؤمنين ... ويقولون فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : ويسأله أن يصلى على جده محمد نبيه ورسوله وعلى الائمة من عترته ويسلم عليهم تسليما .. ونحو ذلك . فلما صارت الخلافة العباسية من بغداد الى الديار المصرية جرت مكاتبة خلفائها على نحو ما كان عليه الحال في بغداد مع زيادة لفظ « ووليه » الذى كان يكتب

به الفاطميون مع التعويض عن الحمد والسلام بخطبـة ، فكتب عن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان الى الملك المؤيد هزبر الدين داود صاحب اليمن بعد الافتتاح بآية من كتاب الله تعالى : من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان ، أما بعد حمد الله ... ثم لما آلت الخلافة الى المتوكل على الله افتتح الكتب عنه بالسلام ، فكان يكتب : سلام الله ورحمته وبركاته يخص فلاناً ... وعلى ذلك جرى ابنه المستعين بالله فى أول خلافته ، فلما استبد بالخلافة والسلطنة كتب عنه : من عبد الله ووليه خليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المفترض طاعته على الناس أجمعين الامام المستعين بالله أبى الفضل العباسي أعز الله به الدين ... ثم يؤتى بالمكاتبة السلطانية مثل : أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، أو نصرة الجناب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ، أو أدام الله تعالى نعمـة الجناب العالى على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . فلما خلع المستعين واستقر فى الخلافة أمير المؤمنين المعتضـد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المتوكل محمد المقدم ذكره أعاد المكاتبة الى ما كانت عليه فى زمن ولده والحال على ذلك الى الآن

اذا علمت ذلك فلتعلم أن الخطاب فى الكتب الصادرة عن النبى صلى الله عليـه وسلم كان يقع باسم المكتوب اليه الذى هو علم عليه ، وبتاء الخطاب وكافه مثل أنت ، وقلت ، وفعلت ، ولك ، وعليك ، وما أشبه ذلك كما كتب الى خالد بن الوليد فى جواب كتابه حين وجهه الى بنى الحارث بن كعب وكتب اليه باسلامهم : من محمـد رسول الله الى خالد بن الوليد ، سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . اما بعد فأن كذا وكذا ... وكما كتب الى هرقل عظيم الروم : (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم) سلام على من اتبع الهدى ، أما بعـد فأن كذا وكذا . وكذلك الكتب الصادرة عن الصديق رضى الله عنه كما كتب الى أهـل الردة : من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة اقام على الاسلام او رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فأنى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وحـده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ... وكذلك الكتب الصادرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما كتب الى عمرو بن العاص وهو أمير مصر بسبب ما بلغه ان له فاشية

مال فشت : من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عمرو بن العاص . . .
وكذلك سائر الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم الدولة الاموية ،
ثم اوائل الدولة العباسية . فلما انحلت عرى الدولة العباسية وغلب على خلفائهم ملوك
بنى بويه وتلقبوا بالاضافة الى الدولة والملة كتب اليهم على نظير القابهم ، فكتب ابو
اسحاق الصابىعن الطائع لله الى صمصام الدولة : (من عبد الله عبد الكريم الامام
الطائع لله أمير المؤمنين الى صمصام الدولة) وشمس الملة أبى كاليجان بن
عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين سلام عليك فأن امير المؤمنين يحمد اليك
الله الذى لااله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
اما بعد اطال الله بقاءك فأن امير المؤمنين . . واتى على المقصد الى آخره على ما اوردته
في الاصل . ثم لما جاءت الدولة السلجوقية وقد لقب فيها بالاضافة الى الدين وكثرت
الالقاب التى يلقب بها الخلفاء الملوك كتب بها ، فكتب عن المقتفى لامر الله
الى السلطان ابى الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي : من عبد الله ابى عبد
الله محمد المقتفى لامر الله أمير المؤمنين الى شاهنشاه المعظم مولى الامم مالك رقاب
العرب والعجم جلال دين الله ظهير عباد الله حافظ بلاد الله معين خليفة الله غياث
الدنيا والدين ناصر الاسلام والمسلمين محيي الدولة القاهرة معز الملة الزاهرة عماد
الامة الباهرة ابى الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم امير المؤمنين ، سلام عليك
فأن امير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لااله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده
ورسوله ويسلم تسليما . اما بعد اطال الله بقاءك وادام عزك وتأييدك . . . في دعاء
طويل تخلص منه الى المقصد وقد ذكرته فى الاصل . . الا ان المقر الشهابي بن فضل الله
حين كتب عن المستكفى بالله ابي الربيع سليمان الى السلطان الملك الناصر (احمد بن
الملك) الناصر محمد بن قلاوون وهو بالكرك يستدعي حضوره الى قلعة الجبل بالقاهرة
لتقلد السلطنة بعد خلع أخيه الاشرف كجك وقتل الامير قوصون ومن معه فأنه عدل
عن الالقاب الى الاتيان بخطبة بعد الافتتاح بآية من القرآن الكريم فكتب : الم تر
ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فالحمد
لله الذى أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة ، وأخذ

بنواصي اعدائه الكاذبة المائنة ، وأعلى جد هذه الدولة القاهرة ، وأطلع في أسنة العوالي نجومها الزاهرة : وحرك لها العزائم (فملكت) والامور بحمد الله ساكنة ، والبلاد والمنة لله آمنة ، والرعايا في نطاعها قاطنة ... وأتى على هذه الخطبة الى آخرها ثم تخلص الى المقصد . قلت : أما في هذا الزمان وما قاربه فأنه لم يعلم انه كتب عن الخليفة الى السلطان وقتا من الاوقات لملازمة الخليفة السلطان سفرا وحضرا فلو قدر كتابة في ذلك فالاحسن ان يؤتى بخطبة كما في الكتاب المتقدم فأنه أعظم من الالقاب فلو أتى بألقاب السلطان لساغ ذلك . اما الكتب التي تكتب عن الخليفة الآن فأنه يؤتى فيها بألقاب المكتوب اليه التي يكتب بها عن السلطان مثل ان يكتب عن الخليفة الى النائب الكافل فيكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخص المقام الكريم العالي الاميري الكبيري العالمي العادلي المؤيدي الزعيمي الغوثي الغياثي الثاغري المرابطي الممهدي المشيدي الظهيري العابدي الناسكي الاتابكي الكفيلي الفلاني معز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين اتابك العساكر ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين . الى آخر المكاتبة ، وعلى ذلك في باقي المكاتبات

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ — مما يكتب به عن الخلفاء ان تفتتح المكاتبة بـ « أما بعد » والاصل في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح بعض كتبه بذلك كما كتب الى اهل نجران : اما بعد فأني (أدعوكم) الى عبادة الله من عبادة العباد ، وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد ، فأن أبيتم فالجزية ، فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب الاسلام . وكذلك بعض الخلفاء الراشدين كما كتب عثمان بن عفان الى علي ابن ابي طالب حين خرج الى البقيع واختلف الناس على عثمان : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين . وطمع فيّ من كان يضعف عن الدفع عن نفسه ... وكذلك خلفاء بني امية كما كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة : اما بعد فاذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم ان مالك عند الله مثل ما للرعية عندك .. اما خلفاء بني العباس فغالب ما كان يقع ذلك عنهم في كتب الفتوح ونحوها مما لا يختص بواحد وهي على ضربين

الضرب الاول ـ ان يعقب البعدية بالحمدلة امامرة واحدة كما كتب أبو اسحاق الصابى عن المطيع لله الى بعض ولاة الاطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح السامانى (فى الصبح: الساسانى): اما بعد فالحمد لله الولى بالاستحماد ، المستحق (لكنه) الاعتداد ، القدير علي تأليف الاجساد ــ الى نحو العشرين سجعة ثم تخلص الى المقصود بقوله ــ: وقد علمت كيت وكيت . . . على ماهو مذكور في الاصل . واما بتكرار الحمد الى ثلاث فأكثر كما كتب عن المعتصم الى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابك ملك الروم: اما بعد فالحمد لله الذى جعل العاقبة لدينه والعصمة لاوليائه، والعز لمن نصره، والفلاح لمن اطاعه، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى الهاً غيره ، لا اله الا هو وحده لاشريك له . يحمده امير المؤمنين حمد من لايعبد غيره ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يفوض امره الا اليه ، ولا يرجو الخير الا من عنده ، ــ الى نحو عشر سجعات ثم قال ـ : والحمد لله الذى تولى أمير المؤمنين بصنعه فيسر له امره ، وصدق له ظنه ، وانجح له طلبته ــ الى نحو من ذلك ثم قال ــ : فالحمد لله كثيرا كما هو اهله ونرغب الى الله فى تمام نعمه ، ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنه ولطفه ـ ثم تخلص الى المقصد بقوله ــ : ولا يعلم امير المؤمنين مع كثرة اعداء المسلمين مثل فلان . . . وقد ذكرته فى الاصل بكماله

الضرب الثانى ان لايعقب البعدية بتحميد بل يقع الشروع عقبها في المقصود كما كتب ابو اسحاق الصابى عن الطائع لله الى من فى عمان وما معها من البحرين بالاجتماع علي الطاعة : اما بعد فان أمير المؤمنين لَلذى حمله الله من اعباء الامامة وأهله له من شرف الخلافة واستودعه من الامانة فى حياطة المسلمين والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين ــ الى آخر ماسنح له من ذلك ثم تخلص الى المقصد بقوله ــ : وقد علمتم كيت وكيت

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ــ ان تفتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد لله . وأصل هذه المكاتبة مختلس من الاسلوب الاول من قولهم : فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، ثم أحدث عبد الحميد بن يحيى فى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية التحميد بعد البعدية وتبعه من بعده على ذلك كما تقدم . ثم توسعوا في ذلك فجعلوا الحمد

افتتاحا . ولا خفاء في ان الافتتاح بالحمد من أعلى الافتتاحات وأعلى مراتب الابتداآت وان لم يقع الابتداء به فى صدر الاسلام .

واعلم أن للخليفة مكاتبات خاصة لاخصائه كالوزير ونحوه. قال فى صناعة الكتاب: و يكاتب الامام الوزير ومن حل محله بـ « أمتعنى الله بك ، وبدوام النعمة عندى بك ، وبقاء الموهبة لى منك » وما جرى هذا المجرى . ثم رتب المكاتبة على ماذكره فى صناعة الكتاب على الاسلوب الاول ان يكتب : من عبد الله فلان أبى فلان الامام الفلانى أمير المؤمنين ، سلام عليك فأن أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لااله الا هو و يسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله — ثم يفصل ببياض يسير ثم يكتب — : اما بعد فأن كذا وكذا — ويوتى على المعنى فأن انتهى من ذلك وأراد أن يكتب بأمر فصل ببياض يسير ثم كتب — : وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ، أو رأى ان يكتب اليك بكذا فيؤمر بامتثال ماأمر به والعمل بحسبه — ثم يفصل ببياض ويكتب — : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به ان شاء الله تعالى . قلت، وقد يكتب في اواخر المكاتبة بعد استيفاء القصد : وهذه مناجاة أمير المؤمنين اليك . ويقال في السلام على اعلى الطبقات من المكتوب اليهم : والسلام عليك ورحمة الله ؛ ور بما قيل ، ورحمة الله وبركاته

أما عنونة كتب الخلفاء فكانت فى الجانب الايمن : من عبد الله فلان الامام الفلانى أمير المؤمنين . وفى الجانب الايسر : الى فلان بن فلان . فلما تكنى الامير في كتبه زيدت الكنية فى العنوان . ثم زاد المأمون فى أول عنواناته البسملة فكانت تكتب فى الجانب الايمن قبل « من عبدالله فلان » . وفى كلام النحاس فى صناعة الكتاب مايقتضى أن البسملة بقيت فى العنونة الى خلافة الراضي وفى كلام صاحب مواد البيان أنها بطلت فيما بعد . قال فى صناعة الكتاب : فأن كان المكتوب اليه من موالى بنى هاشم نسب الى ذلك، وان لم يكن ينسب اليهم ترك

﴿ الفصل الثانى ﴾

فى الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

لم أقف فيه على ترجمة صريحة غير ان النحاس فى صناعة الكتاب بعد أن ذكر

ان صورة المكاتبة عن الخليفة « من عبد الله أبي فلان فلان الامام الفلانى » عقب ذلك بأن قال : وليس أحد من الرؤساء يكاتب عنه بالتصدير الا الامام وولى العهد، ولم يزد على ذلك وقد فسر في ذخيرة الكتاب التصدير بأن قال : يكتب « من عبد الله أبي فلان فلان ـ باسمه ونعته وكنيته ثم يقال ـ أمير المؤمنين الى فلان. أما بعد فأن أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ... » الخ على ما تقدم ذكره. وذكر النحاس فى الكلام على العنوان من الرئيس الى المرءوس أنه يحذف من الكتاب عن ولى العهد لفظ « الامام » ولفظ « أمير المؤمنين » ويقال فيه « ولى العهد » وظاهر ذلك ان المكاتبة عن ولى العهد شبيهة بالمكاتبة عن الخليفة ، وأن لفظ « ولى العهد » فى المكاتبة عن ولى العهد يقوم مقام « أمير المؤمنين » فى المكاتبة عن الخليفة نفسه. قلت : وحينئذ فيتجه أن تكون المكاتبة عنه « من عبد الله فلان أبي فلان الفلانى بالله ولى عهد المسلمين الى فلان . سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فأن كذا وكذا ... » ويأتى على المقصد . وعلى ذلك يدل كلام صاحب ذخيرة الكتاب حيث قال بعد ذكر المكاتبة عن الخليفة : وكذلك المكاتبة عن ولى العهد

﴿ الفصل الثالث ﴾

فى المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم الى الخلفاء . والمعول عليه من من ذلك ستة أساليب

﴿الاسلوب الاول﴾ -- أن يفتتح المكاتبة بلفظ : لفلان من فلان ، أو الى فلان من فلان . وقد اختلف العلماء في ابتداء المكاتبة باسم المكتوب اليه على مذهبين: أحدهما كراهة ذلك لأنه مأخوذ عن ملوك العجم وقد جاء عن جماعة من السلف كراهته على ماهو مذكور في الاصل حتى ذكر صاحب صناعة الكتاب عن الربيع بن أنس أنه قال: ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون اليه فيبدأون بأنفسهم . والذى عليه الجادة أنه لا كراهة فيه ، ففي سيرة ابن هشام أن خالد ابن الوليد رضي الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى الحارث بن كعب

فأسلموا كتب اليـه : لمحمد النبي صـلى الله عليه وسـلم من خالد بن الوليد . وأن النجاشي كتب اليه صلى الله عليه وسلم : الى محمد رسول الله من النجاشي . وقد ورد ان جماعة من السلف كانوا يتمانون ذلك على ماذكرته في الاصل . ثم القائلون بذلك اختلفوا، فذهبت فرقة منهم الى أنه ربما يعدي بـ « إلى » فيقال : الي فلان بن فلان. ولا يعدى باللام ، فلا يقال : لفلان من فلان . والمشهور أنه لا فرق ، فقد كتب خالد ابن الوليد « لمحمد النبي » وكتب النجاشي: « الى محمد رسول الله » ولم ينكر على واحد منهما ؛ بل المتداول بين الخلفاء في المكاتبات « لفلان » دون « الى فلان » فقـد كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جواب كتاب كتبه اليه يذكر فيه فاشية مال فشت له : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا وكذا » ، وكتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان فى جواب كتاب كتبه اليه يوبخـه فيـه بسبب تعرضه لأنس بن مالك : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين فأنى أحمد اليه الله الذى لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا » . وقد ذكر قدامة في كتاب الخراج أن الرسم فى الكتابة الى الخليفة ان يكتب : « لعبد الله فلان أبي فلان ـ باسمه وكنيته ونعته ـ أمير المؤمنين . سلام علي أمير المؤمنين فاني أحمـد اليه الله الذى لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعـد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته وأتم نعمته عليه وزاد فى احسانه اليه وفضله عنده وجميل بلائه لديه وجزيل عطائه له » . وزاد فى صناعة الكتاب فى السلام « ورحمة الله وبركاته » قال النحاس ، ثم يقال « أما بعد فقد كان كذا وكذا » حتي يأتى على المعانى التي يحتاج اليها ، قال ، وتكون المكاتبة : « وقـد فعل عبد أمير المؤمنين كذا » فان زادت حاله لم يقل « عبد أمير المؤمنين » فاذا بلغ الى الدعاء ترك (فضاء) ثم كتب « أتم الله على أمير المؤمنين نعمته ، وهناه وكرامتـه ، وألبسه عفوه وعافيته . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا » . قلت : وقد جرت عادتهم انه اذا كان الكتاب بظهور نعمة من فتح أو غيره أتي فى صدر الكتاب بالتحميد كما كتب أبو أسحاق

الصابي عن عز الدولة ابن بويه الى المطيع لله عند فتحه الموصل وهزيمة ابن حمدان صاحب حلب في سنة ٣٦٣: «لعبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فأني أحمد الى أمير المؤمنين الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. اما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وادام الله له العز والتأييد، والتوفيق والتسديد، والعلو والقدرة، والظهور والنصرة. والحمد لله العلي العظيم الازلي القديم — في سجعات أخرى تتعلق بتنزيه الله تعالى — والحمد لله الذي اصطفى للنبوة احق عباده بحمل اعبائها - في سجعات أخرى تتعلق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم — والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف، والعنصر المنيف.... في سجعات أخرى تتعلق بالخليفة ثم تخلص الى المقصد وأتى عليه الى آخره

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ — ان يفتتح المكاتبة بلفظ « كتابي » وهو اقلها وقوعا كما كتب ابو الفرج الببغاء عن أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني حمدان في جواب كتاب وصل اليه من الخليفة: «كتابي أطال الله بقاء امير المؤمنين وعبد أمير المؤمنين يستديم بشكر الله تعالي مدد النعم المتظاهرة والمنح المتناصرة لديه — الى آخر الصدر ثم تخلص منه بقوله —: (ووصل) كتاب أمير المؤمنين ....» وأتى على المقصد الي آخره

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتتح المكاتبة بالصلاة علي الخليفة علي رأي من يرى جواز افراد غير الانبياء بالصلاة كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ديوان الخلافة ببغداد: «صلوات الله التى أعدها لاوليائه وذخرها (وتحياته التى قذف بشهبها شياطين أعدائه ودحرها)، وبركاته التى دعا بها كل موحد فأجاب، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب، ورحمته التي هي للمؤمنين سكن، وسلامه الذى لا يعترى الموقنين في ترديده حصر ولا لكن، على مولانا أمير المؤمنين عاقد ألوية الايمان، وصاحب دول الزمان، وساحب ذيل الاحسان، وغالب حزب الشيطان، الذى زلزلت امامته قدم الباطل، وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم مماطل، وامضت عزمته كل عزم مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل، وشفعت يقظات استغفاره الي غافر ذنب كل

غافل ، وعلى آبائه القائمين بحقوق الله اذا قعد الناس ، والحاكمين بعدل الله اذا عدم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الالهام الموروثة من الوحي إذا عجز الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، خزان الحكم وحفاظها ، ومعانى النعم وألفاظها ، واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة ، وكالئى السروح المنتشرة بيد الامامة ، ومن لا ينفذ سهم عمل الا اذا شحذ بموالاتهم ، ولا يتألق صبح هداية الا اذا استصبح السارى بدلالاتهم . المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المجد ومعاقله ، ومجالس الجود ، ومجال السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ، ومفتر مباسم الامامة ، ومجر مساحب الكرامة ، ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الارض مستسلمين ، ومشاهد الاسلام كيوم أنزل فيه « اليوم أكملت لكم دينكم » وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله « قاتلوا الذين يلونكم » ، ويناجيها بلسان حكي الاخلاص الصادق عقيدته ، وبسط الولاء السابق عقليته ، وأرهف الايمان الناصع مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطره ، وقلب اعانه علي ورود الولاء صفا المصافاة فيه فطره ، ويخبر أنه ما وهن عما أوجبته آلاؤه ولا وهى ، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى ، ووضحت الآيات لأولى النهى ، والله تعالي يزيل عنه فى شرف المثول عوائق القدر ومواقعه ، ويكشف له عن قناع الانوار التى ليست همته بما دون نظرها قانعة . والامر كيت وكيت . . »

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتتح المكاتبة بالسلام على الخليفة . وقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة ان علي ذلك كان الاصطلاح في زمانه فى أواخر الدلة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك بنى أيوب الى ديوان الخلافة يعتذر عن تأخر الكتب ويذكر خبر صاحبي قسطنطينية وصقلية : « سلام الله الاطيب ، وبركاته التى يستدرها الحضر والغيب ، وزكاته التى ترفع أولياءه الى الدرج ، ونعمه التى لم تجعل على أهل طاعته في الدين من حرج ، على مولانا سيد الخلق ، وسادّ الخرق ، ومسدد أهل الحق ، ولابس الشعار الاطهر سواداً ، ومستحق الطاعة التى أسعد الله من خصه بها بدءاً ومعاداً ، وولى الأمة الذى تشابه يوم نداه وبأسه ان ركض جوداً أو جواداً ، وواحد الدهر

الذى لا يثني ، واليه القلوب تثنى ، ولا تقبل الله جمعاً لا يكون بولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تقيم واسمه فى عمله الى الله يسير ، مولانا أمير المؤمنين وعلى آبائه المالئي الارض عدلا ، الملاء أهلا وفضلا ، والضاربين فيصلا والقائلين فصلا ، ومن تقول الجنة لهم اهلا ، المخصوصين بالعناية الالهية ، الحاكمين فكل أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منهية ، والمشرفى الاسارير على اسرة الشرف فكم ملأت البهو مناظرهم البهية . المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بأعظامه ، والبساط المقبل بطول استلامه ، والسر الذى أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، وينهى كيت وكيت .. » قلت : وقد يجمع بين الصلاة والسلام كما كتب المستضىء بالله يبشرى بفتح بلد : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون سلام قولا من رب رحيم (وروح وريحان وجنة نعيم) وصلاة يتبعها تسليم ، وكأس يمزجها تسنيم ، وذكر من الله تعالى في الملأ الاعلى ، ورحمة الله وبركاته معلومة من النشأة الاولى ، على مولانا الامام المستضيء بالله المستضاء بأنواره .. » الخ

﴿ الاسلوب الخامس ﴾ ان يفتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد لله . وذلك مما يختص بالبشارة بالفتوح وما في معناه كما كتب العماد الاصبهانى عن السلطان صلاح الدين الى الناصر لدين الله ببغداد : « الحمد لله علي ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى ان أجرى هذه الحسنة التى ما اشتمل على مثلها كرائم الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها فى المواقف ، في الايام الامامية الناصرية زادها الله تعالى غررا واوضاحاً ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مارق من كل كافر ومارق ، ولا اخلاها من سيرة سرية تجمع بين سيرة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال ايدى اوليائها لتحمى بالحقيقة حمى الحقائق ، وانجز فيها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادى المغارب ومرامي المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابيح ، وسيوفها للبلاد مفاتيح ، وأطراف أسنتها لدماء الاعداء نوازح . والحمد لله الذي نصر الديوان العزيز وايده ، وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلابيب الظلماء وجدد جدده ، وجعل بعد عسر يسرا ـ الى آخر التحميد ـ والحمد الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه حديدا حبله ، مبيضا نصره مخضرا نصله ، متسعا

فضله، مجتمعا شمله . والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم كيتُ وكيت »

﴿الاسلوب السادس﴾ — ان يفتتح المكاتبة بالدعاء للديوان العزيز مثل: أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز ؛ وخلد الله أيام الديوان العزيز ، وأدام الله النعمة على الدين والدنيا بإيالة الديوان العزيز ؛ وأعلى الله الموحدين على الملحدين وثبت كلمة المتقين بدوام ايام الديوان العزيز، وما أشبه ذلك . وعليه اقتصر فى التعريف جاريا عليه فى الاصطلاح وكلامه ظاهر في انه لم يقف على اسلوب سواه ولا شك أنه اشهر الاساليب وعليه الاصطلاح الآن كما كتب في صدر مكاتبة الى ديوان الخلافة :« خلد الله سلطان الديوان العزيز المولوى السيدى النبوى الامامى الفلانى ولا زالت ايامه شامخة الذوائب ، شارخة الصبا حيث يلحق الشيب الشوائب ، راسخة الفخار فى الظهور بالعجائب ، نافخة فى فحم الليل جمرة الكتائب ، صارخة والرعد ترتعد فرائصه بين السحائب ، ناسخة دولة كل علياء بما تأتى به من الغرائب ، وتبذله من الرغائب ، فاسخة عقد كل خالع يرده الله اليها ردة خائب ، باذخة على ماضى كل زمان ذاهب ، من عصور الخلفاء الشرفاء وآيب ، سالخة لجلدة كل أيم ظن ان في أنياب رمحه النوائب . الخادم يقبل العتبات الشريفة ساجدا بجبينه ، وشاهدا يستأديه له على يمينه ؛ وجاحدا كل ولاء سوى ولائه المعقود بيمينه ، وعاقدا شرف الانتساب اليه عقد دينه ، وحامداً لله الذى جعل طاعة امير المؤمنين عند حسن يقينه ، وعائذا بأمله الى كرم تثمر به الآمال ، وتقمر به الليال ، لانها شعاره الذي تضرب به الامثال ، وتمطر به السحب الجهام فتمحو به آية الأمحال . وينهي كيت وكيت »

واعلم ان المراد بديوان الخلافة المكتوب اليه هو ديوان الانشاء لان المكاتبات عنه صادرة واليه واردة . قال فى التعريف : وكان سبب مخاطبتهم الديوان الخضعان عن خطاب الخليفة نفسه ، قال ، والصدر فيه نحو : العبد ، او المملوك ، او الخادم يقبل الارض ، او العتبات ، او مواطئ المواقف . ويخاطب الخليفة فى أثناء الكتاب بالديوان العزيز والمقام الاشرف والجانب الاعلى او الشريف ، وبأمير المؤمنين مجردة عن سيدنا ومولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة ، ثم قال ، ويختم تارة بالدعاء بـ : طالع ، أو أنهى ، أو غيرهما مما فيه معنى الانهاء . وقد تقدم فى الكلام

على أصول المكاتبات ان من الملوك من كتب في العلامة : الخادم : ومنهم من كتب: المملوك ، ومنهم من كتب : العبد ، ومنهم من كتب : اقل العبيد ، ومنهم من كتب: اقل المماليك ، ومنهم من كتب الخادم المطواع وغير ذلك . قال في التعريف ، وعنوانه: الديوان العزيز . . . الى آخر الالقاب . ثم الدعاء من نسبة الصدر نحو : أدام الله تعالى أيامه وخلد سلطانه ، وما أشبه ذلك . قلت : وربما جرت المكاتبات الى الخلفاء على غير هذه الاساليب فتفتتح بالدعاء بطول البقاء كما كتب ابو المطفر (في الصبح أبو المطرف) بن المثنى الى هشام بن الحكم أحد خلفاء بني أمية بالاندلس عن بعض أتباعه: «أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مولاى وسيدى وسيد العالمين ، وابن الائمة الراشدين ، عزيزًا سلطانه ، منيرًا زمانه ، سامية أعلامه ، ماضية أحكامه ، ظاهرًا على من ناواه ، قاهرًا لمن عاداه . كتابي أيد الله أمير المؤمنين والأمر على كيت وكيت . » . أو يفتتح بألقاب الخليفة كما كتب ابو الميمون عن بعض أهل دولته الى الناصر لدين الله أحد خلفائهم : « المقام الأعلى المقدس المكرم الامامي الطاهر الزكي مقام الخليفة المؤيد بنصر الله الناصر لدين الله كلأ الله جلالهم ، وفيأ ظلالهم ، وبوأ وفود السعود ووجود الظهور والصعود مواطنهم المقدسة وحلالهم . عبدهم المتقلب في نعمتهم فلان . . . » ويذكر ماسنح له . او يفتتح المكاتبة بالحضرة كما كتب أبو المظفر (في الصبح: المطرف) بن عميرة الى المستنصر بالله أحد خلفائهم « الحضرة الامامية المنصورة الاعلام ، الناصرة للاسلام ، المخصوصة من العدل والاحسان بما يجلو نوره متراكم الاظلام ، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبي يعقوب بن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، وصل الله لها إسعاد القدر ، وإنجاد النصر والظفر ... » ويفتتح المكاتبة بوصف الخلافة كما كتب أبو عبد الله بن الخطيب عن سلطانه ابن الاحمر بغرناطة من الاندلس الى المستنصر بالله أبي اسحاق ابراهيم خليفة الموحدين بتونس بالبشري بفتح: « الخلافة التي ارتفع عن عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ، واستقلت مباني فخرها الشائع وعزها الذائع على ما أسسه الاسلاف ، ووجب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسعت الآملين بها الجوانب الرحيبة والاكناف ، فامتزاجنا بعلائها المنيف وولائها الشريف كما امتزج الماء والسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم وفيضها العميم كما تأرجت الرياض والافواف ، ودعاؤنا بطول

بقائها واتصال عنانها يسمو به الى قرع أبواب السموات العلي الاستشراف ، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة وفواضلها العميمة لا يحصره الحد ولا تدركه الاوصاف، وان عَذَرَ في التقصير عن نيل ذاك المراد الكبير الحق والانصاف . . . » الى غير ذلك من الامثال المختلفة والافانين المتباينة مما لا يسع استيعابه وحصره

﴿ الفصل الرابع ﴾

فيما يكتب عن الملوك ومن فى معناهم الى ولاة العهد بالخلافة وهو على أسلوبين:

﴿ الاسلوب الاول ﴾ ما كان عليه الامر فى الزمن القديم حين كان يكتب الى الخليفة : لفلان من فلان . وقد أشار الى ذلك فى صناعة الكتاب فقال : ويكون التصدير في المكاتبة الى ولى العهد على ما تقدم فى المكاتبة الى الخلفاء مع تغيير الاسماء . غير أنه جعل الفرق بين الامام وغيره ممن يكاتب بالتصدير ان يقال للامام في التصدير مع السلام « وبركاته » في أول الكتاب وآخره ولمن سوى الامام يحذف «وبركاته» من التصدير ويثبت فى آخر الكتاب وحينئذ فتكون المكاتبة الى ولى العهد على ما أشار اليه في صناعة الكتاب : « لعبد الله أبى فلان فلان ولى عهد المسلمين ، سلام على ولى عهد المسلمين فأنى أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد أطال الله بقاء ولى العهد — ويختمه بقوله — : والسلام على ولى عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته » أو نحو ذلك

﴿ الاسلوب الثانى ﴾ ما عليه المصطلح الآن . وقد ذكر في التعريف ان رسم المكاتبة اليه : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى . . . ثم الدعاء . وأبدل فى التثقيف لفظ الجناب بالجانب ، ثم قال : والخطاب له بـ « مولانا وسيدنا ولى العهد » ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه بـ « الخادم يقبل العتبات الشريفة» أو اليد الشريفة» أو نحو ذلك . وذكر في التثقيف أن العلامة له «الخادم» والعنوان الجانب « الشريف » وبقية الألقاب المذكورة الى آخرها . وذكر أن التعبير بالجانب أولى من التعبير بالجناب لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجناب، ثم قال ، وهذا على عادة من تقدم من الملوك أما فى زماننا وقبله بمدة مديدة فلم يتفق وجود ولى عهد بالخلافة . قال وبتقدير وجوده فأذا لم يكن الخليفة يكاتب فى هذه

الايام فكيف بولى العهد . وقد أورد في التعريف لمكاتبته صدوراً وهذا صدر من ذلك:

ضاعف الله جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى وأطلع مع وجود الشمس بدره التمام، واحوج مع زاخر البحر منه الى مدد الغمام، وقدمه إماماً على الناس وأطال الله بقاء سيدنا أبيه الامام، ولا عدم منه مع نظار والده الشريف جميل النظر، ولا برح صدر دسته العلى اذا غاب وثانيه اذا حضر، ولا زال الزمان مختالا من جود وجودهما بالزهر والثمر . ولا زاد فيض كرم الا وهو من كف أبيه الكريم فاض او من وبله العميم انهمر . الخادم يخدم تلك العتبات الباذخة الشرف، (الناسخة بما وجده من الخير فى تقبيلها قول من قال: لا خير في السرف) وينهى ولاء ما عقد على مثله ضمير، ولا انعقد شبيهه لولى عهد ولا أمير، واخلاصه في انتماء اشرق منه على الجبين، واشرف، فرآه فرضا عليه فيما نطق به القرآن ورقم فى الكتاب المبين

﴿ صدر آخر ﴾ - اعز الله انصار الجانب الشريف ولا حجب منه سر ذلك الجلال، ولا معنى ذلك البدر المشرق منه فى صورة الهلال، ولا فيض ذلك السحاب المشرع منه هذا المورد الزلال، ولا تلك المآثر التى دل عليها منه كرم الخلال، ولا تلك الشجرة المفرعة ولا ما امتد منها به من الغصن الممتد الظلال، ولا ذلك الامام الذى هو ولى عهده وهو اعظم من الاستقلال . الخادم يقبل تلك اليد موفيا لها بعهده، (ومصفيا منها ورده) ومضفيا منها جلابيب الشرف على عطفه، وحسبه فخارا ان يدعى فى ذلك المقام بعبده، ويترامى على تلك الابواب، ويلثم ذلك الثرى ويرجو الثواب

﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت عهود ولايته منصوصة، وايالته بعموم المصالح مخصوصة، وصفوف جيوشه كالبنيان مرصوصة، وقوادم أعدائه بالحوالق مقصوصة، وبدائع انبائه فيما حلقت اليه دعوته الشريفة مقصوصة الخادم يجدد بتلك العتبات خدمه، ويقف فى تلك الصفوف لا ينقل عن الطاعة قدمه، ويتمثل بين تلك الوقوف ويتميز عليهم اذا ذكر في السوابق قدمه، ويدلى بحجج سيوفه التى ما أنكرها الديوان العزيز منذ أثبتها، ولا حطره احها منذ أنبتها، ولا محا سطورها منذ كتبها، ليغيظ الاعداء ولا يشفى صدورها منذ كبتها . وينهى كيت وكيت

﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت مواعيد الظفر له منضوضة، ورءوس من كفر بطوارقه مرضوضة، وصحائف الايام عما يسر به الزمان فيه مفضوضة، وجفون عداه ولو اتصلت بمقل النجوم

مخضوضة. الخادم يخدم ارضه المقدسة بتراميه قبله، وتقليب وجهه الى قبله، ويتطوف بملك الحرم، ويتطول من فواضل ذلك الكرم، ويتطوق بقلائد تلك المنن، وفرائد تلك المواهب التي ان لم تكن له والا فمن، فانه والله يشهد له لا يعتقد بمدولاء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين - القائم بأمور الدنيا والدين . عليه الصلاة والسلام الا ولاءها ، ولا يؤمل بعد الآلاء الا آلاءها ولا يرجو من غير هذه الشجرة المباركة لأمله إثمارا ، ولا لليله اقمارا ، ولا لأيامه حافظا ، ولا لحال اقدامه فى قدم صدق ولانه لافظا ، قائما فى خدمة هذه الدولة القاهرة بجهد فى منافعها ، و يدخر شفاعتها العظمى اذا جاءت كل أمة بشافعها وينهى كيت وكيت

قلت: وانما أوردت هذه الصور وان ترك ماهنا لك وأهمل خوف نسيانه بالترك والاهمال بخلاف ماهو متداول الاستعمال فأنه يكون دائرا على الالسنة محفوظا فى الدفاتر

﴿ الفصل الخامس ﴾

في الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم فى الزمن المتقدم . والمشهور من ذلك ستة أساليب

﴿ الاسلوب الاول ﴾ ان يفتتح المكاتبة بـ « اما بعد فأن كذا » وعليه كان الحال فى الزمن القديم كما كتب الحجاج وهو على العراق الى المهلب بن أبى صفرة وهو على بعض حروبه : « أما بعد فانك تتراخي عن الحرب حتى تأتيك رسلي وترجع بعذرك وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس (ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح) ولو كنت بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم . ولعمرى ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجالا وامامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير »

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ — ان يفتتح المكاتبة بلفظ « من فلان الى فلان ثم يحمد الله تعالى و يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويتخلص بأما بعد » كما كان يكتب عن الخلفاء وكما كتب ابن عبد كان عن احمد بن طولون وهو على الديار المصرية الى ابنه العباس حين عصى عليه بالاسكندرية بالانذار له والتوبيخ على فعله : « من احمد بن طولون مولى امير المؤمنين الى الظالم لنفسه ، العاصى لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ،

العادى لطوره ، الجاهل لقدره ، الناكص على عقبه ، المركوس فى فتنته ، المنحوس من حظ دنياه وآخرته . سلام على كل منيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ باللطم ، وحلول الفوت والندم . وأحمد الله الذى لا إله الا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل ، والطول الجليل ، وأساله مسئلة مخلص لى رجائه ، مجتهد فى دعائه ، ان يصلى على محمد عبده المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم . اما بعد فأن كذا . . » وكما كتب ابراهيم بن عبد الله كاتب الاخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية الى أرمانوس ملك الروم : « من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين الى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه . سلام بقدر ما أنتم له مستحقون فأنا نحمد الله الذى لا إله الا هو ونسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فأن كذا »

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتتح المكاتبة بلفظ « كتابنا » بنون الجمع المقتضية للتعظيم ويذكر ما يناسب الحال ثم يخلص الى المقصد وهو مختص بما إذا كانت رتبة المكتوب اليه منحطة عن رتبة المكتوب عنه كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بعض أمراء الشام معزيا بالسلطان نور الدين الشهيد صاحب الشام : « كتابنا هذا الى فلان معزيا بالرزء الذى كملت اقسامه وتمت ورمت أحداثه القلوب فأصمت ، وطرقت أحاديثه الاسماع فأصمت ، وابى ان تشفى كلومه ، وكاد لاجله الافق تنكسف بدوره وتنكدر نجومه ، وثلم جانب الدين لفقد من لولاه لدرست أعلامه ولم تدرس علومه ، وفجأ فاستولى على كل قلب وجيبه وعلى كل خاطر وجومه ، بانتقال المولى نور الدين الى سكنى دار السلام . . » الى آخر التعزية

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتتح المكاتبة بلفظ « كتابى » على الافراد . وذلك اذا انحطت رتبة المكتوب عنه عن رتبة المكتوب اليه كما كتب أبو اسحاق الصابي عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه من سوق الاهواز بحضرة أمير المؤمنين الى عضد الدولة في طلب الصلح وقد جرى بينهما خلاف : « كتابى أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة من المعسكر بظاهر الأهواز ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكتابة والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين ، مجرى على فضل ما عود الله خلفاءه فى أرضه وامناءه في رعاية خلقه من التكفل لهم بالاظهار والادالة وتوليهم بالاعلاء والانافة ،

وأنا مستظل بكنف طاعته ، مستكن فى حرم مشايعته ، شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بآلائه ، راغب اليه أن يعصمني فى مولانا الملك الجليل المنصور ، وأن يقيني من كل مكروه ويوفقني واياه لكل مستحب مستحسن ، ويعيذنا من المقام على الفرقة ، والزوال عن سنن الالفة ، وهو المحمود رب العالمين . والامر كيت وكيت »

(الاسلوب الخامس) — ان يفتتح المكاتبة بلفظ « المقام » او « الامارة » اوما شاكل ذلك ويوصف بما يناسب الحال ، ثم يقال « مقام فلان » . ثم يقال « معظم قدره فلان » باسم المكتوب عنه اذا كان المكتوب اليه أعلى رتبة من المكتوب عنه ، ثم يقال « سلام كريم » ويصفه أيضا ، ثم يقال « اما بعد حمد الله » ويذكر ما يطابق الحال ويشير الى الدعاء للمكتوب اليه ، ثم يقال « فأنا كتبناه اليكم » ويؤتى على المقصد ، ويختم بالسلام . وعليه جماعة من كتاب الغرب كما كتب ابو عبد الله بن الخطيب صاحب ديوان الانشاء بغرناطة من الاندلس عن سلطانه أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الاحمر الى السلطان أبي غياث (فى الصبح : ابى عنان) بن ابى الحسن المريني صاحب الغرب الاقصي عند موت الطاغية ملك قشتالة من الاندلس : « المقام الذي انارت آيات سعده في مسطور الوجود ، وتبارت جياد مجده في ميدان البأس والجود ، وضمنت ايالته لمن بهذه الاقطار الغربية تجديد السعود واعادة العهود ، واختلفت كتائب تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها او يومه المشهود ، مقام محل أخينا الذى يعظمه ويرفعه ، ويوجب له الحق العلي موضعه السلطان أبي غياث ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان ابى سعيد ابن السلطان ابى يوسف بن عبد الحق ابقاه الله يتهلل للبشرى جنابه ، ويفتح لوارد الفتح الالهى بابه ، وتعمل في سبيل الله عزائمه وركابه ، ويقوم بالجهاد فيه مجده وسعده وفخره وثوابه ، معظم قدره الامير عبد الله بن يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم مشفوع بالبشائر والتهانى ، محفوف ببلوغ الامانى ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد . . »

(الاسلوب السادس) أن يفتتح المكاتبة بالدعاء للمجلس . مثل : أدام الله تعالى أيام المجلس ، أو سلطان المجلس ، أو نعمة المجلس ، أو اقتدار المجلس ، أو سعادات المجلس ، وما أشبه ذلك . وعلى ذلك كانت الدولة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك الايوبية بالديار

المصرية الى بعض ملوكهم بالبشارة بفتح غزة واقتلاعها من أيدى الفرنج: «أدام الله سعادات المجلس وأحسن له التدبير، وأصفى عيشه من التكدير، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير، وجعل وجهه من أهلة الاكابر والتكبير، وأعاذ تأخيراً جله من التقديم وتقديم حظه من التأخير. يشعر المجلس بكذا وكذا..»

قلت: وهذه الأساليب هي الاصول المشهورة الدائرة في القديم بين فضلاء الكتاب فيما يكتب عن الملوك فى الشرق والغرب والديار المصرية. ووراء ذلك أساليب وتفننات لا يأخذها الحصر. وبكل حال فليس لخواتمها ضابط يوقف عنده. بل تارة يختم بالسلام وتارة بالحمد وتارة بقوله: فأن رأى كذا فعل. أو غير ذلك مما يقتضيه الحال

واعلم ان ابن شيث ذكر في معالم الكتابة مصطلح الدولة الايوبية على ما كان عليه الحال في أواخرها فقال: ان الناس كانوا لا يكتبون «المجلس» إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم «الحضرة» ثم افردوا السلطان «بالمقام والمقر» وصاروا يكتبون «المجلس» لمن دونه ولم يسوغوا مكاتبة السلطان بعدُ بالمجلس ولا بالحضرة؛ قال، ويكتب السلطان الى ولده المستخلف عنه «بالمجلس» دون «المقام» . واصطلحوا على الاختصار في نعوت الملوك المكتوب اليهم والدعاء بخلاف من هو تحت أمر السلطان وحوزته فأنه كلما كثرت النعوت والدعاء له في مكاتبة السلطان اليه كان أبلغ، لأن ذلك فى معنى التشريف من السلطان. واصطلحوا على انه لا يقال في المقام «السامى» بل «العالى»؛ وأنه يكتب عن السلطان لمن دونه من ذوى الاقدار «بالمجلس السامي» ولا يزاد على ذلك، ثم يفرد عن ياء النسب بعد «السامي» فيقال: الأمير الأجل، من غير ياء النسب؛ وأنه لا يقال «العالى» مكان «السامي» فى الكتابة عن السلطان، وقد يجمع بينهما لذوى الأقدار؛ وأنه يضاف فى نعت كل أمير: عمدة الملوك والسلاطين، عز الاسلام، أو نصرة الاسلام، أو فارس المسلمين، أو ماشابه ذلك من غير ضبط ولا تخصيص لأحد دون أحد إذا أحرزوا النعت الذى اشتهر به المكتوب؛ وأنه يقال: عمدة الملوك والسلاطين، وذخر الملوك والسلاطين، ودونها: اختيار الملوك؛ وللأقارب: فخر الملوك، وجمال الملوك، وعز الملوك وصديق الملوك؛ وللأماثل: معين الملوك، ونصرة الملوك وما أشبه ذلك. واصطلحوا على انه

يكتب للأمراء الاعيان : حسام أمير المؤمنين، وولى أمير المؤمنين، وصفوة أمير المؤمنين، وثقة أمير المؤمنين، وصنيعة أمير المؤمنين على مقدار مراتبهم؛ وان نعت «الاجل» يذكر بعد «العلو والسمو» بأن يقال: المجلس العالى الأجل أو السامي الأجل، وربما جاء نعتاً للأمراء والقضاة فيقال : الأمير الاجل والقاضي الأجل؛ وان السلطان لا يبتدئ بالدعاء فى كتبه لأحد الا من ماثله فى الملك، وأن لا يكتب لاحد ممن هو تحت أمره بـ«لازال ولا برح» فى الدعاء، وانما يكتب بذلك الى من ماثله من الملوك أو الى ولده المستخلف عنه فى الملك؛ وأن الدعاء للملوك مثل : أدام الله أيامه، وخلد الله سلطانه، وثبت الله دولته، وما أشبه ذلك؛ وأن التحميد في أوائل الكتب لا يكون الا في الكتب الصادرة عن السلطان وأن عظم المكتوب اليه أن تكون الحمدلة ثانية وثالثة في الكتاب ثم يؤتى بالشهادتين ويصلي على النبي صلي الله عليه وسلم؛ وأنه يكتب في الكتب السلطانية «صدرت، وأصدرناها» ولا يكتب «كتبت»؛ وأن الذى تخاطب به الخلافة عن السلطان «المواقف المقدسة الشريفة، والعتبات العالية، ومحل الرحمة، ومحل الشرف» والذى يخاطب به الملوك «المقام العالى، والمقر الاشرف» والذى يخاطب به الوزراء : الجناب العالى، والمجلس السامي، بالياء . ومن دون ذلك «المجلس السامى» بغير ياء، ودونه مجلس الحضرة، ودونه الحضرة؛ وأنه لا يكتب عن السلطان لمن هو تحت أمره الا بنون الجمع لدلالتها على العظمة؛ ولا يكتب «نشعر» الا عن السلطان خاصة بخلاف «نعلم»، وأن الكتب الصادرة عن السلطان تكون طويلة الطرة وتكون بقلم جليل غير دقيق؛ وأنه يوسع بين السطور حتى يكون بين كل سطرين ثلاث أصابع أو أربع؛ وأنه لا يخرج عن تحت البسملة فى الكتابة ولا يحتمل ذلك الا في الحمدلة : وأنه لا يكثر النقط والشكل في الكتب الصادرة عن السلطان الى من دونه، ثم استعمل ذلك؛ وأنه يترك فضلة في آخر الكتاب بياضا، ولا يكتب في حاشيته؛ وأن الترجمة عن السلطان فى كتبه لمن تحت أمره وأدناهم العلامة، فان أراد تمييز أحد منهم كتب له شيأ بخطه في مكان العلامة؛ وأنه لا حرج على السلطان أن يترجم للقضاة والعلماء والعباد بأخيه، وولده؛ وأن عنونة الكتاب وختمه مختص بصاحب ديوان الانشاء ليدل ذلك على وقوفه علي الكتاب؛ وأنه لا يجوز عنونة الكتاب قبل ان يكتب عليه السلطان ترجمته أو علامته؛ وأن

الكتب لا تبقى مفتوحـة الا أن تكون بإطلاق : وأن يكون على الكتاب الصادر عن السلطان عرض ثلاث أصابع . قلت : ومن هذا المصطلح استخرج المصطلح المستقر عليه الحال الآن مع اتساع مجال وانفساح مناط وتقريب مأخذ . وأفاضل الكتاب يتصرفون فى ذلك بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ومراعاة التحسين والتنضيد بحسب ما تؤدى اليه قرائحهم وتسمح به ينابيع أفكارهم

﴿ الفصل السادس[١] ﴾

(في المكاتبات المختصة بالأقليم الثانى وهو البلاد الشامية . وهي مشتملة على خمس نيابات)

﴿ النيابة الاولى — دمشق وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه بحاضرة دمشق فعلى اربعة اصناف

﴿ الصنف الاول ﴾ وهم ثلاثة نفر : الاول، نائب السلطنة بها ـ وقد تقدم انه من أكابر الأمراء مقدمى الألوف فكان رسم المكاتبة اليه على ما أورده فى التعريف : «أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم » . قال فى التثقيف: ولم تزل المكاتبة اليه كذلك بعد الدولة الناصرية محمد بن قلاوون الى آخر سنة ٧٧٥ واستقر الامير بيدمر الخوارزمي نائب السلطنة بها في ولايته الثالثة فى الدولة الاشرفية شعبان بن حسين فاستقر رسم المكاتبة اليـه « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » علي ما تقدم فى المرتبة الاولى ، والعلامة الشريفة «أخوه» وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس» او « كافل السلطنة الشامية المحروسة» ولا يقال فى تعريفه « كافل السلطنة » * الثانى نائب القلعة بها — كان رسم المكاتبة اليه « صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى » ، والعلامة : والده ، قال في التثقيف : ثم استقرت المكاتبة اليه « السـامي » بالياء لأنه طبلخاناة ، والعلامـة له الاسم ، وتعريفه : نائب القلعة المنصورة بدمشق * الثالث ، حاجب الحجاب بها ورسم المكاتبة اليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » ، والعلامة: والده، وتعريفه: أمير حاجب بالشام المحروس

﴿ الصنف الثانى ﴾ أرباب الوظائف الدينية والمكاتب منهم قاضي القضاة بالشام المحروس. وقد ذكر في التعريف ان المكاتبة اليه بـ (المجلس العالى) ولم يذكر صورتها قال فى التثقيف : والذى كوتب به الشيخ تقى الدين السبكي رحمـه الله وهـو قاضى

---

(١) راجع حاشية صفحة ٢٦٩

القضاة بالشام : « أعز الله أحكام المجلس العالى القاضوى الكبيرى العالمى العاملى الافضلى الاكملى الأوحدى البليغى الفريدى المفيدى التجيدى القدوى الحجى المحقق الأمامي الاصيلى العريقى الحاكمى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين شرف الامراء العاملين أوحد الفضلاء المفيدين قدوة البلغاء حجة الامة عمدة المحدثين فخر المدرسين مفتى المسلمين جلال الحكام حكم الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين . . ثم الدعاء، ثم « صدرت هذه المكاتبة » والعلامة أخوه، وتعريفه : قاضي القضاة بالشام المحروس . ثم ذكر فيما بعد أنه كان يكتب في نعوته : صدر الشام معز السنة مؤيد الملة شمس الشريعة رئيس الاصحاب لسان المتكلمين

﴿ الصنف الثالث ﴾ أرباب الوظائف الديوانية — والمكاتب منهم الوزير أو من يقوم مقامه كناظر النظار . فأما من كان وزيراً فقد ذكر في التعريف انه كتب للصاحب عز الدين حمزة بن القلانسى « الجناب » لجلالة قدره وسابقة خدمه وعناية من كتب اليه بذلك، وأن الذى استقر عليه الحال ان يكتب للوزير بالشام « المجلس العالى » بالدعاء كما كتب للصاحب امين الدين امين الملك قال في التثقيف : وكانت مكاتبته في وزارته في الأيام الناصرية محمد بن قلاون : ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالى الصاحبي الوزيرى الأصيلى الكبيري العالمى العادلى المؤيدى الاوحدى القوامى النظامى المدبرى الماجدى الاثيرى المشيرى الفلانى جلال الاسلام والمسلمين سيد الوزراء في العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء بقية الاصحاب ملاذ الكتاب عماد الملة خالصة الدولة مشير الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين . . . والدعاء، « ثم صدرت » . والعلامة « أخوه » ، وتعريفه : مدبر الممالك الشريفة بالشام المحروس قال، ولم يكتب لاحد بذلك قبله ولا بعده، ثم قال، واستقر في الدولة الناصرية حسن الصاحب فخر الدين بن قرويلة وزيرا بالشام أيضاً على قاعدة جده لأمه امين الدين المذكور وذكر أنه لم يعلم ما كوتب به : هل كما كتب جده المذكور او دونه؟ وان لم يكن وزيراً بأن لم يصرح له بالوزارة بل جعل ناظر النظار فقد ذكر في التعريف ان المكاتبة اليه : حرس الله تعالى مجد المجلس العالى القضائى الكبيري العالمى الفاضلى الاوحدى الرئيسي الاثيرى القوامى النظامى المنفذى المتصرفى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء جلال الكبراء حجة الكتاب صفوة الملوك والسلاطين خلصة امير المؤمنين . . . والدعاء ثم « صدرت » والعلامة : الاسم ، وتعريفه : ناظر النظار بالشام المحروس . قال في التثقيف : وهذا هو الذى استقر عليه الحال الى آخر وقت

وأما من يكتب اليه ممن بأعمال دمشق فثلاثة أصناف

(الصنف الاول) النواب ومن في معناهم وهم خمسة نفر: الاول نائب القدس، وقد تقدم أنه ممن استحدثت نيابته في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين سنة ٧٧٧ وربما أضيف اليه نظر الحرمين: حرم القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام. ورسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى»، والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالقدس الشريف * الثاني نائب حمص، قال في التثقيف، وكان يكتب اليه نظير نائب الكرك يعني «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى». والعلامة «والده» لما كان من مقدمي الالوف بالشام ثم استقر من أمراء الطبلخاناه؛ قال، واستقرت مكاتبته «صدرت هذه المكاتبة» فيما أظن. أما نائب قلعة حمص فأنه من المماليك السلطانية؛ قال في التثقيف، ولم تجر له عادة بمكاتبة * الثالث نائب بعلبك. قال في التثقيف: ان كان من أمراء الطبلخاناة فمكاتبته «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي» والعلامة الاسم، وتعريفه «النائب بحمص المحروسة» * الرابع نائب مصياف — ورسم المكاتبة اليه «هذه المكاتبة الى المجلس السامى» والعلامة: الاسم، وتعريفه: النائب بمصياف المحروسة. قال في التثقيف: وممن كتب له بمصياف وليس بنائب ولا وال يوسف شاه الأتابك بمصياف في سنة ٧٧٤ على يد نافع بن بدران وكتب له «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى» وكتب في ألقابه: الاتابكي، وكتب في تعريفه: يوسف شاه الاتابك، قال، والظاهر أن العلامة «والده» * الخامس نائب الرحبة — ورسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى». والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالرحبة. قال في التثقيف، وكان قد استقر بأماكن من البلاد الشامية نواب واستقر مكاتبة كل منهم ان كان مقدما: «صدرت» والعالى والعلامة: والده. وان كان طبلخاناه فالسامي، والعلامة: الاسم. وتلك الاماكن هي تدمر، والسخنة، والقريتان، وسلمية. ثم بطل ذلك. قال، ومن النواب بالقلاع الشامية جماعة ممن تصدر ولايتهم عن نائب الشام لم تجر لهم عادة بمكاتبة وهم نائب عجلون، ونائب صرخد، ونائب الصبيبة فكلهم داخلون في المكاتبات العامة المتقدمة الذكر

(الصنف الثاني) ممن يكتب لهم بأعمال دمشق الكشاف. والذي يكتب اليه من الابواب السلطانية من كشاف الشام كاشف واحد، وهو كاشف الرملة. وقد تقدم أنه استحدثت ولايته في الدولة الظاهرية برقوق. ورسم المكاتبة اليه: صدرت هذه المكاتبة إلى

المجلس السامى : والعلامة الاسم ، وتعريفه : الكاشف بالرملة

﴿ الصنف الثالث ﴾ ممن يكتب لهم بأعمال دمشق العربان . وقد تقدم فى الكلام على ترتيب المملكة أن بالشام عدة أمراء عربان تكاتب عن الابواب السلطانية لكل قبيلة أمير ، ولبعض أمرائهم أتباع وأقارب يكاتبون أيضا : أحدهم أمير آل فضل من آل ربيعة من طئ . وقد تقدم أن منازلهم مشاريق دمشق بجوار الفرات قال في التعريف ، ورسم المكاتبة الى الامير منهم « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، بالقاب جليلة مفخمة معظمة . وقد أوضح ذلك في التثقيف فقال ان رسم المكاتبة اليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدي الفريدي الاوحدي النصيري العونى الهمامي المقدمى الظهيري الاصيلى العلائى عز الاسلام والمسلمين شرف أمراء العربان فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين . . » ثم الدعاء ، وصدرت هذه المكاتبة . والعلامة : أخوه ، وتعريفه : فلان بن فلان ، باسمه واسم أبيه . قال في التعريف : أما من هو نظيره ومدانيه وعدته الامرة فرسم المكاتبة اليه « صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى » ومن دونه « السامى » بالياء ، قال ، ولكل هؤلاء العلامة « أخوه » ؛ ولمن دون هؤلاء « السامي » بغير ياء ، والعلامة الاسم .

واعلم أنه قد ذكر في التثقيف جماعة من أكابر بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى وذكر لكل واحد منهم رسم مكاتبة ونحن نوردها لينسج على منوالها فمن بيت مهنا بن عيسى عساف بن مهنا وأخوه عنقا بن مهنا وذكر أن رسم الكتابة الى كل منهما « هذه المكاتبة الى المجلس العالى الامير الاجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الاوحد الاصيل فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام فخر القبائل زين العشائر عماد الملوك والسلاطين . . . » ثم الدعاء ، وصدرت هذه المكاتبة : والعلامة الى كل منهما الاسم ، وتعريفه اسمه * ومنهم زامل بن موسى بن مهنا ونعير بن جبار قبل استقراره فى الامرة . ورسم المكاتبة الى كل منهما : صدرت ، والسامي : والعلامة والده ، والتعريف اسمه * ومنهم على بن سليمان بن مهنا ، ورسم المكاتبة اليه : السامى بالياء ، والعلامة الاسم * ومن بيت فضل بن عيسى معيقل بن فضل وقد ذكر في التثقيف ان رسم المكاتبة اليه السامي بالياء ، والعلامة والده ، قال ، ولم يكاتب أحد من آل فضل الآن سواه : ثم قال ، فان اتفق ان يكاتب أحد من أولاد أخيه

المذكور أو من أولادهم فأعلاهم الاسم ، والسامى بغير ياء ، وأدناهم الاسم ، ومجلس الامير * الثانى أمير آل مرا من آل ربيعة أيضاً وقد تقدم أن منازلهم بلاد حوران وذكر في التثقيف أن الامرة في زمانه كانت مقسومة نصفين بين عنقا بن شطى بين عمرو عمه فضل بن عمر قال، ومكاتبة كل منهما صدرت، والسامى ، والعلامة والده، وتعريفه : فلان بن فلان . وقد ذكر فى التعريف ان لأعيانهم السامي بغير ياء، ولمن دونهم من الصغار مجلس الامير * الثالث أمير آل علي من ربيعة أيضا وقد تقدم أن منازلهم غوطة دمشق . قال فى التعريف: ورسم المكاتبة اليه صدرت ، والسامى، والعلامة أخوه وقد ذكر في التثقيف أن الامارة في زمانه كانت بيد عيسى بن رملة بن جماز وقال ان رسم المكاتبة اليه كما قال فى التعريف : صدرت ، والسامي الا أنه قال: والعلامة والده، وتعريفه فلان بن فلان * الرابع أمير بنى مهدى . وتقدم أن منازلهم البلقاء من بلاد دمشق ؛ وذكر في التعريف ان الامرة فى أربعة منهم . ورسم المكاتبة الى كل منهم مجلس الامير ؛ وذكر فى التثقيف مثله ثم قال : ومن كان معه نصف الامرة منهم كانت مكاتبته الاسم ، والسامي بغير ياء وتعريف كل منهم فلان بن فلان * الخامس أمير جرم وتقدم أن منازلهم بلاد غزة ، وذكر في التعريف أن امرتهم فى زمانه كانت باسم فضل بن حجى وأن المكاتبة اليه مجلس الامير . والذى ذكره فى التثقيف أن لهم مقدما لا أميراً وأنه كان في زمانه على بن فضل وذكر أن رسم المكاتبة اليه الاسم ، والسامي بغير ياء

﴿ تنبيه ﴾ قال فى التعريف : وأما بقية عرب الشام نحو زبيد المرج وزبيد حوران وخالد حمص والمشارقة وغزنة اذا أطاعوا وزبيد الاحلاف فأجل كبرائهم وأشياخهم من يكتب له مجلس الامير ؛ وذكر في التثقيف نحوه ثم قال: هذا اذا انفرد أحد منهم بالمكاتبة والا فالعادة ان يكتب لكل طائفة من هؤلاء القبائل لا على الانفراد ولا علي الاجتماع . قال : وهذا تناقض فى الكلام حيث ذكر أن العادة أن يكتب لكل طائفة منهم مطلقا ، ثم قال : أن العادة لم تجر بمكاتبة أحد منهم لا علي الانفراد ولا على الاجتماع

﴿ النيابة الثانية — نيابة حلب وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه ممن بحلب فثلاثة نفر : الاول نائب السلطنة بها ـ وقد تقدم أنه من أكابر الأمراء المقدمين . فرسم المكاتبة اليه « أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم » على ما تقدم فى المرتبة الثانية، والعلامة أخوه، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة * الثانى نائب

القامة بها — ورسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى» والعلامة الاسم، وتعريفه نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة *الثالث حاجب الحجاب بها — ورسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى» والعلامة والده، وتعريفه أمير حاجب بحلب المحروسة . قلت: وليس بها من يكاتب من أرباب الوظائف الدينية والوظائف الديوانية وأما من يكتب اليه ممن بأعمال حلب فعلى ثلاثة أصناف

﴿الصنف الاول النواب﴾ وهم اثنان وعشرون نائبا: الاول نائب البيرة . ورسم المكاتبة اليه «صدرت» و«العالى»، والعلامة والده، وتعريفه النائب بالبيرة المحروسة *الثانى نائب قلعة الروم وهي قلعة المسلمين، ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه النائب بقلعة المسلمين المحروسة *الثالث (نائب ملطية، ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك) وتعريفه النائب بملطية المحروسة *الرابع نائب طرسوس ورسم المكاتبة اليه . والعلامة كذلك، وتعريفه النائب بطرسوس المحروسة *الخامس نائب اذنه . ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه النائب بأذنه المحروسة *السادس نائب الابلستين ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه النائب بالابلستين المحروسة *السابع نائب بهسنى . ورسم المكاتبة اليه «صدرت» و«السامي» والعلامة والده، وتعريفه النائب ببهسنى المحروسة . قال في التثقيف: ولم يعلم لاحد من النواب «والده» مع «السامى» بالياء غيره *الثامن نائب أياس، وهو المعبر عنه بنائب الفتوحات الجاهانية . قال في التثقيف: ان كان مقدما فالمكاتبة اليه بنسبة مكاتبة نائب البيرة، فيكون رسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى»، والعلامة والده . وان كان طبلخاناه فالمكاتبة اليه «صدرت» و«السامى»، والعلامة الاسم وتعريفه بكل حال النائب بأياس المحروسة *التاسع نائب جعبر . ورسم المكاتبة اليه «هذه المكاتبة الى المجلس السامى»، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بقلعة جعبر المحروسة *العاشر نائب عينتاب ورسم المكاتبة اليه على ما في التثقيف «يعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بعينتاب قال في التثقيف: ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشاى ان مكاتبته «الاسم» و«السامي» بغير ياء: ثم قال وما تقدم هو ما استقر عليه الحال آخرا . قال، وقد يكون ذلك لانه كان بها أمير طبلخاناه *الحادى عشر نائب درنده . قال في التثقيف ان كان طبلخاناه فالسامي بغير ياء، وان كان عشرة فمجلس الامير، والعلامة الاسم بكل حال، وتعريفه النائب

بدرنده * الثاني عشر نائب القصير، ورسم المكاتبة اليه «يعلم مجلس الامير» على ما في التثقيف والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بالقصير * الثالث عشر نائب الراوندان . ورسم المكاتبة اليه كمثل نائب القصير، وتعريفه النائب بالراوندان * الرابع عشر نائب الرها. قال في التثقيف جرت العادة ان يكون نائبها طبلخاناه فتكون مكاتبته «السامي» بغير ياء، والعلامة الاسم؛ ثم قال: وقد استقر في الايام المنصورية في سنة ٧٧٨ مقدم الف، فقد يكتب له نظير نائب البيرة وقلعة المسلمين يعني «صدرت» و«العالى»، والعلامة والده، وتعريفه بكل حال النائب بالرها * الخامس عشر نائب شيزر وقد ذكر في التثقيف أن مكاتبته «هذه المكاتبة الى المجلس السامي» فتكون العلامة الاسم وتعريفه النائب بشيزر * السادس عشر نائب كركر. ورسم المكاتبة اليه «يعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بكركر * السابع عشر نائب الكختا. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالكختا * الثامن عشر نائب بغراص. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب ببغراص * التاسع عشر نائب الشغر وبكاش. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالشغر وبكاش * العشرون نائب الدربساك . ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالدربساك * الحادى والعشرون نائب اسفندكار. ذكر في التثقيف أن المكاتبة اليه كذلك ثم قال: لكني رأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشاي أن مكاتبته الاسم، والسامي بغير ياء، قال، وما يبعد أنه كان اذ ذاك طبلخاناه والمستقر عليه الحال ما تقدم * الثاني والعشرون تقدمة العسكر بسيس. وقد تقدم أنه استجد فتحها في الدولة الاشرفيه شعبان بن حسين واستقرت نيابة ثم استقرت تقدمة عسكر كغزة مع دمشق: وقد ذكر في التثقيف أن رسم مكاتبته كانت «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى»: ثم قال، وقد صح أنه استقرت مكاتبته نظير غزة وهي «أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى»، والعلامة والده، وتعريفه مقدم العسكر المنصور بغزة المحروسة. قال: ولم أطلع على مكاتبة الحاجب بها، ثم قال، وما يبعد أن يكون «مجلس الامير» لانه أمير عشرة. قال: ولم يكن بها نائب قلعة ذكره في الكلام على نواب القلاع

(الصنف الثاني) ممن يكاتب بأعمال حلب التركمان. وقد تقدم أنهم طوائف كثيرة وجماعة كبيرة، قال في التثقيف، وغالبهم لا يكتب اليه الا اذا ضمهم «مطلق شريف» ثم قال: فان كتب الى أحد من أعيانهم كتب له الاسم، والسامي بغير ياء ان كان طبلخاناه. فان

كان عشرة أو عشرين كتب له الاسم، ومجلس الامير لاغير. ثم ذكر في الكلام على تركمان البلاد الشرقية عدة طوائف منهم الاوسرية وقال هم تركمان حلب، والورسق وقال هم تركمان طرسوس

﴿ الصنف الثالث ﴾ الاكراد. وقد تقدم أن بهذه المملكة منهم طوائف كثيرة، قال في التثقيف، وغالبهم لا يكتب اليه الا اذا ضمهم «مطلق شريف». ثم قال وان كتب لاحد من أعيانهم كتب له الاسم، والسامي بغير ياء ان كان طبلخاناه. وان كان أمير عشرة أو عشرين كتب له الاسم ومجلس الامير كما تقدم في التركمان

﴿ النيابة الثالثة — نيابة حماه ﴾

فأما من كتب اليه بحاضرتها فنفران: الاول نائب السلطنة بها. وقد تقدم انه كان بها ملك من بقايا الملوك الايوبية الى ان كان بها الافضل محمد بن المؤيد اسماعيل الى ان استحدثت بها النيابة بعد الايام الصالحية اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون فكانت المكاتبة اليه حينئذ في قطع العادة * أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الملكى الفلانى — بلقبه في السلطنة — الفلانى — بلقب السلطان المكتوب اليه ثم الدعاء، و بعده «أصدرناها الى المقام الشريف»، والعلامة أخوه، وتعريفه صاحب حماه. ثم لما استقرت نيابة صار رسم المكاتبة الى نائبها « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » على ما تقدم في المرتبة الثالثة من مراتب المكاتبات السلطانية، والعلامة أخوه، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بحماه المحروسة * الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبة اليه «صدرت» والسامي والعلامة الاسم، وتعريفه الحاجب بحماة المحروسة. قال في التثقيف: ولم يكن بها قاعدة فيكتب لنائبها. قلت: وليس بأعمالها نواب ولا عربان ونحوهم فيكتب اليهم

﴿ النيابة الرابعة — نيابة طرابلس وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليهم بحاضرتها فنفران: الاول نائب السلطنة بها. ورسم المكاتبه اليه « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة * الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبة اليه «صدرت» و «العالى» والعلامة والده، وتعريفه أمير حاجب بطرابلس المحروسه

وأما من يكتب اليهم بأعمالها فالنواب وهم اثنى عشر نائبا: لاول نائب اللاذقية ورسم المكاتبة اليه السامى بغير ياء، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب باللاذقية * الثانى نائب صهيون ورسم المكاتبة اليه «يعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بصهيون * الثالث نائب حصن الاكراد، ورسم المكاتبة اليه كذلك: وتعريفه النائب بحصن الاكراد * الرابع نائب بلاطنس. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب ببلاطنس * الخامس نائب المرقب ورسم المكاتبة اليه كذلك وتعريفه نائب المرقب * السابع نائب الكهف، ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالكهف * الثامن نائب المنيقة. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالمنيقة * التاسع نائب العليقة، ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالعليقة * العاشر نائب القدموس، ورسم المكاتبة اليه كذلك وتعريفه النائب بالقدموس * الحادى عشر نائب الخوابي، ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالخوابى * الثانى عشر نائب الرصافة ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالرصافه

النيابة الخامسة نيابة صفد

والمكاتبون بحاضرتها ثلاثة نفر: الاول نائب السلطنة بها. ورسم المكاتبة اليه «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى والعلامة والده» وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بصفد المحروسة * الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبة اليه صدرت، والسامى، والعلامة الاسم، وتعريفه الحاجب بصفد المحروسة * الثالث نائب القلعة بها. ورسم المكاتبة اليه السامى بغير ياء، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بالقلعة المنصورة بصفد المحروسة. قلت: وليس بأعمالها نواب فتكاتب وانما بها ولاة (يكاتبون عن نائبها)

النيابة السادسة — نيابه غزة

اذا أفردت عن دمشق واستقرت نيابة بمفردها. والمكاتبون بها اثنان: الاول نائب السلطنة بها، أو مقدم العسكر. ورسم المكاتبة اليه بكل حال «أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى» والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة ان كانت نيابة مستقلة، أو مقدم العسكر المنصور ان كانت مضافة الى دمشق *

الثانى الحاجب بها . ورسم المكاتبة اليه « مجلس الامير » والعلامة الاسم، وتعريفه الحاجب بغزة المحروسة

﴿ النيابة السابعة - نيابه الكرك ﴾

والمكاتبون بحاضرتها اثنان : الاول نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبة اليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس * الثانى والى القامة بها . ورسم المكاتبة اليه « هذه المكاتبة الى المجلس السامى » ، والعلامة الاسم ، وتعريفه والى القلعة المنصورة بالكرك المحروس

والمكاتبون بأعمالها عربها وهم بنو عقبة . قال فى التعريف: ورسم المكاتبة الى أميرهم مثل أمير آل مرا ؛ ورسم المكاتبة الى أقاربه كرسم المكاتبة الى أقارب أمير آل مرا أيضا . فتكون مكاتبة أميرهم « صدرت » و« السامى » ومكاتبة أقاربه « السامى » بغير ياء (للاعيان) ولمن دونهم « مجلس الامير » والعلامة الى الجميع الاسم، وتعريف كل منهم فلان بن فلان

﴿ الاقليم الثالث — البلاد الحجازية ﴾

من أقاليم هذه المملكة البلاد الحجازية . وقد تقدم أنها تشتمل على ثلاث قواعد

﴿ الاولى مكة المشرفة ﴾ — والمكاتبون بها عن الابواب السلطانية اثنان : الاول أميرها القائم بأمرها . وقد عبروا عنه بالامارة ترفعا عن النيابة لشرفها . وقد تقدم أن امرتها الآن في بنى عجلان من الاشراف بنى حسن ، وهي الآن فى حسن بن عجلان ورسم المكاتبة الى أميرها على ما ذكره فى التعريف : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العضدى النصيري الذخرى العونى المقدمى الاوحدي الظهيرى الزعيمي الكافلى الشريفي الحسيبى النسيبي الاصيلى الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين جلال العترة الطاهرة كوكب الاسرة الزاهرة فرع الشجرة الزكية طراز العصابة العلوية ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين — ثم ندعى له ، ويصدر بمثل — لازال حرمه أمينا ، ومكانه مكينا ، وشرفه يبيض له بمجاورة الحجر الاسود عند الله وجها ويضفى حبينا . صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى تحمل اليه سلاما تميل به الركائب، وثناء تثنى على مسكه الحقائب، وشوقا اوسق قلبه في نسكه مع الحبائب

وتوضح لعلمه الشريف كيت وكيت » ورسم المكاتبة اليه على ما ذكر في التثقيف « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الاميرى الكبيرى الشريفى الحسيبى النسيبى العالمى المجاهدى المقدمى الاوحدى النصيرى العونى الهمامى الظهيرى الأصيلي العريقى القلاني عز الاسلام والمسلمين شرف الامراء الاشراف فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين كهف الملة عون الامة فخر السلالة الزاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصابة العلوية ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين . . » ثم الدعاء، وصدرت . والعلامة : أخوه، وتعريفه : فلان بن فلان أمير مكة المشرفة

﴿ صدر آخر من التعريف ﴾ : ومتعه بجوار بيته الكريم، وزاد بجميل مساعيه شرف نسبه الصميم، وأمنه بقرب الحجر والحجر والركن والحطيم، صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالى تهدى سلاماً ، وثناء يطيب به الصبا قبل ان يحمل شيحاً وخزاما وتوضح لعلمه الكريم

﴿ صدر آخر منه ﴾ وأراه مناسكه ، وأنس بالتقوى مسالكه ، وأشهد على عمله الصالح بطحاءه وما تنزله الملائكة . صدرت هذه المكاتبة بتحياتها المباركة ، وأثنيتها التى لا تزال اليه بها أفئدة من الناس سالكة، وتوضح لعلمه الكريم

الثانى، ممن يكاتب بمكة المشرفة قاضيها ورسم المكاتبة اليه على ما ذكره فى التثقيف (١)

﴿ القاعدة الثالثة المدينة المنورة (٢) ﴾ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . والمكاتبة الى اميرها كأمير مكة على الاختلاف السابق فى روايتي التعريف والتثقيف

﴿ القاعدة الثالثة الينبع ﴾ ورسم المكاتبة الى نائبها « هذه المكاتبة الى المجلس السامى الأمير » والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بالينبع

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) لم يورد صورة هذه المكاتبة ولا اهتدينا اليها في الصبح (٢) انتهت النسخة الموجودة من هذا الكتاب الجليل بنهاية الكلام على مكة وانما أوردنا ما أوردناه في القاعدتين الأخريين : المدينة والينبع، اخذا من الصبح تتميما لهذا الباب

﴿ تنبيه ﴾

كنا اردنا ان ننبه القراء الى كل ما نقف عليه إبان الطبع من مسخ النسخ نحو التحريف والتصحيف والتبديل والتغيير والزيادة والنقص وعملنا بهذه الارادة في أول الكتاب - ثم رأينا ان ذلك يطول على غير طائل فأعرضنا عنه واكتفينا برد المحرف والمصحف والمبدل الى أصله دون اشارة اليه . اما ما ترك على بياض في نسخة « الضوء » فأخذناه من « الصبح » ووضعناه بين قوسين كهذين ( ) . واما ما اختلف فيه « الصبح » و« الضوء » فأشرنا اليه في موضعه من سياق عبارته بقولنا بعد الكلمة المختلف فيها : (وفي الصبح : كذا)